

المؤمنون عترة العلمانية

من كتاب الامم الحنيفة

الجزء الثالث

(الإيمان والكفر)

بطاقة فهرسة

مصدر الفهرسة: IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda

رقم تصنيف LC: BP41.7.R33 M3 2018

المؤلف الشخصي: رضواني، علي أصغر، مؤلف.

العنوان: الموسوعة العلمية من كلمات الإمام الحسين عليه السلام / الجزء الثالث (الإيمان والكفر).
بيان المسؤولية: تأليف: الأستاذ علي أصغر رضواني، وجمع من الفضلاء؛ ترجمة: د. محمد صالح الحلفي.
بيانات الطبع: الطبعة الأولى.

بيانات النشر: النجف، العراق: العتبة الحسينية المقدّسة، مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات
التخصصية في النهضة الحسينية، ٢٠١٨ / ١٤٣٩ للهجرة.

الوصف المادي: ٤٧٦ صفحة؛ ٢٤ سم.

سلسلة النشر: (العتبة الحسينية المقدّسة؛ ٤٤٥).

سلسلة النشر: (مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية؛).

تبصرة بيلوجرافية: يتضمن هوامش، لائحة المصادر الصفحات (٤٤١ - ٤٦٠).

موضوع شخصي: الحسين بن علي الشهيد عليه السلام، الإمام الثالث، ٤-٦١ للهجرة - أحاديث.

موضوع شخصي: الحسين بن علي الشهيد عليه السلام، الإمام الثالث، ٤-٦١ للهجرة - كلمات قصار.

موضوع شخصي: الحسين بن علي الشهيد عليه السلام، الإمام الثالث، ٤-٦١ للهجرة - صفات.

موضوع شخصي: الحسين بن علي الشهيد عليه السلام، الإمام الثالث، ٤-٦١ للهجرة - الإيمان والكفر.

مصطلح موضوعي: الإيمان - في القرآن وأحاديث الشيعة الإمامية.

مصطلح موضوعي: الكفر - في القرآن وأحاديث الشيعة الإمامية.

مصطلح موضوعي: مراتب الإيمان - دراسة.

مؤلف اضافي: جمع من الفضلاء.

اسم هيئة اضافي: العتبة الحسينية المقدّسة (النجف، العراق). مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات

التخصصية في النهضة الحسينية.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدّسة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٠٤٧) لسنة (٢٠١٨م)

الموسى وعترته العالمية
من كلمات الامام الحسين

الجزء الثالث
(الايان والكفر)

تأليف

الأستاذ علي اصغر الرضواني
وجمع من الفضلاء

ترجمة

د. محمد صالح الحلفي

الإشراف العليّ

موسى بن نوح
للديارات التخصصية في النهضة الحسينية



جميع الحقوق محفوظة
للجنة الحسينية المقدسة



الطبعة الأولى

١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م



إصدار

مؤسسة واثق الأئمة
للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية

اللجنة العلمية في مؤسسة وارث الأنبياء

- الشيخ باقر الساعدي
- د. السيد حاتم البخاتي
- الشيخ حيدر الاسدي
- الشيخ عباس الحمداوي
- الشيخ صباح الساعدي
- د. الشيخ رافد التميمي

لجنة التأليف

١. الأستاذ علي اصغر الرضواني
٢. د. الشيخ عمار الجويدراوي
٣. الأستاذ مهدي الرضواني

اللجنة الفنية

١. الشيخ حسين المالكي
٢. السيد صادق الحيدري
٣. السيد مهدي المعلمي
٤. محمد صادق الرضواني

بطاقة إيداع

٢٣٩ / ٨

ر ٦٩٢ رضواني، علي أصغر.

الموسوعة العلمية من كلمات الإمام الحسين عليه السلام / الأستاذ علي أصغر رضواني... وآخرون. ترجمة: محمد الحلفي. قم، دار المؤمن، ٢٠٢١. ج ٣ (٤٧٦ ص)، ٢٤ سم.

١ - الحسين بن علي (الإمام الثالث) - أ- اهل بيت النبي صلى الله عليه وآله. ٢ - موسوعات. م. و. أ- العنوان.

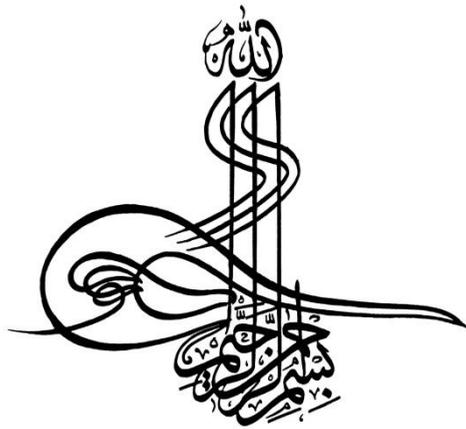
٢٠٢١ / ٧٢٥

المكتبة الوطنية/ الفهرسة أثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٧٢٥) لسنة ٢٠٢١

هوية الكتاب

- عنوان الكتاب الموسوعة العلمية من كلمات الإمام الحسين عليه السلام الجزء الثالث (الإيمان والكفر)
- المؤلف الأستاذ علي أصغر الرضواني وجمع من الفضلاء
- المترجم د. محمد صالح الحلفي
- الإشراف العلمي اللجنة العلمية في مؤسسة وارث الأنبياء
- الإخراج الفني حسين المالكي
- الطبعة الأولى
- المطبعة دار المؤمن
- سنة الطبع ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م



مقدمة

تعدّ عودة المسلمين مرّة أخرى إلى الإسلام وتعاليمه وإرشاداته، وإعراضهم عن ثقافات الغرب والشرق الدخيلة واحدة من الظواهر المباركة والميمونة ضمن الميدان السياسي في العالم الإسلامي المعاصر، وهذا لا يعني خلوها من المخاطر والتحديات، إذ يحدق بها خطر الإفراط والتكفير والعنف، على الصعيد العقدي والسياسي، حيث من الممكن جداً أن تستغل اختلافات المسلمين في بعض المسائل لخلق الصراعات أو لاحتدامها، ومنعهم من استعادة الإسلام هيئته وعزّته وهيمنته.

لقد اشتهرت التيارات التكفيرية والوهابية بصنعها مشاهد من هذا القبيل، ويتلخص المائز المشترك بين جميع هذه التيارات بتكفيرهم للمسلمين وتجويز قتلهم تزمّتاً باتباع السلف، فيعمدون إلى تكفير غيرهم من المسلمين والإفتاء بجواز قتلهم لا لسبب سوى اختلافهم معهم في الآراء وجهات النظر في بعض المسائل؛ ذلك أنّهم حملوا أفكارهم المتحجرة على الإسلام الناصح والدين السهل السمح لعدم معرفتهم النافذة بحقائق الآيات القرآنية الكريمة والروايات الشريفة وإشاراتها، فاستهدفوا بفعلهم الوحدة والتواد والانسجام بين أبناء الدين الإسلامي في مواجهتهم للأعداء، متناسين التأكيد والحث القرآني على التراحم فيما بين المسلمين وتوحدهم والتعامل بشدّة مع أعدائهم:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^(١).

وقال أيضاً:

﴿وَلَا تَنْزَعُوا أَنْفُسَكُمْ فَيُكْفَرُوا بِكُمْ﴾^(٢).

وقال أيضاً:

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٣).

وقال أيضاً:

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾^(٤).

وقال كذلك:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٥).

وروي عن النبي ﷺ أنه قال:

«مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَرَاحِمِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى سَائِرَ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى»^(٦).

نقل ابن هشام عن ابن اسحاق أنه:

«مَرَّ شَأْسُ بْنُ قَيْسٍ، وَكَانَ شَيْخًا قَدْ عَسَا، عَظِيمَ الْكُفْرِ، شَدِيدَ الضَّغْنِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، شَدِيدَ الْحَسَدِ لَهُمْ، عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِنْ الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ، فِي مَجْلِسٍ قَدْ جَمَعَهُمْ، يَتَحَدَّثُونَ فِيهِ، فَعَاظَهُ مَا رَأَى مِنْ أَلْفَتِهِمْ وَجَمَاعَتِهِمْ، وَصَلَّاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، بَعْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ فِي

(١) سورة الفتح، آية ٢٩.

(٢) سورة الأنفال، آية ٤٦.

(٣) سورة آل عمران، آية ١٠٣.

(٤) سورة الأنبياء، آية ٩٢.

(٥) سورة الأنبياء، آية ١٠٧.

(٦) ابن حنبل، أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٣٠، ص ٣٣٠، حديث ١٨٣٨٠.

الجاهليَّة، فَقَالَ: قَدْ اجْتَمَعَ مَلَأُ بَنِي قَيْلَةَ بِهَذِهِ الْبِلَادِ، لَا وَاللَّهِ مَا لَنَا مَعَهُمْ إِذَا اجْتَمَعَ مَلُؤُهُمْ بِهَا مِنْ قَرَارٍ، فَأَمَرَ قَتَى شَابًّا مِنْ يَهُودَ كَانَ مَعَهُمْ، فَقَالَ: اِعْمِدْ إِلَيْهِمْ، فَاجْلِسْ مَعَهُمْ، ثُمَّ أَذْكَرُ يَوْمَ بُعَاثٍ وَمَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنْشِدُهُمْ بَعْضَ مَا كَانُوا تَقَاوَلُوا فِيهِ مِنَ الْأَشْعَارِ...

فَفَعَلَ. فَتَكَلَّمَ الْقَوْمُ عِنْدَ ذَلِكَ وَتَنَارَعُوا وَتَفَاخَرُوا، حَتَّى تَوَاتَبَ رَجُلَانِ مِنَ الْحَيَّيْنِ عَلَى الرُّكْبِ، أَوْسِ بْنِ قَيْظِي أَحَدُ بَنِي حَارِثَةَ بْنِ الْحَارِثِ مِنَ الْأَوْسِ، وَجَبَّارُ بْنُ صَخْرٍ أَحَدُ بَنِي سَلَمَةَ مِنَ الْخَزْرَجِ، فَتَقَاوَلَا، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: إِنْ شِئْتُمْ رَدَدْنَاهَا الْآنَ جَدْعَةً، فَعُضِبَ الْفَرِيقَانِ جَمِيعًا، وَقَالُوا: قَدْ فَعَلْنَا مَوْعِدَكُمْ الظَّاهِرَةَ - وَالظَّاهِرَةَ: الْحَرَّةُ - السِّلَاحَ السَّلَاحَ.

فَخَرَجُوا إِلَيْهَا، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فِي مَنِّ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى جَاءَهُمْ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُ اللَّهُ، أَبَدَعُوِي الْجَاهِلِيَّةَ، وَأَنَا بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ بَعْدَ أَنْ هَدَاكُمْ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ، وَأَكْرَمَكُمْ بِهِ، وَقَطَعَ بِهِ عَنْكُمْ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَاسْتَنْقَذَكُمْ بِهِ مِنَ الْكُفْرِ، وَالْفَ بِي بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟! عَرَفَ الْقَوْمُ أَنَّهَا نَزَعَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَكَيْدٌ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَبَكَوْا وَعَانَقَ الرَّجَالُ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ثُمَّ انْصَرَفُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) سَامِعِينَ مُطِيعِينَ، قَدْ أَطْفَأَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَيْدَ عَدُوِّ اللَّهِ شَأْسِ بْنِ قَيْسٍ^(١).

حول هذا قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«... دَفَنَ اللَّهُ بِهِ الضَّعَّائِنَ، وَأَطْفَأَ بِهِ [النَّوَائِرَ] الشَّوَائِرَ، أَلْفَ بِهِ إِخْوَانًا، وَفَرَّقَ بِهِ أَقْرَانًا، أَعَزَّ بِهِ الدَّلَّةَ، وَأَذَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ»^(٢).

(١) ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، ج ١، ص ٥٥٥-٥٥٦.

(٢) نهج البلاغة، خطبة ٩٦.

وقال كذلك واصفاً دور النبي صلى الله عليه وآله بهذا الخصوص:

«فَصَدَعَ بِمَا أَمَرَ بِهِ، وَبَلَغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ؛ فَلَمَّ اللَّهُ بِهِ الصَّدْعَ، وَرَتَّقَ بِهِ الْفَتْقَ، وَأَلْفَ بِهِ الشَّمْلَ بَيْنَ ذَوِي الْأَرْحَامِ بَعْدَ الْعَدَاوَةِ الْوَاعِرَةِ فِي الصُّدُورِ وَالضَّغَائِنِ الْقَادِحَةِ فِي الْقُلُوبِ»^(١).

إنَّ استقراء الأقوال في مسألة تكفير المسلمين من أتباع المذاهب الإسلامية المتعددة ينبئ عن وجود نظريات عدّة قد أدلت بدلوها في هذا الشأن، وإجمالاً يمكن وضعها على ثلاث طوائف تتراوح بين الإفراط والتفريط والاعتدال.

فالطائفة الأولى خرجت عن حدِّ الاعتدال إلى القول بتكفير كلِّ من خالفها دون دليل أو سبب معقول، ولم تكف بذلك حتّى أوجدت قوّة تنفيذية تحكم بقتل من خالفها، على العكس ممّا هو مستفاد من الآيات وروايات النبي وأهل بيته عليهم السلام وكلمات الصحابة وعلماء الإسلام وسيرتهم الجارية على خلاف هذا النحو من الغلو والتطرّف.

والطائفة الثانية تقف في الطرف المقابل للتكفير والتشدد وتناهى عنه بشكل مطلق، وكان هذا مدعاة لوصفها بالتساهل، رافعة شعار حرية التفكير والمقال حتّى بلغت بذلك درجة تجيز فيها لأيّ أحد النيل من الدين ومقدّساته والتحدّث عن ذلك كيفما شاء وبأيّ صورة أراد، ولا يحقّ لأحد أن يكفّره أو يتعرّض له، وهذا ما دفع أنصارها للاعتراض على ما ورد في الشريعة من حكم بخصوص المرتد بتبريرات واهية لا تقوم على أساس صحيح.

والطائفة الثالثة وهم أهل الاعتدال لا يميلون إلى الطائفة الأولى حتّى لا يكونوا في عداد التكفيريين ولا إلى الطائفة الثانية المتساهلين في القول بالتكفير،

(١) المصدر السابق، خطبة ٢٣١.

فقصر أنصار هذه الطائفة الحكم بالتكفير ضمن أطر وحدود بالغة في الضيق، ولا يجيزون اللجوء للخشونة إلا في المواضع الضرورية جداً، دون المساس بمضمون الآية الشريفة ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، بل ويتخذونها شعاراً في سبيل تحقيق أسس الديمقراطية.

نحن بدورنا سنسلط الضوء في هذا المجلد على بيان المفاهيم التي قد يتذرّع بها التكفيريون لتبرير سلوكياتهم المشينة ومواقفهم الضالة، كالإسلام والإيمان والكفر في نظر الآيات الكريمة والروايات الشريفة، وعلى الخصوص ما نحن بصدده أعني أحاديث الإمام الحسين عليه السلام، كما سنتطرق خلال ذلك إلى أقوال المفكرين الإسلاميين في بيانهم وتعريفهم لهذه المصطلحات.

الأول: الإسلام

مقدمة

المعنى اللغوي للإسلام

قال ابن فارس:

«سلم: السين واللام والميم، معظم بابه من الصحة والعافية... ومن الباب أيضاً الإسلام، وهو الانقياد؛ لأنه يسلم من الإباء والامتناع»^(١).

ويرى الراغب الإصفهاني أنّ «الإسلام» يعني الدخول للإسلام^(٢).
وبهذا الشأن قال العلامة المصطفوي:

«إنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو ما يقابل الخصومة، وهو الموافقة الشديدة في الظاهر والباطن بحيث لا يبقى خلاف في البين، ومن لوازم هذا المعنى مفاهيم الانقياد والصلح والرضا.

ولما كان أصل المادّة لازماً فيكون مفهومه حصول الوفاق ورفع الخلاف والخصومة في نفس الشيء، سواء يلاحظ في نفسه أو بالنسبة إلى غيره.

وإذا لوحظ في نفسه من حيث هو يلازمه الاعتدال والنظم والمحفوظية من النقص والعيب والعاهة والآفة، وهذا معنى السلامة والصحة في نفس الشيء وفي أجزائه، لفقدان الخلاف فيما بين الأجزاء والأعضاء، وحصول الوفاق الكامل والنظم والاعتدال فيها، فالصحة تكون من مصاديق الأصل بهذا المعنى»^(٣).

(١) ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٣، ص ٩٠.

(٢) الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، ص ٤٢٣.

(٣) المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج ٥، ص ٢٢٨-٢٢٩.

ثم يواصل كلامه:

«فظهر أنّ الإسلام عبارة عن جعل شيء سلماً، أي موافقاً متلائماً لا يبقى خلاف ولا ترى جهة مغايرة ومنافرة»^(١).

المعنى الاصطلاحي للإسلام

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس، شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصيام شهر رمضان»^(٢).

وروي عنه أيضاً:

«الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله، والتّصديق برسول الله صلى الله عليه وآله، به حقت الدماء، وعليه جرت المناكح والموارث، وعلى ظاهره جماعة الناس»^(٣).

وقال العلامة الطباطبائي:

«إنّ الإسلام على ما تداول بيننا من لفظه، ويتبادر إلى أذهاننا من معناه أول مراتب العبودية، وبه يمتاز المتحل من غيره، وهو الأخذ بظاهر الاعتقادات والأعمال الدينية، أعم من الإيمان والنفق»^(٤).

وقال الفخر الرازي:

«إنّا بيننا أنّ الإسلام عبارة عن الإقرار الدال على الاعتقاد ظاهراً»^(٥).

(١) المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٣٢.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٢، ص ٢٤، حديث ٤.

(٣) المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٥، حديث ١.

(٤) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٢٨٣.

(٥) الفخر الرازي، محمد بن عمر، معالم أصول الدين، ص ١٤٧.

وفصّل ابن تيمية قائلاً:

«قد فرّق النبي (صلى الله عليه وسلم) في حديث جبريل عليه السلام بين مسمّى (الإسلام) ومسمّى (الإيمان) ومسمّى (الإحسان)، فقال: (الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً)، وقال: (الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)»^(١).

بعد هذه النبذة الموجزة علينا أن نعطف جهة البحث لبيان ما ورد من أحاديث عن الإمام الحسين عليه السلام تطرقت بنحو من الأنحاء للإسلام.

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، مجموع الفتاوى، ج ٧، ص ٦.

أ) صور وجوب الشهادة

تتمثل حقيقة الإسلام بالشهادة لله سبحانه بالوحدانية وللنبي ﷺ بالنبوة والإمامة والمعاد، ومن لا يشهد بإمامة أهل البيت  فهو - إن لم يكن عن تعصب وعناد - يعدّ في الظاهر مسلماً، ويجري عليه حكم الإسلام في حفظ الأنفس والأموال والأعراض، وهذا المعنى لا يصعب استنتاجه على من خبر الروايات وعاش في أجوائها، كما سنشير إليه فيما بعد.

١. الشهادة لله سبحانه بالتوحيد

ذكر ابن أعثم في فتوحه:

«وَصِيَّةُ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِأَخِيهِ مُحَمَّدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

فَكُتِبَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا مَا أَوْصَى بِهِ الْحَسِينُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لِأَخِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ الْمَعْرُوفِ وَلَدِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

إِنَّ الْحَسِينَ بْنَ عَلِيٍّ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ...»^(١).

إذ نستنتج أنّ من المناسب جداً عند الوصية الابتداء بالأمر التي نعتقد بها ومن بينها الوحدانية لله تبارك وتعالى.

لقد روى جابر عن رسول الله ﷺ قوله:

«أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ نَسَتْ عَلَيْهِمْ بِمُصِطِرٍ»^(٢) «(٣)».

(١) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح، ج ٥، ص ٢١.

(٢) سورة الغاشية، آية ٢١-٢٢.

(٣) القشيري النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ج ١، ص ٥٢، حديث ٢١.

نقل أبو مالك عن أبيه أنه قال:

«سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، حَرَّمَ مَالَهُ وَدَمَهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»^(١).

وقال أسامة بن زيد:

«بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فِي سَرِيَّةٍ، فَصَبَّحْنَا الْحَرَاقَاتِ مِنْ جُهَيْنَةَ، فَأَذْرَكْتُ رَجُلًا، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَطَعَنَتْهُ، فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ، فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (أَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَقَتْلْتُهُ؟) قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السَّلَاحِ، قَالَ: (أَفَلَا شَقَقْتَ عَن قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟!). فَمَا زَالَ يُكْرِرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَيَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ»^(٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى خطبه:

«وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً مُّمْتَحِنًا إِخْلَاصُهَا، مُعْتَقِدًا مُصَاصُهَا، نَتَمَسِّكُ بِهَا أَبَدًا مَا أَبْقَانَا، وَنَدْخِرُهَا لِأَهَاوِيلِ مَا يَلْقَانَا، فَإِنَّهَا عَزِيمَةُ الْإِيمَانِ، وَفَاتِحَةُ الْإِحْسَانِ، وَمَرْصَاةُ الرَّحْمَنِ، وَمَدْحَرَةُ الشَّيْطَانِ»^(٣).

٢. الشهادة للنبي صلى الله عليه وآله بالعبودية

في الفتوح قال ابن أعثم:

«وَصِيَّةُ الْحُسَيْنِ عليه السلام لِأَخِيهِ مُحَمَّدٍ عليه السلام :

«... إِنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ

وَرَسُولُهُ، جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِهِ...»^(٤).

(١) المصدر السابق، ج ١، ص ٥٣، حديث ٢٣.

(٢) المصدر السابق، ج ١، ص ٩٦، حديث ٩٦.

(٣) نهج البلاغة، خطبة ٢.

(٤) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح، ج ٥، ص ٢١.

حيث يتحصّل من شهادة الإمام عليه السلام هذه أنّ على جميع الناس حتّى أولياء الله الشهادة بعبودية نبي الإسلام صلى الله عليه وآله عز وجل.

أمير المؤمنين عليه السلام وفي خطبة من خطبه قال:

«وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِالدِّينِ الْمَشْهُورِ، وَالْعَلَمِ الْمَأْثُورِ، وَالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ، وَالنُّورِ السَّاطِعِ، وَالضِّيَاءِ اللَّامِعِ، وَالْأَمْرِ الصَّادِعِ، إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ، وَاحْتِجَاجاً بِالْبَيِّنَاتِ، وَتَحْذِيرًا بِالْآيَاتِ، وَتَحْوِيْفًا بِالْمَثَلَاتِ»^(١).

٣. الشهادة للنبي صلى الله عليه وآله بالرسالة

عوداً إلى حديث الإمام الحسين عليه السلام السابق لنستتج منه كذلك ضرورة الشهادة للنبي صلى الله عليه وآله بالرسالة ووجوبها على الجميع بما فيهم أولياء الله.

نقل البخاري بسنده عن عبد الله بن عمر أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابِهِمْ عَلَى اللَّهِ»^(٢).

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«... فَكَانَ أَوَّلَ مَا قَيَّدَهُمْ بِهِ الْإِقْرَارَ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ وَالشَّهَادَةَ بِأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَلَمَّا أَقْرَأُوا بِذَلِكَ تَلَاهُ بِالْإِقْرَارِ لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله بِالنُّبُوَّةِ وَالشَّهَادَةَ لَهُ بِالرِّسَالَةِ»^(٣).

(١) نهج البلاغة، خطبة ٢.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج ١، ص ١٤، حديث ٢٥.

(٣) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج، ج ١، ص ٢٥٤.

٤. الشهادة لأمر المؤمنين عليه السلام بالولاية

سليم بن قيس الهلالي نقل عن الإمام الحسين عليه السلام قوله في إحدى خطبه موجهاً كلامه لبي هاشم ونخبة من المجتمع في أرض منى:

«أَشْهَدُكُمْ اللَّهُ، أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَصَبَهُ يَوْمَ عَدِيرِ حُجْمٍ، فَنَادَى لَهُ بِالْوَلَايَةِ وَقَالَ: (لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ)؟»

قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قَالَ: أَشْهَدُكُمْ اللَّهُ، أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ: (أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، وَأَنْتَ وَلِيٌّ كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي)؟
قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ^(١).

فمن ملاحظة ما أخذ عليهم الإمام من إقرارهم واعترافهم به نتوصل إلى أن الشهادة بالولاية لأمر المؤمنين عليه السلام واجبة أيضاً على الجميع حالها حال الشهادة بالتوحيد والنبوة.

ولتتم الفائدة يحسن بنا أن نعطف الكلام في هذه المسألة إلى مواضع النزاع والخلاف بين المسلمين باعتبارها من المسائل العقائدية البالغة الأهمية عند الشيعة الإمامية على وجه التحديد، إذ تحتل مسألة الإمامة وخلافة النبي ﷺ منزلة خاصة في الفكر الشيعي ومكانة مرموقة، وكيف لا تكون كذلك وهم يرونها امتداداً لخط النبوة في بيانه للشريعة وتوضيحها وتطبيقها حتى عدت من أصول الدين، على عكس ما عليه أهل السنة حيث لم يولوها اهتماماً، ولذا أدرجوها ضمن فروع الدين.

ونرى من المناسب هنا تسليط الضوء على تشعبات هذه المسألة التي تشكل

(١) الهلالي، سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس الهلالي، ج ٢، ص ٧٩١.

البنية التحتية التي تتقوم بها حياة الأمة الماديّة والمعنوية لتتكشف بذلك الحقيقة وتمييز عما سواها.

وقع الاختلاف بين الطوائف الإسلامية في أنّ الإمامة أهي من الأصول أم الفروع؟ وفيما إذا كانت من الأصول فهل هي من أصول الدين أو المذهب؟ وأصول الدين هي عبارة عن مجموعة من الأمور ذات العلاقة بالعقيدة الإسلامية، ولا يصح التقليد فيها، وإنّما يجب على كل مكلف تحصيل الفناعة الذاتية فيها، وبلوغ درجة القطع الوجداني بها عن طريق العقل والفطرة ومن خلال التأمّل والتدبّر في الأدلة.

وفروع الدين هي تكاليف وأحكام ذات جنبه عملية تتعلق بأفعال وتصرفات المكلفين وأدائهم. وأمّا أصول المذهب فهي المعتقدات التي تمثّل ركائزه وأركانه التي يتقوم بها.

ما كان موضع اتفاق عليه بين جميع المسلمين من أصول الدين هو «التوحيد والنبوة والمعاد»، ولكن هناك اختلاف في الإمامة، واستقراءً للأقوال في المسألة نجدها ثلاثة:

القول الأول: الإمامة من فروع الدين

وعلى هذه العقيدة عامّة أهل السنّة، والخوارج، والمرجئة، وغالب جمهور المعتزلة، والزيدية من الشيعة، حيث إنهم عدّوا الإمامة من فروع الدين والمسائل العائدة إلى أفعال المكلفين:

فقال التفتازاني:

«لا نزاع في أنّ مباحث الإمامة بعلم الفروع أليق...»^(١).

(١) التفتازاني، مسعود بن عمر، شرح المقاصد، ج ٥، ص ٢٣٢.

وصرّح السيّد الشريف الجرجاني بأنّها:

«ليست من أصول الديانات والعقائد خلافاً للشيعة، بل هي (عندنا من الفروع) المتعلقة بأفعال المكلفين؛ إذ نصب الإمام عندنا واجب على الأمة سمعاً (وإنّما ذكرناها في علم الكلام تأسيساً بمن قبلنا)»^(١).

وقال الفضل بن روزهان:

«اعلم أنّ مبحث الإمامة عند الأشاعرة ليست من أصول الديانات والعقائد، بل هي عند الأشاعرة من الفروع المتعلقة بأفعال المكلفين»^(٢).

واستدل القائلون بأنّ الإمامة من الفروع بعدّة أدلة نستعرضها واحداً تلو الآخر، ونردّ كل واحد منها:

١- إنّ الإمامة رئاسة دنيوية لنظم أمور العباد؛ لهذا وجب على المسلمين وجوباً كفايياً أن يختاروا من يقوم بهذا الأمر لحفظ أمورهم ونظمهم.

الجواب:

إنّ الإمامة كما سنثبتها لاحقاً ليست رئاسة دنيوية أو دينية وحسب، وإنّما هي منصب إلهي عظيم يهدي نفوس البشر للكمال المطلوب ومن شؤونه الرئاسة الدينية والدينية.

٢- لا فرق عند الشيعة بين خصوصيات النبي صلى الله عليه وآله والمتصدّي للإمامة، ويتمتع بها يتمتع به، وهذا يعني أنّ الإمامة عند الشيعة ترادف النبوة، بينما أدلة الخاتمية قد أغلقت الطريق أمام هذا الاحتمال.

الجواب:

أن تكون خصوصيات الإمامة وشروطها هي نفسها خصوصيات النبوة

(١) الجرجاني، علي بن محمّد، شرح المواقف، ج ٨، ص ٣٤٤.

(٢) المظفر، محمّد حسن، دلائل الصدق لنهج الحق، ج ٤، ص ٢٠٨.

وشروطها لا يعني أن الإمام هو نبي، فالشيعة يعتقدون أن المجتمع الإسلامي بعد النبي ﷺ بحاجة إلى أشخاص يواصلون طريقه على صعيد تبين الشريعة وتطبيقها، وهذا ما اقتضى اتّصاف من يكون إماماً بخصوصيات وصفات هي ضرورية للنبي كالعصمة وعلم الغيب وغيرها من الصفات، وهذا لا يتنافى مع عقيدته بختم النبوة بالرسول الأكرم ﷺ فلا يأتي نبي بعده، كما أن الوحي التشريعي انقطع بموته.

٣- لقد قام النبي ﷺ بجميع مهامه على مستوى تشريع الأحكام، وعلى أحسن وجه حتى نزل قوله عز وجل:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١).

ومعه لا تبقى حاجة إلى الإمامة كأصل من أصول الدين، مع أن في جعلها فرعاً من فروع الدين كفاية، حيث يحدد وظيفة الناس في انتخاب الحاكم عن طريق الشورى أو البيعة.

الجواب:

الاستدلال أعلاه يعتمد على تفسير كلمة «الدين» الواردة في الآية بالأحكام الشرعية الفرعية، وكلمة «إكمال» بمعنى بيانها، وهذا المعنى مبتلى بعدة إشكالات:
أ) وفي موضعه سنفضّل البحث بإسهاب من أن جميع مفسّري الشيعة وبعض محدّثي أهل السنّة يرون أن آية الإكمال نزلت يوم الغدير في حجة الوداع، بيد أن هناك الكثير من الأحكام والفرائض قد أنزلت على النبي ﷺ خلال هذه الفترة بين يوم الغدير حتى وفاته ﷺ ليلبّغها للأمة، كأحكام الكلاله التي جاء ذكرها في آخر سورة النساء، وآيات الربا الواردة في سورة البقرة.

ب) ما استعمل من كلمات في الآية الشريفة، مثل: يأس الكفار وإكمال الدين

(١) سورة المائدة، آية ٣.

وإتمام النعمة لا تنسجم إطلاقاً مع هذا المدعى؛ لأنّ بيان بعض الأحكام في حجة الوداع لا يقتضي يأس الكفار من الدين الإسلامي، حيث بيّن النبي صلى الله عليه وآله قبل ذلك الكثير من الأحكام للناس ولم ييأس الكفار من القضاء على الإسلام أبداً. ولا يبقى إلا احتمال واحد ممكن أن يطرح، وهو أنّ إكمال الدين وإتمام النعمة كان بإعلان ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا هو الشيء الوحيد الذي يصلح سبباً لإنهاء أطماع المشركين ونواياهم الخبيثة تجاه الإسلام وإصابتهم باليأس. يقودنا ما لاحظناه إلى نتيجة مفادها: أنّ الآية الشريفة أعلاه ترى الإمامة أصلاً من أصول الدين؛ ولهذا عدّت إكمالاً للدين وإتماماً للنعمة.

القول الثاني: الإمامة من أصول المذهب

ذهب بعض المتأخرين من علماء الشيعة إلى القول بأنّ الإمامة من أصول المذهب لا من أصول الدين ولا من فروعه، وكان من الوجوه التي استدلوها بها على مدّعاهم هذا:

١- إنّ الإمامة ثابتة عند أتباع المذهب الذين يعتقدون بها، ولما كان غيرهم لا يقبلونها بمعناها الثابت عند الشيعة صار من الصعوبة بمكان عدّها من أصول الدين.

الجواب:

إنّ ثبوت الإمامة بمعناها الخاص لدى الشيعة دون غيرهم لا يشكّل دليلاً على أنّها ليست من أصول الدين؛ إذ اتّصاف أيّ أصل بذلك تابع للدليل، وإن لم تقبله بعض الفرق الإسلامية.

٢- الاعتقاد بأنّ الإمامة من أصول الدين يستلزم خروج المنكر له عن الدين، بينما لا يلزم هذا المحذور إن قلنا أنّ الإمامة من أصول المذهب.

الجواب:

لم يكن الفرار من المحذور يوماً ما دليلاً على جواز مخالفة الدليل القائم في المسألة ورفع اليد عنه، خصوصاً إذا لاحظنا ما يذكر للخروج من الدين من مراتب عديدة، إذ من الممكن اللجوء لهذا التبرير فراراً من الإشكال.

القول الثالث: الإمامة من أصول الدين

اتفق علماء الإمامية - ما عدا بعض المتأخرين - على أن الإمامة أصل من أصول الدين.

أفاد الشيخ محمد رضا المظفر قائلاً:

«نعتقد أن الإمامة أصل من أصول الدين لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها، ولا يجوز فيها تقليد الآباء والأهل والمرين مهما عظموا وكبروا، بل يجب النظر فيها كما يجب النظر في التوحيد والنبوة...»

كما نعتقد أنها كالنبوة لطف من الله تعالى، فلا بد أن يكون في كل عصر إمام هاد يخلف النبي في وظائفه من هداية البشر وإرشادهم إلى ما فيه الصلاح والسعادة في النشاطين، وله ما للنبي من الولاية العامة على الناس لتدبير شؤونهم ومصالحهم وإقامة العدل بينهم ورفع الظلم والعدوان من بينهم.

وعلى هذا فالإمامة استمرار للنبوة، والدليل الذي يوجب إرسال الرسل وبعث الأنبياء هو نفسه يوجب أيضاً نصب الإمام بعد الرسول.

فلذلك نقول: إن الإمامة لا تكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان النبي أو لسان الإمام الذي قبله، وليست هي بالاختيار والانتخاب من الناس^(١).

(١) المظفر، محمد رضا، عقائد الإمامية، ص ٦٥-٦٦.

واستدل على هذا القول بوجوه:

الوجه الأول: لا نزاع في أنّ الإمامة تعني خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله، وعليه ستكون من توابع النبوة وفروعها، ومثلها كانت النبوة من أصول الدين ستكون الإمامة هي الأخرى من أصول الدين أيضاً.

قال المحقق اللاهيجي:

«وجمهور الإمامية يذهبون إلى أنّ الإمامة من أصول الدين، وعلى هذا جعلوا بقاء الدين والشريعة متوقفاً على وجود الإمام، كما أنّ بداية الشريعة متوقفة على وجود النبي، فحاجة الدين للإمام بمنزلة حاجة الدين للنبي، وقد تمّ بيانه في الفصل الأول، وأيضاً الحديث المستفيض المقبول عند الفرقين والذي يبدو أنّ الأمة مجمعة على مضمونه، وهو قوله صلى الله عليه وآله: (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية) مؤيد كما لا يخفى»^(١).

الوجه الثاني: خطاب الله تعالى لرسوله:

﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٢).

بما أنّ هذه الآية قد نزلت للإبلاغ عن ولاية وإمامة أمير المؤمنين عليه السلام، وجعلت التبليغ به من الأهمية بحيث إنّ النبي صلى الله عليه وآله لو لم يبلغه كان كمن لم يؤدّ رسالته ومهامه الملقاة على عاتقه كنبى مرسل، وفي هذا دلالة واضحة على أنّ الإمامة من أصول الدين وأسسها، ولذا جاء التأكيد على هذا النحو من التشديد لضمان إبلاغه للأمة من قبل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

(١) اللاهيجي، عبد الرزاق بن علي، گوهر مراد (جوهر المراد)، ص ٤٦٧-٤٦٨.

(٢) سورة المائدة، آية ٦٧.

الوجه الثالث: يقول الله عزت الآؤه:

﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضَيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١).

طبقاً للروايات هذه الآية قد نزلت على النبي الأكرم ﷺ بعدما أتم إبلاغ الناس بولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

ومفاد الآية أن الإمامة هي سبب كمال الدين وإتمام النعمة الإلهية، وذلك أن الله جلّ وعلا يريد الإسلام مع الإمامة ولا يرضى به دونها أبداً.

الوجه الرابع: روي عن النبي ﷺ أنه قال:

«مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْرِفْ إِمَامَ زَمَانِهِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»^(٢).

حيث يستفاد من الحديث أن معرفة الإمام حقيقة متى ما تحققت لدى الإنسان ثبت دينه، وإلا كان دينه جاهلياً، ومع هذه التعبيرات كيف يمكن عدّ الإمامة من فروع الدين أو من أصول المذهب؟!

الوجه الخامس: نقل الحاكم النيسابوري بسنده عن حنش الكناني:

«سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ يَقُولُ وَهُوَ آخِذٌ بِبَابِ الْكُعْبَةِ: أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ عَرَفَنِي فَأَنَا مَنْ عَرَفْتُمْ، وَمَنْ أَنْكَرَنِي فَأَنَا أَبُو ذَرٍّ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي مَثَلُ سَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ)»^(٣).

يدلنا هذا الحديث على أن كل من لم يقل بإمامة أهل البيت عليهم السلام ولم يتخذهم أئمة وقدوة له ولم يتبعهم في أمور الدين فهو على ضلال، ومصيره إلى الهلاك.

الوجه السادس: ورد في بعض روايات صحاح أهل السنة أن جماعة كثيرة من

(١) سورة المائدة، آية ٣.

(٢) التفتازاني، مسعود بن عمر، شرح المقاصد، ج ٥، ص ٢٣٩.

(٣) الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، المستدرک على الصحيحين، ج ٢، ص ٣٧٣، حديث

الصحابة قد ارتدوا ورجعوا القهقري بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله، وعند التأمل في أحداث وتاريخ ما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله نتوصل إلى أن السبب وراء ارتداد أولئك ليس إلا إعراضهم عن أمر استخلاف أمير المؤمنين عليه السلام وانتهاك حرمة ولايته.

فقد روى البخاري بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«يَرِدُ عَلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِي، فَيَحْلَوُونَ عَنِ الْحَوْضِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا عِلْمَ لَكَ بِمَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ، إِيَّاهُمْ ارْتَدُوا عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى»^(١).

ومن المعلوم أن تعبيرات بهذا النحو لا تنسجم إلا مع عدّ الإمامة من أصول الدين.

ففي حديث الإمام الرضا عليه السلام لعبد العزيز بن مسلم جاء فيه:

«هَلْ يَعْرِفُونَ قَدْرَ الْإِمَامَةِ وَمَحَلَّهَا مِنَ الْأُمَّةِ فَيَجُوزَ فِيهَا اخْتِيَارُهُمْ؟ إِنَّ الْإِمَامَةَ أَجَلٌ قَدْرًا وَأَعْظَمُ شَأْنًا وَأَعْلَى مَكَانًا وَأَمْنَعُ جَانِبًا وَأَبْعَدُ عَوْرًا مِنْ أَنْ يَبْلُغَهَا النَّاسُ بِعُقُوبِهِمْ، أَوْ يَنَالُوهَا بِأَرَائِهِمْ، أَوْ يُقِيمُوا إِمَامًا بِاخْتِيَارِهِمْ، إِنَّ الْإِمَامَةَ حَصَّ اللَّهُ عز وجل بِهَا إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عليه السلام بَعْدَ النَّبُوَّةِ وَالْخَلَّةِ مَرْتَبَةً ثَالِثَةً، وَفَضِيلَةً شَرَفَهُ بِهَا وَأَشَادَ بِهَا ذِكْرَهُ، فَقَالَ: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، فَقَالَ الْخَلِيلُ عليه السلام سُورًا بِهَا: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(٢) ...

فَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْلُغُ مَعْرِفَةَ الْإِمَامِ، أَوْ يُمَكِّنُهُ اخْتِيَارَهُ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، ضَلَّتِ الْعُقُولُ، وَتَاهَتِ الْحُلُومُ، وَحَارَتِ الْأَلْبَابُ، وَخَسَّاتِ الْعُيُونُ، وَتَصَاعَرَتِ الْعُظْمَاءُ، وَتَحَيَّرَتِ الْحِكْمَاءُ، وَتَقَاصَرَتِ الْحَمَاءُ، وَحَصِرَتِ الْخُطَبَاءُ، وَجَهَلَتِ الْأَلْيَاءُ، وَكَلَّتِ

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج ٨، ص ١٢٠، حديث ٦٥٨٥.

(٢) سورة البقرة، آية ١٢٤.

الشُّعْرَاءُ، وَعَجَزَتِ الْأَدْبَاءُ، وَعَيَّيَتِ الْبُلْغَاءُ، عَنْ وَصْفِ شَأْنٍ مِنْ شَأْنِهِ، أَوْ فَضِيلَةٍ مِنْ فَضَائِلِهِ، وَأَقْرَّتْ بِالْعَجْزِ وَالتَّقْصِيرِ، وَكَيْفَ يُوصَفُ بِكُلِّهِ، أَوْ يُنْعَتُ بِكُنْهِهِ، أَوْ يُفْهَمُ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِ، أَوْ يُوجَدُ مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ، وَيُغْنِي عَنْهُ، لَا كَيْفَ وَأَنْتَى؟ وَهُوَ بِحَيْثُ النَّجْمِ مِنْ يَدِ الْمَتَنَاوِلِينَ، وَوَصَفِ الْوَاصِفِينَ، فَأَيُّنَ الْإِخْتِيَارِ مِنْ هَذَا؟ وَأَيُّنَ الْعُقُولِ عَنْ هَذَا؟ وَأَيُّنَ يُوجَدُ مِثْلُ هَذَا؟...»^(١).

٥. الشهادة بأن المعاد حق

قال ابن أعثم في فتوحه:

«وَصِيَّةُ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَخِيهِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

... إِنَّ الْحَسِينَ بْنَ عَلِيٍّ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِهِ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ...»^(٢).

فمن شهادة الإمام عليه السلام ندرك ضرورة الشهادة بأن المعاد حق على الجميع حتى أولياء الله جلَّت أسماؤه.

ونقرأ في زيارة آل ياسين:

«أَشْهَدُكَ يَا مَوْلَايَ، أَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ... وَأَنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ، وَأَنَّ مُنْكَرًا وَنَكِيرًا حَقٌّ، وَأَنَّ النَّشْرَ حَقٌّ، وَالْبُعْثَ حَقٌّ، وَأَنَّ الصِّرَاطَ حَقٌّ، وَالْمِرْصَادَ حَقٌّ، وَأَنَّ الْمِيزَانَ حَقٌّ، وَالْحِسَابَ حَقٌّ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ حَقٌّ، وَالْجَزَاءَ بِمَا لِلْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ حَقٌّ...»^(٣).

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ١، ص ١٩٨-٢٠١، حديث ١.

(٢) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح، ج ٥، ص ٢١.

(٣) ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار الكبير، ص ٥٧٠-٥٧١.

٦. الشهادة بكونه على ملة رسول الله صلى الله عليه وآله

ذكر الخوارزمي في مقتله:

«فَصَاحَ بِهِ الْحَصِينُ بْنُ مَالِكِ السَّكُونِيُّ: يَا بْنَ فَاطِمَةَ، بِمَاذَا يَنْتَقِمُ لَكَ مِنَّا؟ فَقَالَ: يُلْقِي بَأْسَكُمْ بَيْنَكُمْ، وَيَسْفِكُ دِمَاءَكُمْ، ثُمَّ يَصُبُّ عَلَيْكُمْ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ. ثُمَّ جَعَلَ يُقَاتِلُ حَتَّى أَصَابَتْهُ اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ جِرَاحَةً، فَوَقَفَ يَسْتَرِيحُ وَقَدْ ضَعُفَ عَنِ الْقِتَالِ، فَبَيْنَا هُوَ وَاقِفٌ إِذْ أَتَاهُ حَجْرٌ فَوَقَعَ عَلَى جَبْهَتِهِ، فَسَالَتِ الدَّمَاءُ مِنْ جَبْهَتِهِ، فَأَخَذَ الثُّوبَ لِيَمْسَحَ عَنِ جَبْهَتِهِ فَأَتَاهُ سَهْمٌ مُحَدَّدٌ مَسْمُومٌ لَهُ ثَلَاثُ شُعَبٍ فَوَقَعَ فِي قَلْبِهِ، فَقَالَ الْحُسَيْنِ عليه السلام: بِسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، وَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَقَالَ: إِلَهِي، إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقْتُلُونَ رَجُلًا لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ابْنُ نَبِيِّ غَيْرِهِ»^(١).

إذ يتحصّل من عبارته عليه السلام «وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ» أنّ من اللائق بالإنسان الإقرار بأمر منها أنّه على ملة رسول الله.

فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ علي بن الحسين عليه السلام كان يقول:

«مَا أَبَالِي إِذَا قُلْتُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ لَوْ اجْتَمَعَ عَلَيَّ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ: بِسْمِ اللَّهِ، وَبِاللَّهِ، وَمِنْ اللَّهِ، وَإِلَى اللَّهِ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَسْلَمْتُ نَفْسِي، وَإِلَيْكَ وَجَّهْتُ وَجْهِي، وَإِلَيْكَ أَلْجَأْتُ ظَهْرِي، وَإِلَيْكَ فَوَّضْتُ أَمْرِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي بِحِفْظِ الْإِيمَانِ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَمِنْ تَحْتِي، وَمِنْ قِبَلِي، وَادْفَعْ عَنِّي بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ، فَإِنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ»^(٢).

(١) أخطب خوارزم، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام، ج ٢، ص ٣٩.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٢، ص ٥٥٩، حديث ١٠.

٧. الشهادة بحقيقة الإيمان بالعجز عن شكر النعم الإلهية

ابتهل الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة متضرعاً لله جلّت أسماؤه:
 «فَأَنَا أَشْهَدُ يَا إِلَهِي بِحَقِيقَةِ إِيمَانِي... وَاجْتَهَدْتُ مَدَى الْأَعْصَارِ وَالْأَحْقَابِ لَوْ
 عُمِّرْتُهَا أَنْ أُوَدِّيَّ شُكْرَ وَاحِدَةٍ مِنْ أَنْعُمِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ذَلِكَ إِلَّا بِمَنْكَ الْمَوْجِبِ عَلَيَّ بِهِ
 شُكْرَكَ أَبَدًا جَدِيدًا وَثَنَاءً طَارِفًا عَتِيدًا»^(١).

بما أن متعلق شهادة سيّد الشهداء عليه السلام هنا هو العجز عن شكر النعم الإلهية،
 يستنتج أنه تلزم الشهادة بحقيقة الإيمان بالعجز عن شكر واحدة من النعم الإلهية
 أو القسم بها على العجز عن شكر الله سبحانه.

ورغم أن الشهادة بهذا الشأن وبخصوص ما تقدّمه لا تبلغ رتبة الشهادة
 بالتوحيد والنبوة، ولكنها لما وردت بهذا التعبير في قول الإمام عليه السلام جاء ذكرها هنا.
 وروي عن الإمام السجاد عليه السلام أنه عندما يتلو هذه الآية: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ
 لَا تُحْصَوْهَا﴾^(٢) كان يقول:

«سُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَجْعَلْ فِي أَحَدٍ مِنْ مَعْرِفَةِ نِعَمِهِ إِلَّا الْمَعْرِفَةَ بِالتَّقْصِيرِ عَنْ مَعْرِفَتِهَا، كَمَا
 لَمْ يَجْعَلْ فِي أَحَدٍ مِنْ مَعْرِفَةِ إِدْرَاكِهِ أَكْثَرَ مِنَ الْعِلْمِ أَنَّهُ لَا يُدْرِكُهُ، فَشَكَرَ جَلَّ وَعَزَّ مَعْرِفَةَ
 الْعَارِفِينَ بِالتَّقْصِيرِ عَنْ مَعْرِفَةِ شُكْرِهِ، فَجَعَلَ مَعْرِفَتَهُمْ بِالتَّقْصِيرِ شُكْرًا، كَمَا عَلِمَ عِلْمَ
 الْعَالَمِينَ أَنَّهُمْ لَا يُدْرِكُونَهُ فَجَعَلَهُ إِيمَانًا، عِلْمًا مِنْهُ أَنَّهُ قَدْ وَسِعَ الْعِبَادَ فَلَا يَتَجَاوَزُ ذَلِكَ، فَإِنَّ
 شَيْئًا مِنْ خَلْقِهِ لَا يَبْلُغُ مَدَى عِبَادَتِهِ، وَكَيْفَ يُبْلَغُ مَدَى عِبَادَتِهِ مَنْ لَا مَدَى لَهُ وَلَا
 كَيْفَ؟! تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا»^(٣).

(١) الكفعمي، إبراهيم بن علي، البلد الأمين، ص ٢٥٢.

(٢) سورة النحل، آية ١٨.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٨، ص ٣٩٤، حديث ٥٩٢.

ب) تقسيمات الشهادة

يستفاد من مجموع روايات سيّد الشهداء عليه السلام أنّ الشهادة من الممكن أن تقع على أنواع:

١. اللفظية والمكتوبة

فلقد توجه الإمام الحسين عليه السلام في دعاء العشرات مخاطباً ربّ العزّة والجلالة:

«اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي هَذِهِ الشَّهَادَةَ عِنْدَكَ»^(١).

ونستنتج من مضمون هذه الجملة ملاحظتين في هذا الإطار:

الأوّل: الشهادات التي أقر بها الله تعالى وكتبها ستبقى ثابتة.

الثاني: ضرورة الطلب من الله عز وجل أن يكتب شهادتنا بالعقائد الحقّة ويُدخرها لنا عنده.

ونفس المضمون جاء في زيارة الإمامين العسكريين عليهما السلام:

«اللَّهُمَّ اكْتُبْ هَذِهِ الشَّهَادَةَ وَالزِّيَارَةَ لِي عِنْدَكَ فِي عَلِيِّنَ، وَبَلِّغْنِي بِلَاغَ الصَّالِحِينَ،
وَانْفَعْنِي بِحُبِّهِمْ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ»^(٢).

٢. اللفظية والباطنية

ابتهل الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة متضرّعاً لله سبحانه:

«فَأَنَا أَشْهَدُ يَا إِلَهِي بِحَقِيقَةِ إِيمَانِي...»^(٣).

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، مهج الدعوات ومنهج العبادات، ص ١٥٠.

(٢) ابن المشهدي، محمّد بن جعفر، المزار الكبير، ص ٦٥٩.

(٣) الكفعمي، إبراهيم بن علي، البلد الأمين، ص ٢٥٢.

بما أنّ سيّد الشهداء عليه السلام في هذا المقطع من دعاء عرفه يشهد بأمر لم تكن لفظية توصلنا إلى أنّ للشهادة أنواعاً، منها اللفظي ومنها الباطني.
فالشهادة اللفظية هي نفس ذلك الإقرار اللفظي ببعض الأمور التي أشير إليها سابقاً، وأمّا الشهادة الباطنية فهي عبارة عن التصديق القلبي بتلك الأمور.
الإمام عليه السلام يشهد في هذه الجملة بحقيقة الإيمان وتصديقه بأمر يأتي على ذكرها في تنمة كلامه.

ورغم الاختلاف بين الإسلام والإيمان مفهوماً ولكن القدر المشترك بين جميع الأقوال هو بترتب الآثار والأحكام الشرعية كحفظ النفس والمال على الإقرار القولي واللفظي، سواء كان الإقرار شرطاً أو جزءاً، بيد أنّ الإقرار يمثل طريقاً شرعياً وحيداً لترتيب الآثار الشرعية على الإسلام والإيمان بين الناس، ومن جملة الذين يرون الإقرار شرطاً لترتب الآثار الشرعية الغزنوي الحنفي في «كتاب أصول الدين»^(١).

قال أبو بكر الكاساني:

«وجه القياس أنّ الأحكام مبنية على الإقرار بظاهر اللسان لا على ما في القلب؛ إذ هو أمر باطن لا يوقف عليه.

وجه الاستحسان أنّ أحكام الكفر مبنية على الكفر، كما أنّ أحكام الإيمان مبنية على الإيمان، والإيمان والكفر يرجعان إلى التصديق والتكذيب، وإنّما الإقرار دليل عليهما»^(٢).

يرى السيّد الشريف الجرجاني:

«(لا نزاع في أنّه)، أي التصديق اللساني (يسمى إيماناً لغة)؛ لدلالته على التصديق

(١) الغزنوي الحنفي، أحمد بن محمد بن سعيد، كتاب اصول الدين، ص ٢٥١-٢٥٢.

(٢) الكاساني الحنفي، أبو بكر بن مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج ٧، ص ١٣٤.

القلبي، (و) لا في (أنه يترتب عليه) في الشرع (أحكام الإيمان ظاهراً)، فإنَّ الشارع جعل مناط الأحكام الأمور الظاهرة المنضبطة، والتصديق القلبي أمر خفي لا يطلع عليه، بخلاف الإقرار باللسان فإنه مكشوف بلا سترة فينابط به الأحكام الدنيوية^(١).
إنَّ الذين يناقشون باشتراط العمل في تحقق الإيمان ناظرون إلى ترتب الأثر الأخروي على ذلك لا الأثر الدنيوي، إلا إن وقعت هناك مخالفة عملية للإقرار بالشهادتين.

لهذا أسهبت الروايات في مصادر الشيعة والسنة في ذكر الآثار الدنيوية المترتبة على الإقرار اللفظي وهو الإقرار بالشهادتين.

نقل أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا، وَصَلُّوا صَلَاتِنَا، وَاسْتَقْبَلُوا فِينَتَنَا، وَدَبَّحُوا ذَبِيحَتَنَا، فَقَدْ حُرِّمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»^(٢).

روى محمد بن مسلم عن الإمام الباقر أو الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«الإِيمَانُ إِقْرَارٌ وَعَمَلٌ، وَالْإِسْلَامُ إِقْرَارٌ بِلا عَمَلٍ»^(٣).

يقول سماعه:

«قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ أَهْمَا مُخْتَلِفَانِ؟ فَقَالَ: إِنَّ الْإِيمَانَ يُشَارِكُ الْإِسْلَامَ وَالْإِسْلَامَ لَا يُشَارِكُ الْإِيمَانَ، فَقُلْتُ: فَصِفْهُمَا لِي، فَقَالَ: الْإِسْلَامُ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَالتَّصْدِيقُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بِهِ حُقِنَتِ الدِّمَاءُ وَعَلَيْهِ جَرَتِ الْمَنَاحِكُ وَالْمَوَارِيثُ وَعَلَى ظَاهِرِهِ جَمَاعَةُ النَّاسِ، وَالْإِيمَانُ الْهُدَى وَمَا يَثْبُتُ فِي الْقُلُوبِ مِنْ

(١) الجرجاني، علي بن محمد، شرح المواقف، ج ٨، ص ٣٢٥.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج ١، ص ٨٧، حديث ٣٩٢.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٢، ص ٢٤، حديث ٢.

صِفَّةِ الْإِسْلَامِ وَمَا ظَهَرَ مِنَ الْعَمَلِ بِهِ، وَالْإِيمَانُ أَرْفَعُ مِنَ الْإِسْلَامِ بِدَرَجَةٍ، إِنَّ الْإِيمَانَ يُشَارِكُ الْإِسْلَامَ فِي الظَّاهِرِ وَالْإِسْلَامَ لَا يُشَارِكُ الْإِيمَانَ فِي الْبَاطِنِ وَإِنْ اجْتَمَعَا فِي الْقَوْلِ وَالصِّفَةِ»^(١).

نقل حمران بن أعين عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«الْإِيمَانُ مَا اسْتَقَرَّ فِي الْقَلْبِ، وَأَفْضَى بِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَصَدَقَهُ الْعَمَلُ بِالطَّاعَةِ لِلَّهِ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِهِ، وَالْإِسْلَامُ مَا ظَهَرَ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ، وَهُوَ الَّذِي عَلَيْهِ جَمَاعَةُ النَّاسِ مِنَ الْفِرْقِ كُلِّهَا، وَبِهِ حُقِنَتِ الدِّمَاءُ، وَعَلَيْهِ جَرَّتِ الْمَوَارِيثُ، وَجَازَ النِّكَاحُ، وَاجْتَمَعُوا عَلَى الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ، فَخَرَجُوا بِذَلِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَأَضِيفُوا إِلَى الْإِيمَانِ»^(٢).

نقل عبد الله بن مسكان عن عدّة من أصحابه عن الإمام الصادق عليه السلام أنه وضح

دين الله بقوله:

«دِينُ اللَّهِ اسْمُهُ الْإِسْلَامُ، وَهُوَ دِينُ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَكُونُوا حَيْثُ كُنْتُمْ، وَبَعْدَ أَنْ تَكُونُوا، فَمَنْ أَقَرَّ بِدِينِ اللَّهِ فَهُوَ مُسْلِمٌ، وَمَنْ عَمِلَ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ»^(٣).

(١) المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٥، حديث ١.

(٢) المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٦، حديث ٥.

(٣) المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٨، حديث ٤.

ج) شريعة الإسلام

تُبَيِّنُ لنا بعض الروايات المنقولة عن سيّد الشهداء عليه السلام أنّ هناك شريعة للإسلام، وهذه الشريعة ذات خصوصيات، من بينها:

أنّ للإسلام طريقاً ومسلماً

لقد جاء في دعاء الإمام الحسين عليه السلام في عرفة:

«أَتَى بِالْكِتَابِ الْجَامِعِ وَبِشَرَعِ الْإِسْلَامِ»^(١).

و«الشرع» و«الشريعة» بمعنى الطريق والسبيل، ومن خلال إضافته لكلمة «الإسلام» يتّضح أنّ هناك طريقاً يوصلنا للإسلام ألا وهو الدين المتمثّل بالتعاليم الشرعية.

يقول تعالى:

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾^(٢).

يقول الإمام علي عليه السلام:

«أَلَا وَإِنَّ شَرَائِعَ الدِّينِ وَاحِدَةً، وَسُبُلَهُ قَاصِدَةٌ، مَنْ أَخَذَ بِهَا لِحَقٍّ وَعَظِمَ، وَمَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَنَدِمَ»^(٣).

وفي هذا الشأن قال العلامة الطباطبائي:

«معنى الشريعة كما عرفت هو الطريقة، والدين وكذلك الملة طريقة متخذة، لكن الظاهر من القرآن أنّه يستعمل الشريعة في معنى أخص من الدين، كما يدل عليه قوله

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال، ج ١، ص ٣٣٩.

(٢) سورة الشورى، آية ١٣.

(٣) نهج البلاغة، خطبة ١٢٠.

تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢)، إذا انضموا إلى قوله: ﴿كُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾^(٣)، وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعهَا﴾^(٤).

فكانَّ الشريعة هي الطريقة الممهدة لأمة من الأمم أو لنبي من الأنبياء الذين بعثوا بها كشرعية نوح وشرعية إبراهيم وشرعية موسى وشرعية عيسى وشرعية محمد صلى الله عليه وآله، والدين هو السنَّة والطريقة الإلهية العامة لجميع الأمم، فالشريعة تقبل النسخ دون الدين بمعناه الواسع.

وهناك فرق آخر وهو أنَّ الدين ينسب إلى الواحد والجماعة كيفما كانا، ولكن الشريعة لا تنسب إلى الواحد إلا إذا كان واضعها أو القائم بأمرها، يقال: دين المسلمين ودين اليهود وشريعتهم، ويقال: دين الله وشريعته ودين محمد وشريعته، ويقال: دين زيد وعمرو، ولا يقال: شريعة زيد وعمرو، ولعل ذلك لما في لفظ الشريعة من التلميح إلى المعنى الحدتي وهو تمهيد الطريق ونصبه، فمن الجائز أن يقال: الطريقة التي مهَّدها الله أو الطريقة التي مهَّدت للنبي أو للأمة الفلانية، دون أن يقال: الطريقة التي مهَّدت لزيد إذ لا اختصاص له بشيء.

وكيف كان فالمستفاد منها أنَّ الشريعة أخص معنى من الدين، وأمَّا قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾^(٥) فلا ينافي ذلك؛ إذ الآية إنما تدل على أنَّ شريعة محمد صلى الله عليه وآله المشروعة لأُمَّته هي

(١) سورة آل عمران، آية ١٩.

(٢) سورة آل عمران، آية ٨٥.

(٣) سورة المائدة، آية ٤٨.

(٤) سورة الجاثية، آية ١٨.

(٥) سورة الشورى، آية ١٣.

مجموع وصايا الله سبحانه لنوح وإبراهيم وموسى وعيسى مضافاً إليها ما أوحاه إلى محمد صلى الله عليه وآله وعليهم، وهو كناية إتماً عن كون الإسلام جامعاً لمزايا جميع الشرائع السابقة وزيادة، أو عن كون الشرائع جميعاً ذات حقيقة واحدة بحسب اللب وإن كانت مختلفة بحسب اختلاف الأمم في الاستعداد، كما يشعر به أو يدل عليه قوله بعده: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَنَفَّرُوا فِيهِ﴾^(١).

فنسبة الشرائع الخاصّة إلى الدين - وهو واحد والشرائع تنسخ بعضها بعضاً - كنسبة الأحكام الجزئية في الإسلام فيها ناسخ ومنسوخ إلى أصل الدين، فالله سبحانه لم يتعبّد عباده إلاّ للدين واحد وهو الإسلام له، إلاّ أنّه سلك بهم لنيل ذلك مسالك مختلفة وسنّ لهم سنناً متنوّعة على حسب اختلاف استعداداتهم وتنوّعها، وهي شرائع نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وعليهم، كما أنّه تعالى ربما نسخ في شريعة واحدة بعض الأحكام ببعض لانقضاء مصلحة الحكم المنسوخ وظهور مصلحة الحكم الناسخ كنسخ الحبس المخلد في زنا النساء بالجلد والرجم وغير ذلك، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾^(٢).

وأما الملة فكان المراد بها السنّة الحيوية المسلوكة بين الناس، وكان فيها معنى الإملال والإملاء فيكون هي الطريقة المأخوذة من الغير، وليس الأصل في معناه واضحاً ذاك الوضوح، فالأشبه أن تكون مرادفة للشريعة بمعنى أنّ الملة كالشريعة هي الطريقة الخاصّة بخلاف الدين، وإن كان بينهما فرق من حيث إنّ الشريعة تستعمل فيها بعناية أنّها سبيل مهّده الله تعالى لسلك الناس إليه، والملة إنّما تطلق عليها لكونها مأخوذة عن الغير بالاتباع العملي، ولعله لذلك لا تضاف إلى الله سبحانه كما يضاف

(١) سورة الشورى، آية ١٣.

(٢) سورة المائدة، آية ٤٨.

الدين والشريعة، يقال: دين الله وشريعة الله، ولا يقال: ملة الله.

بل إنَّما تضاف إلى النبي مثلاً من حيث إنَّها سيرته وسنته أو إلى الأمة من جهة أنَّهم سائرون مستنونون به، قال تعالى: ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١)، وقال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾^(٢) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ^(٣)، وقال تعالى حكاية عن الكفار في قولهم لأنبيائهم: ﴿لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾^(٤).

فقد تلخص أنَّ الدين في عرف القرآن أعم من الشريعة والملة، وهما كالترادفين مع فرق ما من حيث العناية اللفظية^(٥).

إِنَّ شَرِيْعَةَ الْإِسْلَامِ تَتَصِفُ بِالنُّوْرِ

ورد عن الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة قوله:

«أَتَى بِالْكِتَابِ الْجَامِعِ وَبِشَرِّعِ الْإِسْلَامِ النُّوْرِ السَّاطِعِ»^(٥).

إنَّ أوَّل ما يلوح للمتأمل من الإتيان بالصفة والموصوف في قوله عليه السلام: «وَبِشَرِّعِ الْإِسْلَامِ النُّوْرِ السَّاطِعِ» اتَّصَفَ شَرِّعُ الْإِسْلَامِ بِنُورٍ مَعْنُوِيٍّ، كَمَا يَسْتَتِجُ مِنْ وَصْفِ ذَلِكَ النُّوْرِ بِالسُّطُوْعِ سَعَةً إِشْرَاقٍ تَلِكُ الشَّرِيْعَةَ بِحَيْثُ أَنْارَتْ تَعَالِيْمَهَا وَوَصَايَاهَا جَمِيْعَ أَصْعَدَةِ الْحَيَاةِ وَزَوَايَاهَا.

قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَعَ الْإِسْلَامَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ، وَأَعَزَّ أَرْكَانَهُ عَلَى مَنْ

(١) سورة البقرة، آية ١٣٥.

(٢) سورة يوسف، آية ٣٧-٣٨.

(٣) سورة إبراهيم، آية ١٣.

(٤) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج ٥، ص ٣٥٠-٣٥٢.

(٥) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال، ج ١، ص ٣٣٩.

غَالِبُهُ، فَجَعَلَهُ أَمْنًا لِمَنْ عَلِقَهُ، وَسَلْمًا لِمَنْ دَخَلَهُ، وَبُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ عَنْهُ، وَنُورًا لِمَنْ اسْتَضَاءَ بِهِ، وَفَهْمًا لِمَنْ عَقَلَ، وَلُبًّا لِمَنْ تَدَبَّرَ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّسَ، وَبَبْصِرَةً لِمَنْ عَزَمَ، وَعِبْرَةً لِمَنْ اتَّعَظَ، وَنَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ، وَثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ، وَرَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ، وَجُنَّةً لِمَنْ صَبَرَ، فَهُوَ أَبْلَجُ الْمَنَاهِجِ، وَأَوْضَحُ الْوَلَائِحِ، مُشْرِفُ الْمَنَارِ، مُشْرِقُ الْجَوَادِّ، مُضِيءُ الْمَصَابِيحِ، كَرِيمُ الْمُضْمَارِ، رَفِيعُ الْعَايَةِ، جَامِعُ الْحَلْبَةِ، مُتَنَافِسُ السُّبْقَةِ، شَرِيفُ الْفُرْسَانِ، التَّصْدِيقُ مِنْهَاجُهُ، وَالصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ، وَالْمَوْتُ غَايَتُهُ، وَالدُّنْيَا مِضْمَارُهُ، وَالْقِيَامَةُ حَلْبَتُهُ، وَالْجَنَّةُ سُبْقَتُهُ»^(١).

(١) نهج البلاغة، خطبة ١٠٦.

د) أنواع الإسلام

ثمة اختلاف بين المسلمين تشير إليه روايات سيّد الشهداء عليه السلام في شدة إسلامهم وتدرجهم فيه، فمنه ما كان واقعياً حقيقياً ومنه ما كان لسانياً لا يتعدى الحروف.

فقد صرّح الإمام الحسين عليه السلام أثناء مسيره إلى كربلاء:

«إِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا قَدْ تَغَيَّرَتْ وَتَنَكَّرَتْ، وَأَدْبَرَ مَعْرُوفُهَا، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ، وَخَسِيسُ عَيْشٍ كَالْمَرْعَى الْوَيْبِلِ، أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ الْحَقَّ لَا يُعْمَلُ بِهِ، وَأَنَّ الْبَاطِلَ لَا يُتَنَاهَى عَنْهُ؟! لِيَرْغَبَ الْمُؤْمِنُ فِي لِقَاءِ اللَّهِ حَقًّا، فَإِنِّي لَا أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا سَعَادَةً، وَلَا الْحَيَاةَ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَرَمًا. إِنَّ النَّاسَ عَبِيدَ الدُّنْيَا، وَالدِّينُ لَعَقٌّ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، يَحْوِطُونَهُ مَا دَرَّتْ مَعَايِشُهُمْ، فَإِذَا مُحِّصُوا بِالْبَلَاءِ قَلَّ الدِّيَانُونَ»^(١).

حيث إنّ كلمة «لَعَقٌ» مشتقة من «اللَعَق» وتعني اللعس، وقد تستعمل بمعنى الحرص أيضاً، ويدل كلامه عليه السلام على أنّ بعض الناس بلغوا من السطحية في دينهم وإسلامهم أنّه لم يتجاوز أطراف ألسنتهم، حرصاً على فتات الدنيا، والمقصود من الدين في هذه الرواية - كما يبدو - هو الإسلام؛ لأنّ الله سبحانه قال في كتابه العزيز:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٢).

وبخصوص اتّصاف دين بعض الناس وإسلامهم بالسطحية يقول عنه:

﴿وَذَرِ الدِّينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَعْبٍ وَلَهُوَ﴾^(٣).

(١) ابن شعبة، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليهم)، ص ٢٤٥.

(٢) سورة آل عمران، آية ١٩.

(٣) سورة الأنعام، آية ٧٠.

وبهذا الشأن قال الإمام علي عليه السلام:

«وَصَارَ دِينُ أَحَدِكُمْ لُعْقَةً عَلَى لِسَانِهِ، صَنِيعَ مَنْ قَدْ فَرَّغَ مِنْ عَمَلِهِ، وَأَحْرَزَ [رِضًا] رِضَى سَيِّدِهِ»^(١).

(١) نهج البلاغة، خطبة ١١٣.

هـ) آثار الإسلام

لا يكاد المرء أن ينظر في روايات سيّد الشهداء عليه السلام المتعلقة بالإسلام حتى يستنتج وجود مجموعة من الآثار التي تترتب على اعتناق الإسلام، منها:

١. الشمول بأنواع النعم الإلهية

جاء عن الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة قوله متضرّعاً لله سبحانه: «بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّكَ وَرَسُولِكَ وَخَيْرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَأَمِينِكَ عَلَى وَحْيِكَ، الْبَشِيرِ النَّذِيرِ، السَّرَّاحِ الْمُنِيرِ، الَّذِي أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ»^(١).
حيث يشير مضمون كلامه عليه السلام إلى أن المسلمين قد شملتهم النعم الإلهية بأنواعها المختلفة ومنها نعمة وجود النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

فقد قال عزّت آلاؤه هذا الخصوص:

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٢).
وقال أيضاً:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣).

وروي عن الزهراء عليها السلام قولها في خطبتها:

«فَأَنْقَذَكُمُ اللَّهُ بِرَسُولِهِ صلى الله عليه وآله بَعْدَ اللَّتْبَاءِ وَالَّتِي»^(٤).

(١) الكفعمي، إبراهيم بن علي، البلد الأمين، ص ٢٥٧.

(٢) سورة آل عمران، آية ١٦٤.

(٣) سورة الأنبياء، آية ١٠٧.

(٤) ابن حيون، النعمان بن محمّد، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، ج ٣، ص ٣٥.

كما جاء في زيارة النبي صلى الله عليه وآله المروية عن الإمام الصادق عليه السلام :
«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اسْتَفْقَدْنَا بِكَ مِنَ الشُّرْكِ وَالضَّلَالَةِ»^(١).

٢. اختصاص نعمة الهداية المعنوية بالمسلمين

يستتج كذلك من حديث الإمام الحسين عليه السلام السابق أنّ المقصود من النعمة في الحديث لما كان هو النعمة المعنوية بقريظة السياق جاء ذكر المسلمين، إذ إنّ نعمة الهداية المعنوية إنّما تشمل من يعيش حالة السلم والتسليم تجاه أوامر الله سبحانه وحكمه وقضائه.

يقول الله تعالى:

﴿يُؤْمِنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢).

٣. فضل الله على المسلمين

روي عن الإمام الحسين عليه السلام قوله في إحدى خطبه:

«... فَأَطِيعُونَا فَإِنَّ طَاعَتَنَا مَفْرُوضَةٌ، أَنْ كَانَتْ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَفْرُوضَةً، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾^(٣)، وَقَالَ: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٤)»^(٥).

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٤، ص ٥٥١، حديث ١.

(٢) سورة الحجرات، آية ١٧.

(٣) سورة النساء، آية ٥٩.

(٤) سورة النساء، آية ٨٣.

(٥) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج، ج ٢، ص ٢٩٩.

إذ يقودنا استشهاد الإمام بهاتين الآيتين الكريمتين إلى أن هناك تفضلاً خاصاً من الحق عزّت آلاؤه على الأمة الإسلامية.

فقد قال تبارك وتعالى واصفاً حال الأمة الإسلامية:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾^(١).

وقال عزّ وجلّ أيضاً:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾^(٢).

وتحسس أمير المؤمنين عليّ عليه السلام معالم ذلك الفضل الإلهي بقوله:

«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّكُمْ بِالْإِسْلَامِ، وَاسْتَخْلَصَكُمْ لَهُ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ اسْمُ سَلَامَةٍ وَجَمَاعِ كَرَامَةٍ، اصْطَفَى اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُجَهُ، وَبَيَّنَّ حُجَجَهُ مِنْ ظَاهِرِ عِلْمِ، وَبَاطِنِ حُكْمِ، لَا تَفْنَى غَرَائِبُهُ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ، فِيهِ مَرَابِيعُ النِّعَمِ، وَمَصَابِيحُ الظُّلْمِ، لَا تُفْتَحُ الْخَيْرَاتُ إِلَّا بِمِفَاتِيحِهِ، وَلَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِمَصَابِيحِهِ، قَدْ أَحْمَى حِمَاهُ، وَأَرْعَى مَرْعَاهُ، فِيهِ شِفَاءُ [المُشْتَفِي] [المُسْتَشْفِي، وَكِفَايَةُ الْمُكْتَفِي]»^(٣).

رحمة الله بالمسلمين

كما يتبيّن أيضاً من استشهاد الإمام الحسين عليه السلام بالآيتين أعلاه أن الله عزّ وجلّ قد أفاض من لدنه رحمة خاصّة على الأمة الإسلامية ولا زالت مستمرة.

يقول الإمام عليّ عليه السلام واصفاً حال نبي الله ﷺ:

«... أَظْهَرَ بِهِ الشَّرَائِعَ الْمَجْهُولَةَ، وَقَمَعَ بِهِ الْبِدَعَ الْمَدْخُولَةَ، وَبَيَّنَّ بِهِ الْأَحْكَامَ

الْمَفْصُولَةَ»^(٤).

(١) سورة آل عمران، آية ١١٠.

(٢) سورة البقرة، آية ١٤٣.

(٣) نهج البلاغة، خطبة ١٥٢.

(٤) المصدر السابق، خطبة ١٦١.

٥. ألطاف الله بالمسلمين لإبعادهم عن الشيطان

عندما نقلتي نظرة أخيرة على ما استشهد به الإمام الحسين عليه السلام من القرآن الكريم في الحديث الأخير ندرك أن الله تبارك وتعالى ألطافاً خاصة قد شملت الأمة الإسلامية جمعاء من أجل إبعادهم عن الشيطان ووقايتهم من الوقوع في شركه، حيث يقول سبحانه:

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾^(١).

ويقول تعالى أيضاً:

﴿ وَإِذَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾^(٢).

ويقول أيضاً:

﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾^(٣).

(١) سورة النحل، آية ٩٨.

(٢) سورة فصلت، آية ٣٦.

(٣) سورة المؤمنون، آية ٩٧.

(و) أوّل من أسلم

نقل الشيخ الصدوق بسنده عن الإمام الحسين عليه السلام أنّه قال مخاطباً من حضر في معسكر عمر بن سعد:

«أَنْشُدْكُمْ اللَّهَ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَدِّي خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أَوَّلُ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِسْلَاماً؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ...»

فَأَنْشُدْكُمْ اللَّهَ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ عَلِيًّا كَانَ أَوَّلَهُمْ إِسْلَاماً، وَأَعْلَمَهُمْ عِلْماً، وَأَعْظَمَهُمْ حِلْماً، وَأَنَّهُ وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ»^(١).

وهنا الإمام عليه السلام يصرّح بأنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كان أوّل من أسلم من الرجال و السيّدة خديجة عليها السلام كانت أوّل امرأة قد اعتنقت الإسلام.

يدل عليه قول الإمام علي عليه السلام:

«وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ، وَأَشْمُ رِيحَ النُّبُوَّةِ»^(٢).

ونُقل عن أبي رافع أنّه قال:

«أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الرِّجَالِ عَلِيٌّ، وَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ النِّسَاءِ خَدِيجَةُ»^(٣).

وحول إيمان السيّدة خديجة عليها السلام بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله، قال إبراهيم محمّد حسن

الجميل:

«حينما قصّ الرسول (صلى الله عليه وسلم) على السيّدة خديجة عليها السلام ما رأى

(١) ابن بابويه، محمّد بن علي، الأمالي، ص ٢٢٢-٢٢٣.

(٢) نهج البلاغة، خطبة ١٩٢.

(٣) الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج ٩، ص ٢٢٠، حديث ١٥٢٥٨.

وسمع في غار حراء لم تنزعج لهذا الحديث، ولم تضطرب لغرابته ما يحدث به زوجها، فلم تسمع من قبل بمثل ما تسمع به الآن، وبالتالي لم يخجلها أدنى شك في صدق ما يقوله محمد، ولم تظهر على وجهها علامة استفهام تعبر بها عن حيرة في النفس، ولم يخامرها شك في أن الذي جاءه ملك من عند الله سبحانه وتعالى.

لقد سارعت إلى التصديق بإيمان الواثق المؤمن المتبصر بنور الهداية المطمع على بواطن الأمور الموقن بنتيجة ما يقوم به محمد من عمل وتفكير وقيام وصلابة، وكأنتها درست هذا الأمر مسبقاً، فقد بدت عليها السعادة والفرح العظيم، فقالت ما قالت من منطق الواثق المتأكد.

ولما أمره ربه بالإندار، فكّر فيما يطلبه منه ربه، ولكن بمن سيبتدي؟ ومن سيطيعه فيما يدعو إليه؟ وهل سيتخلّى الناس عن معتقداتهم وأهنتهم؟

وبينما هو يفكّر وقد ألمّ به شيء من الهم والحزن، استمع إلى صوت السيّدة أمّ المؤمنين وهي تقول: اسمع يا بن عم، فالتفت النبي (صلى الله عليه وسلم) إليها فقالت: (أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمّداً رسول الله).

فما أن أتمتها حتّى ابتسم (صلى الله عليه وسلم)، ونظر إلى أعظم زوجة في هذه الدنيا، فرحل عنه كل ما كان يساوره من همّ، وذهب ما به من حزن، وتفتح الأمل أمامه، وأشرقت الدنيا في وجهه الشريف.

وهكذا كانت السيّدة خديجة عظيمة في الجاهلية، وكانت أعظم في الإسلام، وكان إسلامها من أهم الحوادث في تاريخ الدعوة إلى الله^(١).

وقال كذلك:

«حتّى إذا أخبرها بالنبأ العظيم لم تقف صامتة، ولم يذهب بها التفكير مذاهبه، ولم

(١) الجمل، إبراهيم محمّد حسن، أمّ المؤمنين خديجة بنت خويلد، ص ١٤١.

تفكّر لحظة تسترسل فيما قاله الرسول الأعظم، ولم ترجع قوله إلى ما كان مشهوراً في زمانها من الحديث عن الجن والشياطين أو إلى مرض نفسي أو إلى ضعف وتخاذل، وإنّما كانت قوية في إجابتها وفي تعبيرها وفي استنتاجها ممّا يدلّ على أنّها قويّة النفس والجنان، متفتحة العقل، واسعة التفكير، سليمة المنطق، فاهمة لقانون الإثابة والعقاب الإلهي...»^(١).

قال محمود شلبي:

«وشهدت فاطمة شيئاً عجباً، شهدت أمّها خديجة تؤمن بالله وبرسوله وتصدّق بما جاء منه، فكانت بذلك أوّل من آمن به (صلى الله عليه وسلم)، ثمّ اشتدّ عجبها، حين جاء أبوها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خديجة، فتوضأ لها ليرها كيف الطهور للصلاة، كما أراه جبريل، فتوضأت كما توضأ لها رسول الله عليه السلام، ثمّ صلّى بها رسول الله عليه السلام كما صلّى به جبريل، فصلّت بصلاته. ما هذا الذي يفعله أبوها وأمّها؟! جعلت الطفلة فاطمة تنظر إليهما في شغف وحنان وشوق أن تفعل كما يفعلان»^(٢).

(١) المصدر السابق، ص ٢٣١.

(٢) شلبي، محمود، حياة فاطمة عليها السلام، ص ٨٧.

ز) مهام المسلمين

إن من يتتبع روايات سيّد الشهداء عليه السلام يلحظ وجود عدّة مهام ووظائف ملقاة على عاتق المسلمين ينبغي عليهم القيام بها، مثل:

١- إنقاذ الكفار من الكفر

مما جاء عن الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة خطابه للحق عزّت آلاؤه:
«يَا مَنْ اسْتَنْقَذَ السَّحْرَةَ مِنْ بَعْدِ طُولِ الْجُحُودِ»^(١).

والرسالة المستوحاة من هذه الفقرة هي وجوب إنقاذ الكفرة من كفرهم، رغم أنّ خطاب الإمام عليه السلام كان موجّهاً لله سبحانه؛ لأنّ مقتضى الرسالة هو ذا.
فقد بيّن الإمام علي عليه السلام أحوال الوقت العصيب الذي تلى وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله:

«فَمَا رَاعِنِي إِلَّا انْتِبَالُ النَّاسِ عَلَيَّ فُلَانٍ يُبَايِعُونَهُ، فَأَمْسَكْتُ [بِيَدِي] يَدِي حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الْإِسْلَامِ يَدْعُونَ إِلَى مَحْتِ دَيْنِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، فَخَشِيتُ إِنَّ لَمْ أَنْصُرِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلَمًا أَوْ هَدْمًا تَكُونُ الْمِصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فَوْتِ وَلَا يَتَكُمُ النَّبِيُّ إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ فَلَا تَلَّ يَزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ كَمَا يَزُولُ السَّرَابُ [وَأَوْ كَمَا يَتَقَشَّعُ السَّحَابُ، فَهَنْضَتْ فِي تِلْكَ الْأَحْدَاثِ حَتَّى زَاَحَ الْبَاطِلُ وَرَهَقَ، وَاطْمَأَنَّ الدِّينُ وَتَنَهَّنَهُ»^(٢).

(١) الكفعمي، إبراهيم بن علي، البلد الأمين، ص ٢٥٤.

(٢) نهج البلاغة، رسالة ٦٢.

٢. شكر الله على الهداية للإسلام

نقل الطبراني بسنده عن أبي مجلز:

«أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا رَكِبَ دَابَّةً فَقَالَ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾، فَقَالَ لَهُ الْحَسِينُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام: وَبِهَذَا أُمِرْتُ؟ قَالَ: فَكَيْفَ أَقُولُ؟ قَالَ: تَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ عَلَيَّ بِمُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، فَهَذِهِ النِّعْمَةُ، فَقَالَ: تَبْدَأُ بِهَذَا لِقَوْلِهِ عليه السلام: ﴿ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾^(١)»^(٢).

فمن إسناد «الهداية» لله تبارك وتعالى يتحصّل أن الإنسان كان مصداقاً وموضوعاً للطف الله سبحانه بهدايته للإسلام بالهداية التشريعية، وهذا ما أوجب عليه الحمد لله والثناء عليه.

فقال تعالى:

﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُمُ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٣).

وقال أيضاً:

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾^(٤).

٣. محبة الدين الإسلامي

بسنده روى الطبراني عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال:

«أَحِبُّونَا بِحُبِّ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (لَا تَرْفَعُونِي

(١) سورة الزخرف، آية ١٣.

(٢) الطبراني، سليمان بن أحمد، الدعاء، ص ٢٤٦-٢٤٧، حديث ٧٧٥.

(٣) سورة الحجرات، آية ١٧.

(٤) سورة الأعراف، آية ٤٣.

فَوْقَ حَقِّي، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اتَّخَذَنِي عَبْدًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَنِي رَسُولًا»^(١).
 فمن هذا الحديث يتبين أن على الإنسان أن يكون محباً للإسلام.
 ويظهر هذا أيضاً مما روي عن الإمام السجاد عليه السلام في قوله:
 «أَحِبُّونَا حُبَّ الْإِسْلَامِ فَمَا زَالَ حُبُّكُمْ لَنَا حَتَّى صَارَ شَيْنًا عَلَيْنَا»^(٢).
 وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:
 «كُلُّ مَنْ لَمْ يُحِبَّ عَلَى الدِّينِ وَلَمْ يُبْغِضْ عَلَى الدِّينِ فَلَا دِينَ لَهُ»^(٣).

٤. الاستقامة على ملة الإسلام

روى ابن شعبة الحراني عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال مخاطباً أهل الكوفة:
 «أَلَا وَإِنَّ الدَّعِيَّ ابْنَ الدَّعِيِّ قَدْ رَكَزَ مِنَّا بَيْنَ اثْنَتَيْنِ، بَيْنَ الْمَلَّةِ [السَّلَّةِ] وَالذَّلَّةِ،
 وَهَيْهَاتَ مِنَّا الدَّيْنِيَّةُ، يَا بِيَّ اللَّهِ ذَلِكَ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ، وَحُجُورٌ طَابَتْ، وَأُنُوفٌ حَمِيَّةٌ،
 وَنُفُوسٌ أَبِيَّةٌ، وَأَنْ نُؤَثِّرَ طَاعَةَ اللَّئَامِ عَلَى مَصَارِعِ الْكِرَامِ»^(٤).

ينبغي على الناس الثبات على طريق الإسلام والصمود عليه، خصوصاً عندما
 يحين وقت الامتحان والاختبار ويرى الإنسان نفسه واقفاً على مفترق طريقي
 السعادة والشقاوة، حيث كانت هذه النقطة - أعني الثبات - علامة مائزة في سيرة
 الإمام الحسين عليه السلام، وأشار إليها في كلامه هذا؛ إذ إنه قد ذكر طريقي «ملة الإسلام»
 و«الذلة»، فيلزم الاقتداء به عليه السلام في ذلك انطلاقاً من كونه عليه السلام قدوة وأسوة للمجتمع
 دون شك أو ريب، كما عبّر بقوله:

«فَلَكُمْ فِيَّ أُسْوَةٌ»^(٥).

-
- (١) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، ج ٣، ص ١٢٨، حديث ٢٨٨٩.
 (٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ج ٢، ص ١٤١.
 (٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٢، ص ١٢٧، حديث ١٦.
 (٤) ابن شعبة، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليهم)، ص ٢٤١.
 (٥) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٤٠٣.

وقال تعالى بشأن الثبات والاستقامة:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾^(١).

وقال أيضاً:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢).

وقال كذلك:

﴿وَأَلَوْ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾^(٣).

وقال عز من قائل:

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٤).

وقال أيضاً:

﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حِجَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾^(٥).

قال الإمام علي عليه السلام:

«الْعَمَلُ الْعَمَلُ، ثُمَّ النَّهْيَةُ النَّهْيَةُ، وَالِاسْتِقَامَةُ الْإِسْتِقَامَةُ، ثُمَّ الصَّبْرُ الصَّبْرُ، وَالْوَرَعُ الْوَرَعُ، إِنَّ لَكُمْ نَهْيَةً فَانْتَهُوا إِلَى نَهْيَتِكُمْ، وَإِنَّ لَكُمْ عِلْمًا فَاهْتَدُوا بِعِلْمِكُمْ، وَإِنَّ لِلْإِسْلَامِ غَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى غَايَتِهِ، وَاخْرُجُوا إِلَى اللَّهِ بِمَا افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ، وَيَبَيِّنْ لَكُمْ مِنْ وَظَائِفِهِ»^(٦).

(١) سورة فصلت، آية ٣٠.

(٢) سورة الأحقاف، آية ١٣.

(٣) سورة الجن، آية ١٦.

(٤) سورة هود، آية ١١٢.

(٥) سورة الشورى، آية ١٥.

(٦) نهج البلاغة، خطبة ١٧٦.

٥. الحذر من التشبه بالكفار في المعتقد

نقل ابن شعبة الحرّاني في «تحف العقول» عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال:
 «أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا هَؤُلَاءِ الْمَارِقَةَ الَّذِينَ يُسَبِّهُونَ اللَّهَ بِأَنْفُسِهِمْ، يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ
 كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، بَلْ هُوَ اللَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، لَا تُدْرِكُهُ
 الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ»^(١).

والمغزى من هذا الكلام وجوب الحذر من مشابهة المسلمين للكفار وأهل
 الكتاب في عقائدهم.
 يقول سبحانه:

﴿يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُرَدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ
 فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾^(٢).

ونقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله محدّراً من ذلك بقوله:

«مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»^(٣).

نقل الشيخ الصدوق بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«أَوْحَى اللَّهُ ﷻ إِلَى نَبِيِّ مِنْ أَنْبِيَائِهِ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ: لَا تَلْبَسُوا لِبَاسَ أَعْدَائِي، وَلَا
 تَطْعَمُوا طَعَامَ أَعْدَائِي، وَلَا تَسْلُكُوا مَسَالِكَ أَعْدَائِي، فَتَكُونُوا أَعْدَائِي كَمَا هُمْ
 أَعْدَائِي»^(٤).

(١) ابن شعبة، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليهم)، ص ٢٤٤.

(٢) سورة آل عمران، آية ١٤٩.

(٣) ابن أبي جمهور، محمّد بن زين الدين، عوالي اللآلي العزيزية في الأحاديث الدينية، ج ١، ص

١٦٥، حديث ١٧٠.

(٤) ابن بابويه، محمّد بن علي، علل الشرائع، ج ٢، ص ٣٤٨، حديث ٦.

٦- الدعوة للدين الإسلامي

ذكر ابن شهر آشوب في المناقب:

«النَّظْرِيُّ فِي الْخِصَائِصِ: لَمَّا جَاؤُوا بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ وَنَزَلُوا مَنْزِلًا يُقَالُ لَهُ: قِنْسَرِينُ، أَطَّلَعَ رَاهِبٌ مِنْ صَوْمَعَتِهِ إِلَى الرَّأْسِ، فَرَأَى نُورًا سَاطِعًا يُخْرُجُ مِنْ فِيهِ وَيَضَعُدُ إِلَى السَّمَاءِ، فَاتَاهُمْ بِعَشْرَةِ آلافِ دِرْهَمٍ وَأَخَذَ الرَّأْسَ، وَأَدْخَلَهُ صَوْمَعَتَهُ، فَسَمِعَ صَوْتًا وَلَمْ يَرِ شَخْصًا، قَالَ: طُوبَى لَكَ وَطُوبَى لِمَنْ عَرَفَ حُرْمَتَهُ، فَرَفَعَ الرَّاهِبُ رَأْسَهُ وَقَالَ: يَا رَبِّ، بِحَقِّ عَيْسَى تَأْمُرُ هَذَا الرَّأْسَ بِالتَّكَلُّمِ مَعِي، فَتَكَلَّمَ الرَّأْسُ وَقَالَ: يَا رَاهِبُ، أَيُّ شَيْءٍ تُرِيدُ؟ قَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا ابْنُ مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى وَأَنَا ابْنُ عَلِيٍّ الْمُرْتَضَى وَأَنَا ابْنُ فَاطِمَةَ الرَّهْرَاءِ وَأَنَا الْمُقْتُولُ بِكَرْبَلَاءَ أَنَا الْمَظْلُومُ أَنَا الْعَطْشَانُ، فَسَكَتَ، فَوَضَعَ الرَّاهِبُ وَجْهَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَقَالَ: لَا أَرْفَعُ وَجْهِي عَنْ وَجْهِكَ حَتَّى تَقُولَ: أَنَا شَفِيعُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَتَكَلَّمَ الرَّأْسُ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى دِينِ جَدِّي مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، فَقَالَ الرَّاهِبُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَقَبِلَ لَهُ الشَّفَاعَةَ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَخَذُوا مِنْهُ الرَّأْسَ وَالدَّرَاهِمَ، فَلَمَّا بَلَغُوا الْوَادِيَّ نَظَرُوا الدَّرَاهِمَ قَدْ صَارَتْ حِجَارَةً»^(١).

إنَّ المتحصِّل من قوله عليه السلام: «ارْجِعْ إِلَى دِينِ جَدِّي مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله» هو ضرورة دعوة من لديه الأرضية والاستعداد لقبول الحقِّ إلى الإسلام، ولا شك أنَّ نطقه عليه السلام بهذا الكلام بعد شهادته كان إعجازياً ودليلاً على حجية كلامه بعد شهادته.

يقول تعالى:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٢).

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب عليه السلام، ج ٤، ص ٦٠.

(٢) سورة فصلت، آية ٣٣.

٧. إظهار الإسلام

ذكر القندوزي في الينابيع:

«ثُمَّ دَنَا مِنَ الْقَوْمِ وَقَالَ: يَا وَيْلَكُمْ، أَتَقْتُلُونِي عَلَى سُنَّةِ بَدَلْتِهَا؟ أَمْ عَلَى شَرِيعَةٍ غَيْرِهَا؟ أَمْ عَلَى جُرْمِ فَعَلْتُهُ؟ أَمْ عَلَى حَقِّ تَرَكَتُهُ؟
فَقَالُوا لَهُ: إِنَّا نَقْتُلُكَ بُغْضًا لِأَبِيكَ. فَلَمَّا سَمِعَ كَلَامَهُمْ حَمَلَ عَلَيْهِمْ فَقَتَلَ مِنْهُمْ فِي حَمَلَتِهِ مِائَةَ فَارِسٍ، وَرَجَعَ إِلَى حَيْمَتِهِ، وَأَنْشَأَ عِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ:

بَعْدَ جَدِّي فَأَنَا ابْنُ الْخَيْرَتَيْنِ	خَيْرَةُ اللَّهِ مِنَ الْخَلْقِ أَبِي
وَارِثُ الْعِلْمِ وَمَوْلَى الثَّقَلَيْنِ	أُمِّي الزَّهْرَاءُ حَقًّا وَأَبِي
وَقُرَيْشٍ يَعْبُدُونَ الْوَثْنَيْنِ	عَبَدَ اللَّهُ غُلَامًا يَافِعًا
وَعَلِيٌّ قَامَ صَلَّى الْقِبْلَتَيْنِ	يَعْبُدُونَ اللَّاتَ وَالْعُزَّى مَعًا
مَا عَلَى الْأَرْضِ مُصَلِّيٌ غَيْرُ ذَيْنِ	مَعَ نَبِيِّ اللَّهِ سَبْعًا كَامِلًا
وَأَبِي الْمَوْفِي لَهُ فِي الْبَيْعَتَيْنِ	جَدِّي الْمُرْسَلُ مُصْبِحُ الدُّجَى
صَاحِبُ الْخَوْضِ مُعِزُّ الْحَرَمَيْنِ	عُرْوَةُ الدِّينِ عَلِيُّ الْمُرْتَضَى-
حِينَ سَاوَى ظَهْرَهُ لِلرَّكْعَتَيْنِ	وَهُوَ الَّذِي صَدَّقَ فِي حَاتِمِهِ
رُدَّتْ الشَّمْسُ عَلَيْهِ كَرَّتَيْنِ	وَالِدِي الطَّاهِرُ وَالطُّهْرُ الَّذِي
يَوْمَ بَدْرٍ ثُمَّ أَحَدٍ وَحْنَيْنِ	قَتَلَ الْأَبْطَالَ لَمَّا بَرَزُوا
بِحَسَامٍ قَاطِعِ ذِي شَفْرَتَيْنِ» ^(١)	أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ رَغْمًا لِلْعَدَى

فمن البيت الأخير يستفاد لزوم إظهار الإسلام وضرورته.

(١) القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة لذوي القربى، ج ٣، ص ٨٠.

روى أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:

«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا، وَصَلُّوا صَلَاتِنَا، وَاسْتَقْبَلُوا قِبَلَتَنَا، وَدَبَّحُوا ذَبِيحَتَنَا، فَقَدْ حَرَمْتُ عَلَيْنَا دِمَاؤَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»^(١).

قال سماعه:

«قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ أَهْمَا مُخْتَلِفَانِ؟ فَقَالَ: إِنَّ الْإِيمَانَ يُشَارِكُ الْإِسْلَامَ وَالْإِسْلَامَ لَا يُشَارِكُ الْإِيمَانَ، فَقُلْتُ: فَصَفِّهْهَا لِي، فَقَالَ: الْإِسْلَامُ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَالتَّصْدِيقُ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، بِهِ حُقِّقَتِ الدِّمَاءُ وَعَلَيْهِ جَرَّتِ الْمَنَاحِكُ وَالْمَوَارِيثُ وَعَلَى ظَاهِرِهِ جَمَاعَةُ النَّاسِ، وَالْإِيمَانُ الْهُدَى وَمَا يَثْبُتُ فِي الْقُلُوبِ مِنْ صِفَةِ الْإِسْلَامِ وَمَا ظَهَرَ مِنَ الْعَمَلِ بِهِ، وَالْإِيمَانُ أَرْفَعُ مِنَ الْإِسْلَامِ بِدَرَجَةٍ، إِنَّ الْإِيمَانَ يُشَارِكُ الْإِسْلَامَ فِي الظَّاهِرِ وَالْإِسْلَامَ لَا يُشَارِكُ الْإِيمَانَ فِي الْبَاطِنِ وَإِنْ اجْتَمَعَا فِي الْقَوْلِ وَالصِّفَةِ»^(٢).

٨- امتلاك الإيمان

ورد عن الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفه قوله متضرعاً:

«يَا مَنْ هَدَانِي لِلْإِيمَانِ»^(٣).

حيث يستنتج من مضمون هذا الدعاء أن كل مسلم يجب عليه أن يكون مؤمناً

بالمبدأ والمعاد.

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج ١، ص ٨٧، حديث ٣٩٢.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٢، ص ٢٥، حديث ١.

(٣) الكفعمي، إبراهيم بن علي، البلد الأمين، ص ٢٥٥.

وروي أيضاً عن الإمام الحسين عليه السلام أنه ابتهل إلى الله في دعاء الاستجابة:
«وَأَنْتَ الَّذِي اسْتَجَبْتَ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ»^(١).

فمن مضمون هذا الخطاب يتحصّل وجوب الإيمان بالله عز وجل.
وفي تعريفه للإيمان قال العلامة الطباطبائي:

«الإيمان بأمر هو العلم به مع الالتزام به عملاً، فلو لم يلتزم لم يكن إيماناً وإن كان هناك علم، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾^(٢)، وقال: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عَمَلِهِ﴾^(٣)»^(٤).

ونقل الكليني بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«اسْتَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله حَارِثَةَ بْنَ مَالِكِ بْنِ النُّعْمَانِ الْأَنْصَارِيِّ فَقَالَ لَهُ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَارِثَةُ بْنُ مَالِكٍ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مُؤْمِنٌ حَقًّا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةٌ فَمَا حَقِيقَةُ قَوْلِكَ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَزَفْتُ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا فَأَسْهَرْتُ لَيْلِي وَأَطْمَأْتُ هَوَاجِرِي وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي [وَ] قَدْ وُضِعَ لِلْحَسَابِ وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِي الْجَنَّةِ وَكَأَنِّي أَسْمَعُ عَوَاءَ أَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: عَبْدٌ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ، أَبْصَرَتْ فَائِئُتُ»^(٥).

٩- كسب الإيمان في الدنيا

روي عن الإمام الحسين عليه السلام بشأن القيامة وأهوالها أنه قال خلال وصيته عليه السلام:
«... وَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا تَكُنَّ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلْ

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، جمال الأسبوع بكمال العمل المشروع، ص ٢٧٢.

(٢) سورة النمل، آية ١٤.

(٣) سورة الجاثية، آية ٢٣.

(٤) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٨، ص ١٥٨.

(٥) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٢، ص ٥٤، حديث ٣.

أَنْظُرُوا إِنَّا مُنْظَرُونَ ﴿١﴾... ﴿٢﴾.

فيشدّ انتباهنا مغزى هذا الكلام المستل والمستوحى من آيات القرآن الكريم إلى ضرورة اكتساب المسلم للإيمان في هذه الدنيا.

ويفصّل المقال قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«فَبِالإِيمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحَاتِ، وَبِالصَّالِحَاتِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الإِيمَانِ، وَبِالإِيمَانِ يُعَمَّرُ العِلْمُ، وَبِالعِلْمِ يُرْهَبُ المَوْتُ، وَبِالمَوْتِ تُحْتَمُّ الدُّنْيَا، وَبِالدُّنْيَا تُحْرَزُ الآخِرَةُ، وَبِالْقِيَامَةِ تُزَلَفُ الجَنَّةُ، وَتُبْرَزُ الجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ، وَإِنَّ الخَلْقَ لَا مَقْصَرَ لَهُمْ عَنِ الْقِيَامَةِ، مُرْقِلِينَ فِي مَضَارِهَا إِلَى الغَايَةِ القُصْوَى»^(٣).

(١) سورة الأنعام، آية ١٥٨ .

(٢) ابن شعبة، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليهم)، ص ٢٤٠ .

(٣) نهج البلاغة، خطبة ١٥٦ .

ح) الأمة الإسلامية

من العناوين التي كان لها نصيب من الروايات المنقولة عن سيّد الشهداء عليه السلام عنوان الأمة الإسلامية وخصائصها، حيث لم تغفل عنها وذكرت بعضها مثل:

١- الأمة الإسلامية قدوة للأمم

روى الطبراني بسنده عن أبي مجلز قال:

«أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا رَكِبَ دَابَّةً فَقَالَ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾، فَقَالَ لَهُ الْحَسِينُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام: «وَبِهَذَا أُمِرْتُ؟ قَالَ: فَكَيْفَ أَقُولُ؟ قَالَ: تَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ وَمَنَّ عَلَيَّ بِمُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، فَهَذِهِ النِّعْمَةُ، فَقَالَ: تَبْدَأُ بِهَذَا لِقَوْلِهِ عليه السلام: ﴿ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا أَسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾»^(١)»^(٢).

إذ يدلنا قوله عليه السلام: «وَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ أُمَّةٍ...» على أن الأمة الإسلامية هي أفضل الأمم، بل وقدوة لما سواها، وهذا يقتضي منها الثناء على الله سبحانه وشكره وحمده.

وصرّح بذلك قوله سبحانه في القرآن الكريم:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(٣).

(١) سورة الزخرف، آية ١٣.

(٢) الطبراني، سليمان بن أحمد، الدعاء، ص ٢٤٦-٢٤٧، حديث ٧٧٥.

(٣) سورة آل عمران، آية ١١٠.

٢. قصر ملة الرسول صلى الله عليه وآله على الشيعة

لقد ذكر عبد الله بن حمزة في كتابه (الشافى):

«وَقَالَ الْحَسَيْنُ - عليه السلام -: وَاللَّهِ مَا أَجِدُ عَلَى مِلَّةِ مُحَمَّدٍ - صلى الله عليه وآله - إِلَّا أَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الشَّيْعَةِ، وَالنَّاسُ مِنْهَا بِرَاءٌ»^(١).

ودلالة هذا الحديث جلية على أن شيعة أهل البيت عليهم السلام وحدهم السائرون على الإسلام وملة رسول الله صلى الله عليه وآله.

كما نقل عن عوف بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«كَيْفَ أَنْتَ يَا عَوْفُ إِذَا افْتَرَقَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَسَائِرُهُنَّ فِي النَّارِ؟!...»^(٢).

حينما نضم هذا القول إلى حديث السفينة سنخرج بنتيجة مفادها أن المقصود بتلك الفرقة الواحدة هم أتباع أهل البيت عليهم السلام، وأما الفرق الأخرى فمخالفهم. وأتى ابن الأثير الجزري على ذكر حديث السفينة في مادة «زخخ» ناقلاً إياه عن النبي صلى الله عليه وآله بهذه الصورة:

«مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي مَثَلُ سَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زُخَّ بِهِ فِي النَّارِ»^(٣).

نقل علي بن محمد الخزاز بسنده عن الإمام علي عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«سَتَفَرِّقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، مِنْهَا فِرْقَةٌ نَاجِيَةٌ وَالْبَاقُونَ هَالِكَةٌ، وَالنَّاجِيَةُ الَّذِينَ يَتَمَسَّكُونَ بِوَلَايَتِكُمْ وَيَقْتَسِمُونَ مِنْ عِلْمِكُمْ وَلَا يَعْمَلُونَ بِرَأْيِهِمْ، فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ»^(٤).

(١) المنصور بالله، عبد الله بن حمزة، الشافى، ج ٣، ص ٢٨٥.

(٢) الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج ٧، ص ٣٢٣، حديث ١٢٤٣٥.

(٣) ابن الأثير، المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ٢٩٨.

(٤) الخزاز الرازي، علي بن محمد، كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، ص ١٥٥.

ونقل الشيخ المفيد بسنده عن أبي عقيل قال:

«كُنَّا عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام فَقَالَ: لَتَفَرَّقَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الْفِرْقَ كُلَّهَا ضَالَّةٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَنِي وَكَانَ مِنْ شِيعَتِي»^(١).

٣- الظلمة خارجون عن أمة الإسلام

نقل الطبرسي جواب الإمام الحسين عليه السلام على كتاب معاوية على طريق الاحتجاج حيث قال:

«أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ أَنَّهُ بَلَغَكَ عَنِّي أُمُورٌ أَنْ بِي عَنْهَا غِنَى، وَزَعَمْتَ أَنِّي رَاغِبٌ فِيهَا، وَأَنَا بَغِيرُهَا عَنْكَ جَدِيرٌ. أَمَّا مَا رُفِيَ إِلَيْكَ عَنِّي، فَإِنَّهُ رَقَاهُ إِلَيْكَ الْمَلَأُونَ الْمَشَاوُونَ بِالْتَمَائِمِ، الْمَفْرُقُونَ بَيْنَ الْجَمْعِ، كَذَبَ السَّاعُونَ الْوَأَشُونَ مَا أَرَدْتُ حَرْبَكَ وَلَا خِلَافًا عَلَيْكَ، وَأَيْمُ اللَّهِ إِنِّي لَأَخَافُ اللَّهَ عَزَّ ذِكْرُهُ فِي تَرْكِ ذَلِكَ، وَمَا أَظُنُّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِرَاضٍ عَنِّي بِتَرْكِهِ وَلَا عَازِرِي بِدُونِ الْإِعْتِدَارِ إِلَيْهِ فِيكَ وَفِي أَوْلِيَّتِكَ الْقَاسِطِينَ الْمَلِيئِينَ حِزْبِ الظَّالِمِينَ، بَلْ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.

أَلَسْتُ قَاتِلَ حُجْرِ بْنِ عَدِيٍّ أَخِي كِنْدَةَ وَأَصْحَابِهِ الصَّالِحِينَ الْمُطِيعِينَ الْعَابِدِينَ، كَانُوا يُنْكِرُونَ الظُّلْمَ وَيَسْتَعْظِمُونَ الْمُنْكَرَ وَالْبِدْعَ وَيُؤْثِرُونَ حُكْمَ الْكِتَابِ وَلَا يَخَافُونَ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، فَقَتَلْتَهُمْ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا بَعْدَ مَا كُنْتَ أَعْطَيْتَهُمُ الْأَيْمَانَ الْمَغْلَظَةَ وَالْمَوَاقِيقَ الْمُؤَكَّدَةَ لَا تَأْخُذُهُمْ بِحَدِيثِ كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ وَلَا بِإِخْتِنَانِ تَجِدُهَا فِي صَدْرِكَ عَلَيْهِمْ؟!!

أَوْلَسْتُ قَاتِلَ عَمْرٍو بْنِ الْحَمِقِ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ، الْعَبْدِ الصَّالِحِ الَّذِي أَبْلَتْهُ الْعِبَادَةُ فَصَفَّرَتْ لَوْنَهُ، وَنَحَلَتْ جِسْمَهُ، بَعْدَ أَنْ آمَنَتْهُ وَأَعْطَيْتَهُ مِنْ عُهُودِ اللَّهِ عز وجل وَمِيثَاقِهِ

(١) المفيد، محمد بن محمد، الأمالي، ص ٢١٢-٢١٣، حديث ٣.

مَا لَوْ أُعْطِيَتْهُ الْعُصْمَ فَفَهَمْتَهُ لَنَزَلَتْ إِلَيْكَ مِنْ شَعْفِ الْجِبَالِ، ثُمَّ قَتَلْتَهُ جُرْأَةً عَلَى اللَّهِ عز وجل
وَاسْتِخْفَافًا بِذَلِكَ الْعَهْدِ!؟

أَوْلَسْتَ الْمَدْعِيَّ زِيَادَ بْنَ سُمَيْيَةَ، الْمَوْلُودَ عَلَى فِرَاشِ عُبَيْدِ عَبْدِ ثَقِيفٍ، فَزَعَمْتَ أَنَّهُ
ابْنُ أَبِيكَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: (الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ)، فَتَرَكْتَ سُنَّةَ رَسُولِ
اللَّهِ وَاتَّبَعْتَ هَوَاكَ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ، ثُمَّ سَلَطْتَهُ عَلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ فَقَطَعَ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ
وَأَرْجُلَهُمْ وَسَمَلَ أَعْيُنَهُمْ وَصَلَبَهُمْ عَلَى جُدُوعِ النَّخْلِ كَأَنَّكَ لَسْتَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ
وَلَيْسُوا مِنْكَ!؟

أَوْلَسْتَ صَاحِبَ الْحَضْرَمِيِّينَ الَّذِينَ كَتَبَ إِلَيْكَ فِيهِمْ ابْنُ سُمَيْيَةَ أَنَّهُمْ عَلَى دِينِ عَلِيٍّ
وَرَأْيِهِ، فَكَتَبْتَ إِلَيْهِ: اقْتُلْ كُلَّ مَنْ كَانَ عَلَى دِينِ عَلِيٍّ عليه السلام وَرَأْيِهِ، فَقَتَلْتَهُمْ وَمَثَلَ بِهِمْ
بِأَمْرِكَ!؟ وَدِينِ عَلِيٍّ وَاللَّهِ وَابْنِ عَلِيٍّ الَّذِي كَانَ يَضْرِبُ عَلَيْهِ أَبَاكَ، وَهُوَ أَجْلَسَكَ
بِمَجْلِسِكَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَكَانَ أَفْضَلَ شَرَفِكَ وَشَرَفِ أَبِيكَ تَحْشُمُ
الرَّحْلَتَيْنِ اللَّتَيْنِ بَنَا مِنَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ فَوَضَعَهَا عَنْكُمْ.

وَقُلْتَ فِيهَا تَقُولُ: انظُرْ نَفْسَكَ وَلِدِينِكَ وَلَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، وَأَتَى شَقَّ عَصَا هَذِهِ الْأُمَّةِ
وَأَنْ تَرُدَّهُمْ فِي فِتْنَتِهِ، فَلَا أَعْرِفُ فِتْنَةً أَعْظَمَ مِنْ وَلَايَتِكَ عَلَيْهَا، وَلَا أَعْلَمُ نَظْرًا لِنَفْسِي
وَوُلْدِي وَأُمَّةٍ جَدِّي أَفْضَلَ مِنْ جِهَادِكَ، فَإِنْ فَعَلْتَهُ فَهُوَ قُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ عز وجل، وَإِنْ تَرَكْتَهُ
فَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِذَنْبِي وَأَسْأَلُهُ تَوْفِيقِي لِإِرْشَادِ أُمُورِي.

وَقُلْتَ فِيهَا تَقُولُ: إِنْ أَنْكَرَكَ تُنْكِرْنِي، وَإِنْ أَكَيْدَكَ تَكِيدُنِي، وَهَلْ رَأَيْكَ إِلَّا كَيْدَ
الصَّالِحِينَ مُنْذُ خُلِقْتَ!؟ فَكَيْدِي مَا بَدَا لَكَ إِنْ شِئْتَ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ لَا يَضُرَّنِي كَيْدُكَ، وَأَنْ
لَا يَكُونَ عَلَى أَحَدٍ أَضَرٌّ مِنْهُ عَلَى نَفْسِكَ، عَلَى أَنَّكَ تَكِيدُ فَتَوْقِظُ عَدُوَّكَ، وَتُؤَبِّقُ نَفْسَكَ،
كَفَعْلِكَ بِهِؤُلَاءِ الَّذِينَ قَتَلْتَهُمْ وَمَثَلْتَ بِهِمْ بَعْدَ الصُّلْحِ وَالْأَيْمَانِ وَالْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ، فَقَتَلْتَهُمْ
مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا قُتِلُوا إِلَّا لِذِكْرِهِمْ فَضْلَنَا، وَتَعْظِيمِهِمْ حَقًّا بِمَا بِهِ شَرَّفْتُ وَعَرَفْتُ،
مَخَافَةَ أَمْرِ لَعَلَّكَ لَوْ لَمْ تَقْتُلْتَهُمْ مِتَّ قَبْلَ أَنْ يَفْعَلُوا، أَوْ مَاتُوا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكُوا.

أَبَشِرْ يَا مُعَاوِيَةَ بِقِصَاصِي، وَاسْتَعِدَّ لِلْحِسَابِ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ جَزِيلٌ كِتَابًا لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا، وَلَيْسَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِنَاسٍ أَخَذَكَ بِالظَّنِّ، وَقَتْلَكَ أَوْلِيَاءَهُ بِالتَّهْمَةِ، وَنَفِيكَ إِيَّاهُمْ مِنْ دَارِ الْهَجْرَةِ إِلَى الْعُرْبَةِ وَالْوَحْشَةِ، وَأَخَذَكَ النَّاسَ بِبَيْعَةِ ابْنِكَ غُلَامٍ مِنَ الْعِلْمَانِ، يَشْرَبُ الشَّرَابَ، وَيَلْعَبُ بِالْكَعَابِ، لَا أَعْلَمُكَ إِلَّا قَدْ خَسِرْتَ نَفْسَكَ وَشَرَيْتَ دِينَكَ وَغَشَشْتَ رَعِيَّتَكَ وَأَخْرَيْتَ أَمَانَتَكَ وَسَمِعْتَ مَقَالَ السَّفِيهِ الْجَاهِلِ وَأَخَفْتَ التَّقِيَّ الْوَرَعَ الْحَلِيمَ»^(١).

فتدلنا جملة «كَأَنَّكَ لَسْتَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَلَيْسُوا مِنْكَ» ضمناً أنّ الحكام الظلمة خارجون عن ربة الأمة الإسلامية.

يقول تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحَافِظِ بَطْلًا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ الْعِمْ»^(٢).

(١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج، ج ٢، ٢٩٧-٢٩٨.

(٢) سورة الحج، آية ٢٥.

ط) أسباب ضياع الإسلام

لم تخلو أحاديث سيّد الشهداء عليه السلام عن التطرّق إلى العوامل والأسباب التي أدّت إلى خراب الإسلام وضياعه، مثل:

١. انحراف الناس وانشغالهم بالدنيا

قال جعيد همدان:

«أَتَيْتُ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعَلَى صَدْرِهِ سُكَيْنَةُ بِنْتُ حُسَيْنٍ، فَقَالَ: يَا أُخْتِ كَلْبٍ، خُذِي ابْنَتِكَ عَنِّي، فَسَاءَ لَنِي فَقَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ شَبَابِ الْعَرَبِ أَوْ عَنْ الْعَرَبِ، قَالَ: قُلْتُ: أَصْحَابُ جَلَاهِقَاتٍ وَمَجَالِسٍ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْمَوَالِي، قَالَ: قُلْتُ: آكِلُ رِبَا أَوْ حَرِيصٌ عَلَى الدُّنْيَا، قَالَ: فَقَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَاللَّهِ إِنَّمَا لِلصَّنْفَانِ اللَّذَانِ كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَنْتَصِرُ بِهِمَا لِدِينِهِ»^(١).

إنَّ «استرجاع» الإمام الحسين عليه السلام بعد جواب جعيد يبيّن أنّ دمار الإسلام وضياعه رهن انحراف الناس وطلبهم الشديد للدنيا وتكالبهم عليها؛ إذ إنّ الحياة بهذا النحو يفرغها من محتواها وتغدو بلا معنى، وهذا ما يبعث على انزعاج أولياء الله وتضجرهم، وإن كانت العبارة أعلاه قد صدرت من السائل نفسه.

وأيضاً روي عن الإمام الحسين عليه السلام قوله:

«إِنَّ النَّاسَ عَبِيدُ الدُّنْيَا، وَالدِّينُ لِعُقِّ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ»^(٢).

(١) ابن سعد، محمّد بن سعد، الطبقات الكبرى: الطبقة الخامسة من الصحابة، ج ١، ص ٤٠٤ -

٤٠٥، حديث ٣٧٨.

(٢) ابن شعبة، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليهم)، ص ٢٤٥.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«ثُمَّ أَرْسَلْتُ دَاعِيًا يَدْعُو إِلَيْهَا، فَلَا الدَّاعِيَ أَجَابُوا، وَلَا فِيهَا رَغَبَتْ رَغْبُوا، وَلَا إِلَى مَا شَوَّقَتْ إِلَيْهِ اشْتَأَفُوا، أَقْبَلُوا عَلَى جِيْفَةٍ قَدِ افْتَضَّحُوا بِأَكْلِهَا، وَاصْطَلَّحُوا عَلَى حُبِّهَا، وَمَنْ عَشِقَ شَيْئًا أَعْشَى بَصْرَهُ، وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ، فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَاحِحَةٍ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ، قَدْ حَرَقَتْ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ، وَأَمَاتَتِ الدُّنْيَا قَلْبَهُ، وَوَهَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ، فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا، وَلَنْ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا، حَيْثُمَا زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا، وَحَيْثُمَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا، لَا يَنْزَجِرُ مِنَ اللَّهِ بِزَاجِرٍ، وَلَا يَتَعِظُ مِنْهُ بِوَاعِظٍ، وَهُوَ يَرَى المَأْخُودِينَ عَلَى العِرَّةِ، حَيْثُ لَا إِقَالَةَ [لَهُمْ] وَلَا رَجْعَةَ، كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ، وَجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمَنُونَ، وَقَدِمُوا مِنَ الآخِرَةِ عَلَى مَا كَانُوا يُوعَدُونَ»^(١).

٢. ظلم رعاة الأمة وولاتها وفسقتهم

ذكر السيّد ابن طاووس في (اللهوف):

«قَالَ: وَأَصْبَحَ الحَسِينُ عليه السلام فَخَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ يَسْتَمِعُ الأَخْبَارَ، فَلَقِيَهُ مَرْوَانُ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، إِنِّي لَكَ نَاصِحٌ فَأَطِيعْنِي تُرْشِدْ، فَقَالَ الحَسِينُ عليه السلام: وَمَا ذَاكَ قُلْ حَتَّى أَسْمَعَ، فَقَالَ مَرْوَانُ: إِنِّي أَمْرُكَ بِبَيْعَةِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ فَإِنَّهُ خَيْرٌ لَكَ فِي دِينِكَ وَدُنْيَاكَ، فَقَالَ الحَسِينُ عليه السلام: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَعَلَى الإِسْلَامِ السَّلَامُ إِذْ قَدْ بُلِيَتْ الأُمَّةُ بِرَاعٍ مِثْلِ يَزِيدَ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ جَدِّي رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ: الخَلَاقَةُ مُحَرَّمَةٌ عَلَى آلِ أَبِي سُفْيَانَ. وَطَالَ الحَدِيثُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَرْوَانَ حَتَّى انْصَرَفَ مَرْوَانُ وَهُوَ غَضَبَانٌ»^(٢).

حيث يفضي التدبر بالمدلول التضميني لعبارة «وَعَلَى الإِسْلَامِ السَّلَامُ إِذْ قَدْ بُلِيَتْ الأُمَّةُ بِرَاعٍ مِثْلِ يَزِيدَ» إلى أنّ تولي الحكّام والولاية الظلمة الفساق على مقدرات

(١) نهج البلاغة، خطبه ١٠٩.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف، ص ١٨.

الأمة الإسلامية سيستلب منها الإسلام، وسيبعث على ضياعه ودماره.

وقال تعالى:

﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾^(١).

فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام:

«لَوْ لَا أَنَّ بَنِي أُمِّيَّةٍ وَجَدُوا مَن يَكْتُبُ لَهُمْ وَيَجِيبِي لَهُمُ الْفِيءَ وَيُقَاتِلُ عَنْهُمْ وَيَشْهَدُ بِجَمَاعَتِهِمْ لَمَا سَلَبُونَا حَقَّنَا»^(٢).

(١) سورة هود، آية ١١٣.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٥، ص ١٠٦، حديث ٤.

(ي) من حقوق المسلمين

يظهر من التدبر في أحاديث سيّد الشهداء عليه السلام أنّ للمسلمين حقوقاً، من قبيل:

١- عدم المراء مع المسلم

قال الإمام الحسين عليه السلام:

«مِنْ دَلَائِلِ عِلْمَاتِ الْقُبُولِ الْجُلُوسُ إِلَى أَهْلِ الْعُقُولِ، وَمِنْ عِلْمَاتِ أَسْبَابِ الْجَهْلِ الْمَارَاةُ لِعَيْرِ أَهْلِ الْكُفْرِ، وَمِنْ دَلَائِلِ الْعَالَمِ انْتِقَادُهُ لِحَدِيثِهِ وَعِلْمُهُ بِحَقَائِقِ فُنُونِ النَّظْرِ»^(١).

حيث يدلنا مضمون هذا الحديث على مدى قبح المراء والمنازعة مع غير أهل الكفر، بيد أنّ المجادلة مع الكفار إمّا جائزة أو حسنة.

وقريب منه قول الإمام علي عليه السلام:

«انْطَلِقْ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا تُرَوِّعَنَّ مُسْلِمًا، وَلَا تَجْتَازَنَّ عَلَيْهِ كَارِهًا، وَلَا تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِي مَالِهِ»^(٢).

٢- عدم التبزّي من المسلم

نقل النعماني بسنده عن عميرة بنت نفيل قالت:

«سَمِعْتُ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ عليه السلام يَقُولُ: لَا يَكُونُ الْأَمْرُ الَّذِي تَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَبْرَأَ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَيَنْتَقِلَ بَعْضُكُمْ فِي وُجُوهِ بَعْضٍ، وَيَشْهَدَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالْكَفْرِ، وَيَلْعَنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا.»

(١) ابن شعبة، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليهم)، ص ٢٤٧-٢٤٨.

(٢) نهج البلاغة، رسالة ٢٥.

فَقُلْتُ لَهُ: مَا فِي ذَلِكَ الزَّمانِ مِنْ خَيْرٍ.

فَقَالَ الْحُسَيْنُ عليه السلام: الْخَيْرُ كُلُّهُ فِي ذَلِكَ الزَّمانِ، يَقُومُ قَائِمُنَا وَيُدْفَعُ ذَلِكَ كُلُّهُ»^(١).

من ينظر بتأمل في مضمون هذا الحديث يتبين له ضرورة تحمّل المسلمين بعضهم بعضاً وتجنبهم تبرّي بعضهم عن بعض.

فقد قال الامام علي عليه السلام:

«الْفَرَائِضُ الْفَرَائِضُ أَذْوَاهَا إِلَى اللَّهِ تُؤَدِّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ، إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ حَرَاماً غَيْرَ مَجْهُولٍ، وَأَحَلَّ حَلالاً غَيْرَ مَدْخُولٍ، وَفَضَّلَ حُرْمَةَ الْمُسْلِمِ عَلَى الْحَرَمِ كُلِّهَا، وَشَدَّ بِالْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ حُقُوقَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعَاقِدِهَا، فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا يَحِلُّ أَدَى الْمُسْلِمِ إِلَّا بِمَا يَجِبُ»^(٢).

(١) النعماني، محمد بن إبراهيم، الغيبة، ص ٢٠٥-٢٠٦، حديث ٩.

(٢) نهج البلاغة، خطبة ١٦٧.

ك) أمير المؤمنين عليه السلام من الشخصيات المؤثرة في ظهور الإسلام

ذكر القندوزي:

«ثُمَّ دَنَا مِنَ الْقَوْمِ وَقَالَ: يَا وَيْلَكُمْ، أَنْتُمْ لُونِي عَلَى سُنَّةِ بَدَلْتُمَهَا؟ أَمْ عَلَى شَرِيعَةٍ غَيْرَتُمَا؟ أَمْ عَلَى جُرْمٍ فَعَلْتُهُ؟ أَمْ عَلَى حَقٍّ تَرَكَتُهُ؟
فَقَالُوا لَهُ: إِنَّا نَقْتُلُكَ بُغْضًا لِأَبِيكَ. فَلَمَّا سَمِعَ كَلَامَهُمْ حَمَلَ عَلَيْهِمْ فَكَتَلَ مِنْهُمْ فِي حَمَلَتِهِ مِائَةَ فَارِسٍ، وَرَجَعَ إِلَى حَيْمَتِهِ، وَأَنْشَأَ عِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ: ...

عُرْوَةُ السِّدِّينِ عَلِيُّ الْمُرْتَضَى صَاحِبُ الْخَوْضِ مُعِزُّ الْحَرَمَيْنِ
وَهُوَ الَّذِي صَدَّقَ فِي خَاتَمِهِ حِينَ سَاوَى ظَهْرَهُ لِلرَّكْعَتَيْنِ
وَالِدِي الطَّاهِرِ وَالطُّهْرِ الَّذِي رُذَّتِ الشَّمْسُ عَلَيْهِ كَرَّتَيْنِ
قَتَلَ الْأَبْطَالَ لَمَّا بَرَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ ثُمَّ أَحَدٍ وَحَنَيْنِ
أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ رَغْمًا لِلْعَدَى بِحُسَامِ قَاطِعِ ذِي شَفْرَتَيْنِ»^(١).

حيث يصرِّح في البيت الأخير بدور أمير المؤمنين عليه السلام في ظهور الإسلام وانتشاره.

نقل عن الإمام علي عليه السلام أنه قال في خطبة:

«قَدْ رَكَزْتُ فِيكُمْ رَايَةَ الْإِيمَانِ، وَوَقَفْتُكُمْ عَلَى حُدُودِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ»^(٢).

وقال الكاتب والشاعر المسيحي اللبناني جورج جرداق:

«ويتقصى الباحث الفرنسي (البارون كارًا ديفو) الأسباب والعلل في حوادث

(١) القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة لذوي القربى، ج ٣، ص ٨٠.

(٢) نهج البلاغة، خطبة ٨٧.

الإسلام، فيستجلي حقائق كثيرة بأسلوب متماسك جذاب، ويتحدث عن بطولة علي في حروب المسلمين وقريش حديثاً تملأه عاطفة الإعجاب وتحببه الحماسة، يقول البارون كارا ديفو:

وحارب علي بطلاً مغواراً إلى جانب النبي، وقام بمآثر معجزات، ففي موقعة بدر كان علي، وهو في العشرين من عمره، يشطر الفارس القرشي شطرين اثنين بضربة واحدة من سيفه، وفي أحد تسلح بسيف النبي ذي الفقار، فكان يشق المغافر بضربات سيفه ويحرق الدروع، وفي الهجوم على حصون اليهود في خيبر، قلقل علي باباً ضخماً من حديد، ثم رفعه فوق رأسه متخذاً منه ترساً مجناً. أما النبي فكان يحبه ويثق به ثقة عظيمة، وقد قال ذات يوم وهو يشير إلى علي: (من كنت مولاه فعلي مولاه)»^(١).

(١) جرداق، جورج، الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، ص ٨٠٦.

ل) حكم المسلم

يقودنا التأمل في الآيات الكريمة والروايات الشريفة ومنها أحاديث الإمام الحسين عليه السلام إلى القول بأن المسلم محفوظ حقه محقون دمه مصان عرضه وماله، وليس لأي أحد التعرض له.

ذكر اليعقوبي:

«وَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، عَلِمْتَ أَنَّا قَتَلْنَا شِيعَةَ أَبِيكَ، فَحَنَطْنَاهُمْ وَكَفَّنَّاهُمْ وَصَلَّيْنَا عَلَيْهِمْ وَدَفَنَّاهُمْ؟

فَقَالَ الْحَسَنُ: حَجْرُكَ [حَجَجْتُكَ] وَرَبُّ الْكَعْبَةِ، لَكِنَّا وَاللَّهِ إِن قَتَلْنَا شِيعَتَكَ مَا كَفَّنَاهُمْ وَلَا حَنَطْنَاهُمْ وَلَا صَلَّيْنَا عَلَيْهِمْ وَلَا دَفَنَّاهُمْ»^(١).

في بعض النسخ ورد بدل كلمة «حَجْرُكَ» كلمة «حَجَجْتُكَ»، وبناء على هذه النسخة نستنتج ضمناً من تهديد الإمام عليه السلام لمعاوية على قتله المسلمين أن هذا الفعل لا يجوز دون مبرر، ويجب على الجميع حفظ أرواح المسلمين وأموالهم وأعراضهم. إن التوسل بالعنف والأعمال الإرهابية ضد الناس، أفراداً كانوا أم جماعات أم أحزاباً من أجل تحقيق مكتسبات سياسية، بل والتعدي بصورة مباشرة على أرواح الأبرياء وأموالهم وأعراضهم ومنه التعدي على النساء والأطفال يعدّ عملاً مشيناً ومستقبحاً من قبل الضمير الإنساني ومصداقاً واضحاً من مصاديق الإرهاب لأيّ هدف كان، فالإسلام لا يبيح قتل الأبرياء ولا ملاحقة الفارين ولا قتل الأسرى ولا النساء والأطفال ولا تخريب الغابات وقطع الأشجار ولا تلويث المياه ولا

(١) اليعقوبي، أحمد بن إسحاق، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٣١.

التعرض للأعراض حتى في حالة الدفاع المشروع، والآيات القرآنية والكتب الحديثية والتاريخية تصرّح بعدم جواز مثل تلك الأعمال حتى عند الدفاع الجائر، ونشير هنا إلى نماذج من الآيات القرآنية وروايات الفريقين والتاريخ:

أولاً: الآيات القرآنية

لقد منع سبحانه في كثير من الآيات عن تكفير وقتل الأخ المؤمن والمسلم الذي نطق بالشهادتين:

١- يقول تعالى:

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾^(١).

٢- ويقول أيضاً:

﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(٢).

٣- ويقول كذلك:

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾^(٣) وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيه نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾^(٤).

(١) سورة النساء، آية ٩٣.

(٢) سورة المائدة، آية ٣٢.

(٣) سورة النساء، آية ٢٩-٣٠.

ثانياً: روايات العامة

١- عن أحمد بن حنبل بسنده:

«قَالَ رَجُلٌ لِلرُّبِيِّ: أَلَا أَفْتُلُ لَكَ عَلِيًّا؟ قَالَ: كَيْفَ تَقْتُلُهُ؟ قَالَ: أَفْتِكُ بِهِ، قَالَ: لَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (الْإِيْبَانُ قَيْدَ الْفِتْكَ، لَا يَفْتِكُ مُؤْمِنٌ)»^(١).

٢- قال عبد الله بن عدي الأنصاري:

«إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بَيْنَنَا هُوَ جَالِسٌ بَيْنَ ظَهْرَانِي النَّاسِ جَاءَ رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُهُ أَنْ يُسَارَهُ، فَأَذِنَ لَهُ فَسَارَهُ فِي قَتْلِ رَجُلٍ مِنَ الْمَنَافِقِينَ يَسْتَأْذِنُهُ فِيهِ، فَجَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِكَلَامِهِ، فَقَالَ: أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَا شَهَادَةَ لَهُ، قَالَ: أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَا شَهَادَةَ لَهُ، قَالَ: أَلَيْسَ يُصَلِّي؟ قَالَ: بَلَى، وَلَا صَلَاةَ لَهُ، قَالَ: أَوْلَيْكَ الَّذِينَ نُهَيْتُ عَنْ قَتْلِهِمْ»^(٢).

٣- روى أبو موسى الأشعري عن النبي ﷺ أنه قال:

«إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ الْهَرَجِ، قِيلَ: وَمَا الْهَرَجُ؟ قَالَ: الْكُذْبُ وَالْقَتْلُ، قَالُوا: أَكْثَرَ مِمَّا نَقْتُلُ الْآنَ، قَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ بِقَتْلِكُمُ الْكُفَّارَ، وَلَكِنَّهُ قَتْلُ بَعْضِكُمْ بَعْضًا حَتَّى يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَهُ، وَيَقْتُلَ أَخَاهُ، وَيَقْتُلَ عَمَّهُ، وَيَقْتُلَ ابْنَ عَمِّهِ، قَالُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ وَمَعَنَا عُقُولُنَا؟ قَالَ: لَا، إِلَّا أَنَّهُ يَنْزِعُ عُقُولَ أَهْلِ ذَاكُمُ الزَّمَانِ حَتَّى يَحْسَبَ أَحَدُكُمْ أَنَّهُ عَلَى شَيْءٍ وَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ»^(٣).

(١) ابن حنبل، أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٣، ص ٤٥، حديث ١٤٣٣.

(٢) البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، ج ٣، ص ٥١٢، حديث ٦٥٠٢.

(٣) ابن حنبل، أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٣٢، ص ٤٠٨-٤٠٩، حديث

٤- نقل أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ، أَفْلَحَ مَنْ كَفَّ يَدَهُ»^(١).

وكتب المناوي في شرحه جملة «أَفْلَحَ مَنْ كَفَّ يَدَهُ»:

«(أفْلَحَ مَنْ كَفَّ يَدَهُ) عن القتال ولسانه عن الكلام في الفتن لكثرة الخطر»^(٢).

٥- نقل عن النبي ﷺ قوله:

«أَلَا إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَإِنِّي مُكَاتِرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ، فَلَا تَقْتَتِلَنَّ بَعْدِي»^(٣).

٦- عن عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال:

«أَجِيبُوا الدَّاعِيَ، وَلَا تَرُدُّوا الْهَدْيَةَ، وَلَا تَضْرِبُوا الْمُسْلِمِينَ»^(٤).

٧- نقل عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«أَوَّلُ مَا يُحَاسِبُ بِهِ الْعَبْدُ الصَّلَاةَ، وَأَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدَّمَاءِ»^(٥).

٨- نقل عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

«أَتَدْرُونَ مَا الْمَفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمَفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: إِنَّ الْمَفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَدَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطَرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»^(٦).

(١) أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، ج ٤، ص ٩٧، حديث ٤٢٤٩.

(٢) المناوي، محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج ٦، ص ٣٦٧، حديث ٩٦٤٧.

(٣) ابن حنبل، أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٣١، ص ٤١٩، حديث ١٩٠٦٩.

(٤) المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٨٩، حديث ٣٨٣٨.

(٥) النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي، ج ٧، ص ٨٣، حديث ٣٩٩١.

(٦) القشيري النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٩٩٧، حديث ٢٥٨١.

٩- وهكذا روي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:

«لَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ... وَلَا يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ حِينَ يَقْتُلُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، فَإِيَّاكُمْ، إِيَّاكُمْ»^(١).

١٠- نقل أبو أيوب الأنصاري عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«مَنْ جَاءَ يَعْبُدُ اللَّهَ، وَلَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَيُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَيَجْتَنِبُ الْكِبَائِرَ كَانَ لَهُ الْجَنَّةُ. فَسَأَلُوهُ عَنِ الْكِبَائِرِ، فَقَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الْمُسْلِمَةِ، وَالْفِرَارُ يَوْمَ الرَّحْفِ»^(٢).

١١- نقل البراء بن عازب عن النبي ﷺ قوله:

«لَزَوَالِ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِغَيْرِ حَقٍّ»^(٣).

١٢- روى أبو هريرة قول النبي ﷺ:

«لَوْ اجْتَمَعَ أَهْلُ السَّمَاءِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ عَلَى قَتْلِ رَجُلٍ مُؤْمِنٍ لَكَبَّهُمُ اللَّهُ فِي النَّارِ»^(٤).

١٣- روي عن أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال:

«مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ، فَلَا تُخْفَرُوا اللَّهَ فِي عَهْدِهِ، فَمَنْ قَتَلَهُ طَلَبَهُ اللَّهُ حَتَّى

يَكْبَهُ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ»^(٥).

١٤- أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال:

-
- (١) ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، صحيح ابن حبان، ج ١٣، ص ٣١٨، حديث ٥٩٧٩.
 (٢) النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي، ج ٧، ص ٨٨، حديث ٤٠٠٩.
 (٣) ابن ماجة، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، ج ٢، ص ٨٧٤، حديث ٢٦١٩.
 (٤) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، ج ٩، ص ٩٩، حديث ٩٢٤٢.
 (٥) ابن ماجة، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، ج ٢، ص ١٣٠١، حديث ٣٩٤٥.

«لَا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ إِلَى أَخِيهِ بِالسَّلَاحِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَحَدُكُمْ لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ»^(١).

١٥- نقل عن ابن عباس:

«أَنَّ رَجُلًا أَتَاهُ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا قَتَلَ رَجُلًا مُتَعَمِّدًا؟ قَالَ: ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَلِيدًا فِيهَا وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ، وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾^(٢)، قَالَ: لَقَدْ أَنْزَلْتَ فِي آخِرِ مَا نَزَلَ، مَا نَسَخَهَا شَيْءٌ حَتَّى قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وَمَا نَزَلَ وَحْيِي بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ تَابَ وَأَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا، ثُمَّ اهْتَدَى؟ قَالَ: وَآتَى لَهُ بِالتَّوْبَةِ، وَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (ثَكَلَتْهُ أُمُّهُ، رَجُلٌ قَتَلَ رَجُلًا مُتَعَمِّدًا، يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ آخِذًا قَاتِلَهُ بِيَمِينِهِ أَوْ بِيَسَارِهِ، وَآخِذًا رَأْسَهُ بِيَمِينِهِ أَوْ بِشِمَالِهِ، تَشْحَبُ أَوْ دَاجُهُ دَمًا فِي قُبُلِ الْعَرْشِ، يَقُولُ: يَا رَبِّ، سَلْ عَبْدَكَ فِيمَ قَتَلْتَنِي؟)»^(٣).

١٦- روى أبو بكرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«إِذَا التَّمَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بِالْمَقْتُولِ؟ قَالَ: إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ»^(٤).

١٧- أبو مالك عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، حُرِّمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى

الله»^(٥).

(١) القشيري النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢٠٢٠، حديث ٢٦١٧.

(٢) سورة النساء، آية ٩٣.

(٣) ابن حنبل، أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٤، ص ٤٤، حديث ٢١٤٢.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج ١، ص ١٥، حديث ٣١.

(٥) القشيري النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ج ١، ص ٥٣، حديث ٢٣.

١٨- يقول أوس بن أبي أوس الثقفي:

«أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فِي وَفْدِ ثَقِيفٍ، فَكُنَّا فِي قُبَّةٍ، فَقَامَ مِنْ كَانَ فِيهَا غَيْرِي وَغَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَجَاءَ رَجُلٌ فَسَارَهُ، فَقَالَ: اذْهَبْ فَاقْتُلْهُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنَّهُ يَقُولُهَا تَعَوُّذًا، فَقَالَ: رُدَّهُ، ثُمَّ قَالَ: أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا حُرِّمَتْ عَلَيَّ دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا»^(١).

١٩- عن المقداد بن عمرو الكندي أنه قال لرسول الله ﷺ:

«أَرَأَيْتَ إِنْ لَقِيتُ رَجُلًا مِنَ الْكُفَّارِ فَاقْتَتَلْنَا، فَضَرَبَ إِحْدَى يَدَيَّ بِالسَّيْفِ فَقَطَعَهَا، ثُمَّ لَادَ مِنِّي بِشَجَرَةٍ، فَقَالَ: أَسَلَّمْتُ لَكَ، أَقَاتِلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ قَالَهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): لَا تَقْتُلْهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ قَطَعَ إِحْدَى يَدَيَّ، ثُمَّ قَالَ ذَلِكَ بَعْدَ مَا قَطَعَهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): لَا تَقْتُلْهُ، فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ، وَإِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتِي قَالَ»^(٢).

٢٠- نقل البخاري بسنده عن عبد الله بن عمر عن الرسول ﷺ قوله:

«إِنَّ مِنْ وَرَطَاتِ الْأُمُورِ الَّتِي لَا تَخْرُجُ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا، سَفَكَ الدَّمَ الْحَرَامِ بِغَيْرِ حِلِّهِ»^(٣).

٢١- نقل عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«لَزَوَالِ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ»^(٤).

٢٢- روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال:

(١) ابن حنبل، أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٢٦، ص ٨١، حديث ١٦١٦٠.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج ٥، ص ٨٥، حديث ٤٠١٩.

(٣) المصدر السابق، ج ٩، ص ٢، حديث ٦٨٦٣.

(٤) النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي، ج ٧، ص ٨٢، حديث ٣٩٨٧.

«مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ مُسْلِمٍ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَكْتُوبٌ عَلَى جَبْهَتِهِ
أَيْسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ»^(١).

٢٣- يقول أبو الدرداء: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

«كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَهُ إِلَّا مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا، أَوْ مُؤْمِنٌ قَتَلَ مُؤْمِنًا
مُتَعَمِّدًا»^(٢).

وقد أسهبنا هنا بذكر الروايات عن طريق العامة على خلاف ما اتبعناه من منهجنا بالاكْتفاء بالقليل من الآيات والروايات المؤيدة إظهاراً بما عليه التكفيريون من الخطأ والضلال في حكمهم بتكفير المسلمين وجواز قتلهم.

ثالثاً: روايات الخاصة

١- نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ يُلْقَى السَّمُّ فِي بِلَادِ الْمُشْرِكِينَ»^(٣).

٢- وروي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا أَرَادَ أَنْ يَبْعَثَ سَرِيَّةً دَعَاهُمْ فَأَجْلَسَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ:
سِيرُوا بِسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، لَا تَغْلُوا وَلَا تُمْتَلُوا وَلَا تَعْدِرُوا
وَلَا تَقْتُلُوا شَيْخًا قَانِيًا وَلَا صَبِيًّا وَلَا امْرَأَةً وَلَا تَقْطَعُوا شَجَرًا إِلَّا أَنْ تُضْطَرُّوا إِلَيْهَا»^(٤).

٣- نقل عن أبي الصباح الكناني قال:

«قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ: إِنَّ لَنَا جَارًا مِنْ هَمْدَانَ يُقَالُ لَهُ: الْجَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يَسُبُّ أَمِيرَ

(١) البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، ج ٨، ص ٤١، حديث ١٥٨٦٥.

(٢) أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، ج ٤، ص ١٠٣، حديث ٤٢٧٠.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٥، ص ٢٨، حديث ٢.

(٤) المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٧، حديث ١.

المؤمنين عليه السلام أفتأذن لي أن أقتله؟ قال: إن الإسلام قيد الفتك، ولكن دعه فستكفي بغيرك...»^(١).

٤- قال أبو العباس:

«قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما للرجل يعاقب به مملوكه؟ فقال: على قدر ذنبه، قال: فقلت: فقد عاقبت حريزاً بأعظم من جرمه، فقال: ونلك هو مملوك لي وإن حريزاً شهراً السيف وليس مني من شهر السيف»^(٢).

وقد ذكر الكشي هذه الرواية بصورة أخرى في ترجمة حذيفة بن منصور بسنده

عن عبد الرحمن بن الحجاج قال:

«سأل أبو العباس فضل البقباق لحريز الإذن على أبي عبد الله عليه السلام فلم يأذن له، فعاوده فلم يأذن له، فقال: أي شيء للرجل أن يبلغ من عقوبة غلامه؟ قال: قال: على قدر ذنوبه، فقال: قد عاقبت والله حريزاً بأعظم مما صنع، قال: ويحك إني فعلت ذلك أن حريزاً جرّد السيف»^(٣).

وقال النجاشي في ترجمة حريز بن عبد الله السجستاني:

«من أهل الكوفة، أكثر السفر والتجارة إلى سجستان فعرف بها ... وكان ممن شهر السيف في قتال الخوارج بسجستان في حياة أبي عبد الله عليه السلام، وروي أنه جفاه وحببه عنه»^(٤).

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب عليه السلام، ج ٤، ص ٢٣٩.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٧، ص ٣٧٠، حديث ٣.

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي، ص ٣٣٦، حديث

٦١٥.

(٤) النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي، ص ١٤٤-١٤٥.

م) الفرق بين المؤمن والمسلم

قال الشيخ المفيد:

«وَتَلَقَّتِ الرُّسُلُ كُلُّهَا عِنْدَهُ، فَقَرَأَ الْكُتُبَ، وَسَأَلَ الرُّسُلَ عَنِ النَّاسِ، ثُمَّ كَتَبَ مَعَ

هَانِيئِ بْنِ هَانِيئٍ وَسَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَكَانَا آخِرَ الرُّسُلِ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ إِلَى الْمَلَأِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ.
أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ هَانِيئًا وَسَعِيدًا قَدِمَا عَلَيَّ بِكُتُبِكُمْ، وَكَانَا آخِرَ مَنْ قَدِمَ عَلَيَّ مِنْ رُسُلِكُمْ،
وَقَدْ فَهِمْتُ كُلَّ الَّذِي افْتَصَّصْتُمْ وَذَكَرْتُمْ، وَمَقَالَةُ جُلُكُمُ: أَنَّهُ لَيْسَ عَلَيْنَا إِمَامٌ فَأَقْبِلْ
لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْمَعَنَا بِكَ عَلَى الْهَدَى وَالْحَقِّ. وَإِنِّي بَاعِثٌ إِلَيْكُمْ أَخِي وَابْنَ عَمِّي وَثِقَتِي مِنْ
أَهْلِ بَيْتِي، فَإِنْ كَتَبَ إِلَيَّ أَنَّهُ قَدِ اجْتَمَعَ رَأْيُ مَلَيْكِكُمْ وَذَوِي الْحِجَا وَالْفَضْلِ مِنْكُمْ عَلَى
مِثْلِ مَا قَدِمْتَ بِهِ رُسُلَكُمْ وَقَرَأْتُ فِي كُتُبِكُمْ، أَقْدَمُ عَلَيْكُمْ وَشَيْكَاً إِنْ شَاءَ اللَّهُ. فَلَعَمْرِي
مَا الْإِمَامُ إِلَّا الْحَاكِمُ بِالْكِتَابِ، الْقَائِمُ بِالْقِسْطِ، الدَّائِنُ بِدِينِ الْحَقِّ، الْحَابِسُ نَفْسَهُ عَلَى
ذَاتِ اللَّهِ، وَالسَّلَامُ»^(١).

فمن خلال استفتاح الرسالة بـ«المؤمنين والمسلمين» يتبين لنا أن هناك فرقاً بين

المؤمن والمسلم، والإيمان والإسلام.

يقول عزت الآؤه:

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي

قُلُوبِكُمْ﴾^(٢).

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ج ٢، ص ٣٨-٣٩.

(٢) سورة الحجرات، آية ١٤.

وقال سماعه:

«قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ أَهْمَا مُحْتَلِفَانِ؟ فَقَالَ: إِنَّ الْإِيمَانَ يُشَارِكُ الْإِسْلَامَ وَالْإِسْلَامَ لَا يُشَارِكُ الْإِيمَانَ، فَقُلْتُ: فَصِفْهُمَا لِي، فَقَالَ: الْإِسْلَامُ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَالتَّصَدِيقُ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، بِهِ حُقِنَتِ الدَّمَاءُ وَعَلَيْهِ جَرَتِ الْمَنَاحِكُ وَالْمَوَارِيثُ وَعَلَى ظَاهِرِهِ جَمَاعَةُ النَّاسِ، وَالْإِيمَانُ الْهَدَى وَمَا يَتَّبَعُ فِي الْقُلُوبِ مِنْ صِفَةِ الْإِسْلَامِ وَمَا ظَهَرَ مِنَ الْعَمَلِ بِهِ، وَالْإِيمَانُ أَرْفَعُ مِنَ الْإِسْلَامِ بِدَرَجَةٍ، إِنَّ الْإِيمَانَ يُشَارِكُ الْإِسْلَامَ فِي الظَّاهِرِ وَالْإِسْلَامَ لَا يُشَارِكُ الْإِيمَانَ فِي الْبَاطِنِ وَإِنْ اجْتَمَعَا فِي الْقَوْلِ وَالصِّفَةِ»^(١).

وأيضاً قال الإمام الصادق عليه السلام:

«إِنَّ الْإِيمَانَ يُشَارِكُ الْإِسْلَامَ وَلَا يُشَارِكُهُ الْإِسْلَامُ، إِنَّ الْإِيمَانَ مَا وَقَرَ فِي الْقُلُوبِ وَالْإِسْلَامَ مَا عَلَيْهِ الْمَنَاحِكُ وَالْمَوَارِيثُ وَحَقْنُ الدَّمَاءِ، وَالْإِيمَانُ يَشْرِكُ الْإِسْلَامَ وَالْإِسْلَامُ لَا يَشْرِكُ الْإِيمَانَ»^(٢).

وتوضيحاً لحقيقة الإسلام قال الشهيد الثاني:

«قيل: هو والإيمان واحد، وقيل: بتغايرهما، والظاهر أنهم أرادوا الوحدة بحسب الصدق لا في المفهوم.

ويظهر من كلام جماعة من الأصوليين أنهم متحدان بحسب المفهوم أيضاً حيث قالوا: إنَّ الإسلام هو الانقياد والخضوع لألوهية الباري تعالى، والإذعان بأوامره ونواهيه، وذلك حقيقة التصديق الذي هو الإيمان على ما تقدّم.

وأما القائلون بالتغاير صدقاً ومفهوماً، فإنهم أرادوا أنَّ الإسلام أعم من الإيمان مطلقاً.

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٢، ص ٢٥، حديث ١.

(٢) المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٦، حديث ٣.

وقد أشرنا فيما تقدّم في أوائل المقدّمة الأولى أنّ المحقق نصير الدين الطوسي رحمه الله نقل في قواعد العقائد أنّ الإسلام أعم في الحكم من الإيمان، لكنه في الحقيقة هو الإيمان، وهذه عبارته رحمه الله:

قالوا: إنّ الإسلام أعم في الحكم من الإيمان؛ لأنّ من أقر بالشهادتين كان حكمه حكم المسلمين، لقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَنَّا قُلْ لَمْ نُوْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾^(١) (٢).

(١) سورة الحجرات، آية ١٤.

(٢) الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، حقائق الإيمان مع رسالتي الاقتصاد والعدالة، ص ١١٤ -

(ن) خصائص الإسلام

إنّ إلقاء نظرة على الأحاديث المروية عن سيّد الشهداء عليه السلام يضعنا أمام مجموعة من الخصائص التي امتاز بها الإسلام، مثل:

١- المنّة على معتنقيه

نقل عن الإمام الحسين عليه السلام أنّه خطب بأصحابه قبل شهادته مبيناً الحال في عصر الظهور:

«... وَأَعْرِضْ عَلَيَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَسَائِرَ الْمَلَلِ، وَلَا خَيْرَ لَهُمْ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالسَّيْفِ، فَمَنْ أَسْلَمَ مِنَّنْتُ عَلَيْهِ، وَمَنْ كَرِهَ الْإِسْلَامَ أَهْرَقَ اللَّهُ دَمَهُ»^(١).

إذ يتبين من كلامه عليه السلام أنّ من يقبل الإسلام يومئذ يكون له عليه السلام المنّة عليه لا العكس، وعلى الرغم من أنّ معنى المنّة في الحديث هو العفو بقرينة المقابلة مع إهراق الدم إلا أنّ ذلك لا يخرج الكلمة عن معناها اللغوي وهو النعمة باعتبار أنّ العفو أحد مصاديقها.

يقول عنه:

﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢).

وتنبيهاً إلى ذلك يقول الإمام علي عليه السلام:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيَّ بِالْإِسْلَامِ وَعَلَّمَنِي الْقُرْآنَ»^(٣).

(١) القطب الراوندي، سعيد بن هبة الله، الخرائج والجرائح، ج ٢، ص ٨٤٨-٨٤٩، حديث ٦٣.

(٢) سورة الحجرات، آية ١٧.

(٣) ابن بابويه، محمد بن علي، الأُمالي، ص ١٥٧، حديث ١٥٠.

٢. الإسلام دين التبري

نقل الطبري بسنده عن عقبة بن سَمعان قال:

«لَمَّا خَرَجَ الْحُسَيْنُ مِنْ مَكَّةَ، اغْتَرَضَهُ رُسُلُ عَمْرٍو بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، عَلَيْهِمْ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، فَقَالُوا لَهُ: اِنْصَرِفْ، أَيْنَ تَذْهَبُ؟ فَأَبَى عَلَيْهِمْ وَمَضَى، وَتَدَافَعَ الْفَرِيقَانِ فَاضْطَرَبُوا بِالسَّيَاطِ، ثُمَّ إِنَّ الْحُسَيْنَ وَأَصْحَابَهُ امْتَنَعُوا امْتِنَاعاً قَوِيّاً، وَمَضَى الْحُسَيْنُ عليه السلام عَلَى وَجْهِهِ، فَنَادَوْهُ: يَا حُسَيْنُ، أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ، تَخْرُجُ مِنَ الْجَمَاعَةِ وَتُفَرِّقُ بَيْنَ هَذِهِ الْأُمَّةِ؟! فَتَأَوَّلَ حُسَيْنٌ قَوْلَ اللَّهِ عز وجل: ﴿لِيَ عَمَلِيَّ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(١)»^(٢).

والمغزى من هذا الاستشهاد بالآية هو الإشارة إلى أن الإسلام كما أنه دين التولي هو كذلك دين التبري أيضاً.

حيث يقول سبحانه وتعالى:

﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِيَ عَمَلِيَّ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٣).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ وَتَوَالِي أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَالتَّبَرُّي مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ»^(٤).

(١) سورة يونس، آية ٤١.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٣٨٥.

(٣) سورة يونس، آية ٤١.

(٤) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٢، ص ١٢٥-١٢٦، حديث ٦.

٢. أحقية الإسلام

ذكر ابن أعثم في فتوحه:

«وَصِيَّةُ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَخِيهِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

... إِنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ، جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِهِ...»^(١).

فمن جملة «جاء بالحق» يفهم أن الإسلام هو الدين الحق، حيث يقول عزت
الآؤه:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٢).

ويقول أيضاً:

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٣).

يقول الإمام علي عليه السلام:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَعَ الْإِسْلَامَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ، وَأَعَزَّ أَرْكَانَهُ عَلَى مَنْ
غَالَبَهُ، فَجَعَلَهُ أَمْنًا لِمَنْ عَلِقَهُ، وَسَلَامًا لِمَنْ دَخَلَهُ، وَبُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ
عَنَّهُ، وَنُورًا لِمَنْ اسْتَضَاءَ بِهِ، وَفَهْمًا لِمَنْ عَقَلَ، وَلُبًّا لِمَنْ تَدَبَّرَ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّسَ، وَتَبْصِرَةً لِمَنْ
عَزَمَ، وَعِبْرَةً لِمَنْ اتَّعَطَّ، وَنَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ، وَثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ، وَرَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ، وَجَنَّةً لِمَنْ
صَبَرَ، فَهُوَ أَبْلَجُ الْمَنَاهِجِ، وَأَوْضَحُ الْوَلَائِحِ، مُشْرِفُ الْمَنَارِ، مُشْرِقُ الْجَوَادِّ، مُضِيءُ
الْمَصَابِيحِ، كَرِيمُ الْمُضْمَارِ، رَفِيعُ الْغَايَةِ، جَامِعُ الْحَلَبَةِ، مُتَنَافِسُ السُّبُقَةِ، شَرِيفُ
الْفُرْسَانِ»^(٤).

(١) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح، ج ٥، ص ٢١.

(٢) سورة آل عمران، آية ١٩.

(٣) سورة آل عمران، آية ٨٥.

(٤) نهج البلاغة، خطبة ١٠٦.

٤. مخالفة الإسلام للردية

نقل ابن سعد بسنده عن مسور قال:

«أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَى مَرْوَانَ: زَوْجُ يَزِيدَ مِنْ ابْنَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، وَأَقْضِ عَنْهُ دَيْنَهُ حَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ وَصَلِّهِ بِعَشْرَةِ أَلْفِ دِينَارٍ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ: مَا أَقْطَعُ أَمْرًا دُونَ الْحُسَيْنِ. فَشَاوَرَهُ فَقَالَ: اجْعَلْ أَمْرَهَا إِلَيَّ فَفَعَلَ. وَاجْتَمَعُوا فَقَالَ مَرْوَانُ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحَبُّ أَنْ يَزِيدَ الْقَرَابَةَ لَطْفًا، وَالْحَقُّ عِظَمًا، وَأَنْ يَتَلَفَى صَلَاحَ هَذَيْنِ الْحَيِّينِ بِالصَّهْرِ، وَقَدْ كَانَ مِنْ أَبِي جَعْفَرٍ فِي إِجَابَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا حَسَنَ فِيهِ رَأْيُهُ وَوَلِيُّ أَمْرِهَا خَالُهَا، وَلَيْسَ عِنْدَ حُسَيْنٍ خِلَافٌ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ.

فَتَكَلَّمَ حُسَيْنٌ وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ رَفَعَ بِالْإِسْلَامِ الْحُسَيْسَةَ وَأَتَمَّ النَّاقِصَةَ، وَأَذْهَبَ اللَّوْمَ، فَلَا لَوْمَ عَلَى مُسْلِمٍ، وَإِنَّ الْقَرَابَةَ الَّتِي عَظَّمَ اللَّهُ حَقَّهَا قَرَابَتُنَا وَقَدْ زَوَّجْتُ هَذِهِ الْجَارِيَةَ مَنْ هُوَ أَقْرَبُ نَسَبًا وَأَلْطَفُ سَبَبًا الْقَاسِمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ. فَقَالَ مَرْوَانُ: أَعْدَرًا يَا بَنِي هَاشِمٍ؟ وَقَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ: يَا بَنَ جَعْفَرٍ، مَا هَذِهِ أَيَادِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَكَ! قَالَ: قَدْ أَعْلَمْتُكَ أَنِّي لَا أَقْطَعُ أَمْرًا فِيهَا دُونَ خَالِهَا. فَقَالَ حُسَيْنٌ: نَشَدْتُكُمْ اللَّهُ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ الْحَسَنَ خَطَبَ عَائِشَةَ بِنْتَ عُثْمَانَ فَوَلَّوْكَ أَمْرَهَا فَلَمَّا صَرْنَا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَجْلِسِ قُلْتَ: قَدْ بَدَلَا لِي أَنْ أَرْوِّجَهَا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ؟ هَلْ كَانَ هَذَا يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ - يَعْنِي الْمَسُورَ بْنَ مِحْرَمَةَ - فَقَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ. فَقَالَ مَرْوَانُ: إِنَّمَا أَلَوْمُ عَبْدَ اللَّهِ، فَأَمَّا حُسَيْنٌ فَوَعْرُ الصَّدْرِ. فَقَالَ مَسُورٌ: لَا تُحْمَلْ عَلَى الْقَوْمِ، فَالَّذِي صَنَعُوا أَوْصَلَ، وَصَلُّوا رَجِمًا وَوَضَعُوا كَرِيمَتَهُمْ حَيْثُ أَحْبَبُوا»^(١).

بما أن «الحسيسة» تعني الضعة والدناءة يكون مراد الإمام عليه السلام هنا أن يشدد الانتباه إلى مخالفة الإسلام لمثل هذه الأمور.

(١) ابن سعد، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى: الطبقة الخامسة من الصحابة، ج ١، ص ٤١٤ -

ويعضده قول رسول الله ﷺ لجوير:

«إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَضَعَ بِالْإِسْلَامِ مَنْ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ شَرِيفًا، وَشَرَّفَ بِالْإِسْلَامِ مَنْ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَضِيعًا، وَأَعَزَّ بِالْإِسْلَامِ مَنْ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ذَلِيلًا، وَأَذْهَبَ بِالْإِسْلَامِ مَا كَانَ مِنْ نَخْوَةِ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَفَاخُرِهَا بِعَشَائِرِهَا وَبِأَسْقِ أَنْسَابِهَا»^(١).

٥. معارضة الإسلام للوم الفرد بعد إسلامه

ما يمكن لحاظه من جملة «وَأَذْهَبَ اللَّوْمَ» في الحديث المتقدم للإمام الحسين عليه السلام أن الفاعل هو الله تبارك وتعالى، ومنه يفهم أن الإسلام رفع اللوم والعتاب عمّن اعتنق الإسلام على ما بدر منه سابقاً أيام كفره، وعليه فلا يصح تأنيب كافر بعد إسلامه على تصرّفاتة قبل إسلامه.

يقول تعالى:

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يُعْذِرُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٢).

وروي عن رسول الله ﷺ قوله:

«مَنْ أَحْسَنَ فِي الْإِسْلَامِ لَمْ يُؤَاخَذْ بِمَا عَمِلَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَنْ أَسَاءَ فِي الْإِسْلَامِ أُخِذَ بِالْأَوَّلِ وَالْآخِرِ»^(٣).

٦. إتمام الإسلام للنقائص

يقودنا التأمل في قوله عليه السلام: «... وَآتَمَّ النَّاقِصَةَ» إلى قناعة مفادها أن الإسلام قد أكمل نقائص الأفراد.

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٥، ص ٣٤٠، حديث ١.

(٢) سورة الأنفال، آية ٣٨.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٢، ص ٤٦١، حديث ٢.

فيقول الإمام علي عليه السلام:

«ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْإِسْلَامَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي اضْطَفَّاهُ لِنَفْسِهِ، وَاضْطَنَعَهُ عَلَى عَيْنِهِ، وَأَصْفَاهُ خَيْرَةَ خَلْقِهِ، وَأَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلَى مَحَبَّتِهِ، أَذَلَّ الْأَدْيَانَ بِعِزَّتِهِ، وَوَضَعَ الْمَلَلَ بِرَفْعِهِ، وَأَهَانَ أَعْدَاءَهُ بِكِرَامَتِهِ، وَخَدَلَ مُحَادِيهِ بِنَصْرِهِ، وَهَدَمَ أَرْكَانَ الضَّلَالَةِ بِرُكْنِهِ، وَسَقَى مَنْ عَطَشَ مِنْ حَيَاضِهِ، وَأَتَّقَى الْحَيَاضَ بِمَوَاتِحِهِ.

ثُمَّ جَعَلَهُ لَا انْفِصَامَ لِعُرْوَتِهِ، وَلَا فَكَّ لِحَلْقَتِهِ، وَلَا انْهِدَامَ لِأَسَاسِهِ، وَلَا زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ، وَلَا انْقِلَاعَ لَشَجَرَتِهِ، وَلَا انْقِطَاعَ لِمُدَّتِهِ، وَلَا عَفَاءَ لِشَرَائِعِهِ، وَلَا جَدَّ لِفُرُوعِهِ، وَلَا ضَنْكَ لِطُرُقِهِ، وَلَا وُعُوثَةَ لِسُهُولَتِهِ، وَلَا سَوَادَ لِبُوضِحِهِ، وَلَا عِوَجَ لِانْتِصَابِهِ، وَلَا عَصَلَ فِي عُودِهِ، وَلَا وَعْتَ لِفَجِّهِ، وَلَا انْطِفَاءَ لِمَصَابِيحِهِ، وَلَا مَرَارَةَ لِحَلَاوَتِهِ.

فَهُوَ دَعَائِمٌ أَسَاحَ فِي الْحَقِّ أَسْنَاخَهَا، وَتَبَّتْ لَهَا آسَاسُهَا، وَيَنَابِيعُ عَزْرَتْ عُيُونَهَا، وَمَصَابِيحُ شَبَّتْ نِيرَانُهَا، وَمَنَارٌ اقْتَدَى بِهَا سَفَارُهَا، وَأَعْلَامٌ قُصِدَ بِهَا فِجَاجُهَا، وَمَنَاهِلٌ رَوِيَ بِهَا وَرَادَهَا، جَعَلَ اللَّهُ فِيهِ مُتَهَيِّ رِضْوَانِهِ، وَذُرُوءَ دَعَائِمِهِ، وَسَنَامَ طَاعَتِهِ، فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ وَثِيقُ الْأَرْكَانِ، رَفِيعُ الْبُنْيَانِ، مُنِيرُ الْبُرْهَانِ، مُضِيءُ النَّيْرَانِ، عَزِيزُ السُّلْطَانِ، مُشْرِفُ الْمَنَارِ، مُعَوِّذُ الْمَنَارِ، فَشَرَّفُوهُ وَاتَّبَعُوهُ، وَأَدُّوا إِلَيْهِ حَقَّهُ، وَضَعُوهُ مَوَاضِعَهُ»^(١).

٧. رفع النقيصة عن أهل البيت عليهم السلام بالإسلام

قال القيرواني:

«وَكَانَ لِمُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ عَيْنٌ بِالْمَدِينَةِ يَكْتُبُ إِلَيْهِ بِمَا يَكُونُ مِنْ أُمُورِ النَّاسِ وَكُرَيْشٍ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ أَغْتَقَ جَارِيَةً لَهُ وَتَزَوَّجَهَا، فَكَتَبَ مُعَاوِيَةَ إِلَى الْحُسَيْنِ: مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُعَاوِيَةَ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَزَوَّجْتَ

جَارِيَتِكَ، وَتَرَكَتْ أَكْفَاءَكَ مِنْ قُرَيْشٍ، مِمَّنْ تَسْتَنْجِبُهُ لِلْوَالِدِ، وَتُجَدُّ بِهِ فِي الصَّهْرِ، فَلَا لِنَفْسِكَ نَظْرَةً، وَلَا لَوْلَدِكَ انْتَقِيَتْ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ، وَتَعْيِيرُكَ إِيَّايَ بِأَنِّي تَزَوَّجْتُ مَوْلَاتِي، وَتَرَكَتُ أَكْفَائِي مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَيْسَ فَوْقَ رَسُولِ اللَّهِ مُتَهَيِّ فِي شَرَفٍ، وَلَا غَايَةَ فِي نَسَبٍ، وَإِنَّمَا كَانَتْ مِلْكٌ يَمِينِي، خَرَجَتْ عَنِ يَدِي بِأَمْرِ التَّمَسُّتِ فِيهِ ثَوَابَ اللَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ ارْتَجَعْتُهَا عَلَى سُنَّةِ نَبِيِّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وَقَدْ رَفَعَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ الْخَسِيسَةَ، وَوَضَعَ عَنَّا بِهِ النَّقِيسَةَ، فَلَا لَوْمَ عَلَى امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا فِي أَمْرِ مَا نَمُّ، وَإِنَّمَا اللَّوْمُ لَوْمُ الْجَاهِلِيَّةِ»^(١).

يبدو من جملة «وَوَضَعَ عَنَّا بِهِ النَّقِيسَةَ» وعطفها على ما قبلها أنّ الإمام أراد الإشارة إلى رفع النقيصة عن أهل البيت عليهم السلام بالإسلام، مثلما رفع به الخسة والوضاعة عن العباد.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا مِنَ الضَّلَالَةِ، وَبَصَّرَنَا مِنَ الْعَمَى، وَمَنْ عَلَيْنَا بِالْإِسْلَامِ»^(٢).

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا بِالْإِسْلَامِ، وَعَلَّمَنَا الْقُرْآنَ، وَمَنْ عَلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^(٣).

(١) الحصري القيرواني، إبراهيم بن علي، زهر الآداب وثمر الألباب، ج ١، ص ٦٩-٧٠.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ج ١، ص ٢٢٩.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٨، ص ٢٧٦، حديث ٤١٧.

س) المسلمون المضاهنون للكفار

نقل ابن شعبة الحرّاني في «تحف العقول» عن الإمام الحسين عليه السلام قوله:
«أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا هَؤُلَاءِ الْمَارِقَةَ الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ اللَّهَ بِأَنْفُسِهِمْ، يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، بَلْ هُوَ اللَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، لَا تُدْرِكُهُ
الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ»^(١).

ما يستشف من هذا الكلام أنّ بعض المسلمين رغم ادّعائهم الإسلام وانتمائهم
لزمرة المسلمين إلّا أنّ كلامهم وأقوالهم في الواقع تضاهي أقوال الكفار، كما قال
تعالى بشأن اليهود والنصارى:

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيُّ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ
قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَنَلَهُمُ اللَّهُ أَنفَ
يُؤْفَكُونَ ﴾^(٢).

وقال القاضي سعيد القمي في شرحه لحديث الإمام الحسين عليه السلام:

«وزيادة قوله: (من أهل الكتاب) منه عليه السلام، أي المشبهون مع تخالف أصنافهم في
تشبيه الله بأنفسهم يشبهون أهل الكتاب من اليهود والنصارى في إثباتهم الابن لله
سبحانه، وذلك لأنّ من شبه الله بخلقه في أمر من الأمور - أيّ أمر كان من ذات أو
صفة أو فعل - مع القول بالسببية فقد لزم منه القول بالأبوة والبنوة لا محالة، ولا ينفعه
عدم التصريح بذلك أو عدم اعتقاد ذلك، فإنّ اللوازم العقلية لا تنفك عن ملزوماتها
وبصير في الآخرة عليه وبالاً ويكون نصب عينه يوم الجزاء، ويقال لهم: أين شركاؤكم

(١) ابن شعبة، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليهم)، ص ٢٤٤.

(٢) سورة التوبة، آية ٣٠.

الذين كنتم تشاقون فيهم وتجادلون أهل الحق عليهم»^(١).

وحول ذلك يقول الإمام علي عليه السلام:

«وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهَجْرَةِ أَعْرَابًا، وَبَعْدَ الْمَوَالَةِ أَحْرَابًا، مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ
الْإِسْلَامِ إِلَّا بِاسْمِهِ، وَلَا تَعْرِفُونَ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا رَسْمَهُ، تَقُولُونَ النَّارَ وَلَا الْعَارَ، كَأَنَّكُمْ
تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِنُوا الْإِسْلَامَ عَلَى وَجْهِهِ انْتِهَاكَ لِحَرِيمِهِ، وَنَقْضًا لِمِيثَاقِهِ، الَّذِي وَضَعَهُ اللَّهُ
لَكُمْ حَرَمًا فِي أَرْضِهِ، وَأَمْنًا بَيْنَ خَلْقِهِ، وَإِنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَى غَيْرِهِ حَارَبَكُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ، ثُمَّ
لَا [جَبْرَائِيلَ] [جَبْرَائِيلَ] وَلَا [مِيكَائِيلَ] وَلَا مُهَاجِرِينَ وَلَا أَنْصَارَ [مِيكَائِيلَ] وَلَا مُهَاجِرُونَ
وَلَا أَنْصَارَ يَنْصُرُونَكُمْ إِلَّا الْمَقَارَعَةَ بِالسَّيْفِ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ»^(٢).

(١) القاضي سعيد القمي، محمد سعيد بن محمد مفيد، شرح الأربعين، ص ٣٩٦.

(٢) نهج البلاغة، خطبة ١٩٢.



الثاني : الإيمان

مقدمة

المفهوم اللغوي للإيمان

قال الأزهري:

«واتَّفَقَ أهل العلم من اللغويين وغيرهم أنَّ (الإيمان) معناه: التصديق ... وقال الله تعالى حكاية عن إخوة يوسف لأبيهم: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾^(١)، لم يختلف أهل التفسير أنَّ معناه: وما أنت بمصدق لنا»^(٢).

وعند الجوهري:

«الإيمان: التصديق. والله تعالى المؤمن؛ لأنه آمن عباده من أن يظلمهم»^(٣).

وقال الراغب الإصفهاني:

«وَأَمَّن: إِنَّمَا يُقَالُ عَلَى وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: مُتَعَدِّياً بِنَفْسِهِ، يُقَالُ: آمَنَتْهُ، أَي جَعَلْتَ لَهُ

الْأَمْنَ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلَّهِ: مُؤْمِنٌ، وَالثَّانِي: غَيْرَ مُتَعَدِّدٍ، وَمَعْنَاهُ: صَارَ ذَا أَمْنٍ ...

قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾^(٤)، قيل: معناه: بمصدق لنا،

إِلَّا أَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ التَّصَدِيقُ الَّذِي مَعَهُ أَمْنٌ»^(٥).

(١) سورة يوسف، آية ١٧.

(٢) الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، ج ١٥، ص ٣٦٨-٣٦٩.

(٣) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، ج ٥، ص ٢٠٧١.

(٤) سورة يوسف، آية ١٧.

(٥) الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، ص ٩١.

وقال الفيروزآبادي:

«وَأَمِنْ بِهِ إِيمَانًا: صَدَّقَهُ، وَالْإِيمَانُ: الثِّقَّةُ، وَإِظْهَارُ الْخُضُوعِ، وَقَبُولُ الشَّرِيعَةِ»^(١).
 وجاء في كتاب «حقائق الإيمان» المنسوب للشهيد الثاني:
 «فاعلم أنّ الإيمان لغة: التصديق، كما نص عليه أهلها، وهو إفعال من الأمان،
 بمعنى سكون النفس واطمئنانها لعدم ما يوجب الخوف لها، وحينئذ فكان حقيقة (أَمَنْ
 بِهِ) سكنت نفسه [إليه] واطمأنت بسبب قبول قوله وامتنان أمره، فتكون الباء للسببية.
 ويحتمل أن يكون بمعنى آمنه التكذيب والمخالفة، كما ذكره بعضهم، فتكون الباء
 فيه زائدة.

والأوّل أولى، كما لا يخفى، وأوفق لمعنى التصديق.

وهو يتعدى باللام، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾^(٢)، ﴿فَعَامَنَ لَهُ لُوطٌ﴾^(٣)،
 وبالباء كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنزَلْنَا﴾^(٤).

وأما التصديق فقد قيل: إنّه القبول والإذعان بالقلب، كما ذكره أهل الميزان.
 ويمكن أن يقال: معناه قبول الخبر أعم من أن يكون بالجنان أو باللسان، ويدل
 عليه قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾^(٥).

فأخبروا عن أنفسهم بالإيمان وهم من أهل اللسان، مع أنّ الواقع منهم هو
 الاعتراف باللسان دون الجنان، لنفيه عنهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا﴾.
 وإثبات الاعتراف بقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ الدال على كونه إقراراً

(١) الفيروزآبادي، محمّد بن يعقوب، القاموس المحيط، ج ٤، ص ١٧٨.

(٢) سورة يوسف، آية ١٧.

(٣) سورة العنكبوت، آية ٢٦.

(٤) سورة آل عمران، آية ٥٣.

(٥) سورة الحجرات، آية ١٤.

بالشهادتين، وقد سمّوه إيماناً بحسب عرفهم، والذي نفاه الله عنهم إنّما هو الإيمان في عرف الشرع.

إن قلت: يحتمل أن يكون ما ادّعوه من الإيمان هو الشرعي، حيث سمعوا أنّ الشارع كلّفهم بالإيمان، فيكون المنفي عنهم هو ما ادّعوا ثبوته لهم، فلم يبق في الآية دلالة على أنّهم أرادوا اللغوي.

قلت: الظاهر أنّه في ذلك الوقت لم تكن الحقائق الشرعية متقررة عندهم، لبعدهم عن مدارك الشرعيات، فلا يكون المخبر عنه إلا ما يسمّونه إيماناً عندهم، وقوله تعالى: ﴿ءَأَمَّنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

وجه الدلالة في هذه الآيات أنّ الإيمان في اللغة: التصديق، وقد وقع في الإخبار عنهم أنّهم آمنوا بألسنتهم دون قلوبهم، فيلزم صحة إطلاق التصديق على الإقرار باللسان وإن لم يوافقه الجنان.

وعلى هذا فيكون المنفي هو الإيمان الشرعي، أعني القلبي، جمعاً بين صحة النفي والإثبات في هذه الآيات»^(٣).

وأشار خلال كلامه إلى رأي التفتازاني حيث قال:

«إنّ العلامة التفتازاني ذكر في بعض تحقیقاته أنّ بعض القدرية ذهب إلى أنّ الإيمان هو المعرفة.

وأطبق علمائنا على فساده؛ لأنّ أهل الكتاب كانوا يعرفون نبوة نبينا محمد ﷺ كما

(١) سورة المائدة، آية ٤١.

(٢) سورة البقرة، آية ٨.

(٣) الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، حقائق الإيمان مع رسالتي الاقتصاد والعدالة، ص ٥٠-٥١.

كانوا يعرفون أبناءهم، حيث أخبر الله تعالى عنهم بذلك، مع القطع بكفرهم لعدم التصديق.

ولأنّ من الكفار من كان يعرف الحق وينكره عناداً واستكباراً، كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾^(١) فلا بدّ من بيان الفرق بين معرفة الأحكام واستيقانها، وبين التصديق بها واعتقادها، ليصح كون الثاني إيماناً دون الأوّل^(٢).
وحول حقيقة الإيمان قال صدر المتألهين:

ثمّ الإيمان بحسب اللغة - كما ذكره صاحب الكشّاف - مأخوذ من الأمن، ثمّ يقال: آمنه إذا صدّقه، كأنّ المصدّق آمن من التكذيب والمخالفة.
وتعديته بالباء لتضمّنه معنى الاعتراف، وقد يطلق بمعنى الوثوق كما حكى أبو يزيد: ما أمنت أن أجد صحابة، أي ما وثقت، فهو من حيث إنّ الواثق صار ذا أمن، وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب^(٣).

المفهوم الشرعي للإيمان

عندما نسبر كلمات العلماء وأقوالهم حول المفهوم الشرعي للإيمان نجد بينهم اختلافاً في الآراء، ومع التدقيق نضع أيدينا على مناشئ الاختلاف، ويعود في الحقيقة إلى ثلاثة وجوه:

الوجه الأوّل

إنّ الإيمان من الأفعال القلبية فقط والنطق به ليس شرطاً ولا جزءاً في تحقّقه، وقد وقع اختلاف بين أتباع هذا الرأي في تفسيرهم للإيمان:

(١) سورة النمل، آية ١٤.

(٢) الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، حقائق الإيمان مع رسالتي الاقتصاد والعدالة، ص ٧٧.

(٣) صدر الدين الشيرازي، محمّد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج ١، ص ٢٤٥.

١- بعض يرى أن الإيمان هو تصديق نفسي وعقد قلبي، وبحسب هذا المعنى فإنّ الإيمان سيتحقق بين الإنسان والله دون إقرار، وليس الإقرار سوى شرط في ترتب آثار الإسلام عليه في الدنيا، ونسب هذا القول للأشاعرة وجماعة من متقدمي ومتأخري الإمامية كالمحقق الطوسي في «فصول العقائد»^(١).

٢- إنّ الإيمان يعني العلم والمعرفة بالله تبارك وتعالى وتعاليم النبي ﷺ على نحو الإجمال، وهذا القول نقله الجرجاني في «شرح المواقف» عن بعض الفقهاء^(٢) والتفتازاني عن القدريّة^(٣).

٣- المقصود من «الإيمان» المعرفة فقط، وهذا القول منسوب للجهمية^(٤).

الوجه الثاني

إنّ الإيمان من أفعال الجوارح فقط ولا دخل للتصديق في مفهومه، لا على نحو الجزئية ولا على الشرطية، والذين اختاروا هذا القول اختلفوا فيما بينهم:

١- بعض يعتقد أنّ الإيمان إقرار لفظي ونطق بالشهادتين، وهذا ما عليه الكرامية^(٥)، وبناء على هذا القول يكون قد حصل نقل للفظ «الإيمان» لغوياً إلى المعنى المغاير له دون أن يلحظ بينهما التناسب الشكلي.

٢- آخرون يرون أنّ الإيمان هو العمل بجميع الأوامر الإلهية الأعم من الواجب والمستحب، وهذا هو قول الخوارج وأبي الهذيل العلاف والقاضي عبد الجبار^(٦).

(١) الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، حقائق الإيمان مع رسالتي الاقتصاد والعدالة، ص ٥٣.

(٢) الجرجاني، علي بن محمّد، شرح المواقف، ج ٨، ص ٣٢٣.

(٣) الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، حقائق الإيمان مع رسالتي الاقتصاد والعدالة، ص ٧٧.

(٤) البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، أصول الإيمان، ص ١٩٩.

(٥) الجرجاني، علي بن محمّد، شرح المواقف، ج ٨، ص ٣٢٣.

(٦) المصدر السابق، ج ٨، ص ٣٢٣.

٣- إنّ الإيمان عبارة عن أداء الواجبات وترك المحرّمات، ولا دخل لفعل المستحب وترك المكروه في المفهوم، وهذا القول عليه أبو علي الجبائي وابنه أبو هاشم وأكثر معتزلة البصرة^(١).

الوجه الثالث

إنّ الإيمان مركب من أعمال الجوارح والجوانح، ويمكن وضع أصحاب هذا الرأي على مجموعتين:

١- الإيمان عبارة عن تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان، واختار هذا القول بعض علماء الإمامية من بينهم الخواجة نصير الدين الطوسي في «تجريد الاعتقاد»، ونسب إلى أبي حنيفة أيضاً^(٢)، ونسبه الجرجاني أيضاً إلى بعض السلف كابن مجاهد وأهل الأثر، أي جميع المحدثين^(٣)، ونسب أيضاً إلى أحمد بن حنبل^(٤) وجمع من علماء الحنابلة^(٥).

٢- الإيمان عبارة عن التصديق بالقلب والإقرار باللسان، وأمّا العمل بالأركان فليس شرطاً له ولا جزءاً منه، وقد نسب ابن نجيم المصري هذا القول إلى أكثر الحنفية، إلّا أنّ محققي الحنفية يعتقدون بأنّ الإيمان أصل التصديق، والإقرار ليس إلّا شرطاً لترتب الآثار الدنيوية^(٦).

(١) المصدر السابق، ج ٨، ص ٣٢٣.

(٢) الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، حقائق الإيمان مع رسالتي الاقتصاد والعدالة، ص ٥٤.

(٣) الجرجاني، علي بن محمّد، شرح المواقف، ج ٨، ص ٣٢٣.

(٤) ابن أبي يعلي، محمّد بن محمّد، طبقات الحنابلة، ج ١، ص ١٧٣.

(٥) النفزي القيرواني، عبد الله بن عبد الرحمن، متن الرسالة، ص ٨.

(٦) ابن نجيم المصري، زين الدين بن إبراهيم، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ج ٥، ص ١٢٩.

أمّا الشهيد الثاني فقد ذكر سبعة آراء حول المفهوم الشرعي «للإيمان» هي:

- ١- الأعمال ليست جزءاً من الإيمان ولا هي نفس الإيمان.
- ٢- الإيمان عبارة عن الإقرار بالشهادتين، وهذا رأي الكرامية.
- ٣- الإيمان عبارة عن أداء جميع الطاعات، سواء الواجب منها والمستحب والانتفاء عن جميع المحرّمات، وهذا رأي قدماء المعتزلة.
- ٤- الإيمان عبارة عن القيام بجميع الواجبات وترك المحرّمات.
- ٥- الإيمان عبارة عن تصديق قلبي وإقرار لساني وعمل جوارحي.
- ٦- الإيمان عبارة عن تصديق قلبي وإقرار بالشهادتين.
- ٧- الإيمان عبارة عن تصديق قلبي وإقرار لساني، وهذا قول جماعة من المتأخرين من بينهم المحقق الطوسي في (تجريد الاعتقاد)^(١).

قال صدر المتأهّلين:

«وأما بحسب الشرع فقد اختلف أهل القبلة في معنى الإيمان في عرف الشرع إلى

أربع مذاهب:

أحدها: إنّ اسم لأفعال القلوب والجوارح والإقرار باللسان وهو مذهب المعتزلة والخوارج والزيدية وأهل الحديث، فهو اسم لمجموع أمور ثلاثة: اعتقاد الحق، والإقرار به، والعمل بمقتضاه. فمن أخلّ بالاعتقاد وحده فهو منافق، ومن أخلّ بالإقرار فهو كافر على رأي، ومن أخلّ بالعمل ففاسق وفاقاً، وكافر عند الخوارج خارج عن الإيمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة.

وروى الخاصّ والعام عن مولانا عليّ بن موسى الرضا عليه السلام: «إنّ الإيمان هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان»، وقد روي ذلك عنه أيضاً على

(١) الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، حقائق الإيمان مع رسالتي الاقتصاد والعدالة، ص ٦٩-٨٩.

لفظ آخر: (الإيمان قول مقول، وعمل معمول، وعرافان بالعقول، وأتباع الرسول).
ثم إنَّ الخوارج اتَّفقت على أنَّ الإيمان بالله متناول للمعرفة به، وبكلِّ ما وضع الله عليه دليلاً عقلياً أو نقلياً، ويتناول طاعته في جميع ما أمر به من الأفعال والتروك حتَّى الصغائر، فالإخلال بشيء من هذه الأمور كفر.

وأما المعتزلة فقد اختلفوا فيه على وجوه:

أحدها: إنَّ الإيمان عبارة عن الإتيان بكلِّ الطاعات سواء كانت من الأقوال أو الأفعال أو الاعتقادات، وسواء كانت واجبة أو مندوبة، وهو قول واصل بن عطاء وأبي هذيل والقاضي عبد الجبار.

وثانيها: إنَّه عبارة عن فعل الواجبات فقط دون النوافل، وهو قول أبي هاشم وأبي علي.

وثالثها: إنَّه عبارة عن اجتناب كلِّ ما جاء به الوعيد.

وأما أهل الحديث، فذكروا وجهين:

الأول: إنَّ المعرفة بإيمان كامل وهو الأصل، ثمَّ بعد ذلك كل طاعة إيمان على حدة، وهذه الطاعات لا يكون شيء منها إيماناً إلا إذا كانت مرتبة على الأصل الذي هو المعرفة، وكذا القياس في جانب مقابله أعنى الكفر، وهو قول عبد الله بن سعيد الكلاب.

الثاني: زعموا أنَّ الإيمان اسم للطاعات كلّها وهو إيمان واحد، وجعلوا الفرائض والنوافل كلّها من جملة الإيمان، ومنهم من قال: الإيمان اسم للفرائض دون النوافل.

وثانيها: إنَّ الإيمان بالقلب واللسان معاً، وقد اختلف أهل هذا المذهب على

أقوال:

الأول: إنَّه إقرار باللسان ومعرفة بالقلب، وهو قول أبي حنيفة وعامة الفقهاء، ثمَّ

هؤلاء اختلفوا في موضعين:

أحدهما: في حقيقة هذه المعرفة، فمنهم من فسرها بالاعتقاد الجازم سواء كان اعتقاداً تقليدياً أو علماً صادراً عن الدليل وهم الأكثرون الذين يحكمون أنّ المقلد مسلم، ومنهم من فسرها بالعلم الصادر عن الاستدلال.

والثاني: في متعلق هذا العلم، فقال بعض المتكلمين: هو العلم بالله وصفاته على سبيل الكمال والتمام.

ثمّ لما كثر الاختلاف بينهم في الصفات، وأقدم كلّ طائفة على تكفير من عداه، قال أهل الإنصاف: المعتبر هو العلم بكل ما علم بالضرورة من دين محمد ﷺ.

القول الثاني: إنّ التصديق بالقلب واللسان معاً، وهو قول أبي الحسن الأشعري وبشر بن غياث المريسي، والمراد بالتصديق بالقلب الكلام القائم بالنفس.

القول الثالث قول جماعة من الصوفية: إنّ إقرار باللسان وإخلاص بالقلب.

وثالثها: إنّ عبارة عن عمل القلب، وأصحاب هذا المذهب اختلفوا على قولين:

أحدهما: إنّ معرفة الله بالقلب حتّى أنّ من عرف الله بقلبه، ثمّ جحد بلسانه ومات قبل التوبة فهو مؤمن كامل الإيـان، وهو قول جهـم بن صفوان. أمّا معرفة الكتاب والرسـل واليوم الآخر فقد زعم أنّها غير داخلة في حدّ الإيـان.

وحكى الكعبي عنه: أنّ الإيـان معرفة الله مع معرفة كلّ ما علم بالضرورة أنّه من

دين محمد ﷺ.

وثانيهما: إنّ مجرد التصديق بالقلب، وهو قول الحسين بن الفضل البجلي.

ورابعها: إنّ إقرار باللسان فقط، وأصحابه فريقان: الأولى قالوا: إنّ الإقرار باللسان هو الإيـان فقط، لكن شرط كونه إيـاناً حصول المعرفة، فالمعرفة شرط لكون الإقرار باللسان إيـاناً لا أنّها داخلة في مسمّى الإيـان، وهو قول غيلان بن مسلم الدمشقي والفضل الرقاشي، وإن كان الكعبي قد أنكر كونه قولاً لغيلان.

الفرقة الثانية قالوا: إنّ الإيـان مجرد الإقرار باللسان، وهو قول الكرامية، وزعموا

أنّ المنافق مؤمن بالظاهر كافر بالسريرة، فثبت له حكم المؤمنين في الدنيا وحكم الكافرين في الآخرة، فهذا مجموع أقوال الناس في مسمى الإيمان في الشرع حسبها وجد في كتب الكلام وغيره»^(١).

تأثير التصديق في حقيقة الإيمان

ما اشتهر بين علماء المذاهب الإسلامية وشاع بينهم هو أنّ التصديق مقوّم للإيمان، وأمّا ما ذهب إليه بعض المعتزلة من أنّ الإيمان هو العمل فليس مقصدهم إخراج التصديق عن الإيمان؛ لأنّ أكثر أعمال الإنسان تعبدية والعمل التعبدية ناشئ عن التصديق، ولهذا قد يدعى أنّ مقصود الذين يصرون على العمل هو عدم الاكتفاء بالتصديق وحده والغفلة عن العمل، ولو افترضنا إخراج التصديق عن حقيقة الإيمان فإنّه من غير الممكن إخراجه عن عنوان الشرطية له.

والشاهد على أنّ المعتزلة ليسوا بصدد إخراج التصديق من الإيمان، وإنّما بصدد حثّ المؤمنين على القيام بالأعمال الصالحة هو إصرار ابن أبي الحديد المعتزلي في «شرح نهج البلاغة» على أنّ الإيمان مثلما يشمل الطاعات يشمل الاعتقاد والإقرار كذلك^(٢)، غايتها أنّ بعض الأعمال تصدر جوارحياً وبعضها قولياً وبعضها بواسطة الجوارح.

مفهوم التصديق

يرى بعض أنّ «التصديق» هو اليقين الجازم والثابت، ولهذا لا يكفي فيه الظن؛ لأنّه يوجد فيه شك وترديد، يقول عزّ من قائل:

(١) صدر الدين الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج ١، ص ٢٤٥-٢٤٩.

(٢) ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، ج ١٩، ص ٥١.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ؕ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾^(١).

ولكن نوقش بلزوم القول بكفر من لم يتيقن بأحد الأصول العقائدية مع تيقنه بالأصول الأخرى، كما يلزم عدّ المستضعفين بل الكثير من عامّة الناس كفّاراً لعدم جزمهم وعدم ثباتهم على العقائد، بينما يعدّهم الشارع مسلمين ويرتب عليهم أحكام الإسلام.

وكإجابة عن هذا نقول: لا يلزم في الإيـان اليقين والجزم والثبات الناشئ من برهان فلسفي قوي؛ إذ يكفي حصول هذه الأمور من أيّ طريق ممكن، فلا يلزم التنازل عن اليقين والجزم والثبات للظن؛ لأنّ الظن لا يعدّ «إيماناً» ما لم يصل درجة قوية يعبر عنها بالاطمئنان وهي بمرتبة العلم.

ولهذا لا يكتفى بالتقليد في أصول الدين، وإن كان يبعث على راحة البال وسكينة النفس؛ لأنّ مطلق سكون النفس لا يعدّ إيماناً؛ لأنّ الإيـان هو خصوص التصديق الجازم الموجب لسكون النفس، ومحض تقليد المسلم في أصول الدين لا يصحح إطلاق المؤمن عليه، كما لا يعني في الوقت ذاته أنّه كافر؛ لأنّ الكفر يقابل الإسلام الذي به تحفظ الدماء، ولذا لا يعدّ المقلّد الذي لديه ظن أو شك في أصول العقيدة كافراً ما لم يصل إلى درجة الإنكار.

بعد هذه المقدّمة، نستعرض أحاديث الإمام الحسين عليه السلام التي تطرقت للإيـان تحت العناوين التالية:

(١) سورة الحجرات، آية ١٥.

أ) أصل الإيمان

يكفي أن ننظر في الأحاديث المنقولة عن سيّد الشهداء عليه السلام حتى نلاحظ إشارتها إلى عدّة أمور تتعلّق بأصل الإيـمان وبعض الأبحاث المرتبطة به.

حقيقة الإيمان

جاء في دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام قوله:

«فَأَنَا أَشْهَدُ يَا إلهِي بِحَقِيْقَةِ إِيْمَانِي...»^(١).

حيث يبدو من إضافة كلمة «حقيقة» لـ«إيـماني» أنّ ثمة حقيقة للإيمان يجب تحصيلها والسعي لبلوغها.

إنّ مفردة «حقيقة» مشتقة من مادّة «حق يحق حقاً» بمعنى المطابقة والموافقة، والمقصود منها حين إضافتها للإيمان مطابقتها للواقع ونفس الأمر، أي الإيمان الواقعي والصحيح بالله والتوحيد والنبوّة والمعاد.

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله:

«لَيْسَ الْإِيْمَانُ بِالتَّحَلِّيِّ وَلَا بِالتَّمَنِّيِّ، وَلَكِنَّ الْإِيْمَانَ مَا خَلَصَ فِي الْقُلُوبِ وَصَدَّقَهُ الْأَعْمَالُ»^(٢).

قال الإمام علي عليه السلام:

(١) الكفعمي، إبراهيم بن علي، البلد الأمين، ص ٢٥٢.

(٢) ابن بابويه، محمّد بن علي، معاني الأخبار، ص ١٨٧، حديث ٣.

«الإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ»^(١).

بيت الإيمان

نقل القاضي النعمان المغربي عن الأعمش عن قيس بن غالب الأسدي أنه قال:
 «وَمَا وَفَدَ النَّاسُ عَلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ لَمَّا اسْتُخْلِفَ، قُلْتُ لِأَهْلِ بَيْتِي: هَلْ أَنْ نَجْعَلَ
 نَحْنُ وَفَادَتْنَا عَلَى ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ فَأَجَابُونِي، فَخَرَجْتُ أَنَا، وَأَخِي
 عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ، وَزُرُّ بْنُ حُبَيْشٍ، وَهَانِي بْنُ عُرْوَةَ، وَعَبَادَةُ بْنُ رَبِيعٍ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ قَوْمِنَا،
 حَتَّى أَنْتَهَيْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَأَتَيْنَا مَنْزِلَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَاسْتَأْذَنَّا عَلَيْهِ، فَخَرَجَتْ إِلَيْنَا
 جَارِيَةٌ، فَقُلْتُ لَهَا: اسْتَأْذِنِي لَنَا عَلَى ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ، وَأَعْلِمِيهِ أَنَّ مَوَالِيَهُ بِالْبَابِ.

فَأَذِنَتْ لَنَا، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَا أَقْدَمَكُمْ هَذَا الْبَلَدِ فِي غَيْرِ حَجٍّ وَلَا عُمْرَةٍ؟
 قُلْنَا: يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ، وَفَدَ النَّاسُ عَلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَأَحْبَبْنَا أَنْ وَفَادَتْنَا عَلَيْكَ،
 قَالَ: وَاللَّهِ؟ قُلْنَا: وَاللَّهِ.

قَالَ: أَبَشِّرُوا - يَقُولُهَا ثَلَاثًا - ثُمَّ قَالَ: أَتَأْذِنُونَ لِي أَنْ أَقُومَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، فَقَامَ فَتَوَضَّأَ،
 ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ، وَعَادَ إِلَيْنَا.

فَقَالَ ابْنُ رَبِيعٍ: يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ، إِنَّ الْحَوَارِيَّيْنَ كَانَتْ لَهُمْ عَلَامَاتٌ يُعْرَفُونَ بِهَا،
 فَهَلْ لَكُمْ عَلَامَاتٌ تُعْرَفُونَ بِهَا؟

فَقَالَ لَهُ: يَا عَبَادَةُ، نَحْنُ عَلَامَاتُ الْإِيمَانِ فِي بَيْتِ الْإِيمَانِ، مَنْ أَحَبَّنَا أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَنَفَعَهُ
 إِيَّانَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُقْبَلُ مِنْهُ عَمَلُهُ، وَمَنْ أَبْغَضَنَا أَبْغَضَهُ اللَّهُ، وَلَمْ يَنْفَعْهُ إِيَّانُهُ، وَلَمْ يُتَقَبَّلْ
 عَمَلُهُ.

قَالَ: فَقُلْتُ: وَإِنْ دَابَّ وَنَصَبَ، قَالَ: نَعَمْ، وَصَامَ وَصَلَّى.
 ثُمَّ قَالَ: يَا عَبَادَةُ، نَحْنُ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ، وَبِنَا جَرَتِ النُّبُوَّةُ، وَبِنَا يُفْتَحُ، وَبِنَا يُخْتَمُ لَا

بِغَيْرِنَا»^(١).

يتحصّل من عبارة «بَيَّتِ الإِيـانِ» أنّ الإيـان بمثابة بيت ويحتاج الوصول إليه إلى دلالة، وقد تكفّل أهل البيت عليهم السلام إيصالنا إليه بصورة قطعية.

وبيّن الإمام علي عليه السلام تلك الحقيقة بقوله:

«أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا كَذِباً وَبَغِيّاً عَلَيْنَا، أَنْ رَفَعَنَا اللَّهُ وَوَضَعَهُمْ، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ، وَأَدْخَلْنَا وَأَخْرَجَهُمْ، بِنَا يُسْتَعطَى الْهَدَى، وَيُسْتَجَلَى الْعَمَى»^(٢).

وقال أيضاً بشأن بيت النبوة صلى الله عليه وآله:

«هُم مَوْضِعُ سِرِّهِ، وَجَأُ أَمْرِهِ، وَعَيْبَةُ عِلْمِهِ، وَمَوْئِلُ حُكْمِهِ، وَكُھُوفُ كُتُبِهِ، وَجِبَالُ دِينِهِ، بِهِمْ أَقَامَ أَنْحِنَاءَ ظَهْرِهِ، وَأَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِهِ»^(٣).

هداية الله للإيمان قبل معرفة شكر الامتنان

قال الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفه متضرّعاً لله عز وجل:

«يَا مَنْ هَدَانِي لِلإِيـانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ أَعْرِفَ شُكْرَ الإِمْتِنَانِ»^(٤).

تشير هذه الفقرة من دعاء الإمام عليه السلام إلى أنّ من نعم الله على الإنسان هدايته

للإيمان السابق على معرفته الشكر على نعمه وإفضاله سبحانه.

قال الإمام الحسن المجتبي عليه السلام في دعاء من أدعيته مبتهلاً لله سبحانه:

(١) ابن حيون، النعمان بن محمّد، شرح الأخبار في فضائل الأئمّة الأطهار، ج ٣، ص ٤٥٦-٤٥٧.

(٢) نهج البلاغة، خطبة ١٤٤.

(٣) المصدر السابق، خطبة ٢.

(٤) الكفعمي، إبراهيم بن علي، البلد الأمين، ص ٢٥٥.

«إِلَهِي بِكَ عَرَفْتُكَ، وَبِكَ اهْتَدَيْتُ إِلَى أَمْرِكَ، وَلَوْ لَا أَنْتَ لَمْ أَدْرِ مَا أَنْتَ»^(١).

حاجة الإنسان للهداية الغيبية من أجل الإيمان

حينما نعيد النظر في مضمون الدعاء السابق للإمام الحسين عليه السلام يتبين لنا من خلاله حاجة الإنسان للهداية الغيبية وصولاً للإيمان، مثلما يحتاج إلى الهداية الإلهية لنيل أمور أخرى مثل:

١- الوصول لله سبحانه تعالى:

حيث جاء في الدعاء الخامس من الصحيفة السجادية:

«وَأَهْدِنَا إِلَيْكَ»^(٢).

٢- الصراط المستقيم:

فقد قال الله تعالى:

﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٣).

٣- طريق الحق:

ويصرح بذلك الإمام الرضا عليه السلام في دعائه قائلاً:

«اللَّهُمَّ نَوِّرْ بَصْرِي وَاجْعَلْ فِيهِ نُورًا أَبْصُرُ بِهِ حَقَّكَ، وَاهْدِنِي إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ»^(٤).

٤- الطريق السوي:

فقد روي هذا المعنى عن الإمام الجواد عليه السلام عندما تضرع إلى الله جلّ وعلا

قائلاً:

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، مهج الدعوات ومنهج العبادات، ص ١٤٤.

(٢) الصحيفة السجادية، ص ٤٦.

(٣) سورة البقرة، آية ٢١٣.

(٤) الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام، ص ٣٩٧.

«اللَّهُمَّ وَاهِدِنَا إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ»^(١).

٥- الطريق الإلهي القويم:

إذ نقل عن الإمام السجادة^(عليه السلام) قوله في الدعاء الرابع عشر من الصحيفة السجادية:

«وَاهِدِنِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ»^(٢).

ضرورة الاستعانة بالله لبلوغ كمال الإيمان

يستتج كذلك من مضمون الدعاء السابق للإمام الحسين^(عليه السلام) وجوب الاستعانة بالله سبحانه لنيل الإيمان الكامل بالمعاد وبالله تعالى. قال جلّ وعلا:

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^(٣).

وقد أبان العلامة الطباطبائي ذلك بما فيه الكفاية أثناء تفسير آية ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٤) حيث قال:

«إِنَّ الْهُدَايَةَ إِلَى الصِّرَاطِ يَتَعَيَّنُ مَعْنَاهَا بِحَسَبِ تَعَيَّنِ مَعْنَاهُ، وَتَوْضِيحُ ذَلِكَ: أَنَّ الْهُدَايَةَ هِيَ الدَّلَالَةُ عَلَى مَا فِي الصِّحَاحِ، وَفِيهِ أَنَّ تَعَدِّيَّتَهَا لِمَفْعُولِينَ لُغَةً أَهْلُ الْحِجَازِ، وَغَيْرِهِمْ يَعْدُونَهُ إِلَى الْمَفْعُولِ الثَّانِي بِلِئْلِ، وَقَوْلُهُ هُوَ الظَّاهِرُ، وَمَا قِيلَ: إِنَّ الْهُدَايَةَ إِذَا تَعَدَّتْ إِلَى الْمَفْعُولِ الثَّانِي بِنَفْسِهَا، فَهِيَ بِمَعْنَى الْإِيصَالِ إِلَى الْمَطْلُوبِ، وَإِذَا تَعَدَّتْ بِلِئْلِ فَبِمَعْنَى إِرَاءَةِ الطَّرِيقِ، مُسْتَدَلًّا بِنَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتعجب، ج ٢، ص ٨١٥.

(٢) الصحيفة السجادية، ص ٧٤.

(٣) سورة الحجرات، آية ٧.

(٤) سورة الفاتحة، آية ٦.

يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ^(١)، حيث إنّ هدايته بمعنى إراءة الطريق ثابتة، فالمنفي غيرها وهو الإيصال إلى المطلوب قال تعالى: ﴿وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٣).

فالهداية بالإيصال إلى المطلوب تتعدّى إلى المفعول الثاني بنفسها، والهداية بإراءة الطريق بإلى، وفيه أنّ النفي المذكور نفي لحقيقة الهداية التي هي قائمة بالله تعالى، لا نفي لها أصلاً، وبعبارة أخرى: هو نفي الكمال دون نفي الحقيقة، مضافاً إلى أنّه منقوض بقوله تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون: ﴿يَقَوْمِ أَتَعْبُونَ آهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾^(٤)، فالحق أنّه لا يتفاوت معنى الهداية باختلاف التعدية، ومن الممكن أن يكون التعدية إلى المفعول الثاني من قبيل قولهم: دخلت الدار، وبالجملة فالهداية هي الدلالة وإراءة الغاية بإراءة الطريق وهي نحو إيصال إلى المطلوب، وإنّما تكون من الله سبحانه، وسنته سنّة الأسباب بإيجاد سبب ينكشف به المطلوب ويتحقق به وصول العبد إلى غايته في سيره، وقد بيّنه الله سبحانه بقوله: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾^(٥)، وقوله: ﴿ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾^(٦)، وتعدية قوله: تلين بإلى لتضمين معنى مثل الميل والاطمينان، فهو إيجاداً تعالى وصفاً في القلب، به يقبل ذكر الله ويميل ويطمئن إليه، وكما أنّ سبله تعالى مختلفة، فكذلك الهداية تختلف باختلاف السبل التي تضاف إليه، فلكل سبيل هداية قبله تختص به.

(١) سورة القصص، آية ٥٦.

(٢) سورة النساء، آية ٦٨.

(٣) سورة الشورى، آية ٥٢.

(٤) سورة غافر، آية ٣٨.

(٥) سورة الأنعام، آية ١٢٥.

(٦) سورة الزمر، آية ٢٣.

وإلى هذا الاختلاف يشير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١)، إذ فرق بين أن يجاهد العبد في سبيل الله، وبين أن يجاهد في الله، فالمجاهد في الأول يريد سلامة السبيل ودفع العوائق عنه، بخلاف المجاهد في الثاني فإنه إنما يريد وجه الله فيمده الله سبحانه بالهداية إلى سبيل دون سبيل بحسب استعداده الخاص به، وكذا يمدّه الله تعالى بالهداية إلى السبيل بعد السبيل حتى يختصّه بنفسه جلت عظمته^(٢).

عظمة الإيمان

مما يستوحيه المتأمل أيضاً من الدعاء المتقدم للإمام الحسين عليه السلام عظمة الإيمان ومكانته عند الله سبحانه.

وفيه قال الإمام علي عليه السلام:

«... فَالْإِيْمَانُ أَصْلُ الْحَقِّ، وَالْحَقُّ سَبِيلُ الْهُدَى، وَسَيْفُهُ جَامِعُ الْحَلِيَّةِ، قَدِيمُ الْعُدَّةِ، الدُّنْيَا مَضْمَارُهُ...»^(٣).

حقيقة إيمان الأولياء

جاء عن الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفه مخاطباً ربّ العزة والجلالة:

«فَأَنَا أَشْهَدُ يَا إِلَهِي بِحَقِيْقَةِ إِيْمَانِي...»^(٤).

يشهد تعبير سيّد الشهداء عليه السلام هنا عن حقيقة إيمانه بصورة شخصية على أن

(١) سورة العنكبوت، آية ٦٩.

(٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٣٤-٣٥.

(٣) المتقي الهندي، علي بن حسام الدين، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ج ٦، ص ١٨٨.

(٤) الكفعمي، إبراهيم بن علي، البلد الأمين، ص ٢٥٢.

إيمان الأولياء - وهو منهم - له ميزة تخلو منها قلوب العامة.

نقل عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ إِذْ لَفِيَهُ رَكْبٌ فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ مُؤْمِنُونَ، قَالَ: فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكُمْ؟ قَالُوا: الرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِ اللَّهِ وَالتَّقْوِيضِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَقَالَ: عَلَمَاءُ حُكَمَاءُ كَادُوا أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْحَكَمَةِ أَنْبِيَاءَ، فَإِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَلَا تَبْنُوا مَا لَا تَسْكُنُونَ، وَلَا تَجْمَعُوا مَا لَا تَأْكُلُونَ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ»^(١).

ارتباط الإيمان بروح الإنسان وبدنه

جاء في رواية عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال في دعاء المقابر متضرراً عاً لله عز وجل:

«اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الْأَرْوَاحِ الْفَانِيَةِ، وَالْأَجْسَادِ الْبَالِيَةِ، وَالْعِظَامِ النَّخْرَةِ الَّتِي خَرَجَتْ مِنَ الدُّنْيَا وَهِيَ بِكَ مُؤَمَّنَةٌ»^(٢).

حيث يحكي إرجاع ضمير «هي» إلى «الأرواح» عن وجود ارتباط بين الإيمان وروح الإنسان.

ويشهد له قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تعريف الإيمان:

«لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالتَّحَلِّيِّ وَلَا بِالتَّمَنِّيِّ، وَلَكِنَّ الْإِيمَانَ مَا خَلَصَ فِي الْقُلُوبِ وَصَدَّقَهُ الْأَعْمَالُ»^(٣).

(١) ابن بابويه، محمد بن علي، معاني الأخبار، ص ١٨٧، حديث ٦.

(٢) المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج ٩٩، ص ٣٠٠-٣٠١، حديث ٣١.

(٣) ابن بابويه، محمد بن علي، معاني الأخبار، ص ١٨٧، حديث ٣.

مكانة الفكر في الإيمان بالله تعالى

روى ابن شعبة الحرّاني في «تحف العقول» عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال واصفاً الحقّ سبحانه:

«يُصِيبُ الْفِكْرُ مِنْهُ الْإِيمَانَ بِهِ مَوْجُوداً، وَوُجُودَ الْإِيمَانِ لَا وَجُودَ صِفَةٍ، بِهِ تُوصَفُ الصِّفَاتُ لَا بِهَا يُوصَفُ، وَبِهِ تُعْرَفُ الْمَعَارِفُ لَا بِهَا يُعْرَفُ، فَذَلِكَ اللَّهُ لَا سَمِيَّ لَهُ سُبْحَانَهُ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»^(١).

فيستنتج من الجملة الأولى أنّ الإنسان بفكره وعقله ولبه فقط يتمكّن من الإيمان بوجود الله جلّ وعلا.

ويؤكد قول الإمام علي عليه السلام:

«مَا آمَنَ الْمُؤْمِنُ حَتَّى عَقَلَ»^(٢).

عدم التعارض بين الفكر والإيمان

يستشف كذلك من الجملة الأولى في الحديث السابق للإمام الحسين عليه السلام عدم وجود تعارضٍ أو تضاد بين الفكر والعقل والنتائج الحاصل منهما.

ولو أنّنا تأملنا هذه القضية لوقفنا على أنّ هناك رؤيتين مختلفتين حول التدين على طول التاريخ: أُولاهما: ترى أنّ الاعتقاد الديني يضاد ويقابل الأحكام العقلية، وإذا قيس الدين بالمعايير العقلية فلا بدّ أن يترك جانباً، والأخرى: ترى أنّ الاعتقاد الديني فعل إنساني ليس من شأن معايير العقل النظري ولا صلاحياته تقسيمه، حتّى لو لم يكن بينهما أيّ تعارض يذكر، ومن الممكن طرح نموذج على ذلك: المتألّه

(١) ابن شعبة، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليهم)، ص ٢٤٥.

(٢) الأمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٦٨٨، حديث ١٠١.

الكبير «ترتليان»^(١) (١٥٥-٢٤٠ م) حيث يمثل أبرز شخصيات الخط الأول؛ إذ إنه يذهب إلى القول بأن الاعتقاد الديني علاوة على كونه ممّا وراء العقل هو خلافه أيضاً، ولكن الكثير من المرتبطين بالحركة الإصلاحية المسيحية اختاروا الرؤية الثانية، وقد عرفوا فيما بعد بالمؤمنين المعتدلين. أمّا في العصور المتأخرة فمن الممكن عدّ الفيلسوف الوجودي^(٢) المرموق «سورين كيركغور»^(٣) (١٨١٣-١٨٥٥ م) كمدافع عن المسلك الأول، والفيلسوف البارز والشهير المعاصر «لودفيغ فيتغنشتاين»^(٤) (١٨٨٩-١٩٥١ م) كمدافع عن المسلك الثاني^(٥).

قال الإمام علي عليه السلام:

«الإِيمَانُ شَجَرَةٌ أَصْلُهَا الْيَقِينُ، وَفَرْعُهَا التَّقَى، وَنُورُهَا الْحَيَاءُ، وَتَمَرُهَا السَّخَاءُ»^(٦).

الفاصلة بين الإيمان واليقين

روى ابن عديم بسنده عن محمد بن مسعر اليربوبي قال:

«قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَمْ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ؟ قَالَ: أَرْبَعُ أَصَابِعَ، قَالَ: بَيْنَ، قَالَ: الْيَقِينُ مَا رَأَيْتَهُ عَيْنُكَ، وَالْإِيمَانُ مَا سَمِعْتَ أُذُنَكَ وَصَدَّقْتَ بِهِ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ مِمَّنْ أَنْتَ مِنْهُ، ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ»^(٧).

من خلال ملاحظة السؤال والجواب أعلاه يتضح أنّ هناك فارقاً بين الإيمان

(1) Tertullian.

(2) Existentialist.

(3) Søren Kierkegaard.

(4) Ludwig Wittgenstein.

(٥) محمد رضائي، محمد، وآخرون، جستارهاي در كلام جديد (بحوث في الكلام الجديد)، ص ١٣٨-١٣٩.

(٦) الأمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٩٥، حديث ١٨١١.

(٧) ابن عديم، عمر بن أحمد، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج ٦، ص ٢٥٨٩.

واليقين، فمن الممكن أن يتّصف شخص بالإيمان والتصديق القلبي بأمر ما، ولكنه لم يصل بعد إلى اليقين القلبي به، وإن كان الوصول إلى ذلك مطلوباً.

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«إِنَّ الْإِيمَانَ أَفْضَلُ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَإِنَّ الْيَقِينَ أَفْضَلُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَعَزَّ مِنَ الْيَقِينِ»^(١).

ارتباط الإيمان بنفس الإنسان

نقل عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال في خطبة:

«... وَأَحَدَرَكُمُ الْإِصْغَاءَ إِلَى هُتُوفِ الشَّيْطَانِ بِكُمْ فَإِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ، فَتَكُونُوا كَأَوْلِيَاءِهِ الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفُتَاتِ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ﴾»^(٢)، فَتَلْقَوْنَ لِلْسُّيُوفِ ضَرْباً وَلِلرَّمْحِ وَرَدّاً وَلِلْعُمْدِ حَطْماً وَلِلسَّهَامِ غَرَضاً، ثُمَّ لَا يُقْبَلُ مِنْ نَفْسٍ إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ أَمَنْتَ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْراً»^(٣).

يلوح لمن يدقق في إضافة «الإيمان» للضمير الراجع للـ«نفس» بآتها المحل الذي يتعلّق به الإيمان، وإذا ورد التعبير في بعض الروايات حول تعلّق الإيمان بقلب الإنسان فإنّ المقصود به نفس الإنسان.

وقال العلامة الحلي في ذلك:

«اختلف الناس في حقيقة النفس ما هي؟ وتحرير الأقوال الممكنة فيها أنّ النفس إما أن تكون جوهرًا أو عرضاً أو مركباً منهما، فإن كانت جوهرًا فإنّما أن تكون متحيّزة

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٢، ص ٥١، حديث ١.

(٢) سورة الأنفال، آية ٤٨.

(٣) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج، ج ٢، ص ٢٩٩.

أو غير متحيّزة، فإن كانت متحيّزة فإمّا أن تكون منقسمة أو لا تكون، وقد صار إلى كلّ قسم من هذه الأقسام قائل.

والمشهور مذهبان:

أحدهما: إنّ النفس جوهر مجرد ليس بجسم ولا حالّ في الجسم، وهو مدبّر لهذا البدن، وهو قول جمهور الحكماء ومأثور عن شيخنا المفيد وبنو نوبخت من أصحابنا.

الثاني: إنّ النفس جوهر أصليّة في هذا البدن حالة فيه من أوّل العمر إلى آخره، لا يتطرّق إليها التغيّر ولا الزيادة ولا النقصان»^(١).

قال جلّ وعلا:

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾^(٢).

(١) العلامة الحلي، الحسن بن يوسف، معارج الفهم في شرح النظم، ص ٥٣٣-٥٣٤.

(٢) سورة الأنعام، آية ١٥٨.

ب) مراتب الإيمان

احتدم الخلاف في الآراء ووجهات النظر بخصوص الإيمان أهو من مقولة التشكيك وله مراتب ودرجات أو أنه حقيقة واحدة؟ وفي ذلك قال الشهيد الثاني:

«البحث الأوّل في أنّ حقيقة الإيمان بعد الاتّصاف بها بحيث يصير المتّصف بها مؤمناً عند الله تعالى هل تقبل الزيادة أم لا؟

ف قيل بالثاني لما تقدّم من أنّه التصديق القلبي الذي بلغ الجزم والثبات، فلا تتصوّر فيه الزيادة عن ذلك، سواء أتى بالطاعات وترك المعاصي أم لا، وكذا لا تعرض له النقيصة وإلا لما كان ثابتاً وقد فرضناه كذلك، هذا خلف. وأيضاً حقيقة الشيء لو قبلت الزيادة والنقصان لكانت حقائق متعددة وقد فرضناها واحدة، هذا خلف»^(١).

وإلى القول الآخر ذهب صدر المتأهّين حيث يرى أنّ للإيمان درجات ومراتب، إذ قال:

«فالمذهب المنصور المعتضد بالبرهان أنّ الإيمان في عرف الشرع هو التصديق بكل ما علم بالضرورة من دين نبيّنا ﷺ، لكن قد يسمّى الإقرار إيماناً كما يسمّى تصديقاً، إلاّ أنّه متى صدر عن شكّ أو جهل كان إيماناً لفظياً لا حقيقياً، ومن هذا القبيل تقسيم المنطقيّين القضية - وهي الحكم بثبوت أمر لآخر - إلى قضية معقولة وإلى قضية ملفوظة.

(١) الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، حقائق الإيمان مع رسالتي الاقتصاد والعدالة، ص ٩٦.

وقد يسمّى أعمال الجوارح إيماناً استعارة وتلويحاً كما يسمّى تصديقاً لذلك، كما يقال: (فلان يصدق أفعاله مقاله) والفعل ليس بتصديق باتّفاق أهل اللغة، فالإيمان من الألفاظ المشكّكة التي يتفاوت معناها في الشدّة والضعف، والكمال والنقص، فهو منقسم إلى حقيقيّ ومجازيّ، باطنيّ وظاهريّ، بل ينقسم كما أشار إليه بعض العرفاء إلى لبّ ولبّ لبّ، وقشر وقشر قشر، وهذا بعينه كانقسام الإنسان إلى هذه المراتب، فإنّ الإيمان من مقامات الإنسان في إنسانيّته.

وقد يمثّل هذا تقريباً للأفهام الضعيفة بالجوز، فإنّ له قشرين الأعلى والأسفل، وله لبّ وللبّ دهن، وهو لبّ لبّه.

المرتبة الأولى من الإيمان أن يقول الإنسان كلمة الشهادة ويعترف باللسان وقلبه غافل عنه أو جاحد له، كما للمنافقين.

والثانية: أن يصدّق بمعنى هذه الكلمة وبكلّ ما هو معلوم بالضرورة من الدين، كتصديق عاتمة المسلمين، وهذا اعتقاد ليس بيقين.

والثالثة: أن يعرف هذه المعارف الإيمانيّة ويصدّق بها عرفاناً كشفياً أو تصديقاً برهانياً وعلمياً يقينياً بواسطة نور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده، وهو المشار إليه في قوله: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾^(١)، وهذا هو الإيمان الحقيقي الذي سأله رسول الله صلى الله عليه وآله حارثة الأنصاري عن بيان حقيقته لما قال: إني أصبحت مؤمناً حقّاً، فقال صلى الله عليه وآله: لكلّ حقّ حقيقة فما حقيقة إيمانك؟

فأجاب بقوله: عزفت نفسي عن الدنيا بما فيها فاستوى عندي حجرها وذهبها.
فكأنّي أرى أهل الجنّة في الجنّة يتزاورون، وأهل النار في النار يتعاونون، وكأنّي أرى عرش ربّي بارزاً.

فصدّقه رسول الله ﷺ، وقال: أصبت فالزم.

والرابعة: أن يستغرق الإنسان في نور الحضرة الأحديّة بحيث لا يرى في الوجود إلا الواحد القهّار فيقول بلسان حاله وإيمانه: لمن الملك اليوم؟ ثمّ يجيب عنه بلغة توحيده وعرفانه: لله الواحد القهّار، وهذا المقام لا يحصل لأحد ما دام كونه في هذه الحياة الدنيا إلاّ للكمل من العرفاء والأولياء بواسطة غلبة سلطان الآخرة على بواطنهم.

فصاحب المقام الأوّل مؤمن بمجرّد اللسان في عالم الأجسام ونشأة الحواسّ، وفائدة إيمانه يرجع إليه في هذه النشأة، إذ يحقن دمه من السيف والسنان ويعصم ماله وذرايه من النهب والسبي.

وصاحب المقام الثاني مؤمن بمعنى أنّه معتقد بقلبه مفهوم هذا اللفظ، وقلبه خال عن التكذيب، وهو عقد على القلب وليس فيه انشراح القلب لنور المعرفة، ولا انفتاح روزنته لعالم الملكوت الغيبي المقابل لهذا العالم، عالم الملك والشهادة.

وفائدته أنّه يصير منشأ بعض الأعمال الصالحة ومبدأ بعض الخيرات وأداء الأمانات وفعل الحسنات، التي ينجرّ تارة أخرى إلى إصلاح القلب وتصفيتها وليستعد لحصول المعرفة على وجه أكمل، حتّى ينتهي إلى الإيمان الحقيقي.

فعلى هذا صحّ القول بأنّ الإيمان هو المبدأ والغاية، فإنّ الإيمان والعمل الصالح كلّ منهما يدور على صاحبه، فكلّ إيمان موجب لصالح من العمل وكل صالح من العمل ينجرّ إلى حصول ضرب من الإيمان، فيدور كلّ منهما على نفسه دوراً غير مستحيل، لتغايره بالعدد.

لكن الإيمان أوّل الأوائل في الحدوث، وهو أيضاً آخر الأواخر في البقاء...

وصاحب المقام الثالث مؤمن بمعنى أنّه بصير بحقائق الأمور الإيمانيّة بصيرة قلبية ومشاهدة عقلية، إذ قد انكشفت له أسرار الملكوت وخفايا عالم الغيب والجبروت، لا

أنه مكلف بعقد قلبه على مفهوم هذه الألفاظ، فإن ذلك رتبة العوام والمتكلمين، إذ لا يفارق المتكلم العامي في أصل الاعتقاد، بل في صنعة تلفيق الكلام الذي يدفع به حيل مبتدعة في تحليل هذه العقدة.

وصاحب المقام الرابع مؤمن بمعنى أنه لم يحضر في شهوده غير الواحد القهار مبدأ الأشياء وغايتها وأولها وآخرها وظاهرها وباطنها، الذي إليه يرجع عواقب الأمور، وبه ينقطع سير السائرين وسفر المسافرين، وهذه المرتبة في الإيمان هي الغاية القصوى التي لا حد لها ولا منتهى^(١).

وفي ذيل الآية الشريفة ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾^(٢) قال العلامة الطباطبائي:

«والمراد بزيادة الإيمان اشتداده، فإن الإيمان بشيء هو العلم به مع الالتزام بحيث يترتب عليه آثاره العملية، ومن المعلوم أن كلاً من العلم والالتزام المذكورين مما يشتد ويضعف، فالإيمان الذي هو العلم المتلبس بالالتزام يشتد ويضعف.

فمعنى الآية: الله الذي أوجد الثبات والاطمئنان الذي هو لازم مرتبة من مراتب الروح في قلوب المؤمنين ليشتد به الإيمان الذي كان لهم قبل نزول السكينة فيصير أكمل مما كان قبله»^(٣).

وقال في موضع آخر:

«وإذ كان الإيمان هو العلم بالشيء مع الالتزام به بحيث يترتب عليه آثاره العملية، وكل من العلم والالتزام مما يزداد وينقص ويشتد ويضعف كان الإيمان المؤلف منها قابلاً للزيادة والنقيصة والشدة والضعف، فاختلف المراتب وتفاوتت الدرجات من الضروريات التي لا يشك فيها قط.

(١) صدر الدين الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج ١، ص ٢٥٤-٢٥٧.

(٢) سورة الفتح، آية ٤.

(٣) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٨، ص ٢٥٨-٢٥٩.

هذا ما ذهب إليه الأكثر وهو الحق، ويدل عليه من النقل قوله تعالى: ﴿لِيَزِدُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾^(١) وغيره من الآيات، وما ورد من أحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام الدالة على أن الإيمان ذو مراتب^(٢).
وقال أبو جعفر الطحاوي:

«والإيمان: هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان. وجميع ما صح عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الشرع والبيان كله حق. والإيمان واحد، وأهله في أصله سواء، والتفاضل بينهم بالخشية والتقوى، ومخالفة الهوى، وملازمة الأولى»^(٣).
وقال ابن أبي العز في شرحه لهذه العبارة:

«والأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه من الكتاب والسنة والآثار السلفية كثيرة جداً، منها...»^(٤).

وذهب بعض ممن يرى أن الإيمان تصديق إلى القول بأنه مشكك قابل للزيادة والتقيصة، وقد تمسكوا ببعض الأدلة والحجج لإثبات ادّعائهم هذا، ومنها:

١- الآيات التي تشير إلى زيادة الإيمان:

قال سبحانه وتعالى:

﴿وَإِذَا تُلِّمْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ، زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾^(٥).

وقال أيضاً:

﴿لِيَزِدُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾^(٦).

(١) سورة الفتح، آية ٤.

(٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٨، ص ٢٥٩-٢٦٠.

(٣) ابن أبي العز، علي بن علي، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٣٣١.

(٤) المصدر السابق، ص ٣٤٢.

(٥) سورة الأنفال، آية ٢.

(٦) سورة الفتح، آية ٤.

وقال كذلك:

﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾^(١).

وقال أيضاً:

﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا﴾^(٢).

٢- ويعبر القرآن الكريم على لسان إبراهيم الخليل عليه السلام:

﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾^(٣).

٣- لا شك أن إيمان النبي ﷺ وإيمان الآخرين ليسا بمستو واحد، ولا يكمن الاختلاف بينهما في العمل أو في الأمور الخارجة عن الإيمان، وإنما في الإيمان ودرجته، ولا يعني هذا أن الاختلاف يعود إلى حقيقة الإيمان، وذلك أن قوة الإيمان لها أسباب متعددة ومتنوعة يرجع بعضها إلى نوع المعرفة والعلم، وبعضها يرتبط بالعمل الصالح؛ لأن هذه لها تأثير أيضاً في زيادة الإيمان حال الأعمال غير الصالحة في تضعيف الإيمان، ومن هذا المنطلق نجد أن الرسول ﷺ يقول:

«إِنَّ أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»^(٤).

والخلاصة: أن تصوّر زيادة الإيمان أمر ممكن سواء بلحاظ إذعان النفس؛ لأنه ليس له مرتبة واحدة، وبقدر ما كان إذعان النفس أقوى ازداد إيمانها واشتدّ، أو بلحاظ التصديق؛ لأن هذا أيضاً له مراتب، فالتصديق وإن كان بحسب اصطلاح علم المنطق مختصاً بالعلوم الحسولية الكسبية الذهنية، لكنه في تفسير الإيمان يراد به

(١) سورة التوبة، آية ١٢٤.

(٢) سورة المدثر، آية ٣١.

(٣) سورة البقرة، آية ٢٦٠.

(٤) ابن حنبل، أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٤١، ص ٢١٣، حديث ٢٤٦٧٧.

الأعم من العلوم الحسولية والحضورية، فمتى ما انتقل الإنسان من العلم الحسولي إلى العلم الحضورى، يعنى أن إيمانه اشتدّ وتعزّز وبلغ درجة يعبر عنه فيها باليقين. وقد تمت الإشارة أيضاً في الأحاديث المنقولة عن سيّد الشهداء عليه السلام إلى درجات الإيمان بالمعارف الدينية، فكان منها:

حسن بلوغ اليقين بالمعارف الإلهية

جاء عن الإمام الحسين عليه السلام قوله في دعاء عرفة مخاطباً الحقّ تبارك وتعالى:

«فَأَنَا أَشْهَدُ يَا إِلَهِي بِحَقِّقَةِ إِيْمَانِي، وَعَقْدِ عَزَمَاتِ يَقِينِي...»^(١).

لما اتّضح ممّا أسلفنا أنّ «اليقين» هو التصديق القلبي دون شك أو ريب يأتي قول الإمام عليه السلام هنا ليرشدنا مضمونه بضرورة وصول الإنسان إلى اليقين في المعارف الإلهية، ومن بينها أصول العقيدة كما كانت عليه عقائد الإمام عليه السلام.

وقال الملام مهدي النراقي مبيّناً اليقين ومراتبه في كتابه «جامع السعادات»:

«وأول مراتبه اعتقاد ثابت جازم مطابق للواقع غير زائل بشبهة وإن قويت، فالاعتقاد الذي لا يطابق الواقع ليس يقيناً وإن جزم به صاحبه واعتقد مطابقته للواقع، بل هو - كما أشير إليه - جهل مركب ينشأ عن اعوجاج القرينة، أو خطأ في الاستدلال، أو حصول مانع من إفاضة الحق كتقليد أو عصبية أو غير ذلك، فاليقين من حيث اعتبار الجزم فيه يكون ضدّ الحيرة والشك، ومن حيث اعتبار المطابقة للواقع فيه يكون ضدّاً للجهل المركب»^(٢).

ومواصلة لحديثه حول متعلّق «اليقين» قال:

«هذا ومتعلّق اليقين إمّا أجزاء الإيمان ولوازمه، من وجود الواجب وصفاته

(١) الكفعمي، إبراهيم بن علي، البلد الأمين، ص ٢٥٢.

(٢) النراقي، مهدي بن أبي ذر، جامع السعادات، ج ١، ص ١٥٤.

الكمالية وسائر المباحث الإلهية من النبوة وأحوال النشأة الآخرة، أو غيرها من حقائق الأشياء التي لا يتم الإيمان بدونها»^(١).

وبخصوص تأثير «اليقين» في وجود الإنسان قال:

«ولا ريب في أنّ مطلق اليقين أقوى أسباب السعادة، وإن كان اليقين في المباحث الإلهية أدخل في تكميل النفس وتحصيل السعادة الأخروية، لتوقف الإيمان عليه، بل هو أصله وركنه، وغيره من المراتب فرعه وغصنه، والنجاة في الآخرة لا تحصل إلاّ به، والفاقد له خارج عن زمرة المؤمنين داخل في حزب الكافرين»^(٢).

وفي بيانه لشرف «اليقين» كتب قائلاً:

«اليقين أشرف الفضائل الخلقية وأهمّها، وأفضل الكمالات النفسية وأعظمها، وهو الكبريت الأحمر الذي لا يظفر به إلاّ أوحدي من أعظم العرفاء أو ألمعي من أكابر الحكماء، ومن وصل إليه فاز بالرتبة القصوى والسعادة العظمى، قال سيّد الرسل صلى الله عليه وآله: (أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر، ومن أوتي حظّه منها لم يبال ما فاته من صيام النهار وقيام الليل)، وقال صلى الله عليه وآله: (اليقين الإيمان كله)»^(٣).

وفي مراتب «اليقين» قال:

«تمّ له مراتب: (أولها) علم اليقين، وهو اعتقاد ثابت جازم مطابق للواقع - كما مرّ - وهو يحصل من الاستدلال باللوازم والملزومات، ومثاله اليقين بوجود النار من مشاهدة الدخان، و(ثانيها) عين اليقين، وهو مشاهدة المطلوب ورؤيته بعين البصيرة والباطن، وهو أقوى في الوضوح والجلء من المشاهدة بالبصر، وإلى هذه المرتبة أشار

(١) المصدر السابق، ج ١، ص ١٥٥.

(٢) المصدر السابق، ج ١، ص ١٥٥.

(٣) المصدر السابق، ج ١، ص ١٥٥.

أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: (لم أعبد رباً لم أره) بعد سؤال ذعلب اليماني عنه عليه السلام: أرأيت ربك؟ وبقوله عليه السلام: (رأى قلبي ربي). وهو إنما يحصل من الرياضة والتصفية وحصول التجرد التام للنفس، ومثاله اليقين بوجود النار عند رؤيتها عياناً، و(ثالثها) حق اليقين، وهو أن تحصل وحدة معنوية وربط حقيقي بين العاقل والمعقول، بحيث يرى العاقل ذاته رشحة من المعقول ومرتبطةً به غير منفك عنه، ويشاهد دائماً ببصيرته الباطنية فيضان الأنوار والآثار منه إليه، ومثاله اليقين بوجود النار بالدخول فيها من غير احتراق^(١).

عزومات اليقين

جاء تعبير الإمام الحسين عليه السلام بـ«عزومات» على وزن عرفات، ومفردة «عزمة» على وزن «حلمة» أو «ضربة» بمعنى الإرادة الحتمية، و«العزم» يمثل المرحلة القطعية للإرادة، ويأتي بعد التصور والتصديق والإرادة، وهذه المرحلة لا تقبل التردد والتشكيك.

قال عز من قائل:

﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا لِآدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾^(٢).

و«العزم» في هذه الآية بمعنى الرأي والإرادة القوية الثابتة والصلبة.

وقال الطريحي في «مجمع البحرين»:

«وَالْعَزْمُ وَالْعَزْمَةُ: مَا عَقَدَ عَلَيْهِ قَلْبُكَ أَنْتَ فَاعِلُهُ»^(٣).

وأولوا العزم هم أنبياء أتوا بعزم وشريعة ثابتة لا ترديد فيها.

(١) المصدر السابق، ج ١، ص ١٦٠.

(٢) سورة طه، آية ١١٥.

(٣) الطريحي، فخر الدين بن محمد، مجمع البحرين، ج ٦، ص ١١٣.

والنتيجة: أن العزم هو التصميم والإرادة للقيام بعمل في الآتي على نحو اليقين والقطع بما لا يقبل الشك والتردد.

والمقصود من «عزمات اليقين» هي الأمور التي تصبح لازمة وواجبة على الإنسان إثر تيقنه بشيء ما، وبعبارة موجزة: العمل طبقاً لليقين.

تعلق اليقين بقلب الإنسان ونفسه

تصرَّع الإمام الحسين عليه السلام إلى الله سبحانه في دعاء عرفه قائلاً:

«اللَّهُمَّ اجْعَلْ غِنَائِي فِي نَفْسِي، وَالْيَقِينَ فِي قَلْبِي»^(١).

إنَّ من ملاحظة مضمون هذا الدعاء نستنتج أن قلب الإنسان ونفسه وروحه أوعية لليقين.

قال الإمام علي عليه السلام:

«فَمِنَ الْإِيْمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتًا مُسْتَقْرًّا فِي الْقُلُوبِ، وَمِنْهُ مَا يَكُونُ عَوَارِيًّا بَيْنَ الْقُلُوبِ وَالصُّدُورِ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ، فَإِذَا كَانَتْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ مِنْ أَحَدٍ فَقْفُوهُ حَتَّى يَخْضُرَهُ الْمَوْتُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقَعُ حَدُّ الْبَرَاءَةِ.

وَالهَجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَى حَدِّهَا الْأَوَّلِ، مَا كَانَ لِلَّهِ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسِرِّ الْأُمَّةِ وَمُعْلِنِهَا، لَا يَقَعُ اسْمُ الْهَجْرَةِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ الْحِجَّةِ فِي الْأَرْضِ، فَمَنْ عَرَفَهَا وَأَقْرَبَهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ، وَلَا يَقَعُ اسْمُ الْإِسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ الْحِجَّةُ فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ وَوَعَاها قَلْبُهُ.

إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ، لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ ائْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبُهُ لِلْإِيْمَانِ، وَلَا يَعْجِي حَدِيثُنَا إِلَّا صُدُورٌ أَمِينَةٌ، وَأَخْلَامٌ رَزِينَةٌ»^(٢).

(١) الكفعمي، إبراهيم بن علي، البلد الأمين، ص ٢٥٣.

(٢) نهج البلاغة، خطبة ١٨٩.

حاجة الإنسان للمدد الغيبية في الوصول لليقين القلبي

بما أن الإمام الحسين عليه السلام التمس ذلك من الله عز وجل - كما يبدو من الحديث السابق - فإننا من الطبيعي جداً أن نستنتج في ضوء ذلك مدى حاجة الإنسان إلى المدد الغيبية في سبيل استقرار اليقين في القلب وثباته فيه، ولهذا وجب التماسه من الله سبحانه.

قال الإمام علي عليه السلام:

«إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا فَفَقَّهْهُ فِي الدِّينِ، وَأَلْهَمْهُ الْيَقِينَ»^(١).

من يؤمنون في عالم الآخرة

جاء في ضمن وصية الإمام الحسين عليه السلام في مقام بيانه القيامة وأهوالها قوله:
 «... وَيَوْمَئِذٍ ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَنِهَا خَيْرًا قُلٌّ أَنْظُرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ﴾^(٢)...»^(٣).

فيستفاد من كلامه عليه السلام المستوحى من آيات القرآن أن بعض الناس قد يؤمنون بالله عز وجل بعد حلول الآخرة، ولكن هذا الإيـان لا يجديهم نفعاً؛ إذ كان الواجب عليهم الإيـان بالله سبحانه في الدنيا.

فقد نقل أبو بصير عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال في ذيل هذه الآية:

«إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَكُلُّ مَنْ ءَامَنَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لَا يَنْفَعُهُ إِيْمَانُهُ»^(٤).

(١) الأمدى، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٢٩١، حديث ١٥٩.

(٢) سورة الأنعام، آية ١٥٨.

(٣) ابن شعبة، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليهم)، ص ٢٤٠.

(٤) القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي، ج ١، ص ٢٢١-٢٢٢.

أحياناً لا يقبل إيمان بعض الناس

نقل عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال في إحدى خطبه:

«... وَأَحَدَرِكُمْ الْإِضْغَاءَ إِلَى هُتُوفِ الشَّيْطَانِ بِكُمْ فَإِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ، فَتَكُونُوا كَأَوْلِيَانِهِ الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ﴾^(١)، فَتَلْقَوْنَ لِلشُّيُوفِ ضَرْباً وَلِلرَّمَاكِ وَرَدّاً وَلِلْعُمْدِ حَطْماً وَلِلسَّهَامِ غَرَضاً، ثُمَّ لَا يُقْبَلُ مِنْ نَفْسٍ إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خِيراً»^(٢).

يتضح من استشهاد الإمام عليه السلام بهذه الآية أن أولئك الذين قضوا عمرهم مع الشيطان متبعين أوليائه سائرين على خطاه، تكون عاقبتهم ومصيرهم إلى تباب، وإن آمنوا حين الموت فلن يقبل منهم، وهذا الأمر يدلّ ضمناً وبالملازمة على ضعف إيمان بعض الأفراد، كما يوحي بالنتيجة إلى وجود مراتب مشككة للإيمان.

قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(٣).

قلة الديانين عند الابتلاء

قال الإمام الحسين عليه السلام أثناء مسيره إلى كربلاء:

«إِنَّ النَّاسَ عَيْدُ الدُّنْيَا، وَالدِّينُ لَعَقٌ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، يَحُوطُونَهُ مَا دَرَّتْ مَعَايِشُهُمْ، فَإِذَا مُحِّصُوا بِالْبَلَاءِ قَلَّ الدِّيَانُونَ»^(٤).

(١) سورة الأنفال، آية ٤٨.

(٢) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج، ج ٢، ص ٢٩٩.

(٣) سورة الأنعام، آية ١٥٩.

(٤) ابن شعبة، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليهم)، ص ٢٤٥.

يتحصّل من هذا الحديث أنّ الامتحان الإلهي متى ما حلّ قلّ الديانون، وهذا الأمر يدلّ ضمناً وبالملازمة على مرتبة إيمان الناس ووهنها عند الامتحان الإلهي.

قال تبارك وتعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوا أَعْبَارَكُمْ﴾^(١).

ج) ما يتعلق به الإيمان

بما أنّ الإيمان عقد وتصديق قلبي فلا بدّ له من متعلّق، وحينما نمعن النظر في ما روي عن سيّد الشهداء عليه السلام نجد فيه إشارات إلى بعض الجوانب التي يتعلّق بها الإيمان، مثل:

١- ربوبية الله تعالى

نقل ابن شهر آشوب:

«رَوَى أَبُو مُحَمَّدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّهُ صُلِبَ رَأْسُ الْحَسَنِ بِالصَّيَارِفِ فِي الْكُوفَةِ، فَتَنَحَّحَ الرَّأْسُ، وَقَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَهُمْ هُدًى﴾^(١)، فَلَمْ يَزِدْهُمْ ذَلِكَ إِلَّا ضَلَالًا.

وَفِي أَثَرٍ: أَنَّهُمْ لَمَّا صَلَبُوا رَأْسَهُ عَلَى الشَّجَرَةِ سَمِعَ مِنْهُ: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(٢)، وَسَمِعَ أَيْضًا صَوْتَهُ بِدِمَشْقَ يَقُولُ: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾^(٣)، وَسَمِعَ أَيْضًا يَقْرَأُ: ﴿أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا﴾^(٤)، فَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ: أَمْرٌ كَأَعْجَبُ يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ^(٥).

يبدو من استشهاده عليه السلام بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَهُمْ هُدًى﴾ أنّ الإيمان بالربوبية الإلهية واجب على الجميع، وهذا الإيمان سيبحث على

(١) سورة الكهف، آية ١٣.

(٢) سورة الشعراء، آية ٢٢٧.

(٣) سورة الكهف، آية ٣٩.

(٤) سورة الكهف، آية ٩.

(٥) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب عليه السلام، ج ٤، ص ٦١.

اشتداد هداية الإنسان وتقويتها.

قال عزّ من قائل:

﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾^(١).

وقد سلط الشهيد الثاني الضوء حول ذلك:

«الثالث: في بيان المعارف التي يحصل بها الإيمان، وهي خمسة أصول:

الأصل الأوّل: معرفة الله تعالى وتقدّس، المراد بها التصديق الجازم الثابت بأنّه تعالى موجود أزلاً وأبداً واجب الوجود لذاته، بمعنى أنّ وجوده تعالى مقتضى ذاته القديم من غير افتقار إلى علّة في ذاته ووجوده، فيكون وجوده القديم عين ذاته القديم؛ إذ لو فرض عدم قدم ذاته ووجوده خرج عن كونه واجب الوجود إلى ممكن الوجود، وقد فرضناه واجب الوجود هذا خلف.

والتصديق بصفات جلاله ونعوت كماله التي هي صفاته الثبوتية، وتنزيهه عما لا يليق بكبرياء ذاته من صفات مخلوقاته التي يجب اعتقاد سلبها»^(٢).

٢. رسل الله تعالى

يتّضح ذلك ممّا جاء في دعاء الإمام الحسين عليه السلام الموسوم بدعاء عرفة، واصفاً دولة أئمة الكفر حيث قال:

«الَّذِينَ نَقَّضُوا عَهْدَكَ، وَكَذَّبُوا رُسُلَكَ»^(٣).

ومن خلال الإتيان بهذه الجملة في مقام وصف دولة أئمة الكفر يتبيّن بالملازمة ضرورة التصديق برسل الله جلّ وعلا وحرمة تكذيبهم.

(١) سورة آل عمران، آية ١٩٣.

(٢) الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، حقائق الإيمان مع رسالتي الاقتصاد والعدالة، ص ١٤٤ - ١٤٥.

(٣) الكفعمي، إبراهيم بن علي، البلد الأمين، ص ٢٥١.

فقد روى البرقي بسنده عن زيد بن أرقم أن الحسين بن علي عليه السلام قال:
«مَا مِنْ شَيْعَتِنَا إِلَّا صِدِّيقٌ شَهِيدٌ.»

قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، أَنَّى يَكُونُ ذَلِكَ وَعَامَّتُهُمْ يَمُوتُونَ عَلَى فِرَاشِهِمْ؟
فَقَالَ: أَمَا تَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ فِي الْحَدِيدِ: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ءَأُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ^١ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(١).

قَالَ: فَقُلْتُ: كَأَنِّي لَمْ أَقْرَأْ هَذِهِ الْآيَةَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَطُّ.

قَالَ: لَوْ كَانَ الشُّهَدَاءُ لَيْسَ إِلَّا كَمَا تَقُولُ لَكَانَ الشُّهَدَاءُ قَلِيلًا^(٢).

فيتحصّل من ذكر كلمة «رُسل» في هذه الآية التي استشهد بها الإمام أن على الإنسان الإيمان بجميع الرسل الإلهيين، الذين أرسلوا هداية البشر. ويشهد له قوله تبارك وتعالى:

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ءَأُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ^٣ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾^(٣).
وقوله سبحانه:

﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَتَأْمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾^(٤).

وقوله جلّ وعلا:

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ءَأُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ^٥﴾

(١) سورة الحديد، آية ١٩.

(٢) البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن، ج ١، ص ١٦٣-١٦٤، حديث ١١٥.

(٣) سورة النساء، آية ١٥٢.

(٤) سورة النساء، آية ١٧١.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١﴾.

وقوله عزّت أساؤه:

﴿أَمَّا الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ (٢).

وجاء في بيان الشهيد الثاني:

«الأصل الثالث: التصديق بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وبجميع ما جاء به تفصيلاً فيما علم تفصيلاً، وإجمالاً فيما علم إجمالاً.

وليس بعيداً أن يكون التصديق الإجمالي بجميع ما جاء به صلى الله عليه وآله كافياً في تحقق الإيمان، وإن كان المكلف قادراً على العلم بذلك تفصيلاً يجب العلم بتفاصيل ما جاء به من الشرائع للعمل به.

وأما تفصيل ما أخبر به من أحوال المبدأ والمعاد، كالتكليف بالعبادات، والسؤال في القبر وعذابه، والمعاد الجسماني، والحساب والصراف، والجنّة، والنار، والميزان، وتطير الكتب، مما ثبت مجيؤه به تواتراً، فهل التصديق بتفاصيله معتبرة في تحقق الإيمان؟ صرح باعتباره جمع من العلماء.

والظاهر أنّ التصديق به إجمالاً كاف، بمعنى أنّ المكلف لو اعتقد حقية كل ما أخبر به صلى الله عليه وآله، بحيث كلما ثبت عنده جزئي منها صدق به تفصيلاً كان مؤمناً وإن لم يطلع على تفاصيل تلك الجزئيات بعد.

ويؤيد ذلك أنّ أكثر الناس في الصدر الأوّل لم يكونوا عالمين بهذه التفاصيل في الأوّل، بل كانوا يطلعون عليها وقتاً فوقتاً، مع الحكم بآيائهم في كل وقت من حين التصديق بالوحدانية والرسالة، بل هذا حال أكثر الناس في جميع الأعصار كما هو المشاهد، فلو

(١) سورة الحديد، آية ١٩.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٨٥.

اعتبرناه لزم خروج أكثر أهل الإيمان عنه، وهو بعيد عن حكمة العزيز الحكيم.
 نعم، العلم بذلك لا ريب له من مكملات الإيمان، وقد يجب العلم به محافظة على
 صيانة الشريعة عن النسيان، وتباعداً عن شبه المضلين، وإدخال ما ليس من الدين فيه،
 فهذا سبب آخر لوجوبه لا لتوقف الإيمان عليه، وهو الظاهر.
 وهل يعتبر في تحقق الإيمان التصديق بعصمته وطهارته وختمة الأنبياء بمعنى لا
 نبي بعده، وغير ذلك من أحكام النبوات وشرائطها؟ يظهر من كلام بعض العلماء
 ذلك، حيث ذكر أنّ من جهل شيئاً من ذلك خرج عن الإيمان، ويحتمل الاكتفاء بما
 ذكرناه من التصديق بها إجمالاً^(١).

٣. ولاية أمير المؤمنين عليه السلام

لقد ذكر عبد الله بن حمزة في كتابه (الشافى):
 «عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ يَوْمًا لِشَيْعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ: أَمَا وَاللَّهِ مَا اِكْتَسَبَ
 مُؤْمِنٌ ذَخِيرَةً فِي دِينِهِ، أَفْضَلَ مِنْ وَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام.
 قَالَ: فَفَرِحَ الْقَوْمُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: أَبْشُرُوا، فَوَاللَّهِ مَا يُتَقَبَلُ إِلَّا مِنْكُمْ، وَلَا يُغْفَرُ إِلَّا
 لَكُمْ»^(٢).

نستنتج من الدلالة التضمنية لجملة «مَا اِكْتَسَبَ مُؤْمِنٌ ذَخِيرَةً...» لزوم الإيمان
 بولاية أمير المؤمنين عليه السلام ووجوبها.

وفي ذلك قال الشهيد الثاني:

«الأصل الرابع: التصديق بإمامة الاثني عشر صلوات الله عليهم أجمعين، وهذا

(١) الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، حقائق الإيمان مع رسالتي الاقتصاد والعدالة، ص ١٤٨ -

(٢) المنصور بالله، عبد الله بن حمزة، الشافى، ج ٣، ص ٢٨٦.

الأصل اعتبره في تحقق الإيمان الطائفة المحقة الإمامية، حتى أنه من ضروريات مذهبهم، دون غيرهم من المخالفين، فإنه عندهم من الفروع.

ثم إنه لا ريب أنه يشترط التصديق بكونهم أئمة يهدون بالحق، وبوجوب الانقياد إليهم في أوامرهم ونواهيهم؛ إذ الغرض من الحكم بإمامتهم ذلك، فلو لم يتحقق التصديق بذلك لم يتحقق التصديق بكونهم أئمة.

أما التصديق بكونهم معصومين مطهرين عن الرجس، كما دلت عليه الأدلة العقلية والنقلية، والتصديق بكونهم منصوباً عليهم من الله تعالى ورسوله، وأنهم حافظون للشرع، عالمون بما فيه صلاح أهل الشريعة من أمور معاشهم ومعادهم، وأن علمهم ليس عن رأي واجتهاد، بل عن يقين تلقوه عن من لا ينطق عن الهوى خلفاً عن سلف بأنفس قوية قدسية، أو بعضه لدني من لدن حكيم خبير، وغير ذلك مما يفيد اليقين، كما ورد في الحديث أنهم عليهم السلام محدثون، أي معهم ملك يحدثهم بجميع ما يحتاجون أو يرجع إليهم فيه، أو أنهم يحصل لهم نكت في القلوب بذلك على أحد التفسيرين للحديث، وأنه لا يصح خلو العصر عن إمام منهم، وإلا لساخت الأرض بأهلها، وأن الدنيا تتم بتمامهم، ولا تصح الزيادة عليهم، وأن خاتمهم المهدي صاحب الزمان عليه السلام، وأنه حي إلى أن يأذن الله تعالى له ولغيره، وأدعية الفرقة المحقة الناجية بالفرج بظهوره عليه السلام كثيرة^(١).

٤. القدر (خيرهِ وشرهِ)

نقل عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال:

«كَتَبَ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيُّ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام يَسْأَلُهُ

(١) الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، حقائق الإيمان مع رسالتي الاقتصاد والعدالة، ص ١٤٩ -

عَنِ الْقَدْرِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: اتَّبِعْ مَا شَرَحْتُ لَكَ فِي الْقَدْرِ مِمَّا أُفْضِي إِلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، فَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ حَمَلَ الْمَعَاصِيَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ فَجَرَ وَافْتَرَى عَلَى اللَّهِ افْتِرَاءً عَظِيمًا، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يُطَاعُ بِإِكْرَاهٍ، وَلَا يُعَصَى بِغَلْبَةٍ، وَلَا يُهْمَلُ الْعِبَادَةُ فِي الْهَلَكَةِ، وَلَكِنَّهُ الْمَالِكُ لِمَا مَلَكَهُمْ، وَالْقَادِرُ لِمَا عَلَيْهِ أَقْدَرَهُمْ، فَإِنْ اتَّمَرُوا بِالطَّاعَةِ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ صَادًا عَنْهَا مُبْطِنًا، وَإِنْ اتَّمَرُوا بِالْمَعْصِيَةِ فَشَاءَ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِمْ فَيَحُولَ بَيْنَهُمْ وَيَبَيِّنَ مَا اتَّمَرُوا بِهِ، فَإِنْ فَعَلَ وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلَيْسَ هُوَ حَامِلُهُمْ عَلَيْهِمْ قَسْرًا، وَلَا كَلْفُهُمْ جَبْرًا بِتَمَكِينِهِ إِيَّاهُمْ بَعْدَ إِعْدَارِهِ وَإِنْدَارِهِ لَهُمْ وَاحْتِجَاجِهِ عَلَيْهِمْ طَوْقُهُمْ وَمَكْنَهُمْ، وَجَعَلَ لَهُمُ السَّبِيلَ إِلَى أَخْذِ مَا إِلَيْهِ دَعَاهُمْ، وَتَرَكَ مَا عَنْهُ نَهَاهُمْ، جَعَلَهُمْ مُسْتَطِيعِينَ لِأَخْذِ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِ آخِذِيهِ، وَلِتَرَكَ مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِ تَارِكِيهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ عِبَادَهُ أَقْوِيَاءَ لِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ، يَنَالُونَ بِتِلْكَ الْقُوَّةِ وَنَهَاهُمْ عَنْهُ، وَجَعَلَ الْعُدْرَةَ لِمَنْ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ السَّبَبَ جَهْدًا مُتَقَبَّلًا»^(١).

يتبين من صدر كلام الإمام عليه السلام وجوب الإيـان بالقدر والاعتقاد به على الجميع دون استثناء، سواء كان ذلك القدر خيراً أم شراً، ومن لم يؤمن بذلك فهو كافر.

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَحُلُوهِ وَمُرِّهِ»^(٢).

٥. المبدأ والمعاد

نقل ابن أعثم:

«وَصِيَّةُ الْحَسَنِ عليه السلام لِأَخِيهِ مُحَمَّدٍ عليه السلام:

«... إِنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ

(١) الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام، ص ٤٠٨-٤٠٩.

(٢) ابن بابويه، محمد بن علي، التوحيد، ص ٣٧٩-٣٨٠، حديث ٢٧.

وَرَسُولُهُ، جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِهِ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ»^(١).

قال عز من قائل:

﴿يَسِّرَ الْبَرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبَرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾^(٢).

نقل أن رجلاً من الأنصار جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بجاريته وقال:

«يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ عَلَيَّ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً، فَإِنْ كُنْتَ تَرَى هَذِهِ مُؤْمِنَةً أَعْتَقْتَهَا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): أَتَشْهَدِينَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: أَتَشْهَدِينَ أَنَّي رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: أَتُؤْمِنِينَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: أَعْتَقْتَهَا»^(٣).

وعن الميرزا القمي:

«الكافر هو ما قابل المسلم، وهو من أنكر أحد الأصول الثلاثة: التوحيد والنبوة والمعاد، بل الأصليين الأولين، فإن الثالث يرجع إلى إنكار الأولين؛ لكونه إنكاراً للبديهي من الدين، بل جميع الأديان، وكل منكر للبديهي منه كافر؛ لأنه يرجع إلى إنكار المخبر عنه أو صدقه»^(٤).

وقد أوضح آية الله الخوئي ذلك بقوله:

«ومنها: الاعتراف بالمعاد وإن أهمله فقهاؤنا (قدس سرهم) إلا أننا لا نرى لإهمال

(١) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح، ج ٥، ص ٢١.

(٢) سورة البقرة، آية ١٧٧.

(٣) ابن حنبل، أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٢٥، ص ١٩، حديث ١٥٧٤٣.

(٤) الميرزا القمي، أبو القاسم بن محمد حسن، غنائم الأيام في مسائل الحلال والحرام، ج ١، ص

اعتباره وجهاً، كيف وقد قرن الإيمان به بالإيمان بالله سبحانه في غير واحد من الموارد - على ما ببالي - كما في قوله عزّ من قائل: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(١)، وقوله: ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(٢)، وقوله: ﴿مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(٣)، وقوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(٤) إلى غير ذلك من الآيات، ولا مناص معها من اعتبار الإقرار بالمعاد على وجه الموضوعية في تحقق الإسلام^(٥).

(١) سورة النساء، آية ٥٩.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٢٨.

(٣) سورة البقرة، آية ٢٣٢.

(٤) سورة البقرة، آية ١٧٧.

(٥) الخوئي، أبو القاسم، التنقيح في شرح العروة الوثقى، ج الطهارة ٢، ص ٥٩.

د) ضرورة الانسجام بين الإيمان والإسلام

حينما تلقى نظرة متأملّة على روايات سيّد الشهداء عليه السلام سنجد حالة من الانسجام والتوافق بين الإسلام الذي يعني الشهادة والإقرار بمجموعة من الأمور - كما أسلفنا - والإيمان الذي هو عقد قلبي .

ما يُشهد به عن إيمان

ورد عن الإمام الحسين عليه السلام قوله في دعاء عرفة داعياً:
«غَيْرَ أَنِّي يَا إِلَهِي أَشْهَدُ ... وَأَقُولُ مُؤْمِنًا مُوقِنًا...»^(١).

بما أنّ متعلّق الشهادة هنا هو وحدانية الله جلّ جلاله يستنتج أنّ ما تتمّ الشهادة به يجب أن يكون عن إيمان قلبي جار على اللسان، ومن بينها الشهادة اللفظية على وحدانية الله تعالى .

فإنّنا ندعو في الدعاء السادس من الصحيفة السجادية:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ وَكَفَى بِكَ شَهِيدًا، وَأَشْهَدُ سَمَاءَكَ وَأَرْضَكَ وَمَنْ أَسْكَتَتْهَا مِنْ مَلَائِكَتِكَ وَسَائِرِ خَلْقِكَ فِي يَوْمِي هَذَا وَسَاعَتِي هَذِهِ وَلَيْلَتِي هَذِهِ وَمُسْتَقَرِّي هَذَا، أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»^(٢).

ما يُشهد به عن يقين

بما أنّ كلام الإمام عليه السلام كان شهادة لله بالتوحيد فيستفاد من مضمونه وسياقه أنّ ما يُشهد به يجب أن يكون عن يقين، مثل الشهادة لله تبارك وتعالى بالوحدانية .

(١) الكفعمي، إبراهيم بن علي، البلد الأمين، ص ٢٥٣ .

(٢) الصحيفة السجادية، ص ٥٢ .

ويشهد له قول الإمام علي عليه السلام:

«لَأَنْسَبَنَّ الْإِسْلَامَ نِسْبَةً لَمْ يَنْسَبْهَا أَحَدٌ قَبْلِي: الْإِسْلَامُ هُوَ التَّسْلِيمُ، وَالتَّسْلِيمُ هُوَ الْيَقِينُ، وَالْيَقِينُ هُوَ التَّصَدِيقُ، وَالتَّصَدِيقُ هُوَ الْإِقْرَارُ، وَالْإِقْرَارُ هُوَ الْأَدَاءُ، وَالْأَدَاءُ هُوَ الْعَمَلُ»^(١).

(١) نهج البلاغة، الكلمات القصار ١٢٥.

هـ) آثار الإيمان

لا يكاد المرء ينظر في روايات سيّد الشهداء عليه السلام الواردة في هذا المضمار حتّى تنكشف أمامه مجموعة من الآثار التي تترتب على الإيمان، وإليك منها:

١. الإيمان نعمة معنوية

مما ورد في دعاء عرفة المروي عن الإمام الحسين عليه السلام قوله:

«يَا مَنْ هَدَانِي لِلْإِيمَانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ أَعْرِفَ شُكْرَ الْإِمْتِنَانِ»^(١).

إذ يستفاد من صدر هذه الجملة وذيلها أنّ الإيمان عبارة عن نعمة إلهية، وإلى هذا أشار الإمام عليه السلام في دعاء عرفة.

وللشهيد مطهري حول آثار الإيمان وفوائده كلام مفصّل نوره بتامه:

«إنّ الإيمان الديني له آثار حسنة كثيرة سواء أكان من ناحية إيجاد البهجة والانسراح، أم من حيث تحسين العلاقات الاجتماعية، أم من ناحية الحدّ وإزالة المضايقات الملازمة لتشكيلة بناء هذا العالم، ولنوضّح آثار الإيمان الديني تحت هذه العناوين الثلاثة:

أ) البهجة والانسراح:

إنّ أوّل آثار الإيمان الديني من ناحية البهجة والانسراح هو (التفاؤل)، التفاؤل بالعالم والخلقة والوجود. وبما أنّ الإيمان الديني يهب نمطاً خاصاً لفهم الإنسان للعالم بحيث يعرف أنّ الخلقة ذات هدف، والهدف هو الخير والتكامل والسعادة، فبالطبع سيضفي على نظرة الإنسان لنظام الوجود العام والقوانين السائدة فيه رؤية متفائلة. إنّ

(١) الكفعمي، إبراهيم بن علي، البلد الأمين، ص ٢٥٥.

حالة الفرد مع الإيمان في هذا الوجود تشبه حالة شخص يعيش في بلد يعتقد بأن قوانينه وأنظمتها وتنظيماته صحيحة وعادلة، ويؤمن أيضاً بصدق نية المتصددين الرئيسيين لإدارته، فلا بد أن يرى طريق السمو والرقى مهيناً ومعبداً أمامه وأمام جميع الأفراد الآخرين، معتقداً بأن الشيء الوحيد الذي يتسبب في تأخيره هو كسله وعدم تجربته هو وأمثاله، لا قوانين البلد وتنظيماته، وكلّ نقص يطفح إنَّما سببه عدم قيامه هو وأمثاله بواجباتهم ومسؤولياتهم، وبالطبع فإنَّ هذه الفكرة ستحرِّك فيه الغيرة، وتزرع في نفسه التفاؤل والأمل بالحركة والسعي الحثيث.

بينما الشخص الذي لا إيمان له في عالم الوجود يشبه شخصاً يعيش في بلد يعتقد بأنَّ قوانينه وتنظيماته ومؤسساته فاسدة وظالمة، وليس أمامه من سبيل غير قبولها، فسيكون باطن مثل هذا الشخص مليئاً بالعقد والضغائن، ولا يفكر بإصلاح نفسه أبداً، لاعتقاده بأنَّ الأرض والسماء لما كانتا غير مهيتأتين، وكل الوجود ظلم وجور وخطأ، فما هو الأثر يا ترى لصلاح ذرة مثلي؟! ومثل هذا الشخص لا يلتذ بالعالم أبداً، والعالم بالنسبة إليه كالسجن الرهيب، ولهذا يقول القرآن الكريم:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾^(١).

نعم، إنَّه الإيمان الذي يوسِّع آفاق الحياة علينا في باطن أرواحنا، ويمنع من ضغط العوامل النفسية.

والأثر الثاني من آثار الإيمان الديني من ناحية البهجة والانشراح هو (تنوُّر القلب)، عندما يرى الإنسان العالم نيراً بنور الحق بحكم الإيمان الديني، فنظرة النور هذه تنير أجواء روجه، وتكون كالسراج الذي يشع في باطنه، بعكس الشخص الذي لا إيمان له فإنَّه يرى العالم تافهاً مظلماً وفارغاً من الفهم والنظرة والنور.

(١) سورة طه، آية ١٢٤.

والأثر الثالث من آثار الإيمان الديني من ناحية البهجة والانشراح هو (الأمل) بالنتيجة الطيبة للجهد الطيب.

والعالم من ناحية المنطق المادّي يبقى على الحياد دون أن يبرز اهتمامه بالنسبة للناس السائرين على طريق الحق أو الباطل، والعدل أو الظلم، والصواب أو الخطأ، ونتيجة عملهم لها صلة بشيء واحد هو (الجهد المبذول) فقط.

أما في منطق الفرد صاحب الإيمان فليس العالم على الحياد من الطرفين ودون اهتمام، ولم تكن ردة فعل العالم واحدة إزاء هذين النوعين من السعي، بل إنّ نظام الخلقة يقوم بحماية الناس الساعين في سبيل الحق والحقيقة والصواب والعدالة وحب الخير:

﴿إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾^(١).

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢).

الأثر الرابع من آثار الإيمان الديني من ناحية البهجة والانشراح هو (راحة البال)، فالإنسان يبحث عن سعادته بالفطرة، ويغرق في السرور من تصوّر الوصول إلى السعادة، وترتعد فرائضه بشدة من صورة مستقبل مشؤوم مقرون بالحرمان. وسبب سعادة الإنسان شيئان:

١. السعي.

٢. الثقة بظروف المحيط.

إنّ نجاح الطالب يتوقف على شيئين: سعيه وجهده، ثمّ محيط المدرسة المساعد والملائم مع تشجيع أولياء المدرسة وترغيبهم، فالطالب المجتهد المجد إن لم يشعر بالاطمئنان تجاه المحيط الذي يدرس فيه، وتجاه المعلّم الذي بيده وضع الدرجة في نهاية

(١) سورة محمد، آية ٧.

(٢) سورة التوبة، آية ١٢٠.

السنة، سيبقى قلقاً من جرّاء المعاملة غير العادلة، ويستولي الرعب والخوف على جميع وجوده طيلة السنة.

إنّ مسؤولية الإنسان تجاه نفسه واضحة جليّة؛ لذا لا يشعر بالقلق من هذه الناحية؛ لأنّ القلق ينشأ من الشك والتردد، فالإنسان لا يشك ولا يتردد بما له ارتباط بنفسه، فالذي يدفع الإنسان إلى القلق والاضطراب ولا يرى مسؤوليته تجاهه واضحة هو العالم.

فهل العمل الجيد مفيد؟ وهل الصدق والأمانة شيء تافه؟ وهل أنّ الحرمان هو نهاية كل الجهود المبذولة والواجبات المنجزة؟ وهنا يظهر الرعب والقلق في أشبع صورته.

فالإيمان الديني يهب للإنسان باعتباره طرفاً في المعادلة الاعتقاد والطمأنينة تجاه العالم الذي يمثّل الطرف الآخر منها، فيزيل الرعب والقلق من الإنسان بالنسبة للحوادث الكونية، ويعطيه - بدلاً من ذلك - راحة البال، ولهذا نقول: إنّ إحدى آثار الإيمان الديني هو راحة البال.

والأثر الآخر من آثار الإيمان الديني من ناحية البهجة والانشراح هو التمتع الأكثر بعدد من اللذات التي تسمّى باللذة المعنويّة، فالإنسان له لذتان: النوع الأوّل من اللذات هو ما يتعلّق بأحد حواس الإنسان، والذي يحصل على إثر نوع من الاتّصال بين عضو من الأعضاء مع المواد الخارجية، كلذة العين عن طريق النظر، والأذن عن طريق السمع، والشم عن طريق الذوق، والأصابع عن طريق اللمس.

والنوع الآخر من اللذات ما يرتبط بروح الإنسان وضميره حتّى الأعماق، ولا علاقة له بعضو على نحو التعيين، ولا ينتج إثر الاتّصال بالخارج، كلذة الإنسان بالإحسان وتقديم الخدمة، أو المحبوبة والاحترام، أو بنجاحه أو نجاح ولده، وهي لا تتعلّق بعضو معيّن، ولا تتأثر بصورة مباشرة نتيجة أيّ عامل مادّي خارجي.

واللذائذ المعنوية هي أقوى وأدوم من اللذائذ المادية، ولذا التعبّد وعبادة الله بالنسبة إلى العرفاء وعشاق الحق هي من هذا القبيل من اللذائذ، فالعرفاء الذين توائم عبادتهم حضور القلب والخضوع والاستغراق في العبادة يشعرون بأعظم اللذائذ في العبادة، وقد عبّر عن ذلك بلغة الدّين بـ(طعم الإيمان) و(حلاوة الإيمان)، إنّ للإيمان حلاوة فوق كل حلاوة، فتتضاعف اللذة المعنوية عندما تنشأ الأعمال مثل طلب العلم والإحسان والخدمة والنجاح والانتصار من المنطلق الديني وفي سبيل الله، وتندرج ضمن إطار (العبادة).

(ب) دور الإيمان في توطيد العلاقات الاجتماعية:

خلق الإنسان اجتماعياً كما هو الحال في بعض الحيوانات الأخرى؛ إذ لا يتمكّن الفرد من سدّ حاجاته لوحده، حيث إنّ الحياة يجب أن تكون على هيئة (شركة) يسهم فيها الجميع بأداء المهام ونيل المغانم، فيتقاسموا (الأعمال) فيما بينهم، وهنا يبرز الفارق بين الإنسان وسائر الحيوانات ذات الصبغة الاجتماعية مثل: (النحل) والتي عرفت بتقاسمها العمل فيما بين الأعضاء بحكم الغريزة والطبيعة، دون أدنى اختيار فأغلق باب التمرد والتخلف، على عكس الإنسان الذي يمتاز بأنّه موجود حر ومختار، ويقوم بعمله بحرية، وينجزه باعتباره (واجباً) و (تكليفاً)، وبعبارة أخرى: إنّ تلك الحيوانات كما أنّ حاجاتها اجتماعية فإنّ غرائزها الاجتماعية هي التي تحكمها بصورة جبرية أيضاً، والإنسان حاجاته اجتماعية من دون أن تتحكّم فيه الغرائز، فإنّ غرائز الإنسان الاجتماعية مضمرة في باطنه على شكل (متطلبات)، والتي يجب أن تهذب في ظل التربية والتعليم.

والحياة الاجتماعية السليمة تعتمد على احترام الأفراد لقوانين بعضهم البعض وحدودهم وحقوقهم، ويعتبرون العدالة أمراً مقدّساً، ويتعاطفوا فيما بينهم، يجب أحدهم لغيره ما يجب لنفسه، ويكره له ما يكره لها، ويثق بعضهم ببعض، وتصبح كفياتهم الروحية كفيلة لتبادل الثقة بينهم، ويعدّ كل شخص نفسه ملتزماً ومسؤولاً

عن مجتمعه، ويعملوا بالتقوى والعفاف في أشد الأماكن سرية، كما يظهر ذلك منهم في الملاء العام، يحبّ كل منهم الآخر دون طمع فيه، ويتفضوا بوجه الظلم والجور، ولا يدعون للظالم والمستبد مجالاً للاستمرار بظلمه وإفساده، ودوام احترامهم للقيم الأخلاقية، فيتوافقوا ويتحدوا ليصيروا كالجسد الواحد.

فالشيء الذي يجعل الحق محترماً أكثر من كل شيء آخر، ويصير العدالة مقدّسة، والقلوب متعاطفة، والثقة متبادلة بين الأفراد، والتقوى والعفاف ينفذان إلى أعماق الإنسان، ويهبان للقيم الأخلاقية الاعتبار، ويخلقوا الجرأة في الوقوف بوجه الظلم، ويوحد جميع أفراد المجتمع كأعضاء جسد واحد، هو الإيمان الديني.

ومظاهر الإنسانية التي ما زالت تضيء سماء التاريخ الإنساني الميء بالحوادث إنّما تنبع من المشاعر الدينية.

(ج) الحدّ من المضايقات:

تمرّ على الإنسان خلال حياته - دون اختياره - الأفرح والأحزان والمسرات والابتلاءات، والآلام، والمصائب، والأضرار، وخيبات الأمل، وقد يمكن الوقاية من كثير منها أو إزالتها، وإن اقتضى ذلك جهداً كبيراً، ومن البديهي أنّ واحدة من مهام الإنسان مجابهة الطبيعة، فيبدل المرارة بالحلاوة، إلّا أنّ بعض حوادث العالم لا يمكن الوقاية منها ولا إزالتها، فمثلاً لو لاحظنا الشيخوخة، نجد الإنسان - شاء أم أبى - يخطو نحو الشيخوخة، ويؤول بدنه إلى العجز والضعف، وإشراقه إلى الخمول والانطفاء، إنّ الشيخوخة وسائر عوارضها تقطّب وجه الحياة، مضافاً إلى ما في فكرة الموت والفناء، والرحيل عن الدنيا وتسليم كل شيء للآخرين من ألم نفسي يتتاب الإنسان.

إنّ الإيمان الديني يخلق في الإنسان قوّة الجهاد، ويجعل المرارة حلاوة، فصاحب الإيمان يعلم أنّ لكل شيء في العالم حساباً، وإذا كانت ردّة فعله على مرارة العيش بالنحو المطلوب، ولو افترضنا عدم قابلية ذلك على التعويض، فإنّه سيعوّض بنحو من

الأنحاء من قبل الله تعالى، فحسب الشيوخوخة بما أنها ليست نهاية المطاف ويعيش الفرد المؤمن خلالها الأنس بالعبادة وذكر الله سبحانه ستصير محبوبة وتصبح لذة الحياة خلالها أعظم من أيام الشباب بالنسبة إلى عباد الله.

وهيئة الموت وصورته في عين المؤمن غير تلك التي في عين غير المؤمن، الموت بنظره لا يعدّ عدماً وفناءً، وإنما انتقال من دار فانية منقضية إلى دار باقية خالدة، ومن عالم أصغر إلى عالم أكبر، الموت انتقالاً من عالم الحرث والزراعة إلى عالم الثمار والمحصول، ولهذا فإنّ مثل هذا الفرد سيزول قلقه من الموت بالسعي الحثيث في أعمال الخير والذي يسمّى بلغة الدّين بـ(العمل الصالح).

ومن المسلّم قطعاً لدى علماء النفس أنّ أكثر الأمراض النفسية الناجمة من صعوبات الحياة ومعاناتها، تنتشر بين الأشخاص غير المتديّنين، أما الأشخاص المتديّنين فإنهم أبعد عن الإصابة بمثلها كلما اشتدّ إيمانهم وازداد قوّة، ولهذا فإنّ واحدة من مضاعفات الحياة الراهنة وتعقيدات التي تفاقمت إثر ضعف الإيمان الديني هي انتشار المرضي والأمراض النفسية والعصبية^(١).

٢. أهمية ما يرضي الله ورسوله والمؤمنين

جاء في أحد أدعية الإمام الحسين عليه السلام قوله متضرعاً لربّ العزة والجلالة:
 «اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّ الْمَعْرُوفَ وَأُنْكِرُ الْمُنْكَرَ، وَإِنِّي أَسْأَلُكَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ بِحَقِّ هَذَا الْقَبْرِ وَمَنْ فِيهِ إِلَّا اخْتَرْتَ لِي مِنْ أَمْرِي مَا هُوَ لَكَ رِضَى، وَلِرَسُولِكَ رِضَى، وَلِلْمُؤْمِنِينَ رِضَى»^(٢).

(١) مطهري، مرتضى، مجموعه آثار استاد شهيد مطهري (مجموعة آثار الأستاذ الشهيد مطهري)، ج

٢، ص ٤٣-٤٩.

(٢) أخطب خوارزم، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام، ج ١، ص ٢٧٠.

لوم لم يكن رضى رسول الله والمؤمنين له أهمية كبرى لما قرنه الإمام عليه السلام برضى الله تعالى، ولهذا عدّ رضاهم من رضى الله جلّ وعلا.
قال الله عزّ وجلّ:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾^(١).

٣. راحة المؤمن في البرزخ

روي عن الإمام الحسين عليه السلام في دعاء المقابر قوله داعياً:
«اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الْأَرْوَاحِ الْفَانِيَةِ، وَالْأَجْسَادِ الْبَالِيَةِ، وَالْعِظَامِ النَّخْرَةِ الَّتِي خَرَجَتْ مِنْ الدُّنْيَا وَهِيَ بِكَ مُؤْمِنَةٌ، أَدْخِلْ عَلَيْهِمْ رَوْحًا مِنْكَ»^(٢).
كلمة «رُوح» تعني الراحة والرحمة والفرح والسرور، ومنه يرشدنا مضمون الجملة الأخيرة إلى أنّ الأرواح المؤمنة بالله جلّ وعلا تكون في فرح وسرور في عالم البرزخ.

قال العزيز الكريم:

﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴾ ﴿ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴾^(٣).

٤. كسب الخيرات

ورد ضمن وصية الإمام الحسين عليه السلام التي ألقاها بشأن القيامة وأهوالها قوله:
«... وَيَوْمَئِذٍ ﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا ﴾ قُلْ

(١) سورة النساء، آية ٦٥.

(٢) المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج ٩٩، ص ٣٠٠-٣٠١، حديث ٣١.

(٣) سورة الواقعة، آية ٨٨-٨٩.

أَنْظِرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ ﴿١﴾... ﴿٢﴾.

وبنظرة تحليلية للمضمون الدلالي المستوحى من آيات القرآن الكريم نتوصل إلى أن إيمان الإنسان بالمبدأ والمعاد دافع ومحفز لاكتساب الخيرات في الدنيا. روي عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«الإيمان والعمل أخوان شريكان في قرن، لا يقبل الله أحدهما إلا بصاحبه»^(٣).

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ كَلَامًا لَمْ يَنْزَلْ فِيهِ صَوْمٌ وَلَا صَلَاةٌ وَلَا حَلَالٌ وَلَا حَرَامٌ»^(٤).

وأيضاً قوله عليه السلام حول «الإيمان»:

«سَبِيلُ أَبْلَجِ الْمَنَهِاجِ، أَنْوَرُ السَّرَاحِ، فَبِالْإِيمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحَاتِ، وَبِالصَّالِحَاتِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الْإِيمَانِ، وَبِالْإِيمَانِ يُعَمَّرُ الْعِلْمُ، وَبِالْعِلْمِ يُرْهَبُ الْمَوْتُ، وَبِالْمَوْتِ تُنْتَمِ الدُّنْيَا، وَبِالدُّنْيَا تُحْرَزُ الْآخِرَةُ»^(٥).

ونقل العياشي بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

«إِنَّ النَّاسَ يُوشِكُونَ أَنْ يَنْقَطَعَ بِهِمُ الْعَمَلُ، وَيُسَدَّ عَلَيْهِمْ بَابُ التَّوْبَةِ، فَ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾»^(٦)»^(٧).

وروى عمرو بن شمر عن الإمام الباقر أو الصادق عليه السلام أنه قال في ذيل الآية:

﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾:

(١) سورة الأنعام، آية ١٥٨.

(٢) ابن شعبة، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليهم)، ص ٢٤٠.

(٣) المتقي الهندي، علي بن حسام الدين، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ج ١، ص ٣٦، حديث ٥٩.

(٤) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٢، ص ٣٣، حديث ٢.

(٥) نهج البلاغة، خطبة ١٥٦.

(٦) سورة الأنعام، آية ١٥٨.

(٧) العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي، ج ١، ص ٣٨٤، حديث ١٢٧.

«الْمُؤْمِنُ حَالَتِ الْمَعَاصِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِيْمَانِهِ، كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ وَقَلَّتْ حَسَنَاتُهُ، فَلَمْ يَكْسِبْ فِي إِيْمَانِهِ خَيْرًا»^(١).

٥. الاستفادة الأخروية

إضافة لما تقدّم يتحصّل أيضاً من المضمون الدلالي لحديث الإمام الحسين عليه السلام المستوحى من آيات القرآن أنّ الإنسان ينتفع في عالم الآخرة من الخير الدنيوي الذي ناله بإيمانه.

قال ربّ العزّة والجلالة:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾^(٢).

وقال كذلك:

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾^(٣).

وقال أيضاً:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾^(٤).

٦. العصمة الناشئة من الإيمان

قال الإمام الحسين عليه السلام:

«إِنَّ الْمُؤْمِنَ اتَّخَذَ اللَّهُ عِصْمَتَهُ، وَقَوْلُهُ مِرَاتَهُ، فَمَرَّةً يَنْظُرُ فِي نَعْتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَارَةً يَنْظُرُ

(١) المصدر السابق، ج ١، ص ٣٨٥، حديث ١٣٠.

(٢) سورة الجاثية، آية ٣٠.

(٣) سورة إبراهيم، آية ٢٧.

(٤) سورة يونس، آية ٩.

فِي وَصْفِ الْمُتَجَرِّبِينَ، فَهُوَ مِنْهُ فِي لَطَائِفَ، وَمِنْ نَفْسِهِ فِي تَعَارُفٍ، وَمِنْ فِطْنَتِهِ فِي يَقِينٍ، وَمِنْ قُدْسِهِ عَلَى تَمَكِينٍ»^(١).

بما أنّ الموضوع في الجملة الأولى كان هو الإنسان المؤمن يتبين لنا أنّ إيمان الإنسان هو الذي يقوده يميناً وشمالاً حتّى يحفظه الله ويحميه ويرعاه حين مواجهته المشاكل المادّية والمعنوية، كما له آثار أخرى قد أشير لها في بعض الروايات.

حيث روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال:

«الإِيمَانُ إِخْلَاصُ الْعَمَلِ»^(٢).

إذ يظهر من هذا الحديث أنّ الإيمان يصل بالإنسان إلى الإخلاص في العمل، وهذا بذاته يعدّ نحواً من العصمة والصون.

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«إِنَّ مِنْ حَقِيقَةِ الإِيمَانِ أَنْ تُؤَثَّرَ الْحَقُّ وَإِنْ ضَرَّكَ عَلَى الْبَاطِلِ وَإِنْ نَفَعَكَ»^(٣).

حيث يستفاد من هذا الحديث أنّ إيمان الإنسان يجعله يقدّم الحق ويؤثره وإن كان فيه ضرر عليه، وهذا تعبير آخر عن الصيانة والحفظ.

وللشهيد مطهري توضيح مفيد في هذا الخصوص حين قال:

«الإنسان موجود مختار ويختار أعماله على أساس المنافع والمضار والمصالح والمفاسد التي يميّزها؛ لذا فإنّ للتمييز الدور المهم في اختيار الأفعال، ومن المستحيل أن يختار الإنسان بناء على تمييزه شيئاً عديم الفائدة ومن جهة أخرى ضاراً، فالإنسان العاقل الذي يهوى الحياة لا يرمي بنفسه من شاهق، ولا يتجرّع سماً قاتلاً.

إنّ الأشخاص يختلفون في الإيمان والانتباه إلى آثار الذنوب، فكلمًا كان إيمانهم

(١) ابن شعبة، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليهم)، ص ٢٤٨.

(٢) الأمدى، عبد الواحد بن محمّد، غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٥٠، حديث ٩٢٣.

(٣) ابن بابويه، محمّد بن علي، الخصال، ج ١، ص ٥٣، حديث ٧٠.

أقوى وانتباههم إلى آثار الذنوب أكثر كان اجتنابهم للذنوب أكثر وارتكابهم لها أقل. وإذا بلغت درجة الإيمان حدّ الشهود والمعاينة، أي إلى الحدّ الذي يتصوّر فيه الإنسان نفسه حين ارتكاب الذنب كمن يريد أن يرمي نفسه من الجبل أو من يتجرّع السم القاتل، وهنا يصل احتمال ارتكاب الذنب إلى الصفر، أي أنّه لا يتّجه نحو الذنب أبداً، ومثل هذه الحالة نسمّيها العصمة، فالعصمة من الذنب ناتجة عن كمال الإيمان وشدّة التقوى، ولا ضرورة لوجود قوّة خارجة تصدّه عن الذنب بالقهر من أجل وصوله إلى حدّ «الصيانة» و«العصمة» من الذنب، أو أن يكون الشخص المعصوم بحكم جبلّته وطيبته مسلوب القدرة، فإذا كان الإنسان لا يتمكّن من ارتكاب الذنب أو أنّ قوّة دائماً ما تصدّه عنه، لم يعد عدم ارتكابه للذنوب كما لاله؛ لأنّه يشبه الشخص السجين الذي لا يتمكّن من المخالفة، وعدم مخالفة مثل هذا الشخص لا تدخل في محاسبات صدقه وأمانته»^(١).

٧. وصف الله للمؤمنين في القرآن

يتّضح من حديث الإمام الحسين عليه السلام السابق أنّ الله جلّت آلاؤه قد بيّن صفات المؤمنين في كتابه الحكيم، وهذا أوجب الالتفات إلى أوصافهم. قال جلّ وعلا:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِقُرُوبِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ

(١) مطهري، مرتضى، مجموعه آثار استاد شهيد مطهري (مجموعه آثار الأستاذ الشهيد مطهري)، ج

صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٢﴾

٨- القداسة الناشئة من الإيمان

من ملاحظة إرجاع الضمير للمؤمن في كلمة «قدسه» الواردة في الحديث السابق للإمام الحسين عليه السلام يستنتج أنّ إيمان المؤمن مؤثر جداً في إضفاء القدسية على روحه ونفسه وطهارته المعنوية.

وقد بيّن العلامة المصطفوي كلمة «قدس» في كتابه التحقيق:

«وأما حظّ العبد من هذا الاسم واتّصافه بهذه الصفة أن يكون له قداسة وطهارة في أفكاره وعقائده، وفي صفاته وأخلاقه، وفي أعماله وآدابه، بحيث لا يشوبه خلل وانكدار في هذه المراتب الثلاث، ويكون منزهاً عن كل عيب وانحراف في ظاهره وباطنه.

وأما من يظهر القدس في أعماله الظاهرة ويرائي ويتقدّس فهو من المرائين المنحرفين، نعوذ بالله من شرورهم ومكائدهم»^(١).

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال:

«الْمُؤْمِنُ مَنْ طَهَّرَ قَلْبَهُ مِنَ الدَّنِيَّةِ»^(٢).

وقال أيضاً:

«وَتُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانٌ مَنْ عَايَنَ الْغُيُوبَ، وَوَقَفَ عَلَى الْمَوْعُودِ، إِيمَانًا نَفَى إِخْلَاصُهُ الشَّرْكَ، وَيَقِينُهُ الشُّكَّ، وَنَشَهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ

(١) سورة المؤمنون، آية ١-١١.

(٢) المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج ٩، ص ٢٣٤.

(٣) الآمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم ودرر الكلم، ص ١٠٨، حديث ١٩٧٧.

وَرَسُولُهُ، شَهَادَتَيْنِ تُصْعِدَانِ الْقَوْلَ، وَتَرْفَعَانِ الْعَمَلَ، لَا يَخْفُ مِيزَانٌ تُوَضَعَانِ فِيهِ، وَلَا يَنْثَقِلُ مِيزَانٌ تُرْفَعَانِ [مِنْهُ] عَنْهُ»^(١).

سئل الإمام الصادق عليه السلام:

«بِأَيِّ شَيْءٍ يُعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِأَنَّهُ مُؤْمِنٌ؟ قَالَ: بِالتَّسْلِيمِ لِلَّهِ، وَالرِّضَا فِيهَا وَرَدَّ عَلَيْهِ مِنْ سُرُورٍ أَوْ سَخَطٍ»^(٢).

٩. السيطرة على النفس الأمانة بالإيمان

عبر الإمام الحسين عليه السلام في حديثه المتقدم بكلمة «تمكين» وتعني المكنة والقدرة والتسلط والهيمنة، ومن ثم نستخلص من مجموع ما ورد في الحديث أن المؤمنين ونتيجة ما يضيفه عليهم إيمانهم بالمبدأ والمعاد من قداسة يصبحوا متسلطين على أنفسهم الأمانة قادرين على التحكم بها وكبح جماحها.

ويوصينا أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«وَتَدَبَّرُوا أَحْوَالَ الْمَاضِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ التَّمَحِيصِ وَالْبَلَاءِ، أَلَمْ يَكُونُوا أَنْثَلَ الْخَلَائِقِ أَعْبَاءَ، وَأَجْهَدَ الْعِبَادِ بَلَاءَ، وَأَضْيَقَ أَهْلِ الدُّنْيَا حَالًا؟! اتَّخَذَتْهُمْ الْفِرَاعِنَةُ عَمِيدًا فَسَامَوْهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَ[جَرَّعُوهُمْ جُرْعَ الْمَرَارِ] جَرَّعُوهُمْ الْمَرَارَ، فَلَمْ تَبْرَحِ الْحَالُ بِهِمْ فِي ذُلِّ الْهَلَكَةِ، وَقَهْرِ الْعُلْبَةِ، لَا يَجِدُونَ حِيلَةً فِي امْتِنَاعِ، وَلَا سَبِيلًا إِلَى دِفَاعِ، حَتَّى إِذَا رَأَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ جِدَّ الصَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَى الْأَذَى فِي مَحَبَّتِهِ، وَالْإِحْتِمَالِ لِلْمَكْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ، جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَائِقِ الْبَلَاءِ فَرَجًا، فَأَبْدَهُمُ الْعِزَّ مَكَانَ الذُّلِّ، وَالْأَمْنَ مَكَانَ الْخَوْفِ، فَصَارُوا مُلُوكًا حُكَّامًا، وَأَتَمَّةً أَعْلَامًا، وَقَدْ بَلَغَتْ الْكِرَامَةَ مِنْ اللَّهِ هُمْ مَا لَمْ تَذْهَبِ الْأَمَالُ إِلَيْهِ بِهِمْ»^(٣).

(١) نهج البلاغة، خطبة ١١٤.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٢، ص ٦٢-٦٣، حديث ١٢.

(٣) نهج البلاغة، خطبة ١٩٢.

ونقل طاووس اليماني عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال:
 «عَلَامَاتُ الْمُؤْمِنِ حَمْسٌ، قُلْتُ: وَمَا هُنَّ يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ؟ قَالَ: الْوَرَعُ فِي الْخُلُوعِ،
 وَالصَّدَقَةُ فِي الْقِلَّةِ، وَالصَّبْرُ عِنْدَ الْمِصِيبَةِ، وَالْحِلْمُ عِنْدَ الْعُصْبِ، وَالصَّدْقُ عِنْدَ
 الْخَوْفِ»^(١).

١٠. اكتساب المؤمنين للطائف العديدة

مما قد يستنتج أيضاً من الحديث السابق للإمام الحسين عليه السلام أن المؤمنين ينالون
 لطائف معنوية متعددة من خلال تأملهم في آي القرآن الكريم.
 يقول عز من قائل:

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا
 نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ
 وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
 يُؤْمِنُونَ ﴾^(٢).

ويقول كذلك:

﴿ وَلَقَدْ جِئْتَهُم بِكِتَابٍ فَصَلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾^(٣).

وأيضاً:

﴿ وَإِذْ أَلَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَإِيرٌ
 مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾^(٤).

(١) ابن بابويه، محمد بن علي، الخصال، ج ١، ص ٢٦٩، حديث ٤.

(٢) سورة الأنعام، آية ٩٩.

(٣) سورة الأعراف، آية ٥٢.

(٤) سورة الأعراف، آية ٢٠٣.

١١. اكتساب المعارف النفسية

من ملاحظة العبارة المتقدمة في حديث الإمام الحسين عليه السلام المتقدم الذكر وهي قوله عليه السلام: «وَمِنْ نَفْسِهِ فِي تَعَارُفٍ» يتحصّل أنّ المؤمن يكتسب معارف نفسية من خلال التأمل والتدبّر في آيات القرآن المجيد.

فالحق يقول في كتابه العزيز:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾

ونقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال:

«الإيمانُ في عشرة: المعرفة والطاعة والعلم والعمل والورع والاجتهاد والصبر واليقين والرضا والتسليم فأَيُّهَا فَقَدْ صَاحِبُهُ بَطَلَ نِظَامُهُ»^(١).

١٢. البلوغ إلى درجة الصديقين والشهداء بواسطة الإيمان

نقل البرقي بسنده عن زيد بن أرقم أنّ الحسين بن علي عليه السلام قال:

«مَا مِنْ شَيْعَتِنَا إِلَّا صِدِّيقٌ شَهِيدٌ.

قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، أَنَّى يَكُونُ ذَلِكَ وَعَامَّتُهُمْ يَمُوتُونَ عَلَى فِرَاشِهِمْ؟

فَقَالَ: أَمَا تَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ فِي الْحَدِيدِ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ

وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(٢).

قَالَ: فَقُلْتُ: كَأَنِّي لَمْ أَقْرَأْ هَذِهِ الْآيَةَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عز وجل قَطُّ.

(١) سورة الأنفال، آية ٢-٤.

(٢) الكراچكي، محمد بن علي، كنز الفوائد، ج ٢، ص ١١.

(٣) سورة الحديد، آية ١٩.

قَالَ: لَوْ كَانَ الشُّهَدَاءُ لَيْسَ إِلَّا كَمَا تَقُولُ لَكَانَ الشُّهَدَاءُ قَلِيلًا»^(١).

يستنتج من استشهاد الإمام عليه السلام بهذه الآية أنّ الإيمان بالله تعالى ورسوله يبلغ بالمؤمن درجة الصديقين والشهداء.

لقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله:

«إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يَقُولُ: وَعِزِّي وَجَلَالِي مَا خَلَقْتُ مِنْ خَلْقِي خَلْقًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ»^(٢).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«الْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً مِنَ الْكَعْبَةِ»^(٣).

١٣. الخوف من الله في الدنيا

قال ابن عساكر في تاريخه:

«وَكَتَبَ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ: إِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُلْهَمَكَ رُشْدَكَ، وَأَنْ يَصْرِفَكَ عَمَّا يُرِيدُكَ، بَلَّغْنِي أَنَّكَ قَدْ اعْتَزَمْتَ عَلَى الشُّحُوصِ إِلَى الْعِرَاقِ، فَإِنِّي أُعِيدُكَ بِاللَّهِ مِنَ الشَّقَاقِ، فَإِنْ كُنْتَ خَائِفًا فَأَقْبِلْ إِلَيَّ فَلَكَ عِنْدِي الْأَمَانُ وَالْبِرُّ وَالصَّلَاةُ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحَسِينُ: إِنْ كُنْتَ أَرَدْتَ بِكِتَابِكَ إِلَيَّ بَرِّي وَصَلْتِي فَجُزَيْتَ خَيْرًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَإِنَّهُ لَمْ يُشَاقِقْ مَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمَلَ صَالِحًا وَقَالَ: إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَخَيْرُ الْأَمَانِ أَمَانُ اللَّهِ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ مَنْ لَمْ يَخَفْهُ فِي الدُّنْيَا، فَتَسْأَلُ اللَّهَ مَخَافَةً فِي الدُّنْيَا تُوجِبُ لَنَا أَمَانَ الْآخِرَةِ عِنْدَهُ»^(٤).

(١) البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن، ج ١، ص ١٦٣-١٦٤، حديث ١١٥.

(٢) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، ص ٣٣.

(٣) ابن بابويه، محمد بن علي، الخصال، ج ١، ص ٢٧، حديث ٩٥.

(٤) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق، ج ١٤، ص ٢٠٩-٢١٠.

فيدلنا مضمون جملة «وَلَمْ يُؤْمَرْ بِاللَّهِ مِنْ لَمَّ يَخْفَهُ فِي الدُّنْيَا» على علامة من علائم الإيمان ألا وهي الخوف من الله في الدنيا.

فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله:

«قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ، وَلَا أَجْمَعُ لَهُ أَمْنَيْنِ، فَإِذَا أَمَّنِي فِي الدُّنْيَا أَحَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«لَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ مُؤْمِنًا حَتَّى يَكُونَ خَائِفًا رَاجِيًا، وَلَا يَكُونُ خَائِفًا رَاجِيًا حَتَّى يَكُونَ عَامِلًا لِمَا يَخَافُ وَيَرْجُو»^(٢).

١٤. حفظ حرمة ذرية النبي صلى الله عليه وآله

كتب الخوارزمي الحنفي في مقتله:

«فَتَقَدَّمَ الْحُسَيْنُ عليه السلام حَتَّى وَقَفَ قُبَالَهَ الْقَوْمُ، وَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى صُفُوفِهِمْ كَأَنَّهَا السَّيْلُ، وَنَظَرَ إِلَى ابْنِ سَعْدٍ وَاقِفًا فِي صِنَادِيدِ الْكُوفَةِ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الدُّنْيَا، فَجَعَلَهَا دَارَ فِتْنَةٍ وَزَوَالٍ، مُتَصَرِّفَةً بِأَهْلِهَا حَالًا بَعْدَ حَالٍ، فَاَلْمَغْرُورُ مِنْ عَرَّتِهِ، وَالشَّقِيُّ مَنْ فِتْنَتِهِ، فَلَا تَغْرَبْنِكُمْ هَذِهِ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا تَقْطَعُ رَجَاءَ مَنْ رَكَنَ إِلَيْهَا، وَتُحَيِّبُ طَمَعَ مَنْ طَمَعَ فِيهَا، وَأَرَاكُم قَدْ اجْتَمَعْتُمْ عَلَى أَمْرٍ قَدْ أَسَخَطْتُمْ اللَّهَ فِيهِ عَلَيْكُمْ، فَأَعْرَضَ بِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ عَنْكُمْ، وَأَحَلَّ بِكُمْ نِقْمَتَهُ، وَجَنَّبَكُمْ رَحْمَتَهُ، فَبِعِزِّ الرَّبِّ رَبِّنَا، وَبِئْسَ الْعَبِيدُ أَنْتُمْ، أَفَرَزْتُمْ بِالطَّاعَةِ، وَأَمَنْتُمْ بِالرُّسُولِ مُحَمَّدٍ، ثُمَّ إِنَّكُمْ زَحِفْتُمْ إِلَى دُرَيْتِهِ تَرِيدُونَ قَتْلَهُمْ، لَقَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْكُمْ الشَّيْطَانُ فَانْسَاكُمْ ذَكَرَ اللَّهُ الْعَظِيمِ، فَتَبَّأَ لَكُمْ وَمَا تَرِيدُونَ، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا

(١) ابن بابويه، محمد بن علي، الخصال، ج ١، ص ٧٩، حديث ١٢٧.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٢، ص ٧١، حديث ١١.

إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، هَؤُلَاءِ قَوْمٌ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ، فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ»^(١).
يتبين من التأمل قليلاً في قوله ﷺ: «وَأَمْتُمْ بِالرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ثُمَّ...» أن من لوازم
الإيمان بالنبي ﷺ المحافظة على حرمة ذريته ورعايتهم.

ومما نقله الخوارزمي في مقتله أيضاً:

«ثُمَّ إِنَّهُ ﷺ دَعَا النَّاسَ إِلَى الْبِرَازِ، فَلَمْ يَزَلْ يَقْتُلُ كُلَّ مَنْ دَنَا إِلَيْهِ مِنْ عُيُونِ الرَّجَالِ،
حَتَّى قَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً، فَحَالُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَحْلِهِ، فَصَاحَ بِهِمْ: وَيَحْكُمُ يَا شِيعَةَ آلِ
أَبِي سَفِيَانَ، إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ دِينٌ وَكُنْتُمْ لَا تَخَافُونَ الْمَعَادَ فَكُونُوا أَحْرَاراً فِي دُنْيَاكُمْ هَذِهِ،
وَارْجِعُوا إِلَى أَحْسَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَرَباً كَمَا تَزْعُمُونَ.

فَنَادَاهُ شِمْرٌ: مَا تَقُولُ يَا حُسَيْنُ؟ فَقَالَ: أَقُولُ: أَنَا الَّذِي أَقَاتِلُكُمْ وَتُقَاتِلُونِي، وَالنِّسَاءُ
لَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ، فَاْمْنَعُوا عُنَاتِكُمْ وَطُعَاتِكُمْ وَجَهَالِكُمْ عَنِ التَّعْرِضِ لِحَرَمِي مَا دُمْتُ
حَيًّا. فَقَالَ لَهُ شِمْرٌ: لَكَ ذَلِكَ يَا بَنَ فَاطِمَةَ، ثُمَّ صَاحَ شِمْرٌ بِأَصْحَابِهِ: إِلَيْكُمْ عَنْ حَرَمِ
الرَّجْلِ، وَأَفْصِدُوهُ بِنَفْسِهِ، فَلَعَمْرِي هُوَ كُفُوٌ كَرِيمٌ»^(٢).

نستنتج عند التدقيق في مضمون خطاب الإمام لمعسكر ابن سعد بشيعة آل أبي
سفيان أن للتدين والإيمان آثاراً إيجابية، ومن جملتها حفظ حرمة آل الرسول ﷺ.

قال النبي ﷺ:

«أَحْفَظُونِي فِي أَهْلِ بَيْتِي»^(٣).

وعنه أيضاً:

«أَوْصِيكُمْ بِعِزَّتِي خَيْرًا»^(٤).

(١) أخطب خوارزم، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين ﷺ، ج ١، ص ٣٥٧.

(٢) المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٨.

(٣) الطبرسي، الفضل بن الحسن، إعلام الوري بأعلام الهدى، ج ١، ص ٢٦٥-٢٦٦.

(٤) الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، المستدرک على الصحيحين، ج ٢، ص ١٣١، حديث

وقال كذلك:

«أَيُّهَا النَّاسُ، اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي»^(١).

وقال أيضاً:

«أَرْبَعَةٌ أَنَا لَهُمْ شَفِيعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْمَكْرُمُ لِذُرِّيَّتِي مِنْ بَعْدِي، وَالْقَاضِي لَهُمْ حَوَائِجَهُمْ، وَالسَّاعِي لَهُمْ فِي أُمُورِهِمْ عِنْدَ اضْطِرَارِهِمْ إِلَيْهِ، وَالْمَحِبُّ لَهُمْ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ»^(٢).

١٥- سعادة المؤمنين بعد الموت

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَفَاطِمَةَ وَالحَسَنَ وَالحُسَيْنَ وَأَغْلَقَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الْبَابَ، وَقَالَ: يَا أَهْلِي وَأَهْلَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْرَأُ عَلَيْكُمْ السَّلَامَ، وَهَذَا جَبْرِيْلُ مَعَكُمْ فِي الْبَيْتِ، يَقُولُ: إِنِّي قَدْ جَعَلْتُ عَدْوَكُمْ لَكُمْ فِتْنَةً فَمَا تَقُولُونَ؟ قَالُوا: نَضْرِبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَمَا نَزَلَ مِنْ قَضَائِهِ حَتَّى نَقْدَمَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَنَسْتَكْمِلُ جَزِيلَ ثَوَابِهِ، فَقَدْ سَمِعْنَاهُ يَعِدُ الصَّابِرِينَ الْخَيْرَ كُلَّهُ. فَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى سُمِعَ نَحْبِيَّهُ مِنْ خَارِجِ الْبَيْتِ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا^(٣) أَمْهُمْ سَيَصْبِرُونَ، أَمْ سَيَصْبِرُونَ كَمَا قَالُوا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ»^(٤).

بما أن سياق الفعل «قالوا» يشمل سيد الشهداء عليه السلام أيضاً، أصبح من الممكن أن ينسب مقول القول له عليه السلام كذلك، ويشير هذا الكلام الوضّاء إلى حصول المؤمنين

(١) الشريف الرضي، محمد بن الحسين، خصائص الأئمة عليهم السلام: خصائص أمير المؤمنين عليه السلام، ص ٧٥.
 (٢) ابن بابويه، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ٢٥٣-٢٥٤، حديث ٢.
 (٣) سورة الفرقان، آية ٢٠.
 (٤) المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج ٢٤، ص ٢١٩-٢٢٠، حديث ١٦.

بعد الموت على الثواب والأجر الإلهي بصورة كاملة.

وقد قال الإمام السجاد عليه السلام:

«أَلَا إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا كَمَنْ رَأَى أَهْلَ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ مُخْلِدينَ، وَكَمَنْ رَأَى أَهْلَ النَّارِ فِي النَّارِ مُعَذِّبينَ، شُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ، أَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ، وَحَوَائِجُهُمْ خَفِيفَةٌ، صَبَرُوا أَيَّامًا قَلِيلَةً، فَصَارُوا بِعُقْبَى رَاحَةٍ طَوِيلَةٍ»^(١).

١٦. درجات الثواب الإلهي للمؤمنين

يقودنا التأمل في المدلول التضميني لقوله عليه السلام: «وَسَتَكْمَلُ جَزِيلَ ثَوَابِهِ» الواردة في الحديث المتقدم للإمام الحسين عليه السلام إلى قناعة مفادها أن المؤمنين يستحقون ثواب المحسنين، وأن هذا الثواب الإلهي الذي استحقه المؤمنون له درجات وبعد الموت سيناله بشكل كامل من عمل منهم بالأوامر الإلهية وتحمل صعوباتها وصبر على معاناتها.

قال الإمام علي عليه السلام:

«وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذَّهَبَانِ، وَمَعَادِنَ الْعِيقَانِ، وَمَغَارِسَ الْجَنَانِ، وَأَنْ يَحْشَرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الْأَرْضِ لَفَعَلَ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ، وَبَطَلَ الْجَزَاءُ، وَاضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ، وَلَمَّا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أَجُورُ الْمُبْتَلِينَ، وَلَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ، وَلَا لَزِمَتِ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيهَا، وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ، وَضَعَفَةً فِيمَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمَلُّ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونَ غَيْبًا، وَخِصَاصَةً تَمَلُّ الْأَبْصَارَ وَالْأَسْمَاعَ أَدَى»^(٢).



(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٢، ص ١٣١-١٣٢، حديث ١٥.

(٢) نهج البلاغة، خطبة ١٩٢.

١٧. تأثير ذكر الخير في أخوة الإيمان

ذكر الفخر الرازي:

«رُوِيَ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: إِذَا عَمِلْتَ خَيْرًا فَحَدِّثْ إِخْوَانَكَ لِيَتَّبِعُوا بِكَ»^(١).

إذ يتبين من كلمة «إِخْوَانَكَ» أن ذكر الخير أمام الإخوان المؤمنين له تأثير إيجابي بلحاظ إيمانهم بالله سبحانه ما يجركهم ويحفزهم للقيام بأعمال الخير؛ لأن الله جل وعلا يقول:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾^(٢).

وبقرينة الآية أعلاه يتضح أن المراد من «الإخوان» في رواية الإمام الحسين عليه السلام هم الأخوة المؤمنون.

وحول تأثير ذكر الخير في الآخرين يقول تبارك وتعالى:

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾^(٣).

١٨. حفظ حرمة الإمام المعصوم

قال الخوارزمي:

«فَقَالَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ: وَيَلِكُمْ كَلِمُوهُ فَإِنَّهُ ابْنُ أَبِيهِ، وَاللَّهِ، لَوْ وَقَفَ فِيكُمْ هَكَذَا يَوْمًا جَدِيدًا لَمَا قَطَعَ وَلَمَا حَصَرَ، فَكَلِمُوهُ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ شِمْرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ، فَقَالَ: يَا حُسَيْنُ، مَا هَذَا الَّذِي تَقُولُ؟ أَفْهَمْنَا حَتَّى نَفْهَمَ؟
فَقَالَ عليه السلام: أَقُولُ لَكُمْ: اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ وَلَا تَقْتُلُونِ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكُمْ قَتْلِي وَلَا انْتِهَاكَ

(١) الفخر الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير، ج ٣١، ص ٢٠١.

(٢) سورة الحجرات، آية ١٠.

(٣) سورة الضحى، آية ١١.

حُرْمَتِي، فَإِنِّي ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ، وَجَدَّتِي خَدِيجَةَ زَوْجَةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَعَلَّهُ قَدْ بَلَغَكُمْ قَوْلَ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ: الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَا خَلَا النَّبِيِّنَ وَالْمُرْسَلِينَ، فَإِن صَدَقْتُمُونِي بِمَا أَقُولُ، وَهُوَ الْحَقُّ، فَوَاللَّهِ مَا تَعَمَّدْتُ كَذِباً مُنْذُ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ يَمُقَّتُ عَلَيْهِ أَهْلَهُ، وَإِن كَذَبْتُمُونِي فَإِن فِيكُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ مِثْلَ: جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَسَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، وَزَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ، وَأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ، فَاسْأَلُوهُمْ عَنْ هَذَا، فَإِنَّهُمْ يُخْبِرُونَكُمْ أَنَّهُمْ سَمِعُوهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ أَمْرِي، أَفْتَشْكُونَ أَنِّي ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ؟! فَوَاللَّهِ، مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِينَ وَالْمَغْرِبِينَ ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّ غَيْرِي، وَبِلَكُمْ، أَتَطْلُبُونِي بِدَمِ أَحَدٍ مِنْكُمْ قَتَلْتَهُ، أَوْ بِهَالِ اسْتَمْلَكْتَهُ، أَوْ بِقِصَاصٍ مِنْ جِرَاحَاتِ اسْتَهْلَكْتَهُ؟! فَسَكُونُوا عَنْهُ لَا يُجِيبُونَهُ.

ثُمَّ قَالَ ﷺ: وَاللَّهِ، لَا أُعْطِيهِمْ يَدِي إِعْطَاءَ الدَّلِيلِ، وَلَا أُفْرُ فِرَارَ الْعَبِيدِ. عِبَادَ اللَّهِ، ﴿وَإِنِّي عَدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْتَمُونَ﴾^(١)، وَأَعُوذُ ﴿بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾^(٢) ﴿٣﴾.

حيث يتبين من مفهوم «... لا يؤمن بيوم الحساب» وسياقه أن من أثار الإيمان بيوم الحساب والجزاء حفظ حرمة الأئمة المعصومين ﷺ ومنهم الإمام الحسين ﷺ. يؤكده قول الإمام علي ﷺ:

«أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا، وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ، وَتَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ عَلَيَّكُمْ، وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلًا تَجْهَلُوا، وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْمَا تَعْلَمُوا، وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ، وَالنَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ، وَالْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ، وَالطَّاعَةُ حِينَ أَمْرُكُمْ»^(٤).

(١) سورة الدخان، آية ٢٠.

(٢) سورة غافر، آية ٢٧.

(٣) أخطب خوارزم، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين ﷺ، ج ١، ص ٣٥٧-٣٥٨.

(٤) نهج البلاغة، خطبة ٣٤.

١٩. ذخيرة المؤمن الدينية

لقد ذكر عبد الله بن حمزة في كتابه (الشافى):

«عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ يَوْمًا لِشَيْعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ: أَمَا وَاللَّهِ مَا اِكْتَسَبَ مُؤْمِنٌ ذَخِيرَةً فِي دِينِهِ أَفْضَلَ مِنْ وِلَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام.
قَالَ: فَفَرِحَ الْقَوْمُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: أَبْشِرُوا، فَوَاللَّهِ مَا يُتَقَبَّلُ إِلَّا مِنْكُمْ، وَلَا يُغْفَرُ إِلَّا لَكُمْ»^(١).

مما يسترعي الانتباه في هذا الحديث الإشارة إلى عظمة ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وأنها أفضل ذخيرة دينية يكتسبها المؤمنون.
عن الحسن بن محمد بن جمهور قال:

«حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ بِلَالٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا عليه السلام عَنْ أَبِيهِ عَنْ آبَائِهِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله عَنْ جَبْرِئِيلَ عَنْ مِيكَائِيلَ عَنْ إِسْرَافِيلَ عَنِ اللَّوْحِ عَنِ الْقَلَمِ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ عز وجل: وَوِلَايَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ حِصْنِي فَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي»^(٢).

٢٠. بكاء المؤمن حزناً على الإمام الحسين عليه السلام

نقل ابن قولويه بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال:
«أَنَا قَتِيلُ الْعَبْرَةِ لَا يَذْكُرُنِي مُؤْمِنٌ إِلَّا اسْتَعْبَرَ»^(٣).

و«عبرة» بفتح العين تعني البكاء أو الحزن دون بكاء، وبكسر العين تعني الوعظ والاعتبار، وندرك من خلال ذكر «المؤمن» هنا أن كل مؤمن لا بد وأنه يبكي لمصيبة الإمام الحسين عليه السلام؛ لأن كيفية شهادته تهز ضمير كل مؤمن وتؤلم قلبه.

(١) المنصور بالله، عبد الله بن حمزة، الشافى، ج ٣، ص ٢٨٦.

(٢) ابن بابويه، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ١٣٦، حديث ١.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات، ص ١٠٨، حديث ٣.

وفي أجر بكاء المؤمن روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:
 «أَيُّهَا مُؤْمِنٌ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ لِقَتْلِ الْحَسَنِ عليه السلام دَمْعَةً حَتَّى تَسِيلَ عَلَى خَدِّهِ بَوَّأَهُ اللَّهُ بِهَا
 عُرفاً فِي الْجَنَّةِ يَسْكُنُهَا أَحْقَاباً»^(١).

٢١. تأثير الإيمان في أصل البكاء

من النتائج الحتمية المتمخضة عن المضمون الدلالي للحديث السابق للإمام
 الحسين عليه السلام، وإتيانه على ذكر المؤمن بنحو الخصوص هي أن الإيمان يرقق القلوب
 ويفجر عاطفة الإنسان المؤمن عند سماعه رثاء الأولياء الإلهيين والمصائب التي
 مرّت بهم لا سيما رثاء أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«نَظَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام إِلَى الْحَسَنِ فَقَالَ: يَا عَبْرَةَ كُلِّ مُؤْمِنٍ، فَقَالَ: أَنَا يَا أَبْتَاهُ؟
 قَالَ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ»^(٢).

٢٢. تأثير الإيمان في البكاء على مصائبهم عليهم السلام

هناك حقيقة تستنتج أيضاً من الحديث السابق للإمام الحسين عليه السلام وتبرز معالمها
 من ذكر لفظ «المؤمن» على الخصوص، وهي أن الإيمان الراسخ بالأولياء يحفز
 الإنسان ويدفعه إلى البكاء على مصيبتهم عليهم السلام ويزداد باشتداده.

قال تعالى:

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ
 يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾^(٣).

(١) المصدر السابق، ص ١٠٤، حديث ٩.

(٢) المصدر السابق، ص ١٠٨، حديث ١.

(٣) سورة المائدة، آية ٨٣.

٢٣. ابتلاء المؤمنين عن طريق المنحرفين

جاء في التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري عليه السلام:

«وَقَالَ الْحَسِينُ بْنُ عَلِيِّ عليه السلام لِرَجُلٍ: أَيُّهُمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ رَجُلٌ يَرُومُ قَتْلَ مَسْكِينٍ قَدْ ضَعُفَ، تُنْقِذُهُ مِنْ يَدِهِ؟ أَوْ نَاصِبٌ يُرِيدُ إِضْلَالَ مَسْكِينٍ [مُؤْمِنٍ] مِنْ ضَعْفَاءِ شِيعَتِنَا تَفْتَحُ عَلَيْهِ مَا يَمْتَنِعُ [الْمَسْكِينُ] بِهِ مِنْهُ وَيُفْحِمُهُ وَيَكْسِرُهُ بِحُجَجِ اللَّهِ تَعَالَى؟ قَالَ: بَلْ إِنْقَادُ هَذَا الْمَسْكِينِ الْمُؤْمِنِ مِنْ يَدِ هَذَا النَّاصِبِ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(١) [أَي] وَمَنْ أَحْيَاهَا وَأَرَشَدَهَا مِنْ كُفْرٍ إِلَى إِيْمَانٍ، فَكَأَنَّمَا أَحْيَى النَّاسَ جَمِيعًا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقْتُلَهُمْ بِسُيُوفِ الْحَدِيدِ»^(٢).

يتبين من المضمون الدلالي لهذا الحديث أن المؤمن قد يبتلى أحياناً بسراق العقيدة الذين يرومون إضلاله وحرفه عن الطريق القويم والصراط المستقيم.

قال جلّت آلاؤه:

﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ، وَمَا هَدَى﴾^(٣).

وقال أيضاً:

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٤).

(١) سورة المائدة، آية ٣٢.

(٢) التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام، ص ٣٤٨، حديث ٢٣١.

(٣) سورة طه، آية ٧٩.

(٤) سورة الأنعام، آية ١٤٤.

(و) آثار الإيمان اليقيني

حالما نلاحظ أحاديث سيّد الشهداء عليه السلام التي تتمحور حول الإيمان يتبين لنا أنّ بعضها يشير إلى وجود آثار خاصّة للإيمان اليقيني، من قبيل:

١- كمال الإنسان في وصوله لليقين القلبي

مّا قاله الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة متضرّعاً لله جلّ وعلا:
«اللَّهُمَّ اجْعَلْ غِنَائِي فِي نَفْسِي، وَالْيَقِينَ فِي قَلْبِي»^(١).

حيث يفهم من طلب الإمام عليه السلام هذا الأمر من الله سبحانه أنّ كمال الإنسان يكمن في وصوله لليقين القلبي.

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال:

«خَيْرُ مَا أَلْقَى فِي الْقَلْبِ الْيَقِينُ»^(٢).

ونقل الكليني بسنده عن يونس بن عبد الرحمن أنّه قال:

«سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرَّضَاءَ عليه السلام عَنِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ، فَقَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: إِنَّمَا هُوَ الْإِسْلَامُ، وَالْإِيمَانُ فَوْقَهُ بِدَرَجَةٍ، وَالتَّقْوَى فَوْقَ الْإِيمَانِ بِدَرَجَةٍ، وَالْيَقِينُ فَوْقَ التَّقْوَى بِدَرَجَةٍ، وَلَمْ يُقَسِّمْ بَيْنَ النَّاسِ شَيْءٌ أَقْلُ مِنَ الْيَقِينِ، قَالَ: قُلْتُ: فَأَيُّ شَيْءٍ الْيَقِينُ؟ قَالَ: التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ، وَالتَّسْلِيمُ لِلَّهِ، وَالرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ، وَالتَّقْوِيضُ إِلَى اللَّهِ»^(٣).

٢- علاقة غنى النفس باليقين القلبي

عندما نلقي نظرة على الحديث المتقدم للإمام الحسين عليه السلام ونلاحظ العلاقة

(١) الكفعمي، إبراهيم بن علي، البلد الأمين، ص ٢٥٣.

(٢) ابن بابويه، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٣٧٦، حديث ٥٧٦٧.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٢، ص ٥٢، حديث ٥.

القائمة بين الحملتين الواردتين فيه نجد أن غنى النفس ومقداره له ارتباط وثيق ببلوغ درجة اليقين.

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله:

«وَحَيْرُ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ، وَحَيْرُ مَا أُلْقِيَ فِي الْقَلْبِ الْيَقِينُ»^(١).

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال:

«عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيْهِ عَبْدًا أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ ... فَهُوَ مِنَ الْيَقِينِ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ، قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ فِي أَرْفَعِ الْأُمُورِ، مِنْ إِصْدَارِ كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ، وَتَصْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إِلَى أَصْلِهِ»^(٢).

٣- تأثير اليقين القلبي في الإخلاص العملي

جاء عن الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفه أنه تضرّع إلى الحقّ جلّ وعلا بقوله:

«اللَّهُمَّ اجْعَلْ غِنَائِي فِي نَفْسِي، وَالْيَقِينَ فِي قَلْبِي، وَالْإِخْلَاصَ فِي عَمَلِي»^(٣).

إنّ الإتيان بكلمة «الإخلاص» بعد مفردة «اليقين» يدلنا على أنّ العمل الخالص هو العمل الطاهر والمنزه عن أيّ شرك جلي أو خفي، وهذا لا يناله إلا من وصل مرحلة اليقين الكامل بالله تبارك وتعالى.

فقال الإمام علي عليه السلام:

«الْإِخْلَاصُ ثَمَرَةُ الْيَقِينِ»^(٤).

وقال أيضاً:

«إِخْلَاصُ الْعَمَلِ مِنْ قُوَّةِ الْيَقِينِ وَصَلَاحِ النِّيَّةِ»^(٥).

-
- (١) ابن بابويه، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٤٠٢، حديث ٥٨٦٨.
 (٢) نهج البلاغة، خطبة ٨٧.
 (٣) الكفعمي، إبراهيم بن علي، البلد الأمين، ص ٢٥٣.
 (٤) الأمدّي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٤٩، حديث ٩٠٣.
 (٥) المصدر السابق، ص ٧٠، حديث ١٣٤٨.

وقال كذلك:

«غَايَةُ الْيَقِينِ الْإِخْلَاصُ»^(١).

٤. نور البصيرة نتيجة اليقين والإخلاص

عن الإمام الحسين عليه السلام قال في دعاء عرفة مخاطباً ربّ العزّة والجلالة:
«اللَّهُمَّ اجْعَلْ غِنَائِي فِي نَفْسِي، وَالْيَقِينَ فِي قَلْبِي، وَالْإِخْلَاصَ فِي عَمَلِي، وَالنُّورَ فِي بَصَرِي»^(٢).

بما أنّ الدعاء اشتمل على ذكر اليقين في القلب والإخلاص في العمل والنور في البصر نستنتج أنّ البصيرة من آثار اليقين القلبي والإخلاص العملي.

قال الإمام علي عليه السلام:

«عِنْدَ تَحَقُّقِ الْإِخْلَاصِ تَسْتَنِيرُ الْبَصَائِرُ»^(٣).

وفي دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام قال مبتهلاً لله تعالى:

«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ جَاسُوا خِلَالَ دِيَارِ الظَّالِمِينَ، وَاسْتَوْحَشُوا مِنْ مُؤَانَسَةِ الجَاهِلِينَ، وَسَمَّوْا إِلَى الْعُلُوِّ نُبُورَ الْإِخْلَاصِ»^(٤).

(١) المصدر السابق، ص ٤٦٨، حديث ٢.

(٢) الكفعمي، إبراهيم بن علي، البلد الأمين، ص ٢٥٣.

(٣) الليثي الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ، ص ٣٣٨، حديث ٥٧٦٥.

(٤) المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج ٩١، ص ١٢٦.

ز) وظائف المؤمنين

يتضح من خلال مطالعة روايات سيّد الشهداء عليه السلام أنّ على المؤمنين القيام بمجموعة من الوظائف، مثل:

١- لزوم شكر نعمة الإيمان

ابتهل الإمام الحسين عليه السلام قائلاً في دعاء عرفة:

«يَا مَنْ هَدَانِي لِلْإِيمَانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ أَعْرِفَ سُكْرَ الْإِمْتِنَانِ»^(١).

من مضمون هذه الجملة نستنتج لزوم وضرورة شكر نعمة الإيمان.

وفي ذلك قال الإمام علي عليه السلام:

«الْمُؤْمِنُ بُشْرُهُ فِي وَجْهِهِ، وَحُزْنُهُ فِي قَلْبِهِ، أَوْسَعُ شَيْءٍ صَدْرًا، وَأَدْلُ شَيْءٍ نَفْسًا، يَكْرَهُ الرَّفْعَةَ، وَيَسْتَأْذِنُ السَّمْعَةَ، طَوِيلٌ عَمُّهُ، بَعِيدٌ هَمُّهُ، كَثِيرٌ صَمْتُهُ، مَشْغُولٌ وَقْتُهُ، شَكُورٌ صَبُورٌ...»^(٢).

٢- لزوم الإقرار بالعقائد الحقة يوم القيامة

ورد عن الإمام الحسين عليه السلام قوله في دعاء العشرات متضرّعاً للحقّ تعالى:

«اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي هَذِهِ الشَّهَادَةَ عِنْدَكَ حَتَّى تُلَقِّيَنِيهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقَدْ رَضِيَتْ بِهَا عَنِّي»^(٣).

حيث يستفاد من مضمون هذا الدعاء لزوم إقرار المؤمن بعقائده الحقة في الله والرسول والإمام والمعاد يوم القيامة.

(١) الكفعمي، إبراهيم بن علي، البلد الأمين، ص ٢٥٥.

(٢) نهج البلاغة، الكلمات القصار ٣٣٣.

(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، مهج الدعوات ومنهج العبادات، ص ١٥٠.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«يَجِيءُ الْمَلَكَانَ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ إِلَى الْمَيِّتِ حِينَ يُدْفَنُ، أَصْوَاتُهُمَا كَالرَّعْدِ الْقَاصِفِ، وَأَبْصَارُهُمَا كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ، يُخْطَبَانِ الْأَرْضَ بِأَنْبِيَاهِمَا، وَيَطَّانِ فِي شُعُورِهِمَا، فَيَسْأَلَانِ الْمَيِّتَ مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ قَالَ: فَإِذَا كَانَ مُؤْمِنًا قَالَ: اللَّهُ رَبِّي وَدِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي خَرَجَ بَيْنَ ظَهْرَانِيكُمَا؟ فَيَقُولُ: أَعَنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَيَقُولَانِ لَهُ: تَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: نَمَّ نَوْمَةٌ لَا حُلْمَ فِيهَا، وَيُفْسَخُ لَهُ فِي قَبْرِهِ تِسْعَةٌ أَدْرَعٍ، وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَرَى مَقْعَدَهُ فِيهَا»^(١).

٣- ضرورة الاستفادة من أخوة الدين

عن الإمام الحسين عليه السلام قال:

«مَنْ أَتَانَا لَمْ يُعَدِّمْ خُصْلَةً مِنْ أَرْبَعٍ: آيَةٌ مُحْكَمَةٌ، وَقَضِيَّةٌ عَادِلَةٌ، وَأَخٌ مُسْتَفَادٌ، وَمُجَالَسَةٌ الْعُلَمَاءِ»^(٢).

يستنتج من الخصلة الثالثة في هذا الحديث أن على الإنسان الاستفادة من أخوته في الدين؛ لأن المقصود من كلمة «أخ» في الاصطلاح القرآني والروائي هو الأخ في الدين كما تقدمت الإشارة إليه سابقاً.

روي أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

«مَا اسْتَفَادَ امْرُؤٌ مُسْلِمٌ فَائِدَةً بَعْدَ فَائِدَةِ الْإِسْلَامِ مِثْلَ أَخٍ يَسْتَفِيدُهُ فِي اللَّهِ»^(٣).

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٣، ص ٢٣٦-٢٣٧، حديث ٧.

(٢) الآبي، منصور بن الحسين، نثر الدر في المحاضرات، ج ١، ص ٢٣٠.

(٣) ورام، مسعود بن عيسى، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر المعروف بمجموعة ورام، ج ٢،

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

«عَلَيْكَ بِإِخْوَانِ الصِّدْقِ، فَأَكْثَرُ مِنْ اِكْتِسَابِهِمْ، فَإِنَّهُمْ عُدَّةٌ عِنْدَ الرَّحَاءِ، وَجَنَّةٌ عِنْدَ الْبَلَاءِ»^(١).

٤. تدابير المؤمن وصولاً للتكامل المعنوي

قال الإمام الحسين عليه السلام:

«إِنَّ الْمُؤْمِنَ اتَّخَذَ اللَّهُ عِصْمَتَهُ، وَقَوْلُهُ مِرَاتَهُ، فَمَرَّةٌ يَنْظُرُ فِي نَعْتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَارَةً يَنْظُرُ فِي وَصْفِ الْمُتَجَرِّبِينَ، فَهُوَ مِنْهُ فِي لَطَائِفَ، وَمِنْ نَفْسِهِ فِي تَعَارُفٍ، وَمِنْ فِطْنَتِهِ فِي يَقِينٍ، وَمِنْ قُدْسِهِ عَلَى تَمَكِينٍ»^(٢).

فيتبين من هذا الحديث أنّ المؤمن نظراً لما يمتلكه من الإيمان بالله تعالى يخطو عملياً باتجاهين على طريق التكامل المعنوي وبلوغ أعلى درجاته:

(أ) أنّ الله جلّ وعلا هو حافظه وراعيه، وقد أوكل إليه جميع أموره:

نقل علي بن سويد حول سؤاله للإمام موسى بن جعفر عليه السلام قال:

«سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(٣)، فَقَالَ: التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ دَرَجَاتٌ، مِنْهَا أَنْ تَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا، فَمَا فَعَلَ بِكَ كُنْتَ عَنْهُ رَاضِيًا، تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَأْلُوكَ خَيْرًا وَفَضْلًا، وَتَعْلَمُ أَنَّ الْحَكَمَ فِي ذَلِكَ لَهُ، فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ بِتَفْوِضٍ ذَلِكَ إِلَيْهِ، وَثِقْ بِهِ فِيهَا وَفِي غَيْرِهَا»^(٤).

(ب) اتّخاذ آيات القرآن مرآة له ينظر إليها كلّما أراد إصلاح نفسه:

(١) ابن بابويه، محمد بن علي، الأمالي، ص ٣٨٠، حديث ٤٨٣.

(٢) ابن شعبة، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليهم)، ص ٢٤٨.

(٣) سورة الطلاق، آية ٣.

(٤) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٢، ص ٦٥، حديث ٥.

قال تبارك وتعالى:

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

٥. وجوب إنقاذ المؤمنين من شبهات الأعداء

جاء في التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري عليه السلام:

«وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام لِرَجُلٍ: أَيُّهَا أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ رَجُلٌ يَرُومُ قَتْلَ مَسْكِينٍ قَدْ ضَعُفَ، تُنْقِذُهُ مِنْ يَدِهِ؟ أَوْ نَاصِبٌ يَرِيدُ إِضْلَالَ مَسْكِينٍ [مُؤْمِنٍ] مِنْ ضَعْفَاءِ شِيعَتِنَا تَفْتَحُ عَلَيْهِ مَا يَمْتَنِعُ [الْمَسْكِينُ] بِهِ مِنْهُ وَيُفْحِمُهُ وَيَكْسِرُهُ بِحُجَجِ اللَّهِ تَعَالَى؟
قَالَ: بَلْ إِنْقَاذُ هَذَا الْمَسْكِينِ الْمُؤْمِنِ مِنْ يَدِ هَذَا النَّاصِبِ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(٢) [أَي] وَمَنْ أَحْيَاهَا وَأَرْشَدَهَا مِنْ كُفْرٍ إِلَى إِيْمَانٍ، فَكَأَنَّمَا أَحْيَى النَّاسَ جَمِيعًا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقْتُلَهُمْ بِسُيُوفِ الْحَدِيدِ»^(٣).

يتبين من الإجابة الواردة في الحديث السابق للإمام الحسين عليه السلام وجوب
وضرورة إنقاذ المؤمنين المساكين عقائدياً من السقوط في حبال النواصب
وشبهاتهم.

روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«أَيُّمَا دَاعٍ دَعَا إِلَى الْهُدَى فَاتَّبِعْ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْءٌ»^(٤).

(١) سورة يونس، آية ٥٧.

(٢) سورة المائدة، آية ٣٢.

(٣) التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام، ص ٣٤٨، حديث ٢٣١.

(٤) ورام، مسعود بن عيسى، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر المعروف بمجموعة ورام، ج ٢، ص

٦- لزوم إحياء الناس من الكفر إلى الإيمان بالإرشاد

يتضح أيضاً من الحديث السابق للإمام الحسين عليه السلام وجوب إرشاد الناس لإحيائهم من الكفر ودعوتهم إلى الإيمان.
قال تبارك وتعالى:

﴿وَمَا كَانُوا الْمُؤْمِنِينَ لَيَنْفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(١).

٧- لزوم إلفات نظر الأعداء للمبدأ والمعاد

ذكر الخوارزمي الحنفي في مقتله:

«فَتَقَدَّمَ الْحُسَيْنَ عليه السلام حَتَّى وَقَفَ قُبَالَةَ الْقَوْمِ، وَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى صُفُوفِهِمْ كَأَنَّهَا السَّيْلُ، وَنَظَرَ إِلَى ابْنِ سَعْدٍ وَاقِفًا فِي صِنَادِيدِ الْكُوفَةِ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الدُّنْيَا، فَجَعَلَهَا دَارَ فِتْنَاءٍ وَزَوَالٍ، مُتَصَرِّفَةً بِأَهْلِهَا حَالًا بَعْدَ حَالٍ، فَاَلْمَغْرُورُ مِنْ عَرَّتِهِ، وَالشَّقِيُّ مَنْ فِتْنَتِهِ، فَلَا تَغْرَبَنَّكُمْ هَذِهِ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا تَقْطَعُ رَجَاءَ مَنْ رَكَنَ إِلَيْهَا، وَتُحَيِّبُ طَمَعَ مَنْ طَمَعَ فِيهَا، وَأَرَاكُمْ قَدْ اجْتَمَعْتُمْ عَلَى أَمْرٍ قَدْ أَسَخَطْتُمْ اللَّهَ فِيهِ عَلَيْكُمْ، فَأَعْرَضَ بِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ عَنْكُمْ، وَأَحَلَّ بِكُمْ نِقْمَتَهُ، وَجَنَّبَكُمْ رَحْمَتَهُ، فَنِعْمَ الرَّبُّ رَبُّنَا، وَبِئْسَ الْعَبِيدُ أَنْتُمْ، أَقْرَبْتُمْ بِالطَّاعَةِ، وَأَمَنْتُمْ بِالرَّسُولِ مُحَمَّدٍ، ثُمَّ إِنَّكُمْ زَحِفْتُمْ إِلَى ذُرِّيَّتِهِ تُرِيدُونَ قَتْلَهُمْ، لَقَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْكُمْ الشَّيْطَانُ فَانْسَاكُمْ ذَكَرَ اللَّهُ الْعَظِيمِ، فَتَبَّ لَكُمْ وَمَا تُرِيدُونَ، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، هَؤُلَاءِ قَوْمٌ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ، فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ»^(٢).

يخرج المتدبر في تنبيه الإمام لمعسكر عمر بن سعد بقوله: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» بحقيقة مفادها: ضرورة إلفات نظر الأعداء للمبدأ والمعاد؛ لأن عدم

(١) سورة التوبة، آية ١٢٢.

(٢) أخطب خوارزم، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام، ج ١، ص ٣٥٧.

التفات الإنسان عادة ما يعود لافتتانه بالدنيا، وتسلب الشيطان عليه، وتحكمه به، ونسيانه الله جل جلاله، وفي نهاية المطاف مشاركته في قتل إمامه.

قال الحق سبحانه:

﴿أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾^(١).

روي عن رسول الله ﷺ قوله:

«الْخَاسِرُ مَنْ عَفَلَ عَنِ إِصْلَاحِ الْمَعَادِ»^(٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

«فَكَانَتْكُمْ بِالسَّاعَةِ تَحْدُوكُمْ حَدَوُ الزَّاجِرِ بِشَوْلِهِ، فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحْيَرٌ فِي الظُّلُمَاتِ، وَارْتَبَكَ فِي الْهَلَكَاتِ، وَمَدَّتْ بِهِ شَيَاطِينُهُ فِي طُغْيَانِهِ، وَرَبَّيْتُمْ لَهُ سَيِّئَ أَعْمَالِهِ، فَالْجَنَّةُ غَايَةُ السَّابِقِينَ، وَالنَّارُ غَايَةُ الْمَفْرُطِينَ»^(٣).

٨- لزوم صيانة الدين

لقد نقل ابن شعبة في كتابه:

«وَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُرِيدُ أَنْ يَسْأَلَهُ حَاجَةً، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا أَخَا الْأَنْصَارِ، صُنْ وَجْهَكَ عَنِ بَدَلَةِ الْمَسْأَلَةِ، وَارْفَعْ حَاجَتَكَ فِي رُقْعَةٍ، فَإِنِّي آتٍ فِيهَا مَا سَارَكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. فَكَتَبَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، إِنَّ لِفُلَانٍ عَلَيَّ خَمْسِمِائَةَ دِينَارٍ وَقَدْ أَلَحَّ بِي فَكَلَّمْتُهُ يُنْظِرُنِي إِلَى مَيْسِرَةٍ. فَلَمَّا قَرَأَ الْحَسِينُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الرُّقْعَةَ دَخَلَ إِلَى مَنْزِلِهِ فَأَخْرَجَ صِرَّةً فِيهَا أَلْفُ دِينَارٍ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ: أَمَّا خَمْسِمِائَةٌ فَاقْضِ بِهَا دَيْنَكَ، وَأَمَّا خَمْسِمِائَةٌ فَاسْتَعِنْ بِهَا عَلَى دَهْرِكَ، وَلَا تَرْفَعْ حَاجَتَكَ إِلَّا إِلَى أَحَدٍ ثَلَاثَةً: إِلَى ذِي دَيْنٍ، أَوْ مُرُوءَةٍ، أَوْ حَسَبٍ، فَأَمَّا ذُو الدَّيْنِ فَيَصُونُ دَيْنَهُ، وَأَمَّا ذُو

(١) سورة المجادلة، آية ١٩.

(٢) ورام، مسعود بن عيسى، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر المعروف بمجموعة ورام، ج ٢، ص

(٣) نهج البلاغة، خطبة ١٥٧.

الرُّوَّةُ فَإِنَّهُ يَسْتَحْيِي لِرُوتِهِ، وَأَمَّا ذُو الْحَسَبِ فَيَعْلَمُ أَنَّكَ لَمْ تُكْرِمَ وَجْهَكَ أَنْ تَبْذُلَهُ لَهُ فِي حَاجَتِكَ، فَهُوَ يَصُونُ وَجْهَكَ أَنْ يَرُدَّكَ بِغَيْرِ قَضَاءٍ حَاجَتِكَ»^(١).

إذ يستخلص من جملة «فَأَمَّا ذُو الدِّينِ فَيَصُونُ دِينَهُ» أَنَّ التَّدِينِ يَدْعُو إِلَى صِيَانَةِ الدِّينِ، وَبِتَعْبِيرٍ آخَرَ: إِنَّ كُلَّ صَاحِبِ دِينٍ يَسْعَى لِلْمَحَافَظَةِ عَلَى دِينِهِ، وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ رَغْمَ ظَاهِرِهَا الْخَبْرِي لَكِنِّهَا تَعْرَبُ عَنْ حَالَةٍ مِنَ الْإِنْشَاءِ، مَا يَدُلُّ عَلَى إِرَادَةِ اللُّزُومِ مِنْهَا.

عن أمير المؤمنين عليه السلام أَنَّهُ قَالَ:

«فَإِذَا حَضَرَتْ بَلِيَّةٌ فَاجْعَلُوا أَمْوَالَكُمْ دُونَ أَنْفُسِكُمْ، وَإِذَا نَزَلَتْ نَارِلَةٌ فَاجْعَلُوا أَنْفُسَكُمْ دُونَ دِينِكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْهَالِكَ مَنْ هَلَكَ دِينُهُ، وَالْحَرِيبَ مَنْ حُرِبَ دِينُهُ»^(٢).

وعن الإمام الصادق عليه السلام أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْمَصِيبَةِ:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ مُصِيبَتِي فِي دِينِي، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَوْ شَاءَ أَنْ يَجْعَلَ مُصِيبَتِي أَعْظَمَ مِمَّا كَانَتْ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي شَاءَ أَنْ يَكُونَ فَكَانَ»^(٣).

٩- صيانة الدين بقضاء حوائج الناس

كما يرشدنا المضمون الدلالي لحديث الإمام الحسين عليه السلام السابق إلى أَنَّ صِيَانَةَ الدِّينِ تَتَحَقَّقُ بِقَضَاءِ حَوَائِجِ النَّاسِ، وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى: إِنَّ الْقِيَامَ بِأَعْمَالِ الْخَيْرِ مُؤَثِّرٌ جَدًّا فِي حِفْظِ وَصِيَانَةِ دِينِ الْإِنْسَانِ، وَلِذَا تَجِبُ صِيَانَةُ الْإِنْسَانِ بِهَا.

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ:

«مَنْ قَضَى لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ حَاجَةً كَانَ كَمَنْ عَبَدَ اللَّهَ دَهْرَهُ»^(٤).

(١) ابن شعبة، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليهم)، ص ٢٤٧.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٢، ص ٢١٦، حديث ٢.

(٣) المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٦٢، حديث ٤٢.

(٤) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي، ص ٤٨١، حديث ١٠٥١.

عن معمر بن خلاد قال سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول:
«إِنَّ اللَّهَ عِبَادًا فِي الْأَرْضِ يَسْعَوْنَ فِي حَوَائِجِ النَّاسِ، هُمْ الْأَمْنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ
أَدْخَلَ عَلَى مُؤْمِنٍ سُرُورًا، فَرَّحَ اللَّهُ قَلْبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٢، ص ١٩٧، حديث ٢.

ح) علاقة العمل بالإيمان

وقع اختلاف حول علاقة العمل بالإيمان، وهل أنّ العمل يشكل جزءاً من مفهوم الإيمان أو شرطاً في كماله وتمامه.

وعند مطالعة الروايات المروية عن سيّد الشهداء عليه السلام بهذا المضمار نستوحي منها عدّة مطالب جديرة بالإشارة.

عدم جزئية العمل الصالح لمفهوم الإيمان بالله

روي عن الإمام الحسين عليه السلام أنّه تضرّع إلى الله في دعاء الاستجابة قائلاً:

«وَأَنْتَ الَّذِي اسْتَجَبْتَ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ»^(١).

من خلال ملاحظة عطف جملة «عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» على «الَّذِينَ آمَنُوا» الدال على المغايرة والاختلاف يستنتج أنّ العمل الصالح ليس جزءاً من مفهوم الإيمان، وإنّما شرط في كماله، وبدون العمل لن يتمكّن الإنسان من بلوغ مراتب ودرجات رفيعة، بل قد يستحق العذاب الإلهي.

قال جلّ جلاله:

﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾^(٢).

يدور البحث حول العمل الصالح أهو ركن في الإيمان أو أنّ التصديق فقط هو

ركن فيه؟

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، جمال الأسبوع بكمال العمل المشروع، ص ٢٧٢.

(٢) سورة الكهف، آية ٨٨.

١- نظرية ركنية العمل للإيمان

يعتقد بعض المفكرين الإسلاميين بركنية العمل في مفهوم الإيمان وتحققه خارجاً، ونشير أدناه إلى عبارات بعضهم:

نقل عن محمد بن إدريس الشافعي أنه قال:

«وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركناهم أنّ الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاثة بالآخر»^(١).

وعن المزني:

«والإيمان قول وعمل مع اعتقاده بالجنان، قول باللسان وعمل بالجوارح والأركان، وهما سيان ونظامان وقرينان لا نفرق بينهما، لا إيمان إلا بعمل ولا عمل إلا بإيمان»^(٢).

وعن الأجرّي:

«إنّ الذي عليه علماء المسلمين أنّ الإيمان واجب على جميع الخلق، وهو تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح، ثمّ اعلّموا أنّه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقاً، ولا تجزئ معرفة بالقلب ونطق باللسان حتّى يكون عمل بالجوارح، فإذا كملت فيه هذه الثلاث الخصال كان مؤمناً، دلّ على ذلك القرآن والسنة وقول علماء المسلمين»^(٣).

عن ابن بطّة:

«باب بيان الإيمان وفرضه وأنّه تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح

(١) اللالكائي، هبة الله بن الحسن، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ج ٨، ص ٥، ج ٥، ص ٩٥٦-٩٥٧، ش ١٥٩٣.

(٢) المزني، إسماعيل بن يحيى، شرح السنة، ص ٧٧-٧٨، ش ٦.

(٣) الأجرّي، محمد بن الحسين، الشريعة، ج ٢، ص ٦١١.

والحركات، لا يكون العبد مؤمناً إلا بهذه الثلاث»^(١).

٢- عدم ركنية العمل في الإيمان

يعتقد بعض أن الأعمال غير دخيلة في مفهوم الإيمان.

قال التفتازاني:

«إِنَّ الْأَعْمَالَ غَيْرَ دَاخِلَةٍ فِي الْإِيمَانِ، لَمَّا مَرَّ مِنْ أَنَّ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ هُوَ التَّصَدِيقُ، وَلَا أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَطْفُ الْأَعْمَالِ عَلَى الْإِيمَانِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^(٢)، مَعَ الْقَطْعِ بِأَنَّ الْعَطْفَ يَقْتَضِي الْمَغَايِرَةَ، وَعَدَمَ دُخُولِ الْمَعْطُوفِ فِي الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ، وَوَرَدَ أَيْضاً جَعْلُ الْإِيمَانِ شَرْطَ صِحَّةِ الْأَعْمَالِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾^(٣)، مَعَ الْقَطْعِ بِأَنَّ الْمَشْرُوطَ لَا يَدْخُلُ فِي الشَّرْطِ، لِامْتِنَاعِ اشْتِرَاطِ الشَّيْءِ بِنَفْسِهِ، وَوَرَدَ أَيْضاً إِثْبَاتُ الْإِيمَانِ لِمَنْ تَرَكَ بَعْضَ الْأَعْمَالِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ طَافَيْنَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَلُوا﴾^(٤) عَلَى مَا مَرَّ، مَعَ الْقَطْعِ بِأَنَّهُ لَا يَتَحَقَّقُ الشَّيْءُ بِدُونِ رُكْنِهِ»^(٥).

قال الشهيد الثاني:

«إِنَّ الْأَعْمَالَ لَيْسَتْ جُزْءاً مِنَ الْإِيمَانِ وَلَا نَفْسَهُ، فَالِدَلِيلُ عَلَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ وَالسُّنَّةِ الْمَطْهُرَةِ وَالْإِجْمَاعِ»^(٦).

ونبأشر هنا بنقل الأدلة:

(١) ابن بطّة، عبيد الله بن محمد، الإبانة الكبرى، ج ٢، ص ٧٦٠.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٧٧.

(٣) سورة النساء، آية ١٢٤.

(٤) سورة الحجرات، آية ٩.

(٥) التفتازاني، مسعود بن عمر، شرح العقائد النسفية، ص ٨٠.

(٦) الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، حقائق الإيمان مع رسالتي الاقتصاد والعدالة، ص ٦٩.

الدليل الأول

قال سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١).

وقال الشهيد الثاني في توجيهه عطف ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ على ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ في الآية أعلاه:

«فإنَّ العطف يقتضي المغايرة وعدم دخول المعطوف في المعطوف عليه، فلو كان عمل الصالحات جزءاً من الإيمان أو نفسه لزم خلو العطف عن الفائدة؛ لكونه تكراراً»^(٢).

الدليل الثاني

قال جلّ جلاله:

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾^(٣).

وعلق الشهيد الثاني على هذه الآية:

«أي حالة إيمانه، فإنَّ عمل الصالحات في حالة الإيمان يقتضي المغايرة لما أضيف إلى تلك الحالة وقارنه فيها، وإلا لصار المعنى: ومن يعمل بعض الإيمان حال حصول ذلك البعض، أو ومن يعمل من الإيمان حال حصوله، وحيثنذ فيلزم تقدّم الشيء على نفسه وتحصيل الحاصل»^(٤).

(١) سورة البقرة، آية ٢٧٧.

(٢) الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، حقائق الإيمان مع رسالتي الاقتصاد والعدالة، ص ٦٩.

(٣) سورة طه، آية ١١٢.

(٤) الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، حقائق الإيمان مع رسالتي الاقتصاد والعدالة، ص ٦٩-٧٠.

الدليل الثالث

قال تبارك وتعالى:

﴿وَلِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلُوا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾^(١).

فالله سبحانه قد وصف بعض مرتكبي المعاصي بالإيمان، ومنها التقاتل فيما بينهم.

وعلق الشهيد الثاني:

«فإنه أثبت الإيمان لمن ارتكب بعض المعاصي، فلو كان ترك المنهيات جزءاً من الإيمان لزم تحقق الإيمان وعدم تحققه في موضع واحد في حالة واحدة، وهو محال»^(٢).

الدليل الرابع

قال سبحانه وتعالى:

﴿يَكْفُرُ بِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(٣).

فالله تعالى يأمر المؤمنين بتحصيل التقوى بالقيام بالطاعات وترك المحرمات ويصفهم بالمؤمنين.

وفي ذلك قال الشهيد الثاني:

«فإن أمرهم بالتقوى التي لا تحصل إلا بفعل الطاعات والانزجار عن المنهيات مع وصفهم بالإيمان، يدل على عدم حصول التقوى لهم، وإلا لما أمروا بها مع حصول الإيمان لوصفهم به، فلا يكون الأعمال نفس الإيمان ولا جزءاً منه، وإلا لكان أمراً بتحصيل الحاصل»^(٤).

(١) سورة الحجرات، آية ٩.

(٢) الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، حقائق الإيمان مع رسالتي الاقتصاد والعدالة، ص ٧٠.

(٣) سورة التوبة، آية ١١٩.

(٤) الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، حقائق الإيمان مع رسالتي الاقتصاد والعدالة، ص ٧١.

الدليل الخامس

قال جلّت عظمته:

﴿أَوْلَيْتِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾^(١).

قال الشهيد الثاني حول هذه الآية:

«ولو كان الإقرار أو غيره من الأعمال نفس الإيمان أو جزءه، لما كان القلب محل

جمعه، بل هو مع اللسان وحده، أو مع بقية الجوارح على اختلاف الآراء»^(٢).

وقال أيضاً:

﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^(٣).

وقال الشهيد الثاني حول هذه الآية:

«ولو كان غير القلب من أعمال الجوارح نفس الإيمان أو جزءه، لما جعل كلّ محل

القلب، كما هو ظاهر الآية الكريمة»^(٤).

وقال تعالى كذلك:

﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾^(٥).

وعلق الشهيد الثاني على هذه الآية:

«فإنّ اطمئنانه بالإيمان يقتضي تعلّقه كلّ به، وإلّا لكان مطمئناً ببعضه لا كلّ»^(٦).

(١) سورة المجادلة، آية ٢٢.

(٢) الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، حقائق الإيمان مع رسالتي الاقتصاد والعدالة، ص ٧١.

(٣) سورة الحجرات، آية ١٤.

(٤) الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، حقائق الإيمان مع رسالتي الاقتصاد والعدالة، ص ٧١-٧٢.

(٥) سورة النحل، آية ١٠٦.

(٦) الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، حقائق الإيمان مع رسالتي الاقتصاد والعدالة، ص ٧٢.

الدليل السادس

روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه تضرّع لله سبحانه قائلاً:
 «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»^(١).
 وفي بيان هذه الرواية قال الشهيد الثاني:

«وجه الدلالة فيه: أنّ المراد من الدين هنا الإيمان؛ لأنّ طلب تثبيت القلب عليه يدل على أنّه متعلّق بالاعتقاد، وليس هناك شيء آخر غير الإيمان من الاعتقاد يصلح لثبات القلب عليه بحيث يسمّى ديناً، فتعيّن أن يكون هو الإيمان، وحيث لم يطلب غيره في حصول الإيمان علم أنّ الإيمان يتعلّق بالقلب لا بغيره»^(٢).

الدليل السابع

قال الشهيد الثاني:

«إنّ الأئمة أجمعت على أنّ الإيمان شرط لسائر العبادات، والشيء لا يكون شرطاً لنفسه، فلا يكون الإيمان هو العبادات»^(٣).

الإيمان والعمل الصالح عاملان مؤثران في استجابة الدعاء

روي عن الإمام الحسين عليه السلام أنه تضرّع إلى الله في دعاء الاستجابة قائلاً:
 «وَأَنْتَ الَّذِي اسْتَجَبْتَ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ»^(٤).
 يستفاد من المضمون الدلالي لحديث الإمام الحسين عليه السلام أنّ هناك تأثيراً كبيراً للإيمان والعمل الصالح في استجابة الدعاء، وترك أيّ منهما سيلحق الضرر بذلك.

(١) الطوسي، محمّد بن الحسن، مصباح المتعجّد، ج ١، ص ٣٦٥.

(٢) الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، حقائق الإيمان مع رسالتي الاقتصاد والعدالة، ص ٧٣.

(٣) المصدر السابق، ص ٧٣.

(٤) ابن طاووس، علي بن موسى، جمال الأسبوع بكمال العمل المشروع، ص ٢٧٢.

يقول البارئ سبحانه:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^(١).

اقتران الإيمان والعمل الصالح

يتحصّل أيضاً من الحديث السابق للإمام الحسين عليه السلام حيث أتى على ذكر الإيمان والعمل الصالح من أنّ أولهما جوانحي والآخر جوارحي، وبينهما تمام الاقتران والترابط، ولهذا يؤثر الإيمان في العمل الصالح والعمل الصالح يكمله.

وقد روي أيضاً عن الإمام الحسين عليه السلام أنّه قال:

«يَا جُعَيْدَ هَمْدَانَ، النَّاسُ أَرْبَعَةٌ: مِنْهُمْ مَنْ لَهُ خُلُقٌ وَلَيْسَ لَهُ خَلَقٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ خَلَقٌ وَلَيْسَ لَهُ خُلُقٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ خُلُقٌ وَخَلَقٌ وَذَلِكَ أَفْضَلُ النَّاسِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَيْسَ لَهُ خُلُقٌ وَلَا خَلَقٌ وَذَلِكَ شَرُّ النَّاسِ»^(٢).

ويبدو أنّ المقصود من كلمة «خلاق» في هذا الحديث هو النفع الإيماني والديني، وحينما ندقق في القسم الثاني الذي ذكره الإمام للناس نستنتج أنّ هناك طائفة من الناس متديّنون إلّا أنّهم خالون عن الأخلاق الحسنة، وهذه الطائفة فضيلة محدودة حسبها يدل سياق الحديث ومضمونه عليه.

روى أبو بصير عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله خَرَجَ فِي جِنَازَةِ سَعْدٍ وَقَدْ شَبِعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: مِثْلُ سَعْدٍ يُضْمُّ، قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنَّا

(١) سورة البقرة، آية ١٨٦.

(٢) ابن سعد، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى: الطبقة الخامسة من الصحابة، ج ١، ص ٤٠٥، حديث ٣٧٨.

نُحَدِّثُ أَنَّهُ كَانَ يَسْتَخِفُّ بِالْبَوْلِ، فَقَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ، إِنَّمَا كَانَ مِنْ زَعَارَةٍ فِي خُلُقِهِ عَلَى أَهْلِهِ، قَالَ: فَقَالَتْ أُمُّ سَعْدٍ: هَنِيئًا لَكَ يَا سَعْدُ، قَالَ: فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا أُمَّ سَعْدٍ، لَا تَحْتَبِي عَلَى اللَّهِ^(١).

عدم جواز الاكتفاء بالإيمان

يتبين أيضاً من عطف العمل الصالح على الإيمان في الحديث السابق للإمام الحسين عليه السلام عدم صحة الاكتفاء في نيل الكمال وبلوغ السعادة بالإيمان القلبي وغيض الطرف عن العمل الصالح.

وقال الإمام الحسين عليه السلام خلال مسيره في كربلاء:

«إِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا قَدْ تَغَيَّرَتْ وَتَنَكَّرَتْ، وَأَدْبَرَ مَعْرُوفُهَا، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ، وَحَسِيسٌ عَيْشٍ كَالْمَرْعَى الْوَيْبِلِ، أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ الْحَقَّ لَا يُعْمَلُ بِهِ، وَأَنَّ الْبَاطِلَ لَا يُنْتَاهَى عَنْهُ؟! لِيَرْغَبَ الْمُؤْمِنُ فِي لِقَاءِ اللَّهِ مُحَقَّقًا، فَإِنِّي لَا أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا سَعَادَةً، وَلَا الْحَيَاةَ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَرَمًا. إِنَّ النَّاسَ عَبِيدُ الدُّنْيَا، وَالَّذِينَ لَعَقُوا عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، يَحْوِطُونَهُ مَا دَرَّتْ مَعَايِشُهُمْ، فَإِذَا مُحْضُوا بِالْبَلَاءِ قَلَّ الدَّيَّانُونَ»^(٢).

يستفاد مضموناً من ذيل هذا الحديث وجوب العمل على الجميع بالدين ومقتضى الإيمان وإن لم يكن جزءاً من مفهوم الإيمان.

وذكر المتقي الهندي في كنز العمال:

«عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ خَاتَمَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَانَ مِنْ وَرَقٍ نَقَشَهُ نَعَمُ الْقَادِرُ اللَّهُ، وَكَانَ خَاتَمَ الْحُسَيْنِ عَقَلْتُ فَأَعْمَلُ»^(٣).

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٣، ص ٢٣٦، حديث ٦.

(٢) ابن شعبة، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليهم)، ص ٢٤٥.

(٣) المتقي الهندي، علي بن حسام الدين، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ج ٦، ص ٦٨٦، حديث ١٧٤٠٩.

ويتحصّل من جملة «عَقَلْتَ فَأَعْمَلْ» أنّ الإنسان لأنّه عاقل لزمه العمل خلافاً للحيوانات.

إن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

«لَأَنْسِبَنَّ الْإِسْلَامَ نِسْبَةً لَمْ يَنْسُبْهَا أَحَدٌ قَبْلِي: الْإِسْلَامُ هُوَ التَّسْلِيمُ، وَالتَّسْلِيمُ هُوَ الْيَقِينُ، وَالْيَقِينُ هُوَ التَّصَدِيقُ، وَالتَّصَدِيقُ هُوَ الْإِقْرَارُ، وَالْإِقْرَارُ هُوَ الْأَدَاءُ، وَالْأَدَاءُ هُوَ الْعَمَلُ»^(١).

روى محمد بن مسلم عن الإمام الباقر أو الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«الْإِيمَانُ إِقْرَارٌ وَعَمَلٌ، وَالْإِسْلَامُ إِقْرَارٌ بِلَا عَمَلٍ»^(٢).

يتّضح من الجمع بين الأدلة أنّ العمل ولو لم يكن جزءاً من الإيمان إلا أنّه شرط في الكمال.

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«الْإِيمَانُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِعَمَلٍ وَالْعَمَلُ مِنْهُ، وَلَا يَثْبُتُ الْإِيمَانُ إِلَّا بِعَمَلٍ»^(٣).

ولصدر المتألمين في حقيقة الإيمان بيان لا بأس بذكره حيث قال:

«اعلم أنّ الإيمان وسائر مقامات الدين ومعالم شريعة سيّد المرسلين عليه وآله السلام إنّما يتتظم من ثلاثة أمور: معارف وأحوال وأعمال، فالمعارف هي الأصول، وهي تورث الأحوال، والأحوال تورث الأعمال، أمّا المعارف فهي العلم بالله وصفاته وأفعاله وكتبه ورسوله واليوم الآخر، وأمّا الأحوال فكالانقطاع عن الأغراض الطبيعية والشوائب النفسانية والوساوس العاديّة، كالشهوة والغضب والكبر والعجب ومحبة الجاه والشهرة وغير ذلك، وأمّا الأعمال فكالصلاة والزكاة والصوم والطواف والجهاد وفعل ما أمر الله به وترك ما نهى عنه.

(١) نهج البلاغة، الكلمات القصار ١٢٥.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٢، ص ٢٤، حديث ٢.

(٣) المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٨، حديث ٣.

فهذه الثلاثة إذا قيس بعضها إلى بعض لاح للناظرين إلى الأشياء بالنظر الظاهر المقتصرين على إدراك النشأة الحسية، أنّ العلوم تراد للأحوال، والأحوال تراد للأعمال، فالأعمال هي الأصل عندهم والأفضل في نظرهم.

وأما أرباب البصائر المقتبسين أنوار المعرفة من مشكاة النبوة لا من أفواه الرجال، المستفيضين أسرار الحكمة الحقة من معدن الوحي والرسالة، لا من مقارعة الأسماع بالقيال والقال، فالأمر عندهم بالعكس من ذلك، فإنّ الأعمال تراد للأحوال، والأحوال للعلوم فالأفضل العلوم، ثمّ الأحوال، ثمّ الأعمال، فإنّ لوح النفس كالمرآة، والأعمال تصقلها وتطهيرها، والأحوال صقلتها وطهارتها، والعلوم صورها المرتسمة فيها.

فنفس الأعمال لكونها من جنس الحركات والانفعالات تتبعها المشقة والتعب، فلا خير فيها إذا نظر إليها لذواتها، ونفس الأحوال لكونها من قبيل الأعدام والقوى فلا وجود لها، وما لا وجود له فلا فضيلة فيه، وإنّما الخير والفضيلة لما له الوجود الأتمّ والشرف الأنور، وهي الموجودات المقدّسة والمعقولات الصورية المجردة عن التغيّر والزوال والشّرّ والوبال، كالباري وملائكته العلوية والأرواح المطهّرة الإنسيّة والحضرة الإلهية والحظيرة القدسيّة.

ففائدة إصلاح العمل إصلاح القلب، وفائدة إصلاح القلب أن ينكشف له جلال الله في ذاته وصفاته وأفعاله.

فأرفع علوم المكاشفة هي المعارف الإيمانية ومعظمها معرفة الله، ثمّ معرفة صفاته وأسمائه، ثمّ معرفة أفعاله فهي الغاية الأخيرة التي يراد لأجلها تهذيب الظواهر بالأعمال، وتهذيب البواطن بالأحوال فإنّ السعادة بها تنال، بل هي عين الخير والسعادة واللذة القصوى»^(١).

(١) صدر الدين الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج ١، ص ٢٤٩-٢٥٠.

لا نفع في العمل الصالح دون إيمان

روي عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال في خطبة:

«... وَأَحَذِرْكُمْ الْإِضْغَاءَ إِلَى هُتُوفِ الشَّيْطَانِ بِكُمْ فَإِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ، فَتَكُونُوا كَأَوْلِيائِهِ الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفُتَاتَانَ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ﴾^(١)، فَتَلْقَوْنَ لِلشُّؤْفِ ضَرْبًا وَلِلرَّمَاكِحِ وَرَدًّا وَلِلْعُمْدِ حَطْمًا وَلِلسَّهَامِ غَرَضًا، ثُمَّ لَا يُقْبَلُ مِنْ نَفْسٍ إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ أَمَنْتَ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا»^(٢).

يشير آخر هذا الكلام إلى أن الإيمان مثلما كان مشروطاً بالعمل كذلك العمل الصالح هو الآخر لا فائدة فيه دونه.

يقول تبارك وتعالى:

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ أَمَنْتَ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ مَنْظُرُونَ مُنظُرُونَ﴾^(٣).

الفيوضات الإلهية العميمة للمؤمنين وأصحاب العمل الصالح

روي عن الإمام الحسين عليه السلام قوله في دعاء الاستجابة مشيراً لقصة زكريا عليه السلام

وزوجته وابنها يحيى عليه السلام:

«وَقُلْتُ: ﴿وَيَدْعُونَكَ رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾^(٤)، وَأَنْتَ الَّذِي اسْتَجَبْتَ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِتَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِكَ»^(٥).

(١) سورة الأنفال، آية ٤٨.

(٢) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج، ج ٢، ص ٢٩٩.

(٣) سورة الأنعام، آية ١٥٨.

(٤) سورة الأنبياء، آية ٩٠.

(٥) ابن طاووس، علي بن موسى، جمال الأسبوع بكمال العمل المشروع، ص ٢٧٢.

من «لام» التعليل التي وردت في الجملة الأخيرة يتبين أن الله تعالى قد استجاب دعاء المؤمنين ومن يأتون بالعمل الصالح، ويفيض عليهم سبحانه من لطفه ونعمه.

يقول جلّ جلاله:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾^(١).

بطلان عقيدة المرجئة

يستشف بطلان عقيدة المرجئة التي ترى الاكتفاء بالإيمان وعدم الاكتراث بالعمل الصالح والاهتمام به على ضوء التأكيد الوارد في حديث الإمام الحسين عليه السلام على العمل الصالح في هذا الدعاء، مضافاً لما نصّت عليه الآيات القرآنية في هذا الصعيد.

وعن المرجئة قال آية الله سبحانه:

«إنها مأخوذة من الإرجاء بمعنى التأخير، ويحتمل أن يكون مأخوذاً من الرجاء أي الأمل، والمشهور هو الأول، وسرّ تسميتهم بالمرجئة بمعنى المؤخّرة أحد الوجهين:

١- طال التشاجر في معنى الإيمان في العصر الأول، وحدثت آراء وأقوال حول حقيقته بين الخوارج والمعتزلة، فذهبت المرجئة إلى أنه عبارة عن مجرد الإقرار بالقول واللسان وإن لم يكن مصاحباً للعمل، فأخذوا من الإيمان جانب القول، وطرّدوا جانب العمل، فكأنهم قدّموا الأول وأخروا الثاني، واشتهروا بمقولتهم: لا تضرّ مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة.

وعلى هذا، فهم والخوارج في هذه المسألة على جانبي نقيض، فالمرجئة لا تشترط

(١) سورة النساء، آية ١٧٣.

العمل في حقيقة الإيمان، وترى العاصي ومرتكب الذنوب، صغيرها وكبيرها، مؤمناً حتى تارك الصلاة والصوم، وشارب الخمر، ومقترف الفحشاء. والخوارج يضيّقون الأمر فيرون مرتكب الكبيرة كافراً، ولأجل ذلك قاموا بتكفير عثمان للأحداث التي انجرت إلى قتله، وتكفير علي عليه السلام لقبوله التحكيم وإن كان عن اضطرار.

ويقابلهما المعتزلة أيضاً القائلون بأن مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا فاسق، بل في منزلة بين الأمرين، فزعمت أنها أخذت بالقول الوسط بين المرجئة والخوارج...»^(١).

نقل الكليني بسنده عن محمد بن حفص قال:

«سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: - وَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ قَوْلِ الْمَرْجئةِ فِي الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ وَقَالَ: إِنَّهُمْ يَحْتَجُونَ عَلَيْنَا وَيَقُولُونَ: كَمَا أَنَّ الْكَافِرَ عِنْدَنَا هُوَ الْكَافِرُ عِنْدَ اللَّهِ فَكَذَلِكَ نَحِدُ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَقَرَّ بِإِيمَانِهِ أَنَّهُ عِنْدَ اللَّهِ مُؤْمِنٌ، فَقَالَ: - سُبْحَانَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَسْتَوِي هَذَا وَالْكَفْرُ إِقْرَارٌ مِنَ الْعَبْدِ فَلَا يُكَلَّفُ بَعْدَ إِقْرَارِهِ بَيِّنَةً، وَالْإِيمَانُ دَعْوَى لَا تَجُوزُ إِلَّا بِبَيِّنَةٍ، وَبَيِّنَتُهُ عَمَلُهُ وَبَيِّنَتُهُ؟! فَإِذَا اتَّفَقَا فَالْعَبْدُ عِنْدَ اللَّهِ مُؤْمِنٌ، وَالْكَفْرُ مَوْجُودٌ بِكُلِّ جِهَةٍ مِنْ هَذِهِ الْجِهَاتِ الثَّلَاثِ مِنْ نِيَّةٍ أَوْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَالْأَحْكَامُ تَجْرِي عَلَى الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، فَمَا أَكْثَرَ مَنْ يَشْهَدُ لَهُ الْمُؤْمِنُونَ بِالْإِيمَانِ وَتَجْرِي عَلَيْهِ أَحْكَامُ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ كَافِرٌ وَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَجْرَى عَلَيْهِ أَحْكَامُ الْمُؤْمِنِينَ بظَاهِرِ قَوْلِهِ وَعَمَلِهِ»^(٢).

(١) السبحاني التبريزي، جعفر، بحوث في الملل والنحل، ج ٣، ص ١٠٠.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٢، ص ٣٩-٤٠، حديث ٣٩.

ط) الأسبقية في الإيمان

نقل منصور بن الحسين الآبي أنه:

«لَمَّا قَتَلَ مُعَاوِيَةُ حُجْرَ بْنَ عَدِيٍّ وَأَصْحَابَهُ، لَقِيَ فِي ذَلِكَ الْعَامِ الْحُسَيْنَ عليه السلام، فَقَالَ: أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، هَلْ بَلَغَكَ مَا صَنَعْتُ بِحُجْرٍ وَأَصْحَابِهِ مِنْ شِيعَةِ أَبِيكَ؟ فَقَالَ: لَا، قَالَ: إِنَّا قَتَلْنَاهُمْ وَكَفَّنَّاهُمْ وَصَلَّيْنَا عَلَيْهِمْ.

فَضَحِكَ الْحُسَيْنُ عليه السلام، ثُمَّ قَالَ: خَصَمَكَ الْقَوْمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا مُعَاوِيَةُ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ وَلَيْنَا مِثْلَهَا مِنْ شِيعَتِكَ مَا كَفَّنَّاهُمْ وَلَا صَلَّيْنَا عَلَيْهِمْ، وَقَدْ بَلَغَنِي وَفُوعُكَ بِأَبِي حَسَنِ، وَقِيَامُكَ وَاعْتِرَاضُكَ بِنَبِيِّ هَاشِمٍ بِالْعُيُوبِ، وَأَيْمُ اللَّهِ لَقَدْ أَوْتَرْتَ غَيْرَ قَوْسِكَ، وَرَمَيْتَ غَيْرَ عَرَضِكَ، وَتَنَاوَلْتَهَا بِالْعُدَاوَةِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ، وَلَقَدْ أَطَعْتَ امْرَأًا مَا قَدَّمَ إِيمَانُهُ، وَلَا حَدَّثَ نِفَاقُهُ، وَمَا نَظَرَ لَكَ، فَانظُرْ لِنَفْسِكَ أَوْ دَعْ. يُرِيدُ: عَمَرُو بْنُ الْعَاصِ»^(١).

من المضمون الدلالي لكلمات الإمام عليه السلام الأخيرة يبدو جلياً أن للأسبقية في الإيمان شأنها الرفيع ومكانتها السامية، وقد امتاز أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الخصيصة على غيره.

قال سبحانه وتعالى:

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢﴾ فِي جَنَّةٍ النَّعِيمِ ﴿٣﴾﴾.

(١) الآبي، منصور بن الحسين، نثر الدر في المحاضرات، ج ١، ص ٢٢٩.

(٢) سورة الواقعة، آية ١٠-١٢.

ي) أسباب الإيمان

يتأتى من روايات سيّد الشهداء عليه السلام أنّ هناك أموراً مؤثرة في تحقق إيمان الإنسان وكماله، من قبيل:

١- بعض أنواع الأرزاق

روي عن الإمام الحسين عليه السلام في دعاء الاستسقاء قوله حول المطر متضرّعاً للحق سبحانه:

«اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ رِزْقَ إِيْمَانٍ»^(١).

إذ يتحصّل من هذا الدعاء أنّ الرزق أحياناً ما يبعث على زيادة إيمان الإنسان، وذلك فيما لو استعمله بحسب مقتضى الإيْمَان بالله تعالى لا في الذنوب والمعاصي؛ لأنّ الله جلّ جلاله يقول:

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿١﴾ إِنَّ رَبَّهُ اسْتَمَعَ ﴿٢﴾﴾^(٢).

٢- المطر

روي عن الإمام الحسين عليه السلام أنّه قال في دعاء الاستسقاء حول المطر داعياً ربّ العزّة والجلالة:

«اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ رِزْقَ إِيْمَانٍ وَعَطَاءَ إِيْمَانٍ»^(٣).

حيث يستتج من مضمون هذا الدعاء أنّ نزول المطر قد يبعث على الرزق

(١) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، عيون الأخبار، ج ٢، ص ٣٠٣.

(٢) سورة العلق، آية ٦-٧.

(٣) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، عيون الأخبار، ج ٢، ص ٣٠٣.

والعطاء المعنوي للإنسان، وينميه في وجود الإنسان، والمراد به هنا هو الإيمان.

٣. سماع الحقائق

يقول يحيى بن يعمن:

«كُنْتُ عِنْدَ الْحُسَيْنِ عليه السلام إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ مُتَلَثِّمًا أَسْمَرَ شَدِيدَ السُّمْرِ، فَسَلَّمَ وَرَدَّ الْحُسَيْنُ عليه السلام، فَقَالَ: يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ، مَسْأَلَةٌ، قَالَ: هَاتِ، قَالَ: كَمْ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ؟ قَالَ: أَرْبَعُ أَصَابِعَ، قَالَ: كَيْفَ؟ قَالَ: الْإِيمَانُ مَا سَمِعْنَاهُ، وَالْيَقِينُ مَا رَأَيْنَاهُ، وَبَيْنَ السَّمْعِ وَالْبَصْرِ أَرْبَعُ أَصَابِعَ، قَالَ: فَكَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟ قَالَ: دَعْوَةُ مُسْتَجَابَةٍ، قَالَ: فَكَمْ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ؟ قَالَ: مَسِيرَةُ يَوْمٍ لِلشَّمْسِ، قَالَ: فَمَا عِزُّ الْمَرْءِ؟ قَالَ: اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ»^(١).

من ملاحظة قوله عليه السلام: «الْإِيمَانُ مَا سَمِعْنَاهُ» يفهم أن الإيمان قد يحصل نتيجة الاستماع إلى الحقائق الدينية من القرآن والحديث أو يشتد ويتعزز فيما لو كان حاصلًا.

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«وَلَوْ كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ، وَعِزَّةٍ لَا تُضَامُ، وَمُلْكٍ تُمَدُّ نَحْوُهُ أَعْنَاقُ الرَّجَالِ، وَتُسَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ الرَّحَالِ، لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الْإِعْتِبَارِ، وَأَبْعَدَ لَهُمْ [مِنْ] فِي الْإِسْتِكْبَارِ، وَلَا مَنُوا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ، أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ، فَكَانَتِ النَّبَاتُ مُشْتَرَكَةً، وَالْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً، وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الْإِتْبَاعُ لِرُسُلِهِ، وَالتَّصَدِيقُ بِكُتُبِهِ، وَالخُشُوعُ لَوَجْهِهِ، وَالِاسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ، وَالِاسْتِسْلَامُ لِطَاعَتِهِ، أُمُورًا لَهُ خَاصَّةً لَا تَشُوبُهَا [يَشُوبُهَا] مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ، وَكُلَّمَا كَانَتِ الْبَلْوَى وَالِاخْتِبَارُ أَعْظَمَ،

(١) الخزاز الرازي، علي بن محمد، كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، ص ٢٣٢-٢٣٣.

كَانَتْ الْمَثُوبَةُ وَالْجَزَاءُ أَجْزَلَ»^(١).

يتضمّن الحديث أعلاه الوارد عن الإمام علي عليه السلام بيان حقيقة هي: أنّ الله تعالى هو من أراد أن يكون تحقق الإيمان وحصوله عن طريق الاستماع إلى الحقائق، ومن ثمّ يأتي الاختيار لا بالإكراه والإجبار.

(١) نهج البلاغة، خطبة ١٩٢.

ك) من خصوصيات المؤمن

يكفي إلقاء نظرة سريعة على روايات سيّد الشهداء عليه السلام لندرك أنّها قد خصّت المؤمنين الواقعيين بميزات، منها:

١. البكاء حزناً على الأولياء

روي عن الإمام الحسين عليه السلام أنّه قال:

«أَنَا قَتِيلُ الْعَبْرَةِ لَا يَذْكُرُنِي مُؤْمِنٌ إِلَّا بَكَى»^(١).

فمن ذكر «المؤمن» في هذه العبارة يستنتج أنّ المؤمنين يستعبرون ويبكون حينما تذكر أمامهم مظلومية الأولياء الإلهيين.

وفي ذلك قال الإمام الصادق عليه السلام:

«مَنْ ذَكَرَنَا أَوْ ذُكِرْنَا عِنْدَهُ فَخَرَجَ مِنْ عَيْنِهِ دَمْعٌ مِثْلُ جَنَاحِ بَعُوضَةٍ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَيْدِ الْبَحْرِ»^(٢).

٢. بكاء عامة المؤمنين عند رثاء الإمام الحسين عليه السلام

كما يستنتج العموم أيضاً ممّا جاء في الحديث السابق للإمام الحسين عليه السلام حيث إنّ كلمة «مؤمن» جاءت نكرة في سياق النفي، ومتى ما جاءت النكرة بهذه الصورة أفادت العموم، ومعناه أنّ كل مؤمن سيكون باكياً حزناً وكمداً على مصيبة الإمام الحسين عليه السلام.

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات، ص ١٠٨-١٠٩، حديث ٦.

(٢) القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي، ج ٢، ص ٢٩٢.

يؤيده ما روي عن الإمام السجاد عليه السلام من قوله:

«أَيُّهَا مُؤْمِنٌ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ لِقَتْلِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام دَمْعَةً حَتَّى تَسِيلَ عَلَى خَدِّهِ بَوَّأَهُ اللَّهُ بِهَا فِي الْجَنَّةِ غُرْفًا يَسْكُنُهَا أَحْقَابًا، وَأَيُّهَا مُؤْمِنٌ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ حَتَّى تَسِيلَ عَلَى خَدِّهِ فِينَا لِأَدَى مَسْنَا مِنْ عَدُونِنَا فِي الدُّنْيَا بَوَّأَهُ اللَّهُ بِهَا فِي الْجَنَّةِ مَبْوَأً صَدِيقٍ، وَأَيُّهَا مُؤْمِنٌ مَسَّهُ أَدَى فِينَا فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ حَتَّى تَسِيلَ عَلَى خَدِّهِ مِنْ مَضَاضَةٍ مَا أُؤْذِي فِينَا صَرَفَ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ الْأَدَى وَآمَنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَخَطِهِ وَالنَّارِ»^(١).

٣. ذكاء المؤمن

قال الإمام الحسين عليه السلام:

«إِنَّ الْمُؤْمِنَ اتَّخَذَ اللَّهُ عِصْمَتَهُ، وَقَوْلَهُ مِرَاتَهُ، فَمَرَّةً يَنْظُرُ فِي نَعْتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَارَةً يَنْظُرُ فِي وَصْفِ الْمُتَجَرِّبِينَ، فَهُوَ مِنْهُ فِي لَطَائِفٍ، وَمِنْ نَفْسِهِ فِي تَعَارُفٍ، وَمِنْ فُطْنَتِهِ فِي يَقِينٍ، وَمِنْ قُدْسِهِ عَلَى تَمَكِينٍ»^(٢).

إن «الفطنة» تعني الكياسة والذكاء وحسن التفكير، ومن إرجاع الضمير إلى «المؤمن» يتحصّل منه أنّ المؤمنين حسنى التفكير لإيمانهم الراسخ.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«لَا يَكْمُلُ الْمُؤْمِنُ إِيمَانُهُ حَتَّى يَخْتَوِيَ عَلَى مِائَةٍ وَثَلَاثِ خِصَالٍ: فِعْلٍ، وَعَمَلٍ، وَبِطْنٍ، وَبَاطِنٍ، وَظَاهِرٍ».

فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: يَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، مَا الْمِائَةُ وَثَلَاثُ خِصَالٍ؟ فَقَالَ: يَا عَلِيُّ، مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِ أَنْ يَكُونَ جَوَالَ الْفِكْرِ، جَوْهَرِيَّ الذِّكْرِ، كَثِيرًا عِلْمُهُ، عَظِيمًا حِلْمُهُ، جَمِيلَ الْمَنَازِعَةِ، كَرِيمَ الْمَرَاجِعَةِ، أَوْسَعَ النَّاسِ صَدْرًا، وَأَذْهَمَ نَفْسًا، ضَحْكُهُ تَبَسُّمًا، وَاجْتِنَاعُهُ تَعَلُّمًا، مُذَكَّرَ الْعَافِلِ، مُعَلِّمَ الْجَاهِلِ، لَا يُؤْذِي مَنْ يُؤْذِيهِ، وَلَا يُخَوِّضُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، وَلَا يَشْمَتُ

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات، ص ١٠٠، باب ١.

(٢) ابن شعبة، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليه وآله)، ص ٢٤٨.

بِمُصِيبَةٍ، وَلَا يَذْكُرُ أَحَدًا بِغَيْبِهِ، بَرِيئًا مِنَ الْمَحْرَمَاتِ، وَاقِفًا عِنْدَ الشُّبُهَاتِ، كَثِيرَ الْعَطَاءِ، قَلِيلَ الْأَذَى، عَوْنًا لِلْغَرِيبِ، وَأَبًا لِلْيَتِيمِ، بَشْرُهُ فِي وَجْهِهِ، وَحُزْنُهُ فِي قَلْبِهِ، مُتَبَشِّرًا بِفَقْرِهِ، أَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ، وَأَصْلَدَ مِنَ الصَّلْدِ، لَا يَكْشِفُ سِرًّا، وَلَا يَهْتِكُ سِرًّا، لَطِيفَ الْحَرَكَاتِ، حُلُوَ الْمَشَاهِدَةِ، كَثِيرَ الْعِبَادَةِ، حَسَنَ الْوَقَارِ، لَيِّنَ الْجَانِبِ، طَوِيلَ الصَّمْتِ، حَلِيمًا إِذَا جُهِلَ عَلَيْهِ، صَبُورًا عَلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ، يُبْجَلُ الْكَبِيرَ، وَيَرْحَمُ الصَّغِيرَ، أَمِينًا عَلَى الْأَمَانَاتِ، بَعِيدًا مِنَ الْخِيَانَاتِ، إِفْقَهُ التَّقَى، وَحِلْفُهُ الْحَيَاءُ، كَثِيرَ الْحَذَرِ، قَلِيلَ الزَّلَلِ، حَرَكَاتُهُ أَدَبٌ، وَكَلَامُهُ عَجَبٌ، مُقْبِلَ الْعَثْرَةِ، وَلَا يَتَّبِعُ الْعَوْرَةَ، وَفُورًا، صَبُورًا رَضِيئًا، شُكُورًا، قَلِيلَ الْكَلَامِ، صَدُوقَ اللَّسَانِ، بَرًّا، مَصُونًا، حَلِيمًا، رَفِيقًا، عَفِيفًا، شَرِيفًا، لَا لَعَانَ، وَلَا كَذَابٍ، وَلَا مُعْتَابٍ، وَلَا سَبَابٍ، وَلَا حَسُودٍ، وَلَا بَخِيلٍ، هَشَّاشًا بَشَّاشًا، لَا حَسَّاسٍ، وَلَا جَسَّاسٍ، يَطْلُبُ مِنَ الْأُمُورِ أَعْلَاهَا، وَمِنَ الْأَخْلَاقِ أَسْنَاهَا، مَشْمُولًا بِحِفْظِ اللَّهِ، مُؤَيَّدًا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ، ذَا قُوَّةٍ فِي لَيْنٍ، وَعَزْمَةٍ فِي يَقِينٍ، لَا يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُغْضُ، وَلَا يَأْتُمُ فِيمَنْ يُحِبُّ، صَبُورًا فِي الشَّدَائِدِ، لَا يَجُورُ، وَلَا يَعْتَدِي، وَلَا يَأْتِي بِمَا يَشْتَهِي، الْفَقْرُ شِعَارُهُ، وَالصَّبْرُ دِنَارُهُ، قَلِيلَ الْمُتَوَنَّةِ، كَثِيرَ الْمُعَوَّنَةِ، كَثِيرَ الصِّيَامِ، طَوِيلَ الْقِيَامِ، قَلِيلَ الْمَنَامِ، قَلْبُهُ تَقِيٌّ، وَعَمَلُهُ رَكِيٌّ، إِذَا قَدَرَ عَفَا، وَإِذَا وَعَدَ وَفَى، يَصُومُ رَغْبًا، وَيُصَلِّي رَهْبًا، وَيُحْسِنُ فِي عَمَلِهِ كَأَنَّهُ نَاطِرٌ إِلَيْهِ، غَضَّ الطَّرْفِ، سَخِيَّ الْكَفِّ، لَا يَرُدُّ سَائِلًا، وَلَا يَبْخُلُ بِنَائِلٍ، مُتَوَاصِلًا إِلَى الْإِخْوَانِ، مُتَرَادِفًا لِلْإِحْسَانِ، يَزِنُ كَلَامَهُ، وَيُجْرَسُ لِسَانَهُ، لَا يَغْرُقُ فِي بُغْضِهِ، وَلَا يَهْلِكُ فِي حُبِّهِ، وَلَا يَقْبَلُ الْبَاطِلَ مِنْ صَدِيقِهِ، وَلَا يَرُدُّ الْحَقَّ عَلَى عَدُوِّهِ، وَلَا يَتَعَلَّمُ إِلَّا لِيَعْلَمَ، وَلَا يَعْلَمُ إِلَّا لِيَعْمَلَ، قَلِيلًا حَقْدُهُ، كَثِيرًا شُكْرُهُ، يَطْلُبُ النَّهَارَ مَعِيشَتَهُ، وَيَبْكِي اللَّيْلَ عَلَى خَطِيئَتِهِ، إِنْ سَلَكَ مَعَ أَهْلِ الدُّنْيَا كَانَ أَكْبَسَهُمْ، وَإِنْ سَلَكَ مَعَ أَهْلِ الْآخِرَةِ كَانَ أَوْرَعَهُمْ، لَا يَرْضَى فِي كَسْبِهِ بِشِبْهَةٍ، وَلَا يَعْمَلُ فِي دِينِهِ بِرُخْصَةٍ، يَعْطِفُ عَلَى أَخِيهِ بِرِزْلَتِهِ، وَيَرْعَى مَا مَضَى مِنْ قَدِيمِ صُحْبَتِهِ»^(١).

(١) المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج ٦٤، ص ٣١٠-٣١١، حديث ٤٥.

٤. اليقين الناشئ عن فطنة الإيمان

يتحصّل أيضاً من الحديث السابق للإمام الحسين عليه السلام وخصوصاً عبارة «وَمِنْ فَطْنَتِهِ فِي يَقِينٍ» التي وردت في وصف المؤمن أنّ الإيمان يدعو لحسن التفكير والتدبّر، وإثر وجوده ستهياً الأرضية لدى الإنسان للتفكير والتدبّر بصورة حسنة، وهذا ما سيقوده لليقين.

قال الرسول صلى الله عليه وآله:

«الْمُؤْمِنُ كَيْسٌ فَطِنٌ حَذِرٌ»^(١).

وقال أيضاً:

«اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ»^(٢).

٥. امتلاك المؤمن الواقعي لليقين

عوداً إلى الحديث السابق للإمام الحسين عليه السلام وخصوصاً عبارة «وَمِنْ فَطْنَتِهِ فِي يَقِينٍ» نستنتج أنّ المؤمنين من أهل اليقين.

فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«الْمُؤْمِنُ لَهُ قُوَّةٌ فِي دِينٍ، وَحَزْمٌ فِي لِينٍ، وَإِيمَانٌ فِي يَقِينٍ، وَحِرْصٌ فِي فِقْهِ، وَنَشَاطٌ فِي هُدًى...»^(٣).

٦. تسليم المؤمن لأوامر الله

ومن قوله عليه السلام: «وَمِنْ قُدْسِهِ عَلَى تَمَكِينٍ» نتوصّل إلى أنّ المؤمنين ونتيجة ما

(١) القطب الراوندي، سعيد بن هبة الله، الدعوات، ص ٣٩، حديث ٩٤.

(٢) الصفار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات في فضائل آل محمد (صلوات الله عليهم اجمعين)، ص ٣٥٥، حديث ٤.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٢، ص ٢٣١، حديث ٤.

تتصف به أرواحهم من قداسة يخضعون لأوامر الله سبحانه ويسلمون لها.

قال ربّ العزّة والجلالة:

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢﴾﴾^(١).

٧- الدنيا سجن المؤمن

روى الشيخ الصدوق عن الإمام السجاد عليه السلام أنه قال:

«لَمَّا اشْتَدَّ الْأَمْرُ بِالْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام نَظَرَ إِلَيْهِ مَنْ كَانَ مَعَهُ فَإِذَا هُوَ بِخِلَافِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ كُلَّمَا اشْتَدَّ الْأَمْرُ تَغَيَّرَتْ أَلْوَانُهُمْ وَارْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُمْ وَوَجِبَتْ قُلُوبُهُمْ، وَكَانَ الْحُسَيْنُ عليه السلام وَبَعْضُ مَنْ مَعَهُ مِنْ خَصَائِصِهِ تُشْرِقُ أَلْوَانُهُمْ وَمَهْدَأُ جَوَارِحُهُمْ وَتَسْكُنُ نُفُوسُهُمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انظُرُوا لَا يُبَالِي بِالْمَوْتِ، فَقَالَ لَهُمُ الْحُسَيْنُ عليه السلام: صَبْرًا بَنِي الْكِرَامِ، فَمَا الْمَوْتُ إِلَّا قَنْطَرَةٌ تَعْبُرُ بِكُمْ عَنِ الْبُؤْسِ وَالضَّرَاءِ إِلَى الْجَنَانِ الْوَاسِعَةِ وَالنَّعِيمِ الدَّائِمَةِ، فَأَيُّكُمْ يَكْرَهُ أَنْ يَنْتَقِلَ مِنْ سِجْنٍ إِلَى قَصْرِ؟! وَمَا هُوَ لِأَعْدَائِكُمْ إِلَّا كَمَنْ يَنْتَقِلُ مِنْ قَصْرِ إِلَى سِجْنٍ وَعَذَابٍ، إِنَّ أَبِي حَدَّثَنِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: أَنَّ الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ، وَالْمَوْتُ جِسْرٌ هُوَ لِأَعْدَائِكُمْ وَجِسْرٌ هُوَ لِلْمُؤْمِنِ إِلَى جَنَّتِهِمْ. مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ»^(٢).

يبدو بشكل واضح من كلام الإمام عليه السلام أن الدنيا تعدّ سجنًا لرجال الله وعباده

المؤمنين.

(١) سورة النور، آية ٥١-٥٢.

(٢) ابن بابويه، محمد بن علي، معاني الأخبار، ص ٢٨٨-٢٨٩، حديث ٣.

وفي ذلك قال الإمام الصادق عليه السلام أيضاً:
«الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَالْقَبْرُ حِصْنُهُ وَالْجَنَّةُ مَأْوَاهُ، وَالدُّنْيَا جَنَّةُ الْكَافِرِ وَالْقَبْرُ سِجْنُهُ
وَالنَّارُ مَأْوَاهُ»^(١).

وبيّن الطبرسي المراد من الحياة في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَاءُ﴾ في وصف
«الشهداء»^(٢):

«... الرابع: أنّ المراد أنّهم أحياء لما نالوا من جميل الذكر والثناء، كما روي عن أمير
المؤمنين عليه السلام من قوله: هلك خزان الأموال، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم
مفقودة وآثارهم في القلوب موجودة...»^(٣).

٨- المؤمنون أخوة

نقل الكليني بسنده عن الحكم بن عتيبة قال:

«لَقِيَ رَجُلٌ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالثَّعْلَبِيَّةِ وَهُوَ يُرِيدُ كَرْبَلَاءَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَسَلَّمَ
عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مِنْ أَيِّ الْبِلَادِ أَنْتَ؟ قَالَ: مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ يَا
أَخَا أَهْلِ الْكُوفَةِ، لَوْ لَقَيْتُكَ بِالْمَدِينَةِ لَأَرَبْتُكَ أَثَرَ جَبْرَيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ دَارِنَا وَنَزَوِلِهِ بِالْوَحْيِ
عَلَى جَدِّي، يَا أَخَا أَهْلِ الْكُوفَةِ، أَفَمُسْتَقَى النَّاسِ الْعِلْمِ مِنْ عِنْدِنَا فَعَلِمُوا وَجَهَلْنَا؟! هَذَا
مَا لَا يَكُونُ»^(٤).

من التعبير هنا بكلمة «أخا» يتّضح أنّ المؤمنين إخوان؛ لأنّ المقصود من كلمة
«أخ» هنا الأخ في الإيمان كما جاء في التعبير القرآني عن علاقة المؤمنين مع بعضهم.

(١) ابن بابويه، محمد بن علي، الخصال، ج ١، ص ١٠٨، حديث ٧٤.

(٢) سورة البقرة، آية ١٥٤.

(٣) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٤٣٣.

(٤) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ١، ص ٣٩٨-٣٩٩، حديث ٢.

قال تبارك وتعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾^(١).

٩. نصيح المؤمن للآخرين

قال ابن أعثم:

«وَأَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ إِلَى بُرَيْرِ بْنِ حُضَيْرٍ، فَقَالَ لَهُ: رَحِمَكَ اللَّهُ يَا بُرَيْرُ، إِنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ لَكَ: اِرْجِعْ إِلَى مَوْضِعِكَ وَلَا تُخَاطِبِ الْقَوْمَ، فَلَعَمْرِي لَيْتَنُ كَانَ مُؤْمِنٌ آلِ فِرْعَوْنَ نَصَحَ لِقَوْمِهِ وَأَبْلَغَ فِي الدُّعَاءِ، فَلَقَدْ نَصَحْتَ وَأَبْلَغْتَ فِي النَّصِيحِ»^(٢).

حيث يستفاد من جملة «لَيْتَنُ كَانَ مُؤْمِنٌ آلِ فِرْعَوْنَ...» أن المؤمنين يتمنون الخير لقومهم، ولهذا يببالغون في نصيحهم ودعوتهم إلى الله سبحانه.

يقول الرسول الكريم ﷺ بهذا الشأن:

«إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْشَاهُمْ فِي أَرْضِهِ بِالنَّصِيحَةِ لِخَلْقِهِ»^(٣).

وقال الإمام الصادق عليه السلام في ذلك:

«يَجِبُ لِلْمُؤْمِنِ عَلَى الْمُؤْمِنِ النَّصِيحَةُ لَهُ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ»^(٤).

وقال عليه السلام أيضاً:

«عَلَيْكُمْ بِالنَّصِيحِ لِلَّهِ فِي خَلْقِهِ فَلَنْ تَلْقَاهُ بِعَمَلٍ أَفْضَلَ مِنْهُ»^(٥).

(١) سورة الحجرات، آية ١٠.

(٢) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح، ج ٥، ص ٩٩.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٢، ص ٢٠٨، حديث ٥.

(٤) المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٠٨، حديث ٢.

(٥) المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٠٨، حديث ٦.

١٠. عدم توفير المؤمن الأرضية للاعتذار

روي عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال:

«إِيَّاكَ وَمَا تَعْتَدِرُ مِنْهُ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُسِيءُ وَلَا يَعْتَدِرُ، وَالْمَنَافِقُ كُلُّ يَوْمٍ يُسِيءُ وَيَعْتَدِرُ»^(١).

من المضمون الدلالي لهذا الحديث يتضح أن للمؤمن خصوصيات ومميزات، منها أنه ليس من سمته الإساءة للآخرين حتى لا يضطر للاعتذار، وفيه دلالة على النهي عن خلق أرضية الاعتذار عن الأعمال السيئة.

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«إِيَّاكَ وَمَا تَعْتَدِرُ مِنْهُ، فَإِنَّهُ لَا يَعْتَدِرُ مِنْ خَيْرٍ»^(٢).

روي عن المفضل بن عمر أن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ، قُلْتُ: مَا يُذِلُّ نَفْسَهُ؟ قَالَ: لَا يَدْخُلُ فِيهَا يَعْتَدِرُ مِنْهُ»^(٣).

١١. لا يسيء المؤمن التصرف

من المضمون الدلالي لحديث الإمام الحسين عليه السلام السابق يتبين لنا أن المؤمن لا يسيء التصرف، كما لا تصدر منه الإساءات.

عن طاووس بن اليان قال:

«سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليهما السلام يَقُولُ: عَلَامَاتُ الْمُؤْمِنِ حَمْسٌ، قُلْتُ: وَمَا هُنَّ يَا بَنَ

(١) ابن شعبة، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليهم)، ص ٢٤٨.

(٢) ابن فهد الحلبي، أحمد بن محمد، عدة الداعي ونجاح الساعي، ص ٢٢٨.

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام، ج ٦، ص ١٨٠، حديث ٣٦٩.

رَسُولِ اللَّهِ؟ قَالَ: الْوَرَعُ فِي الْخُلُوةِ، وَالصَّدَقَةُ فِي الْقِلَّةِ، وَالصَّبْرُ عِنْدَ الْمَصِيبَةِ، وَالْحِلْمُ عِنْدَ الْغَضَبِ، وَالصَّدْقُ عِنْدَ الْخَوْفِ»^(١).

١٢- المؤمن يكون كريماً

قال ابن شعبة:

«وَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُرِيدُ أَنْ يَسْأَلَهُ حَاجَةً، فَقَالَ ﷺ: ... وَلَا تَرْفَعِ حَاجَتَكَ إِلَّا إِلَى أَحَدٍ ثَلَاثَةٍ: إِلَى ذِي دِينٍ، أَوْ مُرُوءَةٍ، أَوْ حَسَبٍ، فَأَمَّا ذُو الدِّينِ فَيَصُونُ دِينَهُ، وَأَمَّا ذُو المُرُوءَةِ فَإِنَّهُ يَسْتَحْيِي لِمُرُوتِهِ، وَأَمَّا ذُو الحَسَبِ فَيَعْلَمُ أَنَّكَ لَمْ تُكْرِمْ وَجْهَكَ أَنْ تَبْذُلَهُ لَهُ فِي حَاجَتِكَ فَهُوَ يَصُونُ وَجْهَكَ أَنْ يَرُدَّكَ بِغَيْرِ قَضَاءٍ حَاجَتِكَ»^(٢).

يبدو من خلال ملاحظة أمر الإمام ﷺ وتوجيهه بطلب الحاجة من الأشخاص المتدينين أنهم أصحاب دين وكرم وفضل في الواقع، ويعود للتدين كبير الأثر في إيجاد روحية السخاء والكرم وتمني الخير فيهم.

عن رسول الله ﷺ قال:

«كَرَّمَ الرَّجُلُ دِينَهُ»^(٣).

(١) ابن بابويه، محمد بن علي، الخصال، ج ١، ص ٢٦٩، حديث ٤.

(٢) ابن شعبة، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليهم)، ص ٢٤٧.

(٣) ورام، مسعود بن عيسى، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر المعروف بمجموعة ورام، ج ٢، ص

ل) منزلة الإيمان ومكانته

عند مطالعة الروايات المنقولة عن سيّد الشهداء عليه السلام المتعلقة بهذا الشأن نجدها تتضمن مجموعة من الإشارات لمنزلة الإيمان ومكانته، منها:

تساوي مكانة المؤمنين عند الله

ذكر الحلواني في نزهة الناظر:

«قِيلَ: مَرَّ الْمُنْذِرُ بْنُ الْجَارُودِ بِالْحَسَنِ عليه السلام فَقَالَ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ؟

فَقَالَ عليه السلام: [أَصْبَحْنَا وَ] أَصْبَحَتِ الْعَرَبُ تَعْتَدُ عَلَى الْعَجَمِ بِأَنَّ مُحَمَّدًا عليه السلام مِنْهَا، وَأَصْبَحَتِ الْعَجَمُ مُؤَمَّرَةً لَهَا بِذَلِكَ، وَأَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَتِ قُرَيْشٌ يَعْرِفُونَ فَضْلَنَا وَلَا يَرَوْنَ ذَلِكَ لَنَا، وَمِنَ الْبَلَاءِ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ أَنَا إِذَا دَعَوْنَاهُمْ لَمْ يُجِيبُونَا، وَإِذَا تَرَكْنَاهُمْ لَمْ يَهْتَدُوا بِغَيْرِنَا»^(١).

يتّضح من مغزى كلام الإمام عليه السلام أنّ مكانة المؤمنين عند الله سبحانه تناط بالإيمان، والجميع عنده متساوون بهذا الشأن، فليس هناك ميزة للعرب على الآخرين؛ لأنّ النبي صلى الله عليه وآله منهم، وإتّما الامتياز بنفس الإيمان به سبحانه والتفاوت يقع بالتقوى. ويتّضح على ضوء هذا المعنى أنّ الإمام عليه السلام كان في مقام ازدراء ولوم العرب الذين نالوا العزّة والشرف من النبي وآله عليهم السلام ولكنهم لم ينصروه ويؤازروه. قال تبارك وتعالى:

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٢).

(١) الحلواني، الحسين بن محمد، نزهة الناظر وتنبية الخاطر، ص ٨٥، حديث ٢٠.

(٢) سورة الحجرات، آية ١٣.

وقال الشيخ المفيد في الاختصاص:

«بَلَعْنَا أَنَّ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رضي الله عنه دَخَلَ مَجْلِسَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ذَاتَ يَوْمٍ فَعَظَّمُوهُ وَقَدَّمُوهُ وَصَدَّرُوهُ إِجْلَالًا لِحَقِّهِ وَإِعْظَامًا لِشَيْبَتِهِ وَاخْتِصَاصِهِ بِالمُصْطَفَى وَآلِهِ، فَدَخَلَ عُمَرُ فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ: مَنْ هَذَا الْعَجْمِيُّ المْتَصِدِّرُ فِيمَا بَيْنَ الْعَرَبِ؟! فَصَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله المنبرَ فَخَطَبَ فَقَالَ: إِنَّ النَّاسَ مِنْ عَهْدِ آدَمَ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا مِثْلُ أُسْنَانِ المَشْطِ، لَا فَضْلَ لِلْعَرَبِيِّ عَلَى الْعَجْمِيِّ وَلَا لِلْأَحْمَرِ عَلَى الْأَسْوَدِ إِلَّا بِالتَّقْوَى»^(١).

نقل عن عقبة بن بشير الأسدي قال:

«قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: أَنَا عُقْبَةُ بْنُ بَشِيرٍ الْأَسَدِيُّ، وَأَنَا فِي الحَسَبِ الضَّخْمِ مِنْ قَوْمِي. قَالَ: فَقَالَ: مَا تَمَنَّوْا عَلَيْنَا بِحَسَبِكَ؟ إِنَّ اللَّهَ رَفَعَ بِالإِيمَانِ مَنْ كَانَ النَّاسُ يُسْمُونَهُ وَضِعًا إِذَا كَانَ مُؤْمِنًا، وَوَضَعَ بِالكُفْرِ مَنْ كَانَ النَّاسُ يُسْمُونَهُ شَرِيفًا إِذَا كَانَ كَافِرًا، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ فَضْلٌ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِالتَّقْوَى»^(٢).

ضرورة الإيمان قبل الاضطرار

روي عن الإمام الحسين عليه السلام قوله في إحدى خطبه:

«... وَأَحْذَرُكُمْ الإِضْغَاءَ إِلَى هُتُوفِ الشَّيْطَانِ بِكُمْ فَإِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ، فَتَكُونُوا كَأَوْلِيائِهِ الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ أَلْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئْتَانَ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ﴾^(٣)، فَتَلْقَوْنَ لِلسُّوفِ ضَرْبًا وَلِلرِّمَاحِ وَرَدًا وَلِلْعُمْدِ حَطْمًا وَلِلسَّهَامِ غَرَضًا، ثُمَّ لَا يُقْبَلُ مِنْ نَفْسٍ إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ أَمَنْتَ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا»^(٤).

(١) المفيد، محمد بن محمد، الاختصاص، ص ٣٤١.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٢، ص ٣٢٨-٣٢٩، حديث ٣.

(٣) سورة الأنفال، آية ٤٨.

(٤) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج، ج ٢، ص ٢٩٩.

حيث يستفاد من آخر جملة في كلامه عليه السلام أعلاه أنّ على الإنسان الإيمان بالله والرسول والمعاد قبل أن يموت؛ لأنّ الإيمان في تلك اللحظات سيعدّ اضطرارياً وحينها لا يجديه نفعاً.
يقول جلّ جلاله:

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ يَا رَبِّ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ تَوْبَةٌ سِوَىٰ تَوْبَتِهِ أُولَٰئِكَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١)

م) من علامته الإيمان

لقد تمت الإشارة في المروي عن سيّد الشهداء عليه السلام إلى أنّ أهل البيت عليهم السلام من علامات الإيمان.

نقل عن عبادة بن ربيعي أنّه قال للإمام الحسين عليه السلام:

«يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ، إِنَّ الْحَوَارِيَّيْنَ كَانَتْ لَهُمْ عَلَامَاتٌ يُعْرَفُونَ بِهَا، فَهَلْ لَكُمْ عَلَامَاتٌ تُعْرَفُونَ بِهَا؟»

فَقَالَ لَهُ: يَا عِبَادَةَ، نَحْنُ عَلَامَاتُ الْإِيمَانِ فِي بَيْتِ الْإِيمَانِ، مَنْ أَحَبَّنَا أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَنَفَعَهُ إِيْمَانُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُقْبَلُ مِنْهُ عَمَلُهُ، وَمَنْ أَبْغَضَنَا أَبْغَضَهُ اللَّهُ، وَلَمْ يَنْفَعَهُ إِيْمَانُهُ، وَلَمْ يُتَقَبَلْ عَمَلُهُ.

قَالَ: فَقُلْتُ: وَإِنْ دَابَّ وَنَصَبَ، قَالَ: نَعَمْ، وَصَامَ وَصَلَّى.

ثُمَّ قَالَ: يَا عِبَادَةَ، نَحْنُ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ، وَبِنَا جَرَّتِ النُّبُوَّةُ، وَبِنَا يُفْتَحُ، وَبِنَا يُخْتَمُ لَا بَغَيْرِنَا^(١).

إذ يتبين من عبارة الإمام عليه السلام «يَا عِبَادَةَ، نَحْنُ عَلَامَاتُ الْإِيمَانِ فِي بَيْتِ الْإِيمَانِ...» أنّ أهل البيت عليهم السلام هم علامات الإيمان ومعالمه في بيوت الإيمان، مثلما كان أمير المؤمنين عليه السلام باب مدينة علم الرسول صلى الله عليه وآله، وبها أنّ الناس أحياناً قد ينسون علائم الدخول للإيمان جاء تعبير الإمام عليه السلام عن أهل البيت عليهم السلام بهذه الصورة. ويشهد لهذا ما ورد في زيارة الجامعة الكبيرة:

«... وَشُهَدَاءَ عَلَى خَلْقِهِ، وَأَعْلَامًا لِعِبَادِهِ، وَمَنَارًا فِي بِلَادِهِ، وَأَدْلَاءَ عَلَى

صِرَاطِهِ...»^(٢).

(١) ابن حيون، النعمان بن محمد، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، ج ٣، ص ٤٥٦-٤٥٧.

(٢) ابن بابويه، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٦١١.

ن) المؤمنون الحقيقيون

ثمة إشارات للمؤمنين الحقيقيين نستلهمها من خلال تدبرنا في ما روي عن سيّد الشهداء عليه السلام، مثل:

الذين رحلوا عن الدنيا وهم مؤمنون

روي عن الإمام الحسين عليه السلام قوله في دعاء المقابر:

«اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الْأَرْوَاحِ الْفَانِيَةِ، وَالْأَجْسَادِ الْبَالِيَةِ، وَالْعِظَامِ النَّخْرَةِ الَّتِي خَرَجَتْ مِنْ الدُّنْيَا وَهِيَ بِكَ مُؤْمِنَةٌ»^(١).

من المضمون الدلالي لهذا الدعاء نلاحظ أنّ هناك من المؤمنين من رحلوا عن هذه الدنيا وهم متمسكون بإيمانهم، وهناك من يرحل منهم عن الدنيا وقد سلب منه إيمانه في آخر عمره، وهذا ما يدعونا لأن نطلب من الله سبحانه حسن العاقبة.

قال الله سبحانه:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٢).

إيمان جميع الناس في عصر الظهور

روي عن الإمام الحسين عليه السلام أنّه تحدّث إلى أصحابه قبل شهادته عن عصر الظهور فقال:

«... وَلَتَنْزِلَنَّ الْبَرَكَةُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ حَتَّىٰ أَنْ الشَّجَرَةَ لَتَقْصِفُ بِمَا يُرِيدُ اللَّهُ

(١) المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج ٩٩،

ص ٣٠٠-٣٠١، حديث ٣١.

(٢) سورة آل عمران، آية ١٠٢.

فِيهَا مِنَ الثَّمَرِ، وَلِكَيْوَكَلَنَّ ثَمَرَةُ الشَّتَاءِ فِي الصَّيْفِ، وَثَمَرَةُ الصَّيْفِ فِي الشَّتَاءِ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا﴾^(١) «^(٢)».

فنستكشف من خلال استشهاد الإمام عليه السلام بهذه الآية أن جميع الناس سيؤمنون بالله ورسوله في عصر الظهور.

يشهد له ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه:

«إِذَا قَامَ الْقَائِمُ عليه السلام لَا يَبْقَىٰ أَرْضٌ إِلَّا نُودِيَ فِيهَا بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَّسُولُ اللَّهِ»^(٣).

شعبة أهل البيت عليهم السلام مؤمنون واقعيون

نقل البرقي بسنده عن زيد بن أرقم أن الحسين بن علي عليه السلام قال:

«مَا مِنْ شَيْعَتِنَا إِلَّا صِدِّيقٌ شَهِيدٌ.»

قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، أَنَّى يَكُونُ ذَلِكَ وَعَامَّتُهُمْ يَمُوتُونَ عَلَىٰ فِرَاشِهِمْ؟ فَقَالَ: أَمَا تَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ فِي الْحَدِيدِ: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(٤).

قَالَ: فَقُلْتُ: كَأَنِّي لَمْ أَقْرَأْ هَذِهِ الْآيَةَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَطُّ.

قَالَ: لَوْ كَانَ الشُّهَدَاءُ لَيْسَ إِلَّا كَمَا تَقُولُ لَكَانَ الشُّهَدَاءُ قَلِيلًا^(٥).

استشهاد الإمام عليه السلام بهذه الآية الشريفة يلفت نظرنا إلى أن شعبة أهل البيت عليهم السلام

(١) سورة الأعراف، آية ٩٦.

(٢) القطب الراوندي، سعيد بن هبة الله، الخرائج والجرائح، ج ٢، ص ٨٤٩-٨٥٠، حديث ٦٣.

(٣) العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي، ج ١، ص ١٨٣، حديث ٨١.

(٤) سورة الحديد، آية ١٩.

(٥) البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن، ج ١، ص ١٦٣-١٦٤، حديث ١١٥.

مؤمنون حقيقيون بالله تعالى ورسوله الكريم؛ لأنهم امتثلوا جميع أوامرهما، ومنها ما
 اختص ببيان حق أوصياء النبي ﷺ وأتباعهم.
 وقد روي عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال:
 «نَحْنُ وَشِيعَتُنَا عَلَى الْفِطْرَةِ الَّتِي بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهَا مُحَمَّدًا ﷺ وَسَائِرِ النَّاسِ مِنْهَا
 بِرَاءَةً»^(١).

ضرورة إخلاص المؤمن

يتبين من المضمون الدلالي للحديث الذي نقله زيد بن أرقم عن الإمام
 الحسين عليه السلام أنّ الإنسان المؤمن ينبغي أن يتّصف بالصدق والإخلاص والواقعية.
 روي عن رسول الله ﷺ قوله:
 «لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالتَّحَلِّيِّ وَلَا بِالتَّمَنِّيِّ، وَلَكِنَّ الْإِيمَانَ مَا خَلَصَ فِي الْقُلُوبِ وَصَدَقَهُ
 الْأَعْمَالُ»^(٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك:
 «لَا يَصْدُقُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَكُونَ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ [سُبْحَانَهُ] أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِهِ»^(٣).

أمير المؤمنين عليه السلام على رأس المؤمنين الصالحين

نقل فرات الكوفي عن علي بن حمدون عن أبي جارية والأصبع بن نباتة أنّهما
 قالوا:

«لَمَّا كَانَ مَرَوَانُ عَلَى الْمَدِينَةِ خَطَبَ النَّاسَ فَوَقَعَ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ [عَلِيِّ بْنِ أَبِي

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي، ص ١١٤، حديث
 . ١٨٢

(٢) ابن بابويه، محمد بن علي، معاني الأخبار، ص ١٨٧، حديث ٣.

(٣) نهج البلاغة، الكلمات القصار ٣١٠.

روي عن الرسول الأكرم ﷺ أنه قال:

«إِنَّ شَيْعَتَنَا مَنْ شَيْعَنَا، وَاتَّبَعَ آثارَنَا، وَافْتَدَى بِأَعْمَالِنَا»^(١).

وكتب الإمام الرضا عليه السلام في رسالة لأحمد بن محمد جاء فيها:

«إِنَّمَا شَيْعَتُنَا مَنْ تَابَعَنَا وَلَمْ يُخَالِفْنَا...»^(٢).

شهداء كربلاء مؤمنون حقيقيون

في المناقب قال ابن شهر آشوب:

«رَوَى أَبُو مُحَمَّدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّهُ صُلِبَ رَأْسُ الْحُسَيْنِ بِالصَّيَارِفِ فِي الْكُوفَةِ، فَتَنَحَّحَ الرَّأْسُ، وَقَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾^(٣)، فَلَمْ يَزِدْهُمْ ذَلِكَ إِلَّا ضَلَالًا.

وَفِي آثَرٍ: أَنَّهُمْ لَمَّا صَلَبُوا رَأْسَهُ عَلَى الشَّجَرَةِ سَمِعَ مِنْهُ: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(٤)، وَسَمِعَ أَيْضًا صَوْتَهُ بِدِمَشْقَ يَقُولُ: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾^(٥)، وَسَمِعَ أَيْضًا يَقْرَأُ: ﴿أَنْ أَصْحَبَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾^(٦)، فَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ: أَمْرُكَ أَعْجَبُ يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ»^(٧).

حيث يدل استشهاد الإمام عليه السلام بهذه الآية من سورة الكهف بالملازمة على أن

شهداء كربلاء مؤمنون حقيقيون.

(١) التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام، ص ٣٠٧، حديث ١٤٩.

(٢) العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٦١، حديث ٣٣.

(٣) سورة الكهف، آية ١٣.

(٤) سورة الشعراء، آية ٢٢٧.

(٥) سورة الكهف، آية ٣٩.

(٦) سورة الكهف، آية ٩.

(٧) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب عليه السلام، ج ٤، ص ٦١.

ويؤيده خطابنا لهم عند زيارتنا إليهم:

«السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَوْلِيَاءَ اللَّهِ وَأَحِبَّاءَهُ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَصْفِيَاءَ اللَّهِ وَأَوْدَاءَهُ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَنْصَارَ دِينِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَنْصَارَ رَسُولِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَنْصَارَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَنْصَارَ فَاطِمَةَ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَنْصَارَ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ الْوَلِيِّ النَّاصِحِ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَنْصَارَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، يَا أَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي، طِبْتُمْ وَطَابَتِ الْأَرْضُ الَّتِي فِيهَا دُفِنْتُمْ، وَفُزْتُمْ فَوْزاً عَظِيماً، فَيَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَكُمْ فَأَفُوزَ مَعَكُمْ»^(١).

الإمام الحسين عليه السلام مؤمن حقيقي

لقد ذكر أبو حيان التوحيدي في البصائر أنه:

«قِيلَ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ فِيكَ عَظَمَةً، قَالَ: لَا، بَلْ فِيَّ عِزَّةٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢)»^(٣).

ومن استشهاد الإمام بهذه الآية الكريمة يتبين أنه مؤمن حقيقي.

وذكر ابن أعثم في فتوحه:

«وَصِيَّةُ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَخِيهِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«... إِنَّ الْحَسَانَ بْنَ عَلِيٍّ يَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِهِ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ»^(٤).

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتعجب، ص ٧٢٢-٧٢٣.

(٢) سورة المنافقون، آية ٨.

(٣) أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد، البصائر والذخائر، ج ١، ص ٦٦.

(٤) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح، ج ٥، ص ٢١.

نقل عن الإمام الكاظم عليه السلام في تطبيق آية: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(١):
 «نَزَلَتْ فِي رَسُولِ اللَّهِ وَفِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ صَلَوَاتُ اللَّهِ
 عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ»^(٢).

من شربوا شهد الإيمان

نقل التلمساني في كتابه الجوهرة:

«وَمَا تُؤْفَى الْحَسَنُ عليه السلام أَدْخَلَهُ قَبْرَهُ الْحَسَيْنُ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ،
 ثُمَّ وَقَفَ عَلَى قَبْرِهِ وَقَدْ اغْرُورِقَتْ عَيْنَاهُ فَقَالَ: رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ أَبَا مُحَمَّدٍ، فَلَمَّ عَزَّتْ
 حَيَاتُكَ لَقَدْ هَدَّتْ وَفَاتِكَ، وَلِنِعْمِ الرُّوحُ رُوحٌ تَضَمَّنَهُ بَدْنُكَ، وَلِنِعْمِ الْجَسَدُ جَسَدٌ
 تَضَمَّنَهُ كَفْنُكَ، وَلِنِعْمِ الْكَفْنُ كَفْنٌ تَضَمَّنَهُ لِحُدُكَ، وَكَيْفَ لَا تَكُونُ كَذَلِكَ وَأَنْتَ حَلَفَ
 التَّقَى وَجَدُّكَ النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى وَأَبُوكَ عَلِيُّ الْمُرْتَضَى وَأُمُّكَ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءِ وَعَمُّكَ جَعْفَرُ
 الطَّيَّارُ فِي جَنَّةِ الْمَأْمُورَى؟ غَدَّتْكَ أَكْفُ الْحَقِّ، وَرُبِّيتَ فِي حِجْرِ الْإِسْلَامِ، وَرَضَعْتَ ثَدْيَ
 الْإِيمَانِ، فَطَبِيتَ حَيًّا وَمَيِّتًا، فَلَمَّ كَانَتْ الْأَنْفُسُ غَيْرَ طَيِّبَةٍ بِفِرَاقِكَ فَإِنَّمَا غَيْرُ شَاكَةٍ أَنَّهُ قَدْ
 خِيرَ لَكَ، وَإِنَّكَ وَأَخَاكَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَعَلَيْكَ السَّلَامُ مِنَّا»^(٣).

فمن قوله عليه السلام: «وَرَضَعْتَ ثَدْيَ الْإِيمَانِ» يتبين أن أولياء الله قد احتسوا شهد
 الإيمان فخالط دمههم ولحمهم.

يقول عز من قائل:

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَرَتَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^(٤).

(١) سورة المؤمنون، آية ١.

(٢) الأسترآبادي، علي، تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، ص ٣٤٩-٣٥٠.

(٣) التلمساني، محمد بن أبي بكر، الجوهرة في نسب الإمام علي وآله عليهم السلام، ص ٣٥.

(٤) سورة الحجرات، آية ٧.

المحصون بالامتحان مؤمنون حقيقيون

وفي كتابه نثر الدرر قال منصور بن الحسين الآبي:

«وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ: لَقَيْتَنِي الْحُسَيْنُ عليه السلام فِي مُنْصَرِّ فِي مِنَ الْكُوفَةِ فَقَالَ: مَا وَرَاءَكَ يَا أَبَا فِرَاسٍ؟ قُلْتُ: أَصَدَقُكَ؟ قَالَ: الصَّدْقُ أُرِيدُ، قُلْتُ: أَمَّا الْقُلُوبُ فَمَعَكَ، وَأَمَّا السُّيُوفُ فَمَعَ بَنِي أُمَيَّةَ عَلَيْكَ، وَالنَّصْرُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، قَالَ: مَا أَرَاكَ إِلَّا صَدَقْتَ، إِنَّ النَّاسَ عَيْدُ الْمَالِ، وَالذِّينَ لَعُوَ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، يُحَوِّطُونَهُ مَا دَرَّتْ بِهِ مَعَايِشُهُمْ، فَإِذَا مُحْصُوا لِلْإِتِّلَاءِ قَلَّ الدِّيَّانُونَ»^(١).

إذ يتّضح من الجملة الأخيرة أنّ المتديّنين الحقيقيين دائماً ما يتعرّضون للابتلاءات والامتحانات التي تمحص إيمانهم.

يقول جلّ وعلا:

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَهُنَا قُل لَّو كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(٢).

ويقول أيضاً:

﴿وَلَنَبَلِّوْكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبَلِّوْا أَخْبَارَكُمْ﴾^(٣).

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال:

«لَتَبْلُبَنَّ بَلْبَةً، وَلَتَعْرَبَنَّ عَرَبَلَةً حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلَاكُمْ، وَأَعْلَاكُمْ أَسْفَلَكُمْ،

(١) الآبي، منصور بن الحسين، نثر الدرر في المحاضرات، ج ١، ص ٢٣٠.

(٢) سورة آل عمران، آية ١٥٤.

(٣) سورة محمد، آية ٣١.

وَلَيْسَبِقَنَّ سَبَّاقُونَ كَانُوا قَصْرُوا، وَلَيَقْصِرَنَّ سَبَّاقُونَ كَانُوا سَبَّاقُوا»^(١).

روي عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال:

«لَنْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ حَتَّى تَعُدُّوا الْبَلَاءَ نِعْمَةً وَالرَّخَاءَ مُصِيبَةً، وَذَلِكَ أَنَّ الصَّبْرَ عِنْدَ الْبَلَاءِ أَعْظَمُ مِنَ الْغَفْلَةِ عِنْدَ الرَّخَاءِ»^(٢).

المؤمنون أخوة في الدين

نقل ابن شهر آشوب عن عمرو بن دينار قال:

«دَخَلَ الْحُسَيْنُ عَلَى أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ وَهُوَ مَرِيضٌ وَهُوَ يَقُولُ: وَآ عَمَّاهُ، فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ عليه السلام: وَمَا عَمُّكَ يَا أَخِي؟ قَالَ: دِينِي وَهُوَ سِتُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، فَقَالَ الْحُسَيْنُ: هُوَ عَلَيَّ، قَالَ: إِنِّي أَخْشَى أَنْ أَمُوتَ، فَقَالَ الْحُسَيْنُ: لَنْ تَمُوتَ حَتَّى أَقْضِيَهَا عَنْكَ. قَالَ: فَقَضَاهَا قَبْلَ مَوْتِهِ»^(٣).

فما كان خطاب الإمام عليه السلام لأسامة بكلمة: أخي إلا باعتبار أن المؤمن أخو المؤمن في الدين، مثلما عبّر الحق سبحانه عن ذلك بقوله:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٤).

وفي ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ، تَتَكَافَى دِمَاؤُهُمْ، وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، يَسْعَى بِدِمَتِهِمْ أَذْنَاهُمْ»^(٥).

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ١، ٣٦٩، حديث ١.

(٢) السبزواري، محمد بن محمد، جامع الأخبار، ص ٣١٣، حديث ٨٧٠.

(٣) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب عليه السلام، ج ٤، ص ٦٥.

(٤) سورة الحجرات، آية ١٠.

(٥) المفيد، محمد بن محمد، الأمالي، ص ١٨٧، حديث ١٣.

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«المؤمنُ أخو المؤمنِ، عَيْنُهُ وَدَلِيلُهُ، لَا يُخُونُهُ، وَلَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَغُشُّهُ، وَلَا يَعِدُهُ عِدَّةً
فِيخْلِفَهُ»^(١).

وقال أيضاً:

«المؤمنُ أخو المؤمنِ كالجسدِ الواحدِ، إنِ اشتكى شيئاً منه وجد ألم ذلك في سائرِ
جسدهِ، وأزواجهما من رُوحٍ واحدةٍ»^(٢).

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٢، ص ١٦٦، حديث ٣.

(٢) المصدر السابق، ج ٢، ص ١٦٦، حديث ٤.

س) ما يتنافس فيه المؤمنون

من خلال مطالعة الروايات الواردة عن الإمام الحسين عليه السلام نجد أنّها قد أشارت إلى هذا الموضوع وبيّنت بعض جوانبه.

نقل الشيخ الحر العاملي في وسائله عن:

«مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ قَالَ: نَظَرَ (الْحُسَيْنُ) بَنُ عَلِيٍّ عليه السلام إِلَى (النَّاسِ فِي يَوْمِ الْفِطْرِ) يَلْعَبُونَ وَيَضْحَكُونَ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ وَالتَّمَتَ إِلَيْهِمْ: إِنَّ اللَّهَ عز وجل جَعَلَ شَهْرَ رَمَضَانَ مِضْمَارًا لِحَلْفِهِ يَسْتَبْقُونَ فِيهِ بِطَاعَتِهِ إِلَى رِضْوَانِهِ، فَسَبَقَ فِيهِ قَوْمٌ فَفَارَزُوا، وَتَخَلَّفَ آخَرُونَ فَحَابُوا، فَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ مِنَ الصَّاحِكِ اللَّاعِبِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي يَثَابُ فِيهِ الْمُحْسِنُونَ وَيُحْيَبُ فِيهِ الْمُقْصِرُونَ، وَأَيْمُ اللَّهِ لَوْ كُشِفَ الْغِطَاءُ لَشَغِلَ مُحْسِنٌ بِإِحْسَانِهِ وَمُسيءٌ بِإِسَاءَتِهِ»^(١).

فيتضح ممّا تقدّم أنّ ميدان تسابق المؤمنين في طاعة الله تعالى وطلب رضاه.

قال الإمام الصادق عليه السلام في ذلك:

«تَنَافَسُوا فِي الْمَعْرُوفِ لِإِخْوَانِكُمْ وَكُونُوا مِنْ أَهْلِهِ»^(٢).

ويقول أيضاً:

«وَاللَّهِ مَا بَعَدَنَا غَيْرُكُمْ، وَإِنَّكُمْ مَعَنَا فِي السَّنَامِ الْأَعْلَى، فَتَنَافَسُوا فِي الدَّرَجَاتِ»^(٣).

(١) الحر العاملي، محمد بن الحسن، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، ج ٧، ص ٤٨٠-٤٨١، حديث ٩٩١٠.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٢، ص ١٩٥، حديث ١٠.

(٣) البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن، ج ١، ص ١٤٢، حديث ٣٨.

ع) من واجباتنا تجاه المؤمنين

عندما تلقي نظرة على روايات سيّد الشهداء عليه السلام نجدها قد عيّنت مجموعة من

المهام والواجبات على الفرد المؤمن تجاه أخيه المؤمن، من قبيل:

١. حفظ حرمة الأخ المؤمن في غيابه

ذكر الكراجكي في كنز الفوائد:

«مِنْ كَلَامِ الْحُسَيْنِ عليه السلام قَوْلُهُ يَوْمًا لِابْنِ عَبَّاسٍ: يَا بْنَ عَبَّاسٍ، لَا تَكَلِّمَنَّ فِيهَا لَا يَعْنيكَ فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ فِيهِ الْوِزْرَ، وَلَا تَكَلِّمَنَّ فِيهَا يَعْنيكَ حَتَّى تَرَى لِلْكَلامِ مَوْضِعًا، فَرُبَّ مُتَكَلِّمٍ قَدْ تَكَلَّمَ بِالْحَقِّ فَعِيبَ. وَلَا تُمَارِئَنَّ حَلِيمًا وَلَا سَفِيهًا، فَإِنَّ الْحَلِيمَ يَقْلِبُكَ، وَالسَّفِيهَ يُرْدِيكَ. وَلَا تَقُولَنَّ فِي أَخِيكَ الْمُؤْمِنِ إِذَا تَوَارَى عَنْكَ إِلَّا [مِثْلَ] مَا تُحِبُّ أَنْ يَقُولَ فِيكَ إِذَا تَوَارَيْتَ عَنْهُ. وَاعْمَلْ عَمَلَ رَجُلٍ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَأْخُوذٌ بِالْإِجْرَامِ، مَجْزِيٌّ بِالْإِحْسَانِ، وَالسَّلَامِ»^(١).

حيث يستنتج من هذا الحديث ضرورة حفظ حرمة الأخ المؤمن عند غيابه.

وحول هذا قال الإمام الصادق عليه السلام:

«مَنْ رَوَى عَلَى مُؤْمِنٍ رِوَايَةً يُرِيدُ بِهَا شَيْنَهُ وَهَدَمَ مُرُوعَتَهُ لِيَسْقُطَ مِنْ أَعْيُنِ النَّاسِ، أَخْرَجَهُ اللهُ مِنْ وَلايَتِهِ إِلَى وَلايَةِ الشَّيْطَانِ، فَلَا يَقْبَلُهُ الشَّيْطَانُ»^(٢).

(١) الكراجكي، محمد بن علي، كنز الفوائد، ج ٢، ص ٣٢.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٢، ص ٣٥٨، حديث ١.

٢. تفريج الكرب عن المؤمن

قال الإمام الحسين عليه السلام:

«... وَمَنْ نَفَّسَ كُرْبَةً مُؤْمِنٍ فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(١).

يتبيّن من هذا القول أنّ سعي الإنسان لتفريج الكرب والهموم عن المؤمنين له آثار إيجابية، من بينها التفريج عن كربته في الدنيا والآخرة.

ومائل قول الإمام أعلاه قول الإمام الصادق عليه السلام:

«مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً، نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَ الْآخِرَةِ، وَخَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ وَهُوَ ثَلِيحٌ

الْفُؤَادِ»^(٢).

(١) الآبي، منصور بن الحسين، نثر الدر في المحاضرات، ج ١، ص ٢٢٩.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٢، ص ١٩٩-٢٠٠، حديث ٣.

ف) من واجباتنا تجاه إيمان الأطفال

هناك عدّة مهام وواجبات ملقاة على عاتقنا تجاه أطفالنا نستخرجها من مطالعتنا لروايات سيّد الشهداء عليه السلام، من قبيل:

١- ضرورة ترسيخ أسس الإيمان فيهم من الطفولة

ذكر التلمساني في الجوهرة:

«وَمَا تُؤَفِّي الْحَسَنَ عليه السلام أَدْخَلَهُ قَبْرَهُ الْحَسَيْنُ وَمُحَمَّدٌ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، ثُمَّ وَقَفَ عَلَى قَبْرِهِ وَقَدْ اغْرُورَقَتْ عَيْنَاهُ فَقَالَ: رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَبَا مُحَمَّدٍ، فَلَيْتَ عَزَّتْ حَيَاتُكَ لَقَدْ هَدَّتْ وَفَاتِكَ، وَلِنَعْمَ الرُّوحُ رُوحٌ تَضَمَّنَهُ بَدْنُكَ، وَلِنَعْمَ الْجَسَدُ جَسَدٌ تَضَمَّنَهُ كَفْنُكَ، وَلِنَعْمَ الْكَفَنُ كَفَنٌ تَضَمَّنَهُ لِحُدُكِ، وَكَيْفَ لَا تَكُونُ كَذَلِكَ وَأَنْتَ حَلَفَ التَّقِيُّ وَجَدُّكَ النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى وَأَبُوكَ عَلِيُّ الْمُرْتَضَى وَأُمُّكَ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ وَعَمُّكَ جَعْفَرُ الطَّيَّارِ فِي جَنَّةِ الْمَأْوَى؟ غَدَّتْكَ أَكْفُ الْحَقِّ، وَرُبِّيتَ فِي حِجْرِ الْإِسْلَامِ، وَرَضَعْتَ ثَدْيَ الْإِيمَانِ...»^(١).

فمن المضمون الدلالي لقوله عليه السلام: «وَرَضَعْتَ ثَدْيَ الْإِيمَانِ» نتوصّل إلى وجوب ترسيخ أسس وأركان الإيمان في الفرد منذ نعومة أظفاره وزمن طفولته؛ لأنّ كلمة «رضع» و«ثدي» عادة ما تستخدم في الطفل وإن جيء بها هنا من باب الاستعارة. روى عبد الله بن فضالة عن الإمام الصادق والإمام الباقر عليهما السلام أنّه سمعه يقول:

«إِذَا بَلَغَ الْغُلَامُ ثَلَاثَ سِنِينَ يُقَالُ لَهُ: قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ يُتْرَكُ حَتَّى

(١) التلمساني، محمّد بن أبي بكر، الجوهرة في نسب الإمام علي وآله عليهم السلام، ص ٣٥.

يَتِمُّ لَهُ ثَلَاثُ سِنِينَ وَسَبْعَةُ أَشْهُرٍ وَعِشْرُونَ يَوْمًا، فَيَقَالَ لَهُ: قُلْ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ سَبْعَ مَرَّاتٍ...»^(١).

عن الإمام الرضا عليه السلام قال:

«مُرِّ الصَّبِيِّ فَلْيَتَصَدَّقْ بِيَدِهِ بِالْكَسْرَةِ وَالْقَبْضَةِ وَالشَّيْءِ وَإِنْ قَلَّ؛ فَإِنْ كَلَّ شَيْءٍ يُرَادُ بِهِ اللَّهُ وَإِنْ قَلَّ بَعْدَ أَنْ تَصَدَّقَ النِّيَّةُ فِيهِ عَظِيمٌ»^(٢).

٢. تعزيز طابعهم بالإيمان منذ الطفولة

يدل المضمون الدلالي لقول الإمام الحسين عليه السلام أعلاه: «وَرَضَعْتَ ثُدْيَ الْإِيْمَانِ» أنّ طبيعة الأفراد وسجيتهم لا بد أن تعزز بالإيمان منذ الطفولة حتى لا يكونوا رمية لكل رام.

فلقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«بَادِرُوا أَحْدَانَكُمْ بِالْحَدِيثِ قَبْلَ أَنْ تَسْبِقَكُمْ إِلَيْهِمُ الْمَرْجِيَّةُ»^(٣).

٣. ضرورة إشباعهم من الإيمان

يفهم كذلك من مضمون قوله عليه السلام: «وَرَضَعْتَ ثُدْيَ الْإِيْمَانِ» ضرورة إشباع الطفل من الإيمان.

فقد روي عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله أنّه قال:

«وَيْلٌ لِأَوْلَادِ آخِرِ الزَّمَانِ مِنْ آبَائِهِمْ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مِنْ آبَائِهِمُ الْمُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ: لَا، مِنْ آبَائِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ، لَا يُعَلِّمُونَهُمْ شَيْئًا مِنَ الْفَرَائِضِ، وَإِذَا تَعَلَّمُوا أَوْلَادَهُمْ مَنَعُوهُمْ وَرَضُوا عَنْهُمْ بِعَرَضٍ يَسِيرٍ مِنَ الدُّنْيَا، فَأَنَا مِنْهُمْ بَرِيءٌ وَهُمْ مِنِّي بِرَاءٌ»^(٤).

(١) ابن بابويه، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٢٨١، حديث ٨٦٣.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٤، ص ٤، حديث ١٠.

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام، ج ٨، ص ١١١، حديث ٣٨١.

(٤) السبزواري، محمد بن محمد، جامع الأخبار، ص ٢٨٥، حديث ٧٦٧.

ص) الفرق بين الإيمان واليقين

قال يحيى بن يعمن:

«كُنْتُ عِنْدَ الْحُسَيْنِ عليه السلام إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ مُتَلَثِّمًا أَسْمَرَ شَدِيدُ السُّمْرَةِ، فَسَلَّمَ وَرَدَّ الْحُسَيْنُ عليه السلام، فَقَالَ: يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ، مَسْأَلَةٌ، قَالَ: هَاتِ، قَالَ: كَمْ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ؟ قَالَ: أَرْبَعُ أَصَابِعَ، قَالَ: كَيْفَ؟ قَالَ: الْإِيمَانُ مَا سَمِعْتَهُ، وَالْيَقِينُ مَا رَأَيْتَهُ، وَبَيْنَ السَّمْعِ وَالْبَصْرِ أَرْبَعُ أَصَابِعَ...»^(١).

فيكشف لنا هذا الحديث عن وجود فاصلة و فرق بين الإيمان واليقين.

كما ينقل ابن عديم بسنده عن محمد بن مسعر اليربوبي أنه قال:

«قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام لِلْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام: كَمْ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ؟ قَالَ: أَرْبَعُ أَصَابِعَ، قَالَ: بَيْنَ، قَالَ: الْيَقِينُ مَا رَأَيْتَهُ عَيْنُكَ، وَالْإِيمَانُ مَا سَمِعْتَ أُذُنُكَ وَصَدَقْتَ بِهِ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ مِمَّنْ أَنْتَ مِنْهُ، ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ»^(٢).

حيث تدل إجابة الإمام على الفرق بين الإيمان واليقين:

أ) الإيمان ينشأ من المسموعات التي حصل بها تصديق قلبي.

ب) اليقين ينشأ عن المشاهدات بالعين.

رغم أن اليقين يمثل ذروة الإيمان وغايته، ولهذا روي عن الإمام الصادق عليه السلام

قوله:

«الْمُؤْمِنُ لَهُ قُوَّةٌ فِي دِينٍ، وَحَزْمٌ فِي لِينٍ، وَإِيمَانٌ فِي يَقِينٍ...»^(٣).

(١) الخزاز الرازي، علي بن محمد، كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، ص ٢٣٢-٢٣٣.

(٢) ابن عديم، عمر بن أحمد، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج ٦، ص ٢٥٨٩.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٢، ص ٢٣١، حديث ٤.

ق) ما يصح إطلاق عنوان المؤمن عليه

قال الإمام الحسين عليه السلام:

«إِنَّ الْمُؤْمِنَ اتَّخَذَ اللَّهُ عِصْمَتَهُ، وَقَوْلَهُ مِرَاتَهُ، فَمَرَّةً يَنْظُرُ فِي نَعْتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَارَةً يَنْظُرُ فِي وَصْفِ الْمُتَجَبِّرِينَ، فَهُوَ مِنْهُ فِي لَطَائِفَ، وَمِنْ نَفْسِهِ فِي تَعَارُفِ، وَمِنْ فِطْنَتِهِ فِي يَقِينِ، وَمِنْ قُدْسِهِ عَلَى تَمَكِينِ»^(١).

حيث يتضح من الحديث أعلاه أنّ المؤمن في قبال مجموعتين من الناس هما:

١- الكافر.

٢- العاصي الظالم.

وفصل الإمام الصادق عليه السلام حين قال:

«وَقَدْ يَخْرُجُ مِنَ الْإِيمَانِ بِخَمْسِ جِهَاتٍ مِنَ الْفِعْلِ كُلُّهَا مُتَشَابِهَاتٌ مَعْرُوفَاتٌ: الْكُفْرُ، وَالشُّرْكُ، وَالضَّلَالُ، وَالْفِسْقُ، وَرُكُوبُ الْكِبَائِرِ»^(٢).

(١) ابن شعبة، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليهم)، ص ٢٤٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٣٠.

ر) من شروط الانتفاع بالإيمان

نقل عن عبادة بن ربيعي أنه قال للإمام الحسين عليه السلام:

«يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ، إِنَّ الْحَوَارِيَّيْنَ كَانَتْ لَهُمْ عَلَامَاتٌ يُعْرَفُونَ بِهَا، فَهَلْ لَكُمْ عَلَامَاتٌ تُعْرَفُونَ بِهَا؟»

فَقَالَ لَهُ: يَا عِبَادَهُ، نَحْنُ عَلَامَاتُ الْإِيمَانِ فِي بَيْتِ الْإِيمَانِ، مَنْ أَحَبَّنَا أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَنَفَعَهُ إِيْمَانُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُقْبَلُ مِنْهُ عَمَلُهُ، وَمَنْ أَبْغَضَنَا أَبْغَضَهُ اللَّهُ، وَلَمْ يَنْفَعَهُ إِيْمَانُهُ، وَلَمْ يُتَقَبَلْ عَمَلُهُ.

قَالَ: فَقُلْتُ: وَإِنْ دَابَّ وَنَصَبَ، قَالَ: نَعَمْ، وَصَامَ وَصَلَّى.

ثُمَّ قَالَ: يَا عِبَادَهُ، نَحْنُ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ، وَبِنَا جَرَّتِ النَّبُوَّةُ، وَبِنَا يُفْتَحُ، وَبِنَا يُخْتَمُ لَا بَغَيْرِنَا»^(١).

إذا ما دققنا بعطف قوله عليه السلام: «وَنَفَعَهُ إِيْمَانُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» على جواب الشرط فإننا سنتوصل إلى أن شرط الانتفاع من الإيمان في يوم القيامة يكمن في محبة أهل البيت عليهم السلام.

ولقد روي عن الرسول صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله:

«حُبِّي وَحُبُّ أَهْلِ بَيْتِي نَافِعٌ فِي سَبْعَةِ مَوَاطِنَ أَهْوَاهُنَّ عَظِيمَةٌ: عِنْدَ الْوَفَاةِ، وَفِي الْقَبْرِ، وَعِنْدَ النَّشُورِ، وَعِنْدَ الْكِتَابِ، وَعِنْدَ الْحِسَابِ، وَعِنْدَ الْمِيزَانِ، وَعِنْدَ الصَّرَاطِ»^(٢).

(١) ابن حيون، النعمان بن محمد، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، ج ٣، ص ٤٥٦-٤٥٧.

(٢) ابن بابويه، محمد بن علي، الخصال، ج ٢، ص ٣٦٠، حديث ٤٩.

الثالث: الكفر

مقدمة

مفهوم الكفر

حينما نقوم بجولة في أروقة المعاجم اللغوية نجدها تبرز لمادة «كفر» معنيين، أحدهما: الجحد والإنكار، والآخر: الستر والتغطية.

قال الفيومي في «المصباح المنير»:

«كفر بالله (يكفر) (كفراً) و(كفراناً) و(كفر) النعمة وبالنعمة أيضاً: جحدها ... و(كفر) بكذا تبرأ منه ... و(كفرته) (كفراً) سترته ... ويقال للفلاح: (كافر)؛ لأنه (يكفر) البذر، أي يستره»^(١).

يستوحى من كلام الفيومي وجود اشتراك لفظي بين هذين المعنيين.

وفي «معجم مقاييس اللغة» قال ابن فارس:

«كفر: الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الستر والتغطية، يقال لمن غطى درعه بثوب: قد كفر درعه ... والكفر ضدّ الإيمان، سمّي لأنه تغطية الحق، وكذلك كفران النعمة: جحودها وسترها»^(٢).

إذ يبدو من كلام ابن فارس أنّ لفظ «كفر» ليس له إلا معنى واحد يكون حقيقة فيه، وأمّا غيره من المعاني فتعدّ مجازية. هذا ويفهم من ظاهر كلام بعض اللغويين أنّ المعنى الحقيقي للكفر هو الستر والتغطية، وما عداه من المعاني فإنّها جميعاً تعود إليه.

(١) الفيومي، أحمد بن محمّد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، ص ٥٣٥.

(٢) ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٥، ص ١٩١.

فقال الجوهري في «صحاح اللغة»:

«وكل شيء غطّي شيئاً فقد كفره، قال ابن السكيت: ومنه سمّي الكافر؛ لأنه يستر نعم الله عليه»^(١).

وقال الراغب الإصفهاني:

«الكفر في اللغة: ستر الشيء، ووصف الليل بالكافر لستره الأشخاص، والزراع لستره البذر في الأرض ... والكافور: اسم أكمام الثمرة التي تكفرها ... وكفر النعمة وكفرائها: سترها بترك أداء شكرها، قال تعالى: ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيدِهِ﴾^(٢)»^(٣).

ولكن يترأى إشكال هنا وهو أنّ «الكفر» بمعنى الستر والتغطية بفتح «الكاف» لا بضمّها كما هو مستعمل في الاصطلاح الديني.

ولعل هذا ما دفع الجوهري للتعين في «صحاح اللغة» حين قال:
«والكفر بالفتح: التغطية»^(٤).

وعلى فرض إرجاع معنى الكفر ضدّ الإيمان إلى الستر يقع الاختلاف في متعلّقه، فهو ستر النعمة أم ستر حقائق الظلمة المعنوية.

ولكن العلامة المصطفوي يرى:

«أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو الرد وعدم الاعتناء بشيء، ومن آثاره: التبرّي، المحو، التغطية.

ومن مصاديقه: الرد وعدم الاعتناء بالإنعام والإحسان، الرد وعدم الاعتناء والتوجّه إلى الحق في أيّ مرتبة كان، والأرض البعيدة عن التوجّه والاعتناء إليها،

(١) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، ج ٢، ص ٨٠٨.

(٢) سورة الأنبياء، آية ٩٤.

(٣) الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمّد، مفردات ألفاظ القرآن، ص ٧١٤.

(٤) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، ج ٢، ص ٨٠٧.

وهكذا الكافور، والفلاح لا يعنى بالماء والبذر وما يلزم في الزراعة ويردها برجاء المحصول، والكفارة ترد ما في الذمة من واجب، ومغيب الشمس يردها إلى الغيبة والستر، والماء الكثير في النهر يرد بعضه بعضاً.

وهذا المعنى له مراتب ودرجات بلحاظ نفس الرد شدة وضعفاً، ومن جهة خصوصيات المردود واختلاف مراتبه^(١).

ويعتقد ابن منظور أن:

«الكفر نقيض الإيمان، آمناً بالله وكفرنا بالطاغوت، كفر بالله يكفر كفراً وكفوراً وكفراناً، ويقال لأهل دار الحرب: قد كفروا، أي عصوا وامتنعوا، والكفر: كفر النعمة وهو نقيض الشكر، والكفر: جحود النعمة وهو ضد الشكر، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا يَكُلِّ كَافِرُونَ﴾^(٢)، أي جاحدون، وكفر نعمة الله يكفرها كفوراً وكفراناً، وكفر بها: جحدها وسترها، وكافره حقه: جحده»^(٣).

وكما يبدو من كلام العلامة المصطفوي عدم رجوع معنى الكفر إلى الستر والتغطية، وشاهده قول الله عزت آلاؤه:

﴿يَوْمَ أَلْقَيْنَا بِكُفْرٍ بَعْضُكُمْ يَبْعُضٍ﴾^(٤).

فمعنى «الكفر» في هذه الآية التبري الذي يمثل مرتبة من مراتب الإنكار والجحود، ولا يمكن إرجاع معناه للستر والتغطية.

المعنى الاصطلاحي للكفر

ثمة معانٍ اصطلاحية متنوّعة (للكفر) تلوح لمن يستقري الآراء، منها:

(١) المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج ١٠، ص ٨٧-٨٨.

(٢) سورة القصص، آية ٤٨.

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ج ٥، ص ١٤٤.

(٤) سورة العنكبوت، آية ٢٥.

١. عدم الإيمان

حينما يكون المراد من الكفر هو الكفر الحقيقي في مقابل الإيمان.

فقال الشهيد الثاني:

«عَرَفَهُ جَمَاعَةٌ بِأَنَّهُ عَدَمُ الْإِيمَانِ عَمَّا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَكُونَ مُؤْمِنًا، سِوَاءَ كَانَ ذَلِكَ الْعَدَمُ بَضْدًا أَوْ بِلَا ضَدِّ.

فبِالضَدِّ كَأَنْ يُعْتَقَدَ عَدَمُ الْأَصُولِ الَّتِي بِمَعْرِفَتِهَا يَتَحَقَّقُ الْإِيمَانُ، أَوْ عَدَمُ شَيْءٍ مِنْهَا.

وبغير الضد كالحالي من الاعتقادين، أي اعتقاد ما به يتحقق الإيمان، واعتقاد عدمه، وذلك كالشاك، أو الحالي بالكلية، كالذي لم يقرع سمعه شيء من الأمور التي يتحقق الإيمان بها.

ويمكن إدخال الشاك في القسم الأول؛ إذ الضدّ يخطر بباله، وإلا لما صار شاكاً»^(١).

٢. التكذيب

صرّح ابن الوزير قائلاً:

«واعلم أنّ أصل الكفر هو التكذيب المتعمّد لشيء من كتب الله تعالى المعلومة أو لأحد من رسله عليه السلام أو لشيء مما جاؤوا به إذا كان ذلك الأمر المكذّب به معلوماً بالضرورة من الدين، ولا خلاف أنّ هذا القدر كفر، ومن صدر عنه فهو كافر إذا كان مكلفاً مختاراً غير مختل العقل ولا مكره»^(٢).

(١) الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، حقائق الإيمان مع رسالتي الاقتصاد والعدالة، ص ١٠٥ -

١٠٦.

(٢) ابن الوزير، محمد بن إبراهيم، إيثار الحق على الخلق، ص ٣٧٦-٣٧٧.

ويعتقد تقي الدين السبكي أن:

«التكفير حكم شرعي سببه جحد الربوبية أو الوحدانية أو الرسالة أو قول أو فعل حكم الشارع بأنه كفر وإن لم يكن جحداً»^(١).

ويرى الشيخ عبد الرحمن السعدي أن:

«حدّ الكفر الجامع لجميع أجناسه وأنواعه وأفراده هو جحد ما جاء به الرسول أو جحد بعضه، كما أنّ الإيمان اعتقاد ما جاء به الرسول والتزامه جملة وتفصيلاً، فالإيمان والكفر ضدّان متى ثبت أحدهما ثبتاً كاملاً انتفى الآخر»^(٢).

والغزالي ذهب إلى أنّ «الكفر» تكذيب عقيدة ما يعدّ التصديق بها إيماناً^(٣). ومنه يتبيّن أنّ التقابل القائم بين الكفر والإيمان هو من تقابل الضدّين؛ لأنّ التكذيب لا يتحقق بمجرد عدم التصديق؛ حيث إنّ الشك لا يعدّ كفراً فضلاً عن الجهل البسيط والغفلة.

٣- إنكار صدق النبي

ذهب ابن ميثم إلى أنّ الكفر هو إنكار صدق الرسول ﷺ وإنكار شيء مما علم مجيئه به بالضرورة^(٤).

ويرى الحصكفي - وهو من علماء الأحناف - أنّ الكفر لغة يعني الستر، وشرعاً يعني تكذيب أمور جاء بها النبي ﷺ كضروورات دينية^(٥).

(١) السبكي، علي بن عبد الكافي، فتاوى السبكي، ج ٢، ص ٥٨٦.

(٢) السعدي، عبد الرحمن، الإرشاد إلى معرفة الأحكام، ص ٢٠٣-٢٠٤.

(٣) الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، حقائق الإيمان مع رسالتي الاقتصاد والعدالة، ص ١٠٨.

(٤) ابن ميثم، ميثم بن علي، قواعد المرام في علم الكلام، ص ١٧١.

(٥) الحصكفي، محمّد بن علي، الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار، ص ٣٤٤.

٤. عدم التصديق

إذ عبّر الجرجاني عن ذلك بقوله:

«المقصد الثالث في الكفر: وهو خلاف الإيمان، فهو عندنا عدم تصديق الرسول في بعض ما علم مجيئه ضرورة»^(١).

٥. الجهل بالله تعالى

حيث فسّر الباقلاني الكفر بالجهل بالله تعالى^(٢).

بعد هذه المقدمة المقتضبة جاء الدور لتتناول ما ورد عن الإمام الحسين عليه السلام من أحاديث حول الكفر بإطاره العام:

(١) الجرجاني، علي بن محمد، شرح المواقف، ج ٨، ص ٣٣١-٣٣٢.

(٢) الباقلاني، محمد بن طيب، تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، ص ٣٩٤.

أ) آثار الكفر

من ملاحظة ما ورد عن سيّد الشهداء عليه السلام يتبيّن لنا أنّ للكفر آثاراً، من قبيل:

١. نقض العهود الإلهية

كان من دعاء الإمام الحسين عليه السلام في عرفة قوله متضرّعاً لله جلّ وعلا:
«لَمْ تُخْرِجْنِي لِرَأْفَتِكَ بِي، وَلَطْفِكَ لِي، وَإِحْسَانِكَ إِلَيَّ فِي دَوْلَةِ أُمَّةِ الْكُفْرِ الَّذِينَ
نَقَضُوا عَهْدَكَ»^(١).

يتّضح من خلال ملاحظة مضمون وصف الإمام عليه السلام لدولة الكفر بقوله:
«الَّذِينَ نَقَضُوا عَهْدَكَ» أنّ الكفر هو منشأ بروز ظاهرة نقض العهود الإلهية.
قال سبحانه وتعالى:

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾^(٢).

٢. تكذيب الرسل

مما ورد عن الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة قوله في وصف دولة أئمة الكفر:
«الَّذِينَ نَقَضُوا عَهْدَكَ، وَكَذَّبُوا رُسُلَكَ»^(٣).
حيث يتبيّن من مضمون هذه الجملة بلحاظ وصفها لدولة أئمة الكفر أنّ
الكفر هو المنشأ لتكذيب رسل الله تعالى.

(١) الكفعمي، إبراهيم بن علي، البلد الأمين، ص ٢٥١.

(٢) سورة الفرقان، آية ٥٥.

(٣) الكفعمي، إبراهيم بن علي، البلد الأمين، ص ٢٥١.

قال جلّ وعلا:

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا﴾^(١).

وقال أيضاً:

﴿وَلِإِنْ يَكْذِبُوا فَعَدَاؤُهُمْ فَكَذَّبْتَ قَبْلَهُمْ قَوْمَ نُوحٍ وَعَادَ وَثَمُودَ﴾^(٢).

وقال كذلك:

﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَآوَدُوا حَتَّىٰ أَنهَم نَصْرَنَا﴾^(٣).

٣. المخالفة لله جلّ جلاله

ورد في دعاء عرفة المروي عن الإمام الحسين عليه السلام أنه تضرّع لله قائلاً:

«يَا مَنْ اسْتَنْقَذَ السَّحْرَةَ مِنْ بَعْدِ طُولِ الْجُحُودِ، وَقَدْ غَدَوْنَا فِي نِعْمَتِهِ يَا أَكْلُونَ رِزْقَهُ
وَيَعْبُدُونَ غَيْرَهُ، وَقَدْ حَادَوْهُ وَنَادَوْهُ»^(٤).

لما كان لازم معنى «الحدة» هو المخالفة والمعارضة والعداء بات سياق الجملة

أعلاه ومضمونها يدل على مخالفة الكفار لله جلّ وعلا وعدائهم له سبحانه.

يقول تبارك وتعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كِتُومًا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ
عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾^(٥).

(١) سورة الرعد، آية ٤٣.

(٢) سورة الحج، آية ٤٢.

(٣) سورة الأنعام، آية ٣٤.

(٤) الكفعمي، إبراهيم بن علي، البلد الأمين، ص ٢٥٤.

(٥) سورة المجادلة، آية ٥.

ويقول أيضاً:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾^(١).

٤. معارضة الرسل للكفر

عوداً إلى دعاء الإمام الحسين عليه السلام السابق وهذه المرة نلاحظ من عطف الجملة الأخيرة على ما قبلها وسياقها أن الرسل يعارضون الكفر ويخالفونه. وقال جلّت آلاؤه:

﴿فَلِذَلِكَ فَادِّعْ وَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا نُنَبِّعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلَكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾^(٢).

وقال كذلك:

﴿قُلْ يَتَّيَبَهَا الْكَافِرُونَ ❖ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ❖ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ❖ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ❖ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ❖ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ﴾^(٣).

٥. اتفاق كلمة الرسل على مقارعة الكفر

كما يتّضح من ملاحظة صيغة الجمع لكلمة «رسله» الواردة في دعاء الإمام الحسين عليه السلام أمر لا يساوره شك أبداً وهو أن جميع الرسل متفقون على محاربة الكفر ومجاهته.

قال ربّ العزّة والجلالة:

﴿إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا

(١) سورة المجادلة، آية ٢٠.

(٢) سورة الشورى، آية ١٥.

(٣) سورة الكافرون، آية ١-٦.

لَأَنْزَلَ مَلَكِيكَ فَإِنَّا بِمَا أَرْسَلْتُمْ بِهِءِ كَافِرُونَ ﴿١﴾.

٦. عدم انطفاء نور الحق بظلم الكفر

روي عن الإمام الحسين عليه السلام في دعاء الاستجابة قوله متضرراً:

«وَأَطْفَأَتْ نَارَ نُمْرُودَ عَنْ خَلِيلِكَ إِبرَاهِيمَ فَجَعَلْتَهَا بَرْدًا وَسَلَامًا»^(٢).

ما تشير إليه هذه الجملة هو أن ظلمة الكفر والكافر ليس لها أن تطفأ نور الحق أبداً، وهذا الدعاء وإن كان خطاباً لله سبحانه إلا أنه من الممكن جداً استفادة رسالة عامة منه.

يقول جلّ جلاله:

﴿قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيَّ إِبرَاهِيمَ ﴿١٠٠﴾ وَأَرَادُوا بِهِءِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿١٠١﴾﴾^(٣).

٧. قتل القادة الإلهيين

ذكر الخوارزمي في مقتله:

«ثُمَّ إِنَّهُ عليه السلام دَعَا النَّاسَ إِلَى الْبِرَازِ، فَلَمْ يَزَلْ يَقْتُلُ كُلَّ مَنْ دَنَا إِلَيْهِ مِنْ عُيُونِ الرَّجَالِ، حَتَّى قَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً، فَحَالُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَحْلِهِ، فَصَاحَ بِهِمْ: وَيَحْكُمُ يَا شِيعَةَ آلِ أَبِي سَفْيَانَ، إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ دِينٌ وَكُنْتُمْ لَا تَخَافُونَ الْمَعَادَ فَكُونُوا أَحْرَاراً فِي دُنْيَاكُمْ هَذِهِ، وَارْجِعُوا إِلَى أَحْسَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَرَباً كَمَا تَزْعُمُونَ.

فَنَادَاهُ شِمْرٌ: مَا تَقُولُ يَا حُسَيْنُ؟ فَقَالَ: أَقُولُ: أَنَا الَّذِي أَقَاتِلُكُمْ وَتُقَاتِلُونِي، وَالنِّسَاءُ لَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ، فَاْمْنَعُوا عُتَاتِكُمْ وَطُغَاتِكُمْ وَجَهَالِكُمْ عَنِ التَّعَرُّضِ لِحَرَمِي مَا دُمْتُ

(١) سورة فصلت، آية ١٤.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، جمال الأسبوع بكمال العمل المشروع، ص ٢٧١.

(٣) سورة الأنبياء، آية ٦٩-٧٠.

حَيًّا. فَقَالَ لَهُ شِمْرٌ: لَكَ ذَلِكَ يَا بَنَ فَاطِمَةَ، ثُمَّ صَاحَ شِمْرٌ بِأَصْحَابِهِ: إِلَيْكُمْ عَنْ حَرَمِ الرَّجُلِ، وَاقْصِدُوهُ بِنَفْسِهِ، فَلَعَمْرِي هُوَ كُفُوٌ كَرِيمٌ»^(١).

في ضوء خطاب الإمام عليه السلام لشيعته آل أبي سفيان يتبين بما لا شك فيه أن لعدم التدين آثاراً سيئة، من بينها قتل أولياء الله ورسله، أي أن عدم الدين وعدم الإيمان يبلغ بالإنسان إلى هذه المرحلة، مثلما الدين في المقابل يمكنه أن يوصل الإنسان إلى درجة عالية من المنعة والحصانة عن الذنوب.

ويبرز في الآية أدناه مصير من يقتلون النبيين والصلحاء حيث يقول تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٢).

٨- العذاب بانتظار غير المؤمنين

تطرق الإمام الحسين عليه السلام خلال وصيته للقيامة وأهوالها فقال:

«... وَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ أَنْظِرُوا أَنَا مُنْظَرُونَ»^(٣) «...»^(٤).

ومن مضمون كلام الإمام عليه السلام المستوحى من آيات القرآن يتضح أن العذاب الإلهي في انتظار غير المؤمنين.

يعززه قول الله العزيز:

﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾^(٥).

(١) أخطب خوارزم، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام، ج ٢، ص ٣٨.

(٢) سورة آل عمران، آية ٢١.

(٣) سورة الأنعام، آية ١٥٨.

(٤) ابن شعبة، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليهم)، ص ٢٤٠.

(٥) سورة سبأ، آية ٨.

وقوله أيضاً:

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنْ السَّخِرِينَ﴾ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * بَلَى قَدْ جَاءَ تَكَءَايَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَأَسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴿١﴾.

٩. الخروج من الدين

نقل ابن شعبة الحرّاني في «تحف العقول» عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال:
 «أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا هَؤُلَاءِ الْمَارِقَةَ الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ اللَّهَ بِأَنْفُسِهِمْ، يُضَاهَتُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، بَلْ هُوَ اللَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» (٢).

حيث يشير الحديث إلى عدّ أهل الكتاب خارجين عن دين الله سبحانه؛ لأنهم مأمورون باتباع دين النبي محمد صلى الله عليه وآله باعتبار أنّ دينهم السابق قد نسخ بمجيء الإسلام.

قال القاضي سعيد القمي في بيانه لكلمة «المارقة»:

«اعلم أنّ (المارقة) هم الذين مرقوا عن الدين الحنيف الذي عليه أرباب اليقين وخرجت رقابهم عن ربة التمسك بالحبل المتين كما خرج السهم من الرمية إلى جانب آخر، وبذلك سمّيت الخوارج بـ (المارقة)» (٣).

يقول عزّ وجلّ:

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخٰسِرِينَ﴾ (٤).

(١) سورة الزمر، آية ٥٦-٥٩.

(٢) ابن شعبة، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليهم)، ص ٢٤٤.

(٣) القاضي سعيد القمي، محمد سعيد بن محمد مفيد، شرح الأربعين، ص ٣٩٤.

(٤) سورة آل عمران، آية ٨٥.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحَدَاتُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، قَوْلُهُمْ مِنْ خَيْرِ أَقْوَالِ الْبَرِّيَّةِ، صَلَاتُهُمْ أَكْثَرُ مِنْ صَلَاتِكُمْ، وَقِرَاءَتُهُمْ أَكْثَرُ مِنْ قِرَاءَتِكُمْ، لَا يُجَاوِزُ إِيْمَانُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ - أَوْ قَالَ: حَنَاجِرُهُمْ - يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

١٠. اشتداد الغضب الإلهي نتيجة المعتقدات الكفرية

ذكر السيّد ابن طاووس في اللهوف:

«قَالَ الرَّاوي: فَتَقَدَّمَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ فَرَمَى نَحْوَ عَسْكَرِ الْحَسَنِ عليه السلام بِسَهْمٍ وَقَالَ: اشْهَدُوا لِي عِنْدَ الْأَمِيرِ أَنِّي أَوَّلُ مَنْ رَمَى. وَأَقْبَلَتِ السَّهَامُ مِنَ الْقَوْمِ كَأَنَّهَا الْقَطْرُ. فَقَالَ عليه السلام لِأَصْحَابِهِ: قُومُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى الْمَوْتِ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ فَإِنَّ هَذِهِ السَّهَامُ رُسُلُ الْقَوْمِ إِلَيْكُمْ.

فَاقْتُلُوا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ حَمَلَةً وَحَمَلَةً حَتَّى قُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ الْحَسَنِ عليه السلام جَمَاعَةٌ. قَالَ: فَعِنْدَهَا ضَرَبَ الْحَسَنِ عليه السلام بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَتِهِ وَجَعَلَ يَقُولُ: اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْيَهُودِ إِذْ جَعَلُوا لَهُ وَلَدًا، وَاشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى النَّصَارَى إِذْ جَعَلُوهُ ثَالِثَ ثَلَاثَةٍ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَى الْمُجُوسِ إِذْ عَبَدُوا الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دُونَهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَى قَوْمٍ اتَّفَقَتْ كَلِمَتُهُمْ عَلَى قَتْلِ ابْنِ بِنْتِ نَبِيِّهِمْ، أَمَا وَاللَّهِ لَا أُجِيبُهُمْ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا يُرِيدُونَ حَتَّى أَلْقَى اللَّهُ وَأَنَا مُخَضَّبٌ بِدَمِي»^(٢).

نستنتج من جملة «اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْيَهُودِ إِذْ جَعَلُوا لَهُ وَلَدًا...» أَنَّ هُنَاكَ عِدَدًا مِنَ الْمَعْتَقَدَاتِ لَا أَتَمَّهَا تَغْضَبُ اللَّهُ فَحَسَبَ، وَإِنَّمَا يَشْتَدُّ غَضَبُ اللَّهِ بِسَبَبِهَا

(١) ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص ٢٦٧-٢٦٨.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف، ص ٦٠-٦١.

حتى يصل ذروته، مثل:

١- الاعتقاد بأن الله جل جلاله ولدًا.

٢- الاعتقاد بوجود شريك لله سبحانه.

فقد قال تباركت أسماؤه:

﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ، وَلَدٌ لَهُ، مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾^(١).

وقال أيضاً:

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾^(٢).

وقال كذلك:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾^(٣).

وقال أيضاً:

﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٤).

١١. غضب الله على اليهود

من الواضح جداً دلالة حديث الإمام الحسين عليه السلام على أن غضب الله قد اشتد على اليهود لعقيدتهم الباطلة.

(١) سورة النساء، آية ١٧١.

(٢) سورة المؤمنون، آية ٩١.

(٣) سورة النساء، آية ٤٨.

(٤) سورة النحل، آية ١٠٦.

يقول العزيز الحكيم:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِبَلَّ سِينًا لَهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾^(١).

١٢. غضب الله على النصارى

من نفس الحديث المتقدم للإمام الحسين عليه السلام نستنتج أن غضب الله الشديد قد حلَّ بالنصارى أيضاً لمعتقدهم الباطل بشأن الله جلَّت قدرته.

حيث بيّن ذلك المعتقد قول الله العزيز:

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ الْنَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ط قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَن أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِن كُنتَ قُلْتَهُ، فَقَدْ عَلِمْتَهُ، تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴾^(٢).

١٣. غضب الله على المجوس

إذ يستنتج من الحديث الأخير للإمام الحسين عليه السلام أيضاً أن غضب الله سبحانه قد اشتدَّ على المجوس وللسبب ذاته وهو معتقدهم الباطل.

يقول عليه السلام:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالصَّرِيَّاتِ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾^(٣).

(١) سورة الأعراف، آية ١٥٢.

(٢) سورة المائدة، آية ١١٦.

(٣) سورة الحج، آية ١٧.

١٤. كره المشركين لغلبة دين الحق

روى عبد الرحمن بن سليط عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال:

«مِنَّا اثْنَا عَشَرَ مَهْدِيًّا أَوْلَهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَأَخْرَهُمُ التَّاسِعُ مِنْ وُلْدِي، وَهُوَ الْإِمَامُ الْقَائِمُ بِالْحَقِّ، يُحْيِي اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا، وَيُظْهِرُ بِهِ دِينَ الْحَقِّ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، لَهُ غَيْبَةٌ يَرْتَدُّ فِيهَا أَقْوَامٌ وَيَنْبُتُ فِيهَا عَلَى الدِّينِ آخَرُونَ، فَيُؤَدُّونَ وَيُقَالُ لَهُمْ: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١)، أَمَا إِنَّ الصَّابِرَ فِي غَيْبَتِهِ عَلَى الْأَذَى وَالتَّكْذِيبِ بِمَنْزِلَةِ الْمُجَاهِدِ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^(٢).

حيث يتضح من كلام الإمام عليه السلام أن الله تبارك وتعالى ينصر دينه ويجعل له الغلبة على جميع الأديان رغم كره المشركين لدين الحق.

يشهد له قول الله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾^(٣).

١٥. عدم الخوف من الله

ذكر ابن عساكر في تاريخه:

«وَكَتَبَ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ: إِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُلْهِمَكَ رُشْدَكَ، وَأَنْ يَصْرِفَكَ عَمَّا يُرِيدُكَ، بَلَّغْنِي أَنَّكَ قَدْ اعْتَزَمْتَ عَلَى الشُّحُوصِ إِلَى الْعِرَاقِ، فَإِنِّي أُعِيدُكَ بِاللَّهِ مِنَ الشَّقَاقِ، فَإِنْ كُنْتَ حَائِفًا فَأَقْبِلْ إِلَيَّ فَلَكَ عِنْدِي الْأَمَانُ وَالْبِرُّ وَالصَّلَاةُ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحَسَيْنُ: إِنْ كُنْتَ أَرَدْتَ بِكِتَابِكَ إِلَيَّ بَرِّي وَصَلِّتِي فَجَزَيْتَ خَيْرًا فِي

(١) سورة يونس، آية ٤٨.

(٢) ابن بابويه، محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة، ج ١، ص ٣١٧، حديث ٣.

(٣) سورة الفتح، آية ٢٨.

الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ. وَإِنَّهُ لَمْ يُشَاقِقْ مَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ: إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَخَيْرُ الْأَمَانِ أَمَانُ اللَّهِ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ مَنْ لَمْ يَخَفْهُ فِي الدُّنْيَا، فَتَسْأَلُ اللَّهُ مَخَافَةً فِي الدُّنْيَا تُوجِبُ لَنَا أَمَانَ الْآخِرَةِ عِنْدَهُ»^(١).

إذ يتبين من التأمل في مضمون قوله ﷺ: «وَلَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ مَنْ لَمْ يَخَفْهُ فِي الدُّنْيَا» أنّ عدم الخوف من الله في الدنيا يعدّ علامة على عدم الإيمان به تعالى.
يقول الله العزيز:

﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴾^(٢).

١٦. العقوبة على الكافرين

نقل الشجري الجرجاني بسنده عن الحسين بن زيد بن علي عن آبائه ﷺ قال:
«إِنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَطَبَ يَوْمَ أُصَيْبٍ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْآخِرَةَ لِلْمُتَّقِينَ، وَالنَّارَ وَالْعِقَابَ عَلَى الْكَافِرِينَ، وَإِنَّا - وَاللَّهِ - مَا طَلَبْنَا فِي وَجْهِنَا هَذَا الدُّنْيَا، فَتَكُونُ السَّاكِنِينَ فِي رِضْوَانِ رَبَّنَا، فَاصْبِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا، وَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكُمْ.
فَقَالُوا: بِأَنْفُسِنَا نَفْدِيكَ.

فَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَكَانُوا - وَاللَّهِ - يُبَادِرُونَهُ إِلَى الْقِتَالِ، حَتَّى مَضَوْا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَيَحْتَسِبُهُمْ وَيَسْتَغْفِرُ لَهُمْ»^(٣).

يتبين من خطبة الإمام ﷺ أنّ جهنم هي مآل الكفرة ومستقرهم، وسيعاقبهم

(١) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق، ج ١٤، ص ٢٠٩-٢١٠.

(٢) سورة الأحقاف، آية ٣.

(٣) المرشد بالله، يحيى بن الحسين، الأمالي: وهي المعروفة بالأمالي الخمسية، ج ١، ص ٢١١.

الله تعالى يوم القيامة بنار جهنم وساءت مصيراً.

وهذا ما توعدهم به الله في القرآن الكريم حين قال:

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾^(١).

وقال أيضاً:

﴿يَأْتِيهَا النَّيُّ جَهْدِ الْكُفَّارِ وَالْمُنْفِقِينَ وَأَغْطَىٰ عَلَيْهِمْ وَمَا وَدَّعَهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ

الْمَصِيرُ﴾^(٢).

وقال كذلك:

﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِ أَوْلِيَاءِ إِنَّا أَعَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾^(٣).

١٧. عدم الإيمان بالحساب يؤدي لعدم استماع قول الحق

جاء في الخطبة التي وجهها الإمام الحسين عليه السلام لمعسكر عمر بن سعد قوله:

«أَمَا بَعْدُ، فَانْسُبُونِي فَانظُرُوا مَنْ أَنَا، ثُمَّ ارْجِعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِكُمْ وَعَاتِبُواهَا، فَانظُرُوا هَلْ يَجِلُّ لَكُمْ قَتْلِي وَإِنْتِهَاكَ حُرْمَتِي؟! أَلَسْتُ ابْنِ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَابْنِ وَصِيِّ وَابْنِ عَمِّهِ، وَأَوَّلِ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْمُصَدِّقِ لِرَسُولِهِ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ؟! أَوْلَيْسَ حَمْزَةُ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ عَمِّي أَبِي؟! أَوْلَيْسَ جَعْفَرُ الشَّهِيدِ الطَّيَّارُ ذُو الْجَنَاحَيْنِ عَمِّي؟! أَوْلَمْ يَبْلُغْكُمْ قَوْلُ مُسْتَفِيضٍ فِيكُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قَالَ لِي وَلَاخِي: (هَذَانِ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ)؟! فَإِنْ صَدَقْتُمُونِي بِمَا أَقُولُ - وَهُوَ الْحَقُّ - فَوَاللَّهِ مَا تَعَمَّدْتُ كَذِبًا مُذْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ يَمُقُّتُ عَلَيْهِ أَهْلَهُ، وَيَضُرُّ بِهِ مَنْ اخْتَلَقَهُ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي فَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ إِنْ سَأَلْتُمُوهُ عَنْ ذَلِكَ أَخْبَرَكُمْ، سَلُوا جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ

(١) سورة آل عمران، آية ١٢.

(٢) سورة التوبة، آية ٧٣.

(٣) سورة الكهف، آية ١٠٢.

الأنصاريّ أو أبا سعيد الخدريّ أو سهل بن سعد الساعديّ أو زيد بن أرقم أو أنس بن مالك، يُخبروكم أنّهم سمِعوا هذه المقالة من رسولِ الله (صلى الله عليه وسلّم) لي ولأخي، أفما في هذا حاجزٌ لكم عن سفكِ دمي؟!

فقال له شمّر بن ذبي الجوشن: هو يعبدُ الله على حرفٍ إن كان يدري ما يقول.
فقال له حبيب بن مظاهر: والله إنني لأراك تعبدُ الله على سبعين حرفاً، وأنا أشهد أنّك صادقٌ، ما تدري ما يقول، قد طبع الله على قلبك.

ثم قال لهم الحسين: فإن كنتم في شكٍ من هذا القول، أفتشكون أثاراً ما أني ابن بنتِ نبيكم؟! فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنتِ نبيِّ غيري منكم ولا من غيركم، أنا ابن بنتِ نبيكم خاصةً. أخبروني أطلبوني بقتيلٍ منكم قتلته أو مالٍ لكم استهلكته أو بقصاصٍ من جراحته؟!
قال: فأخذوا لا يكلمونه.

قال: فنأدى: يا سبث بن ربعي، ويا حجار بن أبجر، ويا قيس بن الأشعث، ويا يزيد بن الحارث، ألم تكتبوا إليّ أن قد أينعت الثمار، وأخضر الجناب، وطمت الجمام، وإنا تقدم على جندٍ لك مجندٍ، فأقبل؟!
قالوا له: لم نفعل.

فقال: سبحان الله، بلى والله، لقد فعلتم.
ثم قال: أيها الناس، إذ كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى ما مني من الأرض.
قال: فقال له قيس بن الأشعث: أو لا تنزل على حكم بني عمك، فإنهم لن يروك إلا ما تحب، ولن يصل إليك منهم مكروه؟

فقال الحسين: أنت أحو أخيك، أتريد أن يطلبك بنو هاشمٍ بأكثر من دمٍ مسلمٍ بن عقيل؟! لا والله، لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر إقرار العبيد. عباد الله ﴿وإني﴾

عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْتَجُمُونِ ﴿١﴾، أَعُوذُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢﴾.

قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَنَاخَ رَا حِلْتَهُ، وَأَمَرَ عُقْبَةَ بْنَ سَمْعَانَ فَعَقَلَهَا، وَأَقْبَلُوا يَزْحَفُونَ نَحْوَهُ ﴿٣﴾.

من الكلمات الأخيرة للإمام عليه السلام يتضح جلياً الأثر المترتب على عدم الإيمان بيوم الجزاء وما يجري فيه من حساب، وهو عدم الاستماع لقول الحق والتكبر عليه وعلى الإمام بالحق بل وقتله، ولهذا يجب أن نلجأ إلى الله من عديمي الإيمان. ويين تعالى ذلك بقوله:

﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٤﴾.

١٨. عدم الإيمان والكفر من أسباب الذنوب الكبيرة

ذكر الخوارزمي في مقتله:

«فَقَالَ عَمْرُ بْنُ سَعْدٍ: وَيْلَكُمْ كَلَّمُوهُ فَإِنَّهُ ابْنُ أَبِيهِ، وَاللَّهِ، لَوْ وَقَفَ فِيكُمْ هَكَذَا يَوْمًا جَدِيدًا لَمَا قَطَعَ وَلَمَا حَصَرَ، فَكَلَّمُوهُ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ شَمْرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ، فَقَالَ: يَا حُسَيْنُ، مَا هَذَا الَّذِي تَقُولُ؟ أَفَهَمْنَا حَتَّى نَفْهَمَ؟»

فَقَالَ عليه السلام: أَقُولُ لَكُمْ: ائْتُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ وَلَا تَقْتُلُونِ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكُمْ قِتْلِي وَلَا انْتِهَاكُ حُرْمَتِي، فَإِنِّي ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ، وَجَدَّتِي خَدِيجَةُ زَوْجَةُ نَبِيِّكُمْ، وَلَعَلَّهُ قَدْ بَلَغَكُمْ قَوْلَ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله: الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَا خَلَا النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، فَإِن صَدَقْتُمُونِي بِمَا أَقُولُ، وَهُوَ الْحَقُّ، فَوَاللَّهِ مَا تَعَمَّدْتُ كَذِبًا مُنْذُ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ يَمَقُّتُ عَلَيْهِ

(١) سورة الدخان، آية ٢٠.

(٢) سورة غافر، آية ٢٧.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٤٢٤-٤٢٦.

(٤) سورة الأعراف، آية ٣٦.

أَهْلَهُ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي فَإِنَّ فِيكُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ مِثْلَ: جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَسَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، وَزَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ، وَأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ، فَاسْأَلُوهُمْ عَنْ هَذَا، فَإِنَّهُمْ يُخْبِرُونَكُمْ أَنَّهُمْ سَمِعُوهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ أَمْرِي، أَفْتَشْكُونَ أَنَّ ابْنَ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ؟! فَوَاللَّهِ، مَا بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُغْرِبِينَ ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّ غَيْرِي. وَيَلِكُمْ، أَتَطْلُبُونِي بِدَمِ أَحَدٍ مِنْكُمْ قَتَلْتَهُ، أَوْ بِهَالٍ اسْتَمْلَكْتَهُ، أَوْ بِقِصَاصٍ مِنْ جِرَاحَاتِ اسْتَهْلَكْتَهُ؟! فَسَكُنُوا عَنْهُ لَا يُجِيبُونَهُ.

ثُمَّ قَالَ ﷺ: وَاللَّهِ، لَا أُعْطِيهِمْ يَدِي إِعْطَاءَ الدَّلِيلِ، وَلَا أَفِرُّ فِرَارَ الْعَبِيدِ. عِبَادَ اللَّهِ ﴿وَإِنِّي عَدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾^(١)، وَأَعُوذُ ﴿بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾^(٢) ﴿٣﴾.

من التدقيق في مغزى وسياق قوله ﷺ: «وَأَعُوذُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ» نتوصل إلى أن التكبر وعدم الإيمان بيوم القيامة من أسباب ارتكاب الذنوب الكبيرة، كالخروج على الإمام المعصوم.
يقول جلّ وعلا:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٤).

١٩. قِصَّةُ الصَّفَاقَةِ

ورد ذكر سحرة فرعون في دعاء الإمام الحسين ﷺ يوم عرفة خلال تضرّعه إلى الله حين دعا قائلاً:

«يَا مَنْ اسْتَنْقَذَ السَّحْرَةَ مِنْ بَعْدِ طُولِ الْجُحُودِ، وَقَدْ غَدَا فِي نِعْمَتِهِ يَأْكُلُونَ رِزْقَهُ

(١) سورة الدخان، آية ٢٠.

(٢) سورة غافر، آية ٢٧.

(٣) أخطب خوارزم، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين ﷺ، ج ١، ص ٣٥٧-٣٥٨.

(٤) سورة آل عمران، آية ٢١.

وَيَعْبُدُونَ غَيْرَهُ»^(١).

إذ يشير مضمون هذه الفقرة إلى قلة حياء الكفار والسحرة ووقاحتهم؛ حيث إنهم في نفس الوقت الذي يتنعمون فيه بالرزق الربوبي والنعم الإلهية يجحدون وجود الله سبحانه وينكرونه.

يقول عز من قائل:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^(٢).

٢٠. الوقوع في الهلكة

روي عن الإمام الحسين عليه السلام قوله:

«الْغُلُوُّ وَرُطَةٌ»^(٣).

لما كان معنى «الورطة» هي الهلكة، والغلو هو الخروج عن حد الاعتدال إلى طرف الإفراط نستنتج من مضمون هذا القول أنّ الغلو أمر قبيح ومحرم وتنبعث منه المفسد، وبما أنّ الغلو في الاصطلاح يطلق على التجاوز عن الحق، عدّ نوعاً من الكفر باعتبار أنّ الكفر يقع على مراتب.

فقد قال الإمام الصادق عليه السلام في هذا الصدد:

«لَعَنَ اللَّهُ الْغُلَاةَ وَالْمَفْوِضَةَ فَإِنَّهُمْ صَغَرُوا عِضْيَانَ اللَّهِ وَكَفَرُوا بِهِ، وَأَشْرَكُوا وَضَلُّوا وَأَضَلُّوا فِرَاراً مِنْ إِقَامَةِ الْفَرَائِضِ وَأَدَاءِ الْحُقُوقِ»^(٤).

(١) الكفعمي، إبراهيم بن علي، البلد الأمين، ص ٢٥٤.

(٢) سورة النحل، آية ١١٢.

(٣) الآبي، منصور بن الحسين، نثر الدر في المحاضرات، ج ١، ص ٢٢٩.

(٤) ابن بابويه، محمد بن علي، علل الشرائع، ج ١، ص ٢٢٧، حديث ١.

وقال الإمام الرضا عليه السلام كذلك:

«الْغُلَاةُ كُفَّارٌ وَالْمَفْوُضَةُ مُشْرِكُونَ، مَنْ جَالَسَهُمْ أَوْ خَالَطَهُمْ أَوْ أَكَلَهُمْ أَوْ شَارَبَهُمْ أَوْ وَاصَلَهُمْ أَوْ رَوَّجَهُمْ أَوْ تَزَوَّجَ مِنْهُمْ أَوْ آمَنَهُمْ أَوْ ائْتَمَنَهُمْ عَلَى أَمَانَةٍ أَوْ صَدَّقَ حَدِيثَهُمْ أَوْ أَعَانَهُمْ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ، خَرَجَ مِنْ وِلَايَةِ اللَّهِ عز وجل وَوِلَايَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَوِلَايَةِنَا أَهْلِ الْبَيْتِ»^(١).

٢١. الذلّة

روى ابن شعبة الحرّاني أنّ الإمام الحسين عليه السلام قال مخاطباً أهل الكوفة:

«أَلَا وَإِنَّ الدَّعِيَّ ابْنَ الدَّعِيِّ قَدْ رَكَزَ مِنَّا بَيْنَ اثْنَتَيْنِ، بَيْنَ الْمَلَّةِ [السَّلَّةِ] وَالذَّلَّةِ، وَهَيْهَاتَ مِنَّا الدَّنِيئَةُ، يَا بِيَّ اللَّهِ ذَلِكَ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ، وَحُجُورٌ طَابَتْ، وَأَنْوْفٌ حَمِيَّةٌ، وَنُفُوسٌ أَبِيَّةٌ، وَأَنْ نُؤْتِرَ طَاعَةَ اللَّثَامِ عَلَى مَصَارِعِ الْكِرَامِ»^(٢).

ويبدو من كلام الإمام عليه السلام عمق الأثر المترتب على الخروج من الشريعة والأمة الإسلامية والمتمثل بذلّة الإنسان وهوانه.

ويستعرض ربّ العزّة والجلالة ذلك الأثر بقوله:

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءَ وَبِعَضْبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾^(٣).

كما قال الإمام علي عليه السلام:

«وَمَنْ يَطْلُبِ الْعِزَّ بِغَيْرِ حَقِّ يَذَلَّ، وَمَنْ عَانَدَ الْحَقَّ لِرِمَّةِ الْوَهْنِ»^(٤).

(١) ابن بابويه، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢٠٣، حديث ٤.

(٢) ابن شعبة، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليهم)، ص ٢٤١.

(٣) سورة آل عمران، آية ١١٢.

(٤) ابن شعبة، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليهم)، ص ٩٥.

ومثله قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام:
«مَا تَرَكَ الْحَقَّ عَزِيزٌ إِلَّا ذَلًّا، وَلَا أَخَذَ بِهِ ذَلِيلٌ إِلَّا عَزًّا»^(١).

٢٢. سلب البركة الإلهية

تحدّث الإمام الحسين عليه السلام قبل شهادته إلى أصحابه حول عصر الظهر:
«... وَلَتَنْزِلَنَّ الْبَرَكَةُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ حَتَّىٰ أَنْ الشَّجَرَةَ لَتَقْصِفُ بِمَا يُرِيدُ اللَّهُ فِيهَا مِنَ الثَّمَرِ، وَلِكُلِّ كَلْبٍ ثَمْرَةٌ الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ، وَثَمْرَةٌ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا﴾^(٢)»^(٣).

حيث يقودنا استشهاد الإمام عليه السلام بهذه الآية لأن نستشف من المضمون أنّ تكذيب الدين يتسبب بسلب بركات السماء والأرض من الناس، وإن وردت الإشارة بنحو مستقل في منطوق الجملة إلى قيدين بهما تستجلب البركة وهما: الإيمان والتقوى، غير أنّه قد أضمّر عدم التقوى في مفهوم عدم الإيمان وتكذيب الدين.

يقول جلّ وعلا:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٤).

(١) المصدر السابق، ص ٤٨٩.

(٢) سورة الأعراف، آية ٩٦.

(٣) القطب الراوندي، سعيد بن هبة الله، الخرائج والجرائح، ج ٢، ص ٨٤٩-٨٥٠، حديث ٦٣.

(٤) سورة الأعراف، آية ٩٦.

٢٣. الإقدام على استباحة الدماء

ذكر الطبري:

«وَجَاءَ حَنْظَلَةُ بْنُ أَسْعَدَ الشَّبَامِيُّ، فَقَامَ بَيْنَ يَدَيِ حُسَيْنٍ، فَأَخَذَ يُنَادِي: ﴿يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ * مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَنَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ * وَيَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّادِ * يَوْمَ تُولُونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ لَمْ يَهْدِ *﴾^(١)، يَا قَوْمِ، تَقْتُلُوا حُسَيْنًا فَيَسْحَتِكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ * وَقَدْ خَابَ مِنْ أَفْتَرَى *﴾^(٢)، فَقَالَ لَهُ حُسَيْنٌ: يَا بْنَ أَسْعَدَ، رَحِمَكَ اللَّهُ، إِيَّاهُمْ قَدْ اسْتَوْجَبُوا الْعَذَابَ حِينَ رَدُّوا عَلَيْكَ مَا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ، وَنَهَضُوا إِلَيْكَ لِيَسْتَبِيحُوكَ وَأَصْحَابَكَ، فَكَيْفَ بِهِمُ الْآنَ وَقَدْ قَتَلُوا إِخْوَانَكَ الصَّالِحِينَ؟! قَالَ: صَدَقْتَ جَعَلْتُ فِدَاكَ، أَنْتَ أَفْقَهُ مِنِّي وَأَحَقُّ بِدَلِّكَ، أَفَلَا تَرْوِحُ إِلَى الْآخِرَةِ وَنَلْحَقُ بِإِخْوَانِنَا؟! فَقَالَ: رُحْ إِلَى خَيْرٍ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَإِلَى مُلْكٍ لَا يَبُلُّ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أبا عَبْدِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ، وَعَرَّفَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ فِي جَنَّتِهِ، فَقَالَ: آمِينَ آمِينَ، فَاسْتَقْدَمَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ *﴾^(٣).

يتضح من المضمون الدلالي لهذا الكلام أن أولئك الذين ردوا دعوة الإمام عليه السلام لهم إلى اتباع الحق لا يجدون حرجاً في أن يقدموا على استباحة دماء أولياء الله وعباده الصالحين.

يقول الله العزيز في كتابه الكريم:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بَعِيرَ حَقِّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٤).

(١) سورة غافر، آية ٣٠-٣٣.

(٢) سورة طه، آية ٦١.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٤٤٣.

(٤) سورة آل عمران، آية ٢١.

ب) أسباب الكفر

حينما تلقي نظرة متأمله على الأحاديث المروية عن سيّد الشهداء عليه السلام ندرك بشكل واضح أنّ للكفر أسباباً وعوامل، من بينها:

١. العداة لأهل البيت عليهم السلام

قال الخوارزمي:

«ثُمَّ إِنَّهُ عليه السلام دَعَا النَّاسَ إِلَى الْبِرَازِ، فَلَمْ يَزَلْ يَقْتُلُ كُلَّ مَنْ دَنَا إِلَيْهِ مِنْ عُيُونِ الرَّجَالِ، حَتَّى قَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً، فَحَالُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَحْلِهِ، فَصَاحَ بِهِمْ: وَيَحْكُمُ يَا شِيعَةَ آلِ أَبِي سُفْيَانَ، إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ دِينٌ وَكُنْتُمْ لَا تَخَافُونَ الْمَعَادَ فَكُونُوا أَحْرَاراً فِي دُنْيَاكُمْ هَذِهِ، وَارْجِعُوا إِلَى أَحْسَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَرَباً كَمَا تَزْعُمُونَ»^(١).

يبدو من خلال التركيز على الكلمات التي خاطب بها الإمام عليه السلام شيعة آل أبي سفيان والتي تضمّنت فراغهم عن الدين وعدم خوفهم من المعاد أنّ الاعتقاد بالمعاد يعدّ ركناً من أركان الدين، ومن أنكر ركناً منها صار في زمرة الكافرين، وبناء عليه فإنّ من عادى الإمام الحسين عليه السلام وقاتله عدّ كافراً.

روي عن الإمام الحسين عليه السلام أنّه قال:

«أَنَا قَتِيلُ الْعَبْرَةِ لَا يَدْكُرُنِي مُؤْمِنٌ إِلَّا بَكَى»^(٢).

(١) أخطب خوارزم، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام، ج ٢، ص ٣٨.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات، ص ١٠٨-١٠٩، حديث ٦.

يشير مفهوم هذه الجملة إلى أن أعداء الإمام الحسين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام ليسوا بمؤمنين.

عن الإمام علي عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:
«يَقْتُلُ الْحَسَيْنَ سُرَّ الْأُمَّةِ، وَيَتَبَرَّأُ مِنْ وُلْدِهِ مَنْ يَكْفُرُ بِِي»^(١).

روى محمد بن مسلم عن الإمام الباقر عليه السلام قوله:

«إِنَّ رَجُلًا مِنْ هَذِيلٍ كَانَ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَامَ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَا: نَحْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَانْطَلَقَا حَتَّى آتَيَا عَرَبَةَ فَسَأَلَا عَنْهُ فَإِذَا هُوَ يَتَلَقَى عَنْمَهُ فَلَحِقَاهُ بَيْنَ أَهْلِهِ وَعَنْمِهِ فَلَمَ يُسَلِّمًا عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتُمَا؟ وَمَا اسْمُكُمَا؟ فَقَالَا لَهُ: أَنْتَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَتَزَلَا وَضَرَبَا عُنُقَهُ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ: فَقُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا الْآنَ سَبَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيَقْتُلُ؟ قَالَ: إِنْ لَمْ تَخَفْ عَلَى نَفْسِكَ فَأَقْتُلْهُ»^(٢).

عن هشام بن سالم عن الإمام الصادق عليه السلام:

«أَنَّهُ سَأَلَ عَمَّنْ شَتَمَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَقْتُلُهُ الْأَذْنَى فَالْأَذْنَى قَبْلَ أَنْ يَرْفَعَهُ إِلَى الْإِمَامِ»^(٣).

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«أَخْبَرَنِي أَبِي عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [إِنَّ] النَّاسَ فِي أَسْوَأِ سَوَاءٍ، مَنْ سَمِعَ أَحَدًا يَذْكُرُنِي فَالْوَاجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَقْتُلَ مَنْ شَتَمَنِي وَلَا يُرْفَعُ إِلَى السُّلْطَانِ، وَالْوَاجِبُ عَلَى السُّلْطَانِ إِذَا رُفِعَ إِلَيْهِ أَنْ يَقْتُلَ مَنْ نَالَ مِنِّي»^(٤).

(١) ابن بابويه، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٦٤، حديث ٢٧٧.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٧، ص ٢٦٧، حديث ٣٣.

(٣) المصدر السابق، ج ٧، ص ٢٥٩، حديث ٢١.

(٤) المصدر السابق، ج ٧، ص ٢٦٧، حديث ٣٢.

روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال:

«إِنَّ يَهُودِيَّةً كَانَتْ تَشْتُمُ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَتَقَعُ فِيهِ، فَخَنَقَهَا رَجُلٌ حَتَّى مَاتَتْ، فَأَبْطَلَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) دَمَهَا»^(١).

نقل الحاكم النيسابوري بسنده عن عبد الله بن عباس قال:

«كَانَتْ أُمُّ وَلَدٍ لِرَجُلٍ كَانَ لَهُ مِنْهَا ابْنَانِ مِثْلُ اللَّؤْلُؤَتَيْنِ، وَكَانَتْ تَشْتُمُ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَيَتَهَاها وَلَا تَنْتَهِي وَيَزْجُرُهَا وَلَا تَنْزَجُرُ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ ذَكَرَتْ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَمَا صَبَرَ أَنْ قَامَ إِلَى مِعْوَلٍ فَوَضَعَهَا فِي بَطْنِهَا، ثُمَّ اتَّكَأَ عَلَيْهَا حَتَّى أَنْفَذَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): أَشْهَدُ أَنَّ دَمَهَا هَدْرٌ»^(٢).

روى ابن حزم بسنده قال:

«كَانَ رَجُلٌ يَشْتُمُ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): مَنْ يَكْفِينِي عَدُوًّا لِي؟ فَقَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ: أَنَا، فَبَعَثَهُ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إِلَيْهِ فَقَتَلَهُ»^(٣).

نقل الحاكم النيسابوري بسنده عن أبي برزة الأسلمي أنه قال:

«أَعْلَظَ رَجُلٌ لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه فَقُلْتُ: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ، أَلَا أَفْتُهُ؟ فَقَالَ: لَيْسَ هَذَا إِلَّا لِمَنْ شَتَمَ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)»^(٤).

(١) أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، ج ٤، ص ١٢٩، حديث ٤٣٦٢.
 (٢) الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، المستدرک علی الصحیحین، ج ٤، ص ٣٩٤، حديث ٨٠٤٤.
 (٣) ابن حزم، علي بن أحمد، المحلى بالآثار، ج ١٢، ص ٤٣٧.
 (٤) الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، المستدرک علی الصحیحین، ج ٤، ص ٣٩٥، حديث ٨٠٤٦.

نقل عن أبي هريرة قال:

«لَا يُقْتَلُ أَحَدٌ بِسَبِّ أَحَدٍ إِلَّا بِسَبِّ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)»^(١).

٢. الاعتقاد بالتشبيه

نقل ابن شعبة الحرّاني في «تحف العقول» عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال:

«أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا هَؤُلَاءِ الْمَارِقَةَ الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ اللَّهَ بِأَنْفُسِهِمْ، يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، بَلْ هُوَ اللَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ»^(٢).

من المضمون الدلالي لهذا الكلام يتبين أنّ للخروج عن الدين أسباباً وعوامل عديدة، من جعلتها تشبيهه الله سبحانه بالخلق مثلما فعل أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

يقول سبحانه وتعالى:

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَالَتْهُمْ إِنَّهُنَّ يُؤْفَكُونَ ﴾^(٣).

عن الإمام الرضا عليه السلام:

«مَنْ وَصَفَ اللَّهَ بِوَجْهِ كَالْوُجُوهِ فَقَدْ كَفَرَ»^(٤).

(١) البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، ج ٧، ص ٩٧، حديث ١٣٣٧٨.

(٢) ابن شعبة، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليهم)، ص ٢٤٤.

(٣) سورة التوبة، آية ٣٠.

(٤) ابن بابويه، محمد بن علي، التوحيد، ص ١١٧، حديث ٢١.

٣. عدم الإيمان بقضاء الله وقدره

عن الإمام الرضا عليه السلام قال:

«كَتَبَ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيُّ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام يَسْأَلُهُ عَنِ الْقَدْرِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: اتَّبِعْ مَا شَرَحْتُ لَكَ فِي الْقَدْرِ مِمَّا أَفْضَى إِلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، فَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْقَدْرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ فَقَدْ كَفَرَ...»^(١).

هناك حقيقة تشير إليها جملة «مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْقَدْرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ فَقَدْ كَفَرَ» وهي أنّ من أسباب وعوامل الكفر عدم الإيمان بالقدر الإلهي خيراً كان أم شراً.

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ الله سبحانه قال:

«مَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضَائِي وَلَمْ يُؤْمِنْ بِقَدْرِي فَلْيَلْتِمِسْ إِيَّاهَا غَيْرِي»^(٢).

قال الإمام علي عليه السلام:

«مَنْ لَمْ يَرْضَ بِالْقَضَاءِ دَخَلَ الْكُفْرَ دِينَهُ»^(٣).

٤. محاربة الدين

قال البلاذري في أنساب الأشراف:

«وَكَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام: أَمَا بَعْدُ، فَقَدْ أَنْتَهتْ إِلَيَّ عَنْكَ أُمُورٌ أَرَعْبُ بِكَ عَنْهَا، فَإِنْ كَانَتْ حَقًّا لَمْ أَقَارِكْ عَلَيْهَا، وَلَعَمْرِي إِنْ مَنْ أَعْطَى صَفْقَةً يَمِينَهُ وَعَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ لِحَرِيٍّ بِالْوَفَاءِ، وَإِنْ كَانَتْ بَاطِلًا فَأَنْتَ أَسْعُدُ النَّاسَ بِذَلِكَ، وَبِحِظِّ نَفْسِكَ تَبْدَأُ، وَبِعَهْدِ اللَّهِ تُوفِي، فَلَا تَحْمِلْنِي عَلَى قَطِيعَتِكَ وَالْإِسَاءَةِ بِكَ، فَإِنِّي مَتَى أَنْكَرَكَ تُنْكَرْنِي، وَمَتَى تَكْذِبْنِي أَكْذِبُكَ، فَاتَّقِ شَقَّ عَصَا هَذِهِ الْأُمَّةِ وَأَنْ يَرْجِعُوا عَلَى يَدِكَ إِلَى الْفِتْنَةِ،

(١) الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام، ص ٤٠٨-٤٠٩.

(٢) ابن بابويه، محمد بن علي، التوحيد، ص ٣٧١، حديث ١١.

(٣) الأمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٦٥٠-٦٥١، حديث ١٣٠٦.

فَقَدْ جَرَّبْتَ النَّاسَ وَبَلَوْتَهُمْ، وَأَبُوكَ كَانَ أَفْضَلَ مِنْكَ، وَقَدْ كَانَ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ رَأْيُ الَّذِينَ يُلُودُونَ بِكَ، وَلَا أَظُنُّهُ يَصْلُحُ لَكَ مِنْهُمْ مَا كَانَ فَسَدَ عَلَيْهِ، فَانظُرْ لِنَفْسِكَ وَدِينِكَ ﴿١﴾ وَلَا يَسْتَحْفَنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقُونَ ﴿١﴾.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحُسَيْنُ: أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ تَذَكُّرٌ أَنَّهُ بَلَغَتْكَ عَنِّي أُمُورٌ تَرَعَبُ عَنْهَا، فَإِنْ كَانَتْ حَقًّا لَمْ تُفَارِنِي عَلَيْهَا، وَلَنْ يَهْدِيَ إِلَى الْحَسَنَاتِ وَيُسَدِّدَ لَهَا إِلَّا اللَّهُ. فَأَمَّا مَا نُمِّيَ إِلَيْكَ فَإِنَّهَا رَفَاهُ الْمَلَأُونَ الْمَشَاوُونَ بِالنَّهَائِمِ، الْمَفْرُقُونَ بَيْنَ الْجَمِيعِ، وَمَا أُرِيدُ حَرْبًا لَكَ وَلَا خِلَافًا عَلَيْكَ، وَأَيْمُ اللَّهِ لَقَدْ تَرَكْتُ ذَلِكَ وَأَنَا أَخَافُ اللَّهَ فِي تَرْكِهِ، وَمَا أَظُنُّ اللَّهَ رَاضِيًا عَنِّي بِتَرْكِكَ مُحَاكِمَتِكَ إِلَيْهِ، وَلَا عَازِرِي دُونَ الْأَعْدَارِ إِلَيْهِ فِيكَ وَفِي أَوْلِيَائِكَ الْقَاسِطِينَ الْمَلْحِدِينَ، حِزْبِ الظَّالِمِينَ وَأَوْلِيَائِهِ الشَّيَاطِينِ، أَلَسْتَ قَاتِلَ حُجْرِ بْنِ عَدِيٍّ وَأَصْحَابِهِ الْمَصْلِينَ الْعَابِدِينَ، الَّذِينَ يُنْكِرُونَ الظُّلْمَ وَيَسْتَعْظِمُونَ الْبِدْعَ وَلَا يَخَافُونَ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا بَعْدَ إِعْطَائِهِمُ الْأَمَانَ بِالْمَوَائِقِ وَالْأَيْمَانَ الْمَغْلَظَةِ؟! أَوَلَسْتَ قَاتِلَ عَمْرِو بْنِ الْحَمِقِ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، الَّذِي أَبْلَتْهُ الْعِبَادَةُ وَصَفَّرَتْ لَوْنَهُ وَأَنْحَلَتْ جِسْمَهُ؟! أَوَلَسْتَ الْمَدْعَى زِيَادَ بْنَ سُمَيَّةَ الْمُؤَلَّدَ عَلَى فِرَاشِ عُبَيْدِ عَبْدِ نَقِيفٍ، وَزَعَمْتَ أَنَّهُ ابْنُ أَبِيكَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ)، فَتَرَكْتَ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَخَالَفْتَ أَمْرَهُ مُتَعَمِّدًا، وَاتَّبَعْتَ هَوَاكَ مُكَذِّبًا بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ، ثُمَّ سَلَطْتَهُ عَلَى الْعِرَاقِ فَقَطَعَ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ وَسَمَلَ أَعْيُنَهُمْ وَصَلَبَهُمْ عَلَى جُدُوعِ النَّخْلِ، كَأَنَّكَ لَسْتَ مِنَ الْأُمَّةِ وَكَأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْكَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ أَحَقَّ بِقَوْمٍ نَسَبًا لَيْسَ لَهُمْ فَهُوَ مَلْعُونٌ)؟! أَوَلَسْتَ صَاحِبَ الْحَضْرَمِيِّينَ الَّذِينَ كَتَبَ إِلَيْكَ ابْنُ سُمَيَّةَ أَنَّهُمْ عَلَى دِينِ عَلِيٍّ، فَكَتَبْتَ إِلَيْهِ: أَقْتُلْ مَنْ كَانَ عَلَى دِينِ عَلِيٍّ وَرَأْيِهِ، فَقَتَلْتَهُمْ وَمَثَلَ بِهِمْ بِأَمْرِكَ؟! وَدِينُ

عَلِيَّ دِينَ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الَّذِي كَانَ يَضْرِبُ عَلَيْهِ أَبَاكَ، وَالَّذِي انْتَحَالَكَ
 إِيَّاهُ أَجْلَسَكَ مَجْلِسَكَ هَذَا، وَلَوْلَا هُوَ كَانَ أَفْضَلُ شَرَفِكَ تَجَشَّمِ الرَّحْلَتَيْنِ فِي طَلَبِ
 الخُمُورِ. وَقُلْتَ: انْظُرْ لِنَفْسِكَ وَدِينِكَ وَالْأُمَّةِ، وَاتَّقِ شَقَّ عَصَا الْأَلْفَةِ، وَأَنْ تَرُدَّ النَّاسَ إِلَى
 الْفِتْنَةِ، فَلَا أَعْلَمُ فِتْنَةً عَلَى الْأُمَّةِ أَعْظَمَ مِنْ وِلَايَتِكَ عَلَيْهَا، وَلَا أَعْلَمُ نَظْرًا لِنَفْسِي وَدِينِي
 أَفْضَلَ مِنْ جِهَادِكَ، فَإِنْ أَفَعَلَهُ فَهُوَ قُرْبَةٌ إِلَى رَبِّي، وَإِنْ أَتْرَكْتَهُ فَذَنْبٌ أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْهُ فِي
 كَثِيرٍ مِنْ تَقْصِيرِي، وَأَسْأَلُ اللهَ تَوْفِيقِي لِأَرْشِدِ أُمُورِي. وَأَمَّا كَيْدُكَ إِيَّايَ، فَلَيْسَ يَكُونُ
 عَلَى أَحَدٍ أَضَرَّ مِنْهُ عَلَيْكَ، كَفِعْلِكَ بِهَؤُلَاءِ النَّفَرِ الَّذِينَ قَتَلْتَهُمْ وَمَثَلْتَ بِهِمْ بَعْدَ الصُّلْحِ
 مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا قَاتِلُوكَ وَلَا نَقَضُوا عَهْدَكَ، إِلَّا مَخَافَةَ أَمْرٍ لَوْ لَمْ تَقْتُلْتَهُمْ مِتَّ قَبْلَ أَنْ
 يَفْعَلُوهُ، أَوْ مَاتُوا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكُوهُ. فَأَبْتِرْ يَا مُعَاوِيَةُ بِالْقِصَاصِ، وَأَيِّقِنِ بِالْحَسَابِ، وَاعْلَمْ
 أَنَّ اللهَ كِتَابًا لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا، وَلَيْسَ اللهُ بِنَاسٍ لَكَ أَخَذَكَ بِالظَّنَّةِ،
 وَقَتَلَكَ أَوْلِيَاءَهُ عَلَى الشُّبْهَةِ وَالتَّهْمَةِ، وَأَخَذَكَ النَّاسَ بِالْبَيْعَةِ لِابْنِكَ غُلَامٍ سَفِيهِ يَشْرَبُ
 الشَّرَابَ وَيَلْعَبُ بِالْكَلَابِ، وَلَا أَعْلَمُكَ إِلَّا خَسِرْتَ نَفْسَكَ وَأَوْبَقْتَ دِينَكَ وَأَكَلْتَ
 أَمَانَتَكَ وَغَشَشْتَ رَعِيَّتَكَ وَتَبَوَّأْتَ مَقْعَدَكَ مِنَ النَّارِ، فَ﴿بَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(١)»^(٢).

من المعطيات التي تتحصّل من خطاب الإمام عليّ لعواوية بقوله: «وَأَوْبَقْتَ
 دِينَكَ» مفرّعاً ذلك على جرائم معاوية التي قام بارتكابها أنّ هناك أموراً تؤدّي إلى
 ضياع دين الإنسان، ومحاربة الدين واحدة منها، حيث ارتكزت سيرة معاوية على
 ذلك؛ لهذا روي عن النبي ﷺ أنه قال:

«أَوَّلُ مَنْ يُغَيِّرُ سُنَّتِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ»^(٣).

(١) سورة هود، آية ٤٤.

(٢) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ١٢٨-١٣٠.

(٣) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، ج ٨، ص ٢٣١.

٥. ظلم الناس

يتبين من الحديث أعلاه أيضاً أنّ ظلم الناس واحد من العوامل المؤدية للكفر، كما جرى عليه معاوية واستقرت عليه سيرته.

روي عن الإمام الحسين عليه السلام قوله في إحدى خطبه:

«مَجَارِي الْأُمُورِ وَالْأَحْكَامِ عَلَى أَيْدِي الْعُلَمَاءِ بِاللهِ الْأَمْنَاءِ عَلَى حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، فَأَنْتُمْ الْمَسْلُوبُونَ تِلْكَ الْمَنْزِلَةَ، وَمَا سُلِيتُمْ ذَلِكَ إِلَّا بِتَقَرُّفِكُمْ عَنِ الْحَقِّ وَاخْتِلَافِكُمْ فِي السُّنَّةِ بَعْدَ الْبَيْتَةِ الْوَاضِحَةِ، وَلَوْ صَبَرْتُمْ عَلَى الْأَذَى وَتَحَمَّلْتُمُ الْمُؤَنَّةَ فِي ذَاتِ اللهِ كَانَتْ أُمُورُ اللهِ عَلَيْكُمْ تَرْدٌ وَعَنْكُمْ تَصَدُّرٌ وَإِلَيْكُمْ تَرْجِعُ، وَلَكِنَّكُمْ مَكَّنْتُمُ الظَّلْمَةَ مِنْ مَنْزِلَتِكُمْ وَاسْتَسَلَّمْتُمْ أُمُورَ اللهِ فِي أَيْدِيهِمْ، يَعْمَلُونَ بِالشُّبُهَاتِ وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ، سَلَطَهُمْ عَلَى ذَلِكَ فِرَارُكُمْ مِنَ الْمَوْتِ وَإِعْجَابُكُمْ بِالحَيَاةِ الَّتِي هِيَ مُفَارِقَتُكُمْ، فَأَسَلَّمْتُمُ الضُّعْفَاءَ فِي أَيْدِيهِمْ فَمَنْ بَيْنَ مُسْتَعْبِدٍ مَقْهُورٍ وَبَيْنَ مُسْتَضْعَفٍ عَلَى مَعِيشَتِهِ مَغْلُوبٍ، يَتَقَلَّبُونَ فِي الْمَلِكِ بَارَائِهِمْ وَيَسْتَشْعِرُونَ الْخِزْيَ بِأَهْوَائِهِمْ اقْتِدَاءً بِالْأَشْرَارِ وَجُرْأَةً عَلَى الْجَبَّارِ، فِي كُلِّ بَلَدٍ مِنْهُمْ عَلَى مِنْبَرِهِ خَطِيبٌ يَضْعَعُ، فَالْأَرْضُ لَهُمْ شَاغِرَةٌ وَأَيْدِيهِمْ فِيهَا مَبْسُوطَةٌ وَالنَّاسُ لَهُمْ خَوْلاً لَا يَدْفَعُونَ يَدَ لَامِسٍ، فَمَنْ بَيْنَ جَبَّارٍ عَنِيدٍ وَذِي سَطْوَةٍ عَلَى الضَّعْفَةِ شَدِيدٍ، مُطَاعٌ لَا يَعْرِفُ الْمُبْدِئَ الْمَعِيدَ»^(١).

يبدو من عبارة «مُطَاعٌ لَا يَعْرِفُ الْمُبْدِئَ الْمَعِيدَ» وسياقها أنّ الظلم مؤثر في إنكار المبدأ والمعاد كما أنّ إنكار المبدأ والمعاد هو الآخر مؤثر في ظلم الناس.

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله في إحدى خطبه:

«وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضَلَّ بِهِ، فَأَمَاتَ سُنَّةَ مَأْخُودَةٍ وَأَخْبَى بِدْعَةَ مَثْرُوكَةٍ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالإِمَامِ الْجَائِرِ وَلَيْسَ

(١) ابن شعبة، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليهم)، ص ٣٣٨-٣٣٩.

مَعَهُ نَصِيرٌ وَلَا عَاذِرٌ فَيُلْقَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُدْوَرُ فِيهَا كَمَا تَدْوَرُ الرَّحَى، ثُمَّ يَرْتَبُطُ فِي قَعْرِهَا»^(١).

٦. الخروج على الإمام

ذكر الخوارزمي الحنفي في كتابه:

«فَتَقَدَّمَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى وَقَفَ قُبَالَهَ الْقَوْمِ، وَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى صُفُوفِهِمْ كَأَنَّهَا السَّيْلُ، وَنَظَرَ إِلَى ابْنِ سَعْدٍ وَاقِفًا فِي صِنَادِيدِ الْكُوفَةِ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الدُّنْيَا، فَجَعَلَهَا دَارَ فِتْنَةٍ وَزَوَالٍ، مُتَصَرِّفَةً بِأَهْلِهَا حَالًا بَعْدَ حَالٍ، فَاَلْمَعْرُورُ مَنْ عَرَّتَهُ، وَالشَّقِيُّ مَنْ فِتَنَتْهُ، فَلَا تَغُرَّنَكُمُ هَذِهِ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا تَقْطَعُ رَجَاءَ مَنْ رَكَنَ إِلَيْهَا، وَتُحْيِبُ طَمَعَ مَنْ طَمَعَ فِيهَا، وَأَرَاكُم قَدْ اجْتَمَعْتُمْ عَلَى أَمْرٍ قَدْ أَسَخَطْتُمْ اللَّهَ فِيهِ عَلَيْكُمْ، فَأَعْرَضَ بِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ عَنْكُمْ، وَأَحَلَّ بِكُمْ نِقْمَتَهُ، وَجَنَّبَكُمْ رَحْمَتَهُ، فَنِعْمَ الرَّبُّ رَبَّنَا، وَبِئْسَ الْعَبِيدُ أَنْتُمْ، أَفَرَزْتُمْ بِالطَّاعَةِ، وَأَمْتَمْتُمْ بِالرَّسُولِ مُحَمَّدٍ، ثُمَّ إِنَّكُمْ زَحَفْتُمْ إِلَى دُرَيْتِهِ تُرِيدُونَ قَتْلَهُمْ، لَقَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْكُمُ الشَّيْطَانُ فَانْسَاكُمُ ذَكَرَ اللَّهُ الْعَظِيمِ، فَتَبَّ لَكُمْ وَمَا تُرِيدُونَ، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ، هُوَ لَاءِ قَوْمٍ كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ، فُبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ»^(٢).

يتضح من المضمون الدلالي لقوله عليه السلام: «هُوَ لَاءِ قَوْمٍ كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ» أن الخروج على الإمام عليه السلام من عوامل الكفر ومسيباته؛ لأن قتل الإمام عليه السلام يصاحب الخروج عليه عادة.

فقد وجه الإمام الحسين عليه السلام كلامه في إحدى خطبه لمعسكر ابن سعد قائلاً:

«أَيُّهَا النَّاسُ، إِسْمَعُوا قَوْلِي، وَلَا تُعْجِلُونِي حَتَّى أَعْظِمَكُمْ بِمَا لِحَقَّ لَكُمْ عَلَيَّ، وَحَتَّى أَعْتَدَرَ إِلَيْكُمْ مِنْ مَقْدَمِي عَلَيْكُمْ، فَإِنْ قَبِلْتُمْ عُذْرِي، وَصَدَّقْتُمْ قَوْلِي، وَأَعْطَيْتُمُونِي

(١) نهج البلاغة، خطبة ١٦٤.

(٢) أخطب خوارزم، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام، ج ١، ص ٣٥٧.

النَّصَفَ، كُتِّمْتُمْ بِذَلِكَ أَسْعَدَ، وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ عَلَيَّ سَبِيلٌ، وَإِنْ لَمْ تَقْبَلُوا مِنِّي الْعُذْرَ، وَلَمْ تَعْطُوا النَّصَفَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴿فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُون﴾^(١)، ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ تَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾^(٢)»^(٣).

فلو لاحظنا مخاطبة الإمام عليه السلام لمن حضر في معسكر عمر بن سعد بكلمة «الناس» ولم يصفهم بـ«المسلمين» أو «المؤمنين» لعرفنا أن الوجه في ذلك أنهم قد انحرفوا عن الدين والإسلام بخروجهم على إمامهم وعن يعقوبي:

«قَالَ مُعَاوِيَةُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، عَلِمْتَ أَنَا قَتَلْنَا شِيعَةَ أَبِيكَ، فَحَنَطْنَاهُمْ وَكَفَّنَّاهُمْ وَصَلَّيْنَا عَلَيْهِمْ وَدَفَنَّاهُمْ؟

فَقَالَ الْحَسِينُ: حَجْرُكَ [حَجَبْتُكَ] وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، لَكِنَّا وَاللَّهِ إِن قَتَلْنَا شِيعَتَكَ مَا كَفَّنَّاهُمْ وَلَا حَنَطْنَاهُمْ وَلَا صَلَّيْنَا عَلَيْهِمْ وَلَا دَفَنَّاهُمْ»^(٤).

من الطريقة التي جابه بها الإمام عليه السلام معاوية والوصف الذي وصف شيعة به يتبين أن الخروج على الإمام بالحق من أسباب الكفر ودواعيه، وخير دليل أنهم لو لم يكونوا كذلك للزم تجهيزهم والصلاة عليهم ودفنهم.

ويؤيده ما في الزيارة الجامعة الكبيرة، حينما نخطب الأئمة عليهم السلام:

«وَمَنْ حَارَبَكُمْ مُشْرِكًا، وَمَنْ رَدَّ عَلَيْكُمْ فِي أَسْفَلِ دَرَكٍ مِنَ الْجَحِيمِ»^(٥).

(١) سورة يونس، آية ٧١.

(٢) سورة الأعراف، آية ١٩٦.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٤٢٤.

(٤) يعقوبي، أحمد بن إسحاق، تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ٢٣١.

(٥) ابن بابويه، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٦١٣.

٧- قتل الإمام

نقل ابن شهر آشوب أنّ الإمام الحسين عليه السلام أنشد يوم عاشوراء آياتاً شعرية كان منها:

كَفَرَ الْقَوْمُ وَقَدْ مَأْرَغِبُوا عَنْ ثَوَابِ اللَّهِ رَبِّ الثَّقَلَيْنِ^(١)

ويدلنا هذا البيت على أنّ قتل الإمام يعدّ كفراً؛ ذلك أنّ الإمام قد أنشده يوم عاشوراء.

ونقل السيّد ابن طاووس في اللهوف:

«... فَأَقْتُلُوا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ حَمَلَةً وَحَمَلَةً حَتَّى قُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ الْحَسَنِ عليه السلام جَمَاعَةً.»

قَالَ: فَعِنْدَهَا ضَرَبَ الْحَسِينَ عليه السلام بِيَدِهِ إِلَى حَيِّتِهِ وَجَعَلَ يَقُولُ: اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْيَهُودِ إِذْ جَعَلُوا لَهُ وَلَدًا، وَاشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى النَّصَارَى إِذْ جَعَلُوهُ ثَالِثَ ثَلَاثَةٍ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَى الْمَجُوسِ إِذْ عَبَدُوا الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دُونَهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَى قَوْمٍ اتَّفَقَتْ كَلِمَتُهُمْ عَلَى قَتْلِ ابْنِ بَنَاتِ نَبِيِّهِمْ، أَمَا وَاللَّهِ لَا أُجِيبُهُمْ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا يُرِيدُونَ حَتَّى أَلْقَى اللَّهُ وَأَنَا مُحَضَّبٌ بِدَمِي^(٢).

فيما أنّه عليه السلام جعل من اشتركوا بقتله في مصاف المجوس والنصارى واليهود، ولا يخفى أنّهم مشركون وكفرة يستنتج منه أنّ قتل الإمام وولي الله بحكم الكفر بالله سبحانه.

قال القندوزي الحنفي:

«نَمَّ حَمَلٌ عَلَى الْقَوْمِ حَمَلَةً شَدِيدَةً فَكَشَفَهُمْ عَنِ الْمَشْرَعَةِ، فَأَرْسَلَ زَمَامَ فَرَسِهِ»

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، ج ٤، ص ٧٩.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف، ص ٦٠-٦١.

لِيَشْرَبَ، فَصَبَرَ حَتَّى يَشْرَبَ، وَمَدَّ يَدَهُ إِلَى الْمَاءِ وَعَرَفَ عُزْفَةَ لِيَشْرَبَهَا، وَيَحْمِلُ إِلَى نِسَائِهِ
 مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا صَائِحٌ يَقُولُ: يَا حُسَيْنُ، أَدْرِكْ خَيْمَةَ النِّسَاءِ فَإِنَّهَا هَتَكَتْ، فَتَفَضَّ الْمَاءَ مِنْ
 يَدِهِ وَأَقْبَلَ إِلَى الْخَيْمَةِ فَوَجَدَهَا سَالِمَةً، فَعَلِمَ أَنَّهَا مَكِيدَةٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَأَنْشَأَ عِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ:
 فَإِنْ تَكُنِ الدُّنْيَا تُعَدُّ نَفِيسَةً فَإِنَّ ثَوَابَ اللَّهِ أَعْلَى وَأَجْرَ لُ
 وَإِنْ تَكُنِ الْأَرْزَاقُ قِسْمًا مُقَدَّرًا فَقَلَّةُ سَعْيِ الْمَرْءِ فِي الرِّزْقِ أَجْمَلُ
 وَإِنْ تَكُنِ الْأَمْوَالُ لِلتَّرْكِ جَمْعُهَا فَمَا بَالُ مَتْرُوكٍ بِهِ الْمَرْءُ يَبْخَلُ
 وَإِنْ تَكُنِ الْأَجْسَادُ لِلْمَوْتِ أَنْشِئَتْ فَكَيْفَ الْقَتْلِ بِالسَّيْفِ فِي اللَّهِ أَفْضَلُ
 عَلَيْكُمْ سَلَامُ اللَّهِ يَا آلَ أَحْمَدَ فَإِنِّي أَرَانِي عَنكُمْ الْيَوْمَ أَرْحَلُ
 أَرَى كُلَّ مُلْعُونٍ ظَلَمَ مَنَافِقٍ يَرُومُ فَنَانًا جَهْرَةً ثُمَّ يَعْمَلُ
 لَقَدْ كَفَرُوا يَا وَيْلَهُمْ بِمُحَمَّدٍ وَرَبُّهُمْ مَا شَاءَ فِي الْخَلْقِ يَفْعَلُ
 لَقَدْ غَرَّهُمْ حِلْمُ الْإِلَهِ لِأَنَّهُ حَلِيمٌ كَرِيمٌ لَمْ يَكُنْ قَطُّ يَعْجَلُ

ثُمَّ حَمَلَ عَلَى الْقَوْمِ وَجَعَلَ يَضْرِبُهُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا حَتَّى قَتَلَ مِنَ الْقَوْمِ خَلْقًا كَثِيرًا^(١).

حيث يتضح من البيت السادس والسابع أن الإقدام على قتل أولياء الله سبحانه من عوامل وأسباب الكفر برسول الله صلوات الله عليه وآله.

يقول رب العزة والجلالة:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا
 وَرَاءَهُ. وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ إِنْ كُنْتُمْ
 مُؤْمِنِينَ^(٢).﴾

(١) القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة لذوي القربى، ج ٣، ص ٨١.

(٢) سورة البقرة، آية ٩١.

٨- محاربة الإمام بالحق

لقد ذكر ابن أعثم في الفتوح:

«قَالَ: وَأَرْسَلَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ أَنْ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ، فَالْقَنِي إِذَا شِئْتَ حَتَّى أُخْبِرَكَ.

قَالَ: فَخَرَجَ إِلَيْهِ الْحُسَيْنُ حَتَّى وَاقَفَهُ وَظَنَّ أَنَّهُ يُرِيدُ حَرْبَهُ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: إِنِّي لَمْ أَدْعُكَ إِلَى الْحَرْبِ، وَلَكِنْ اسْمَعْ مِنِّي، فَإِنَّهَا نَصِيحَةٌ لَكَ، فَقَالَ الْحُسَيْنُ: قُلْ مَا تَشَاءُ، فَقَالَ: اعْلَمْ أَنَّ أَبَاكَ قَدْ وَتَرَ قُرَيْشًا، وَقَدْ بَغَضَهُ النَّاسُ وَذَكَرُوا أَنَّهُ هُوَ الَّذِي قَتَلَ عُثْمَانَ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَخْلَعَهُ وَتُخَالِفَ عَلَيْهِ حَتَّى تُؤَلِّكَ هَذَا الْأَمْرَ؟!

فَقَالَ الْحُسَيْنُ: كَلَّا وَاللَّهِ، لَا أَكْفُرُ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَبِوَصِيِّ رَسُولِ اللَّهِ، اخْسَ وَيْلَكَ مِنْ شَيْطَانٍ مَارِدٍ، فَلَقَدْ زَيَّنَ لَكَ الشَّيْطَانُ سُوءَ عَمَلِكَ، فَخَدَعَكَ حَتَّى أَخْرَجَكَ مِنْ دِينِكَ بِاتِّبَاعِ الْقَاسِطِينَ وَنُصْرَةِ هَذَا الْمَارِقِ مِنَ الدِّينِ، لَمْ يَزَلْ هُوَ وَأَبُوهُ حَرَبِينَ وَعَدَوَيْنِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، فَوَاللَّهِ مَا أَسْلَمْنَا، وَلَكِنَّهُمَا اسْتَسَلَمَا خَوْفًا وَطَمَعًا، فَأَنْتَ الْيَوْمَ تُقَاتِلُ عَنْ غَيْرِ مُتَدَمِّمٍ، ثُمَّ تَخْرُجُ إِلَى الْحَرْبِ مُتَخَلِّقًا لِتُرَائِي بِذَلِكَ نِسَاءَ أَهْلِ الشَّامِ، ارْتَعَ قَلِيلًا، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَقْتُلَكَ اللَّهُ جُرْعًا سَرِيعًا.

قَالَ: فَضَحِكَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ: إِنِّي أَرَدْتُ خَدِيعَةَ الْحُسَيْنِ وَقُلْتُ لَهُ: كَذًا وَكَذًا، فَلَمْ أَطْمَعْ فِي خَدِيعَتِهِ.

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: إِنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ لَا يُخَدَعُ وَهُوَ ابْنُ أَبِيهِ»^(١).

عند التأمل بالردّ الحاد للإمام عليه السلام على اقتراح ابن عمر يتبين لنا بصورة واضحة ما تقود إليه مخالفة الإمام بالحق كأمر المؤمنين عليه السلام من انطباق حكم الكفر بالله ورسوله على المخالف.

(١) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح، ج ٣، ص ٣٩-٤٠.

يرشد إليه مخاطبتنا للأئمة عليهم السلام في زيارة الجامعة الكبيرة بقولنا:
«وَمَنْ خَالَفَكُمْ فَالنَّارُ مَثْوَاهُ»^(١).

٩. الكفر بالإمام

نستشف أيضاً من ردّ الإمام الحسين عليه السلام السابق على ابن عمر أنّ الإنسان قد يدخل أحياناً في دائرة الجحود بالإمام وكفران نعمته نتيجة قيامه بعمل ما ضدّ إمامه. ويؤيّد تعبيرنا في الزيارة الجامعة الكبيرة خطاباً للأئمة عليهم السلام:
«وَمَنْ جَحَدَكُمْ كَافِرٌ»^(٢).

١٠. الركون للظلمة

يشير قول الإمام الحسين عليه السلام: «أَخْرَجَكَ مِنْ دِينِكَ...» إلى تأثير طاعة الظالمين والركون إليهم ومساعدة الخوارج، وعدّ ذلك من أسباب خروج الإنسان من دين الله سبحانه.

قال تبارك وتعالى:

﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمْسِكُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾^(٣).

١١. تزوين الشيطان

دلّ قول الإمام الحسين عليه السلام: «فَلَقَدْ زَيَّنَ لَكَ الشَّيْطَانُ» أنّ أسباب ارتداد بعض الناس عن الدين قد تكون طويلة أحياناً، فمتى ما عمل الشيطان على تزوين ما

(١) ابن بابويه، محمّد بن علي، من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٦١٣.

(٢) المصدر السابق، ج ٢، ص ٦١٣.

(٣) سورة هود، آية ١١٣.

يرتكبه الإنسان من قبائح حتى صيره في آخر المطاف من أتباع الظلمة، يكون بهذا النحو قد أخرج عن دين الله سبحانه.

قال جل جلاله:

﴿وَجَدْنَاهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَرَبِّكَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فصدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾^(١).

١٢- وسوسة الشيطان

ويستشف كذلك من قول الإمام الحسين عليه السلام: «... حتى أخرجك من دينك» أن الشيطان وكل من أتبعه وأصبح من جنده له أهداف بعيدة الأمد مثل إخراج الناس البسطاء عن الدين.

ويشهد له ما نقله الخوارزمي الحنفي في مقتله:

«فَتَقَدَّمَ الْحُسَيْنُ عليه السلام حَتَّى وَقَفَ قُبَالَةَ الْقَوْمِ، وَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى صُفُوفِهِمْ كَأَنَّهَا السَّبِيلُ، وَنَظَرَ إِلَى ابْنِ سَعْدٍ وَاقِفًا فِي صَنَادِيدِ الْكُوفَةِ، فَقَالَ: ... فَنِعَمَ الرَّبُّ رَبَّنَا، وَبِئْسَ الْعَبِيدُ أَنْتُمْ، أَقْرَبُكُمْ بِالطَّاعَةِ، وَأَمْتُمْ بِالرَّسُولِ مُحَمَّدٍ، ثُمَّ إِنَّكُمْ زَحَفْتُمْ إِلَى ذُرِّيَّتِهِ تُرِيدُونَ قَتْلَهُمْ، لَقَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْكُمْ الشَّيْطَانُ فَأَنَسَاكُمْ ذِكْرَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، فَتَبَّ لَكُمْ وَمَا تُرِيدُونَ، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، هُوَ لَاءَ قَوْمٍ كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ، فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ»^(٢).

حيث تدل جملة «لَقَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْكُمْ الشَّيْطَانُ» وسياقها في ضمن الخطبة على سيطرة الشيطان واستحواذه على الناس ودعوته لهم بترك الالتزام بضوابط الإيمان ونقض العهود والمواثيق.

يقول عز من قائل:

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّكُمْ

(١) سورة النمل، آية ٢٤.

(٢) أخطب خوارزم، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام، ج ١، ص ٣٥٧.

فَأَخْلَفْتُمْ مَّا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلُومُونِي وَتُؤْمِرُوا
 أَنْفُسَكُمْ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي ۗ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ
 مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾.

١٣. السحر

ابتهل الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفه لله جلّت عظمته قائلاً:

«يَا مَنْ اسْتَنْقَذَ السَّحْرَةَ مِنْ بَعْدِ طُولِ الْجُحُودِ»^(٢).

إنَّ «الجحود» يعني الكفر بالشيء وتكذيبه، فإذا ما تعدّى بنفسه كان بمعنى
 الإنكار المصاحب للعلم، وإن تعدّى بحرف جر كان بمعنى إنكار شيء قام دليل عليه.
 يقول سبحانه وتعالى:

﴿وَحَدُّوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٣).

ويكمن الفرق بين الجحد والإنكار في أنَّ الجحد أخصّ من الإنكار؛ لأنَّ
 الجحد بمعنى إنكار شيء كان ظاهراً ذاتاً، مثل الآيات الإلهية، كما ورد في القرآن
 الكريم:

﴿وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾^(٤).

أمّا الإنكار فيستعمل في الموضوع الذي يمكن فيه خفاء ذات الشيء، كما في نعم
 الله سبحانه، وهذا مقتضى قوله سبحانه في القرآن الكريم:

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٥).

(١) سورة إبراهيم، آية ٢٢.

(٢) الكفعمي، إبراهيم بن علي، البلد الأمين، ص ٢٥٤.

(٣) سورة النمل، آية ١٤.

(٤) سورة الأعراف، آية ٥١.

(٥) سورة النحل، آية ٨٣.

وعوداً على ذي بدء حيث يشير المضمون الدلالي لقول الإمام عليه السلام أعلاه إلى أن السحر قد يقود الإنسان إلى الكفر أحياناً.

عن الإمام علي عليه السلام أنه قال:

«الْمَنْجُمُ كَالْكَاهِنِ، وَالْكَاهِنُ كَالسَّاحِرِ، وَالسَّاحِرُ كَالْكَافِرِ، وَالْكَافِرُ فِي النَّارِ»^(١).

١٤- بيع الدين من أجل الآخرين

نقل الطبرسي في الاحتجاج:

«وَقَالَ عليه السلام فِي جَوَابِ كِتَابِ كُتِبَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ عَلَى طَرِيقِ الْإِحْتِجَاجِ:

... أَبْشُرْ يَا مُعَاوِيَةُ بِقِصَاصٍ، وَاسْتَعِدَّ لِلْحَسَابِ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عز وجل كِتَاباً لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا، وَلَيْسَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِنَاسٍ أَخَذَكَ بِالظَّنَّةِ، وَقَتْلَكَ أَوْلِيَاءَهُ بِالتَّهْمَةِ، وَنَفَيْكَ إِيَّاهُمْ مِنْ دَارِ الْهَجْرَةِ إِلَى الْغُرْبَةِ وَالْوَحْشَةِ، وَأَخَذَكَ النَّاسَ بِبَيْعَةِ ابْنِكَ غُلَامٍ مِنَ الْغُلَمَانِ، يَشْرَبُ الشَّرَابَ، وَيَلْعَبُ بِالْكَعَابِ، لَا أَعْلَمُكَ إِلَّا قَدْ خَسَرْتَ نَفْسَكَ وَشَرَيْتَ دِينَكَ وَغَشَشْتَ رَعِيَّتَكَ وَأَخْزَيْتَ أَمَانَتَكَ وَسَمِعْتَ مَقَالََةَ السَّفِيهِ الْجَاهِلِ وَأَخَفْتَ التَّقِيَّ الْوَرَعَ الْحَلِيمَ»^(٢).

عند ملاحظة قول الإمام عليه السلام لمعاوية: «وَشَرَيْتَ دِينَكَ» ينكشف لنا ضمناً أن الإصرار على جعل السلطة والحكومة بيد من هو ليس أهلاً لها من عوامل وأسباب ضياع الدين.

ويشهد على ذلك ما نقله القندوزي الحنفي إذ قال:

«قَالَتْ أُمُّ كَلْثُومٍ: يَا أَخِي، إِنَّ وَلَدَكَ عَبْدَ اللَّهِ مَا ذَاقَ الْمَاءَ مِنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فَاطْلُبْ لَهُ مِنَ الْقَوْمِ شَرْبَةً تَسْقِيهِ، فَأَخَذَهُ وَمَضَى بِهِ إِلَى الْقَوْمِ وَقَالَ: يَا قَوْمِ، لَقَدْ قَتَلْتُمْ أَصْحَابِي

(١) نهج البلاغة، خطبة ٧٩.

(٢) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج، ج ٢، ص ٢٩٧-٢٩٨.

وَبَنِي عَمِّي وَإِخْوَتِي وَوُلْدِي، وَقَدْ بَقِيَ هَذَا الطُّفْلُ، وَهُوَ ابْنُ سِتَّةِ أَشْهُرٍ، يَشْتَكِي مِنَ الظَّمَا فَاسْقُوهُ شَرْبَةً مِنَ الْمَاءِ. فَبَيْنَمَا هُوَ يُخَاطِبُهُمْ إِذْ أَتَاهُ سَهْمٌ فَوَقَعَ فِي نَحْرِ الطُّفْلِ فَقَتَلَهُ.
قِيلَ: إِنَّ السَّهْمَ رَمَاهُ عَاقِبَةُ بِنِ بَشِيرِ الْأَزْدِيِّ (لَعَنَهُ اللَّهُ).

وَيَقُولُ الْحُسَيْنُ عليه السلام: اللَّهُمَّ إِنَّكَ شَاهِدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْمَلَاعِينِ، إِنَّهُمْ قَدْ عَمَدُوا أَنْ لَا يَبْقُوا مِنْ ذُرِّيَّةِ رَسُولِكَ صلى الله عليه وآله، وَهُوَ يَبْكِي بُكَاءً شَدِيداً وَيُنْشِدُ وَيَقُولُ:

يَا رَبِّ لَا تُرْكِنِي وَحِيداً قَدْ أَظْهَرُوا الْفُسُوقَ وَالْجُحُودَا

وَصَيَّرُونَا بَيْنَهُمْ عَيْدَاً يَرْضَوْنَ فِي فِعَالِهِمْ بَزِيدَا

أَمَّا أَخِي فَقَدْ مَضَى - شَهِيدَاً مُجَدِّلاً فِي فِدْقِدِ فَرِيدَا

وَأَنْتَ بِالْمَرْصَادِ يَا مَجِيدَا»^(١).

يستنتج من المصراع الرابع أن هناك أشخاصاً مستعدين لقتل المظلومين من أجل دنيا الظلمة وإرضاء لهم وتكون عاقبتهم نار جهنم وساءت مصيراً.

وقد قال الإمام علي عليه السلام في ذلك:

«أَشَقَى النَّاسِ مَنْ بَاعَ دِينَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ»^(٢).

١٥- الاستكبار

روي عن الإمام العسكري عليه السلام أن الإمام الحسين عليه السلام خاطب من حضر في معسكره:

«أَوَّلَا أَحَدَنْكُمْ بِأَوَّلِ أَمْرِنَا وَأَمْرِكُمْ مَعَاشِرَ أَوْلِيَانِنَا وَمُحِبِّينَا، وَالْمُعْتَصِمِينَ بِنَا لِيَسْهَلَ عَلَيْكُمْ أَحْتِمَالُ مَا أَنْتُمْ لَهُ مُعْرَضُونَ؟»

(١) القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة لذوي القربى، ج ٣، ص ٧٨-٧٩.

(٢) الأمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٢٠٢، حديث ٣٣٤.

قَالُوا: بَلَى يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ.

قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَا خَلَقَ آدَمَ وَسَوَاهُ وَعَلَّمَهُ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ وَعَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، جَعَلَ مُحَمَّدًا وَعَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَشْبَاحًا حَمْسَةً فِي ظَهْرِ آدَمَ، وَكَانَتْ أَنْوَارُهُمْ نُضِيءٌ فِي الْأَفَاقِ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْحُجُبِ وَالْجَنَانِ وَالْكَرْسِيِّ وَالْعَرْشِ، فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ، تَعْظِيمًا لَهُ أَنَّهُ قَدْ فَضَّلَهُ بِأَنْ جَعَلَهُ وَعَاءً لِنَتِكَ الْأَشْبَاحِ النَّبِيِّ قَدْ عَمَّ أَنْوَارُهَا الْأَفَاقَ، فَسَجَدُوا [لِآدَمَ] إِلَّا إِبْلِيسَ أَبِي أَنْ يَتَوَاضَعَ لِجَلَالِ عَظَمَةِ اللَّهِ، وَأَنْ يَتَوَاضَعَ لِأَنْوَارِنَا أَهْلِ الْبَيْتِ، وَقَدْ تَوَاضَعَتْ لَهَا الْمَلَائِكَةُ كُلُّهَا، وَاسْتَكْبَرَ وَتَرَفَّعَ، وَكَانَ بِإِبَائِهِ ذَلِكَ وَتَكْبُرِهِ مِنَ الْكَافِرِينَ»^(١).

آخر هذا الكلام فيه دلالة على نقطة مفادها أنّ الكفر سيتسبب بالاستكبار ويكون مدعاة له؛ ذلك لأنّ الإمام عليه السلام قد أشار لسابق كفر الشيطان.

يقول تبارك وتعالى:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(٢).

١٦. الترفع

من المضمون الدلالي لحديث الإمام الحسين عليه السلام المتقدم يمكن الخروج بنكتة مفادها أنّ الكفر يصنع داء العظمة والعكس صادق أيضاً، فداء العظمة يقود الإنسان للكفر، وهذا يكشف عن حالة التأثير المتبادل بين هاتين الصفتين.

يقول جلّ وعلا:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ

(١) التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام، ص ٢١٨-٢١٩، حديث ١٠١.

(٢) سورة البقرة، آية ٣٤.

فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١﴾ .

١٧- عدم إطاعة الأوامر الإلهية

عند ملاحظة صدر وذيل الحديث المتقدم للإمام الحسين عليه السلام نجد أنّ عدم إطاعة وامتثال الأوامر الإلهية يقود الإنسان إلى الكفر بالله.

يقول سبحانه وتعالى:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٢﴾ .

(١) سورة الأحقاف، آية ١١ .

(٢) سورة البقرة، آية ٣٤ .

ج) إمكان النجاة من الكفر

مما ابتهل به الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة قوله:
«يَا مَنْ اسْتَنْقَذَ السَّحْرَةَ مِنْ بَعْدِ طُولِ الْجُحُودِ»^(١).

من مضمون هذه الفقرة من الدعاء يتّضح أنّ احتمال النجاة من الكفر قائم بالنسبة للإنسان ولو طال أمد كفره.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد قال:

«مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِسَنَةِ قَبْلِ اللَّهِ تَوْبَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ السَّنَةَ لَكَثِيرَةٌ، مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِشَهْرٍ قَبْلَ اللَّهِ تَوْبَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الشَّهْرَ لَكَثِيرٌ، مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِجُمُعَةٍ قَبْلَ اللَّهِ تَوْبَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الْجُمُعَةَ لَكَثِيرٌ، مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِيَوْمٍ قَبْلَ اللَّهِ تَوْبَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ يَوْمًا لَكَثِيرٌ، مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ يُعَايَنَ قَبْلَ اللَّهِ تَوْبَتَهُ»^(٢).

(١) الكفعمي، إبراهيم بن علي، البلد الأمين، ص ٢٥٤.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٢، ص ٤٤٠، حديث ٢.

د) الفارق بين الإيمان والكفر

فقد ورد عن الإمام الحسين عليه السلام حول سحرة فرعون قوله في دعاء عرفة مبتهلاً إلى الله:

«يَا مَنْ اسْتَنْقَذَ السَّحْرَةَ مِنْ بَعْدِ طُولِ الْجُحُودِ، وَقَدْ غَدَا فِي نِعْمَتِهِ يَأْكُلُونَ رِزْقَهُ وَيَعْبُدُونَ غَيْرَهُ، وَقَدْ حَادُوهُ وَنَادُوهُ»^(١).

حيث يستشف من مضمون وسياق هذه الجملة أن الله سبحانه قد وضع خطأً أحمر، يمثل عبوره خروجاً عن الإيمان وولوجاً في الكفر، وهو محادة الله سبحانه ومخالفته وجعل الشبيه له.

حيث قال العزيز الحكيم في كتابه الكريم:

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢).

وقال كذلك:

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾^(٣).

وقال أيضاً:

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾^(٤).

(١) الكفعمي، إبراهيم بن علي، البلد الأمين، ص ٢٥٤.

(٢) سورة المجادلة، آية ٤.

(٣) سورة الطلاق، آية ١.

(٤) سورة البقرة، آية ١٨٧.

هـ) أنواع الكفر

عند ملاحظة أحاديث سيّد الشهداء عليه السلام نجد أنّ الكفر على عدّة أنواع:

١- كفر الفسق

نقل مقاتل عن الإمام السجاد عليه السلام عن أبيه الإمام الحسين عليه السلام أنّه قال:
«إِنَّ امْرَأَةَ مَلِكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَبُرَتْ، وَأَرَادَتْ أَنْ تُزَوِّجَ بِنْتَهَا مِنْهُ لِلْمَلِكِ، فَاسْتَشَارَ الْمَلِكُ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا، فَنَهَاهُ عَنْ ذَلِكَ، فَعَرَفَتِ الْمُرَأَةَ ذَلِكَ وَرَيَّتْ بِنْتَهَا وَبَعَثَتْهَا إِلَى الْمَلِكِ، فَذَهَبَتْ وَلَعِبَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ: مَا حَاجَتُكَ؟ قَالَتْ: رَأْسُ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا، فَقَالَ الْمَلِكُ: يَا بَنِيَّةَ، حَاجَةٌ غَيْرَ هَذِهِ، قَالَتْ: مَا أُرِيدُ غَيْرَهُ. وَكَانَ الْمَلِكُ إِذَا كَذَبَ فِيهِمْ عَزَلَ عَنْ مُلْكِهِ، فَخِيَّرَ بَيْنَ مُلْكِهِ وَبَيْنَ قَتْلِ يَحْيَى، فَقَتَلَهُ ثُمَّ بَعَثَ بِرَأْسِهِ إِلَيْهَا فِي طَشْتٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَأَمَرَتِ الْأَرْضُ فَأَخَذَتْهَا، وَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بُحْتَ نَصْرٍ، فَجَعَلَ يَرْمِي عَلَيْهِمْ بِالْمَنَاجِقِ، وَلَا تَعْمَلُ شَيْئًا، فَخَرَجَتْ عَلَيْهِ عَجُوزٌ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَقَالَتْ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّ هَذِهِ مَدِينَةُ الْأَنْبِيَاءِ لَا تَنْفَتِحُ إِلَّا بِمَا أَدُلُّكَ عَلَيْهِ، قَالَ: لَكَ مَا سَأَلْتُ، قَالَتْ: ارْمِهَا بِالْحَبِّ وَالْعُدْرَةِ، فَفَعَلَ فَتَقَطَّعَتْ فَدَخَلَهَا، فَقَالَ: عَلَيَّ بِالْعَجُوزِ، فَقَالَ لَهَا: مَا حَاجَتُكَ؟ قَالَتْ: فِي الْمَدِينَةِ دَمٌ يَغْلِي، فَأَقْتُلْ عَلَيْهِ حَتَّى يَسْكُنَ، فَقَتَلَ عَلَيْهِ سَبْعِينَ أَلْفًا حَتَّى سَكَنَ. يَا وَلَدِي، يَا عَلِيُّ، وَاللَّهِ لَا يَسْكُنُ دَمِي حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ الْمُهْدِيَّ، فَيَقْتُلْ عَلَيَّ دَمِي مِنَ الْمَنَافِقِينَ الْكُفْرَةَ الْفَسَقَةَ سَبْعِينَ أَلْفًا»^(١).

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، ج ٤، ص ٨٥.

يتبين من ذيل كلام الإمام عليه السلام أنّ الفسق هو نوع من الكفر وإن لم يكن مخرجاً عن الإسلام.

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في الردّ على الخوارج في هذه المسألة:

«وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجَمَ الزَّائِيَّ الْمُحْصَنَ ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ وَرَّثَهُ أَهْلَهُ، وَقَتَلَ الْقَاتِلَ وَوَرَّثَ مِيرَاثَهُ أَهْلَهُ، وَقَطَعَ [يَدَ] السَّارِقِ، وَجَلَدَ الزَّائِيَّ غَيْرَ الْمُحْصَنِ، ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِمَا مِنَ الْفِيءِ، وَنَكَحَا الْمُسْلِمَاتِ، فَأَخَذَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذُنُوبِهِمْ، وَأَقَامَ حَقَّ اللَّهِ فِيهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعَهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يُخْرِجْ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ»^(١).

كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

«بُنِيَ الْكُفْرُ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمٍ: الْفِسْقِ، وَالْغُلُوِّ، وَالشُّكِّ، وَالشُّبْهَةِ»^(٢).

٢- كفر النفاق

في حديث الإمام الحسين عليه السلام السابق عدّ النفاق نوعاً من الكفر؛ لأنّ الكفر له درجات ومراتب.

قال ربّ العزّة والجلالة:

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنَفِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾

(١) نهج البلاغة، خطبة ١٢٧.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٢، ص ٣٩١، حديث ١.

(٣) سورة المنافقون، آية ١-٣.

٣. كفر العصيان والتعدي

روي عن الإمام الحسين عليه السلام قوله:

«اعْتَبِرُوا أَيُّهَا النَّاسُ بِمَا وَعَظَ اللَّهُ بِهِ أَوْلِيَاءَهُ مِنْ سُوءِ ثَنَائِهِ عَلَى الْأَحْبَارِ إِذْ يَقُولُ: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمْ رَبِّيَنُوتُ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ﴾^(١)، وَقَالَ: ﴿لِعِبِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٢) إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَيْتَسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(٣)، وَإِنَّمَا عَبَّ اللَّهُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَرُونَ مِنَ الظُّلْمَةِ الَّذِينَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمُ الْمُنْكَرَ وَالْفَسَادَ فَلَا يَنْهَوْنَهُمْ عَنْ ذَلِكَ رَغْبَةً فِيمَا كَانُوا يَنَالُونَ مِنْهُمْ وَرَهْبَةً مِمَّا يَحْذَرُونَ وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿فَلَا تَخْشَوْا الْكَاسَ وَالْأَخْشُونَ﴾^(٤)، وَقَالَ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٥)»^(٦).

يفهم من الآية الثانية التي استشهد بها الإمام عليه السلام: ﴿لِعِبِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾^(٧) حتى قوله: ﴿لَيْتَسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(٨)، أن العصيان والتعدي يعد نوعاً من الكفر.

٤. كفر العقيدة

روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال:

-
- (١) سورة المائدة، آية ٦٣.
 - (٢) سورة المائدة، آية ٧٨.
 - (٣) سورة المائدة، آية ٧٩.
 - (٤) سورة المائدة، آية ٤٤.
 - (٥) سورة التوبة، آية ٧١.
 - (٦) ابن شعبة، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليهم)، ص ٢٣٧.
 - (٧) سورة المائدة، آية ٧٨.
 - (٨) سورة المائدة، آية ٧٩.

«كَتَبَ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيُّ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَسْأَلُهُ عَنِ الْقَدْرِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: اتَّبِعْ مَا شَرَحْتُ لَكَ فِي الْقَدْرِ مِمَّا أُفْضِي إِلَيْهَا أَهْلَ الْبَيْتِ، فَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يُؤْمَرْ بِالْقَدْرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ فَقَدْ كَفَرَ...»^(١).

يبدو من قوله عليه السلام: «مَنْ لَمْ يُؤْمَرْ بِالْقَدْرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ فَقَدْ كَفَرَ» أَنَّ الْكُفْرَ يُطْلَقُ عَلَى مَا يَقَابِلُ الْإِيمَانَ أحياناً، كما يحصل العكس أيضاً حيث يطلق الإيمان على ما يقابل الكفر.

وعند ملاحظة الآيات القرآنية نجدتها تصرّح بهذا التقابل القائم بين الكفر والإيمان.

حيث قال رب العزة والجلالة:

﴿وَمَنْ يَتَّبِدْ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾^(٢).

وقال كذلك:

﴿هُمُ الْكُفْرِيُّوَمَيِّذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾^(٣).

٥. كفر الاستكبار

روي عن الإمام العسكري عليه السلام أَنَّ الْإِمَامَ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَاطَبَ مَعْسَكَرَهُ قَائِلاً:
«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا خَلَقَ آدَمَ وَسَوَّاهُ وَعَلَّمَهُ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ وَعَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، جَعَلَ مُحَمَّدًا وَعَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَشْبَاحاً خَمْسَةً فِي ظَهْرِ آدَمَ، وَكَانَتْ أَنْوَارُهُمْ تُضِيءُ فِي الْأَفَاقِ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْحُجُبِ وَالْجَنَانِ وَالْكَرْبِيِّ وَالْعَرْشِ، فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ، تَعْظِيماً لَهُ أَنَّهُ قَدْ فَضَّلَهُ بِأَنْ جَعَلَهُ وَعَاءً لَتِلْكَ الْأَشْبَاحِ الَّتِي

(١) الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام، ص ٤٠٨-٤٠٩.

(٢) سورة البقرة، آية ١٠٨.

(٣) سورة آل عمران، آية ١٦٧.

قَدْ عَمَّ أَنْوَارُهَا الْآفَاقَ، فَسَجَدُوا [لِأَدَمَ] إِلَّا إِبْلِيسَ أَبِي أَنْ يَتَوَاصَعَ لِجَلَالِ عَظْمَةِ اللَّهِ، وَأَنْ يَتَوَاصَعَ لِأَنْوَارِنَا أَهْلِ الْبَيْتِ، وَقَدْ تَوَاضَعَتْ لَهَا الْمَلَائِكَةُ كُلُّهَا، وَاسْتَكْبَرَ وَتَرَفَّعَ، وَكَانَ بِإِبَابِهِ ذَلِكَ وَتَكْبِيرِهِ مِنَ الْكَافِرِينَ»^(١).

من ذيل كلام الإمام يتبين أن هناك نوعاً من الكفر هو كفر الاستكبار.

وقول ربّ الجلالة أدناه يشهد على ذلك:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(٢).

٦- كفر الارتداد

نقل عبد الرحمن بن سليط عن الإمام الحسين عليه السلام قوله:

«مِنَّا اثْنَا عَشَرَ مَهْدِيًّا أَوْهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَآخِرُهُمُ النَّاسِعُ مِنْ وُلْدِي، وَهُوَ الْإِمَامُ الْقَائِمُ بِالْحَقِّ، يُجِيبِي اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا، وَيُظْهِرُ بِهِ دِينَ الْحَقِّ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، لَهُ غَيْبَةٌ يَرْتَدُّ فِيهَا أَقْوَامٌ وَيَثْبُتُ فِيهَا عَلَى الدِّينِ آخِرُونَ، فَيُؤَدُّونَ...»^(٣).

حيث يستشف من تعبيره «يَرْتَدُّ فِيهَا أَقْوَامٌ وَيَثْبُتُ فِيهَا عَلَى الدِّينِ آخِرُونَ» أن

ثمة نوع من الكفر ينشأ من الارتداد.

يؤيده ما ذكره ابن أعثم في فتوحه:

«قَالَ الْحَسَيْنُ: يَا بَنَ عَبَّاسٍ، فَمَا تَقُولُ فِي قَوْمٍ أَخْرَجُوا ابْنَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِنْ دَارِهِ وَقَرَّارِهِ، وَمَوْلِدِهِ وَحَرَمِ رَسُولِهِ، وَمَجَاوِرَةَ قَبْرِهِ وَمَوْلِدِهِ، وَمَسْجِدِهِ

(١) التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام، ص ٢١٨-٢١٩، حديث ١٠١.

(٢) سورة البقرة، آية ٣٤.

(٣) ابن بابويه، محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة، ج ١، ص ٣١٧، حديث ٣.

وَمَوْضِعِ مُهَاجِرِهِ، فَتَرَكُوهُ خَائِفًا مَرُوعِبًا لَا يَسْتَقِرُّ فِي قَرَارٍ، وَلَا يَأْوِي فِي مَوْطِنٍ، يُرِيدُونَ فِي ذَلِكَ قَتْلَهُ وَسَفْكَ دَمِهِ، وَهُوَ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا اتَّخَذَ مِنْ دُونِهِ وَلِيًّا، وَلَمْ يَتَغَيَّرْ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَالْخَلَفَاءُ مِنْ بَعْدِهِ؟

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا أَقُولُ فِيهِمْ [إِلَّا]: ﴿أَنْتَهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى﴾^(١)، ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٢) مُدْبَذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا^(٣)، وَعَلَى مِثْلِ هَؤُلَاءِ تَنْزِيلِ الْبَطْشَةِ الْكُبْرَى.

وَأَمَّا أَنْتَ يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَإِنَّكَ رَأْسُ الْفَخَّارِ بِرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وَأَبْنُ نَظِيرَةِ الْبُتُولِ، فَلَا تَظُنِّي يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ أَنَّ اللَّهَ عَافِلٌ عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّ مَنْ رَغِبَ عَن مَجَاوَرَتِكَ، وَطَمِعَ فِي مَحَارِبَتِكَ وَمَحَارَبَةِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَمَا لَهُ مِنْ خَلَاقٍ.

فَقَالَ الْحُسَيْنُ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ^(٣)

يستدل بمضمون قوله عليه السلام: «وَلَمْ يَتَغَيَّرْ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ رَسُولَ اللَّهِ...» والسياق الذي جاء فيه أن حكم الارتداد عن الدين هو القتل في ظل ظروف معينة. إن أحد الأحكام الإسلامية المسلمة هو حكم قتل المرتد ملياً كان أم فطرياً فيما إذا تحققت شروطه، ولما كان هذا الحكم لم ينسجم مع مشارب ورؤى بعض مدعي الثقافة المتأثرين بالفكر الغربي ولم يدركوا الحكمة والفلسفة من ورائه؛ لذا أجمعوا أمرهم على محاربة هذا الحكم والاستهزاء به، وعدوه مخالفاً للحرية ولحقوق البشر المفروغ منها، وهذا ما يدفعنا إلى تسليط الضوء على الجوانب المختلفة لهذا الحكم وبحثها ومناقشتها.

(١) سورة التوبة، آية ٥٤.

(٢) سورة النساء، آية ١٤٢-١٤٣.

(٣) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح، ج ٥، ص ٢٤-٢٥.

قال ابن فارس:

«ردّ: الرء والدال أصل واحد مطرد منقاس، وهو رجع الشيء ... وسمي المرتد؛ لأنه ردّ نفسه إلى كفره»^(١).

وقال الراغب الإصفهاني:

«الردّ: صرف الشيء بذاته، أو بحالة من أحواله ... فمن الردّ بالذات قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا هُوَاعْنَهُ﴾^(٢) ... ومن الردّ إلى حالة كان عليها قوله: ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾^(٣) ... والارتداد والردّة: الرجوع في الطريق الذي جاء منه، لكن الردّة تختص بالكفر، والارتداد يستعمل فيه وفي غيره»^(٤).

والمعروف هو أن حدود الارتداد هي نفسها حدود الكفر مضافاً إلى إنكار الله والرسول.

وبناء عليه يرى فقهاء الإمامية أن إنكار ضرورة من ضروريات الدين موجب للارتداد، والمقصود بضروري الدين شيء بلغت جزئيته للدين درجة لا ينكره أي مسلم في المجتمع الإسلامي.

بينما شدد بعض في ذلك فذهب للقول بأن إنكار ضروري الدين لا يوجب الكفر لوحده وبشكل مستقل إلا إذا كان ملازماً لإنكار التوحيد والنبوة، وهذه الملازمة يجب تحققها عند المنكر لا الحاكم، بمعنى أن الحاكم الشرعي يتيقن بأن منكر الضروري عالم بالملازمة بين إنكار ضروري الدين وإنكار أصل التوحيد أو النبوة.

(١) ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٢، ص ٣٨٦.

(٢) سورة الأنعام، آية ٢٨.

(٣) سورة آل عمران، آية ١٤٩.

(٤) الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، ص ٣٤٨-٣٤٩.

كما أشار القرآن الكريم في آيات كثيرة إلى مسألة الارتداد، وقد توعد المرتد بعذاب أليم والذل في الدنيا والآخرة، دون أن يتم ذكر حكم المرتد بتفصيله، من القتل وافتراق زوجته عنه وسقوط ملكيته عن ممتلكاته وتقسيم إرثه واستتابته من عدمها، وهنا نشير إلى بعض تلكم الآيات غير المفصلة:

١- يقول رب العزة والجلالة:

﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١).

٢- ويقول كذلك:

﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢).

٣- ويقول أيضاً:

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٣).

٤- وقال تعالى حول توبة المرتد:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ نُقَبَلَ تَوْبَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾^(٤).

٥- وحول عذاب المرتد قال سبحانه:

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ * أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ

(١) سورة البقرة، آية ٢١٧.

(٢) سورة الزمر، آية ٦٥.

(٣) سورة المائدة، آية ٥.

(٤) سورة آل عمران، آية ٩٠.

وَالْمَلَكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٠﴾ خَلِيدِينَ فِيهَا لَا يَخْفَى عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١١﴾.

وقد أشارت مرويات أهل البيت عليهم السلام إلى حكم المرتد بشكل واسع، مثل:

١- ما نقله علي بن جعفر عن أخيه الإمام الكاظم عليه السلام يقول:

«سَأَلْتُهُ عَنْ مُسْلِمٍ تَنَصَّرَ، قَالَ: يُقْتَلُ وَلَا يُسْتَتَابُ، قُلْتُ: فَتَضَرَّيْتُ أَسْلَمَ ثُمَّ ارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ؟ قَالَ: يُسْتَتَابُ فَإِنْ رَجَعَ وَإِلَّا قُتِلَ»^(٢).

٢- روى محمد بن مسلم عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«وَمَنْ جَحَدَ نَبِيًّا مُرْسَلًا نُبُوَّتَهُ وَكَذَّبَهُ فَدَمُهُ مُبَاحٌ»^(٣).

كما ورد في روايات العامة إشارة إلى مسألة الارتداد بأنحاء مختلفة، من قبيل:

أ) الروايات التي تشير إلى موقف النبي صلى الله عليه وآله من المرتدين، حيث قبل توبة بعض

وعفا عنهم وقتل بعضهم.

ب) الروايات التي تدل على ذم الارتداد من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله.

ج) الروايات التي تشير إلى حكم المرتد بشكل مطلق.

د) الروايات التي فصلت في حكم المرتد بين الرجل والمرأة.

هـ) الروايات التي فيها إشارة إلى سيرة الصحابة وأقوالهم.

أدناه نأتي على ذكر بعض هذه الروايات:

١- قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إِنَّ مِنْ أَنْبَغِ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَمَنْ آمَنَ ثُمَّ كَفَرَ»^(٤).

٢- قال كذلك:

(١) سورة آل عمران، آية ٨٦-٨٨.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٧، ص ٢٥٧، حديث ١٠.

(٣) ابن بابويه، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ١٠٤، حديث ٥١٩٢.

(٤) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، ج ٢٠، ص ١١٤، حديث ٢٢٦.

«لَا يَجِلُّ دَمٌ أَمْرِيٍّ مُسْلِمٍ إِلَّا فِي إِحْدَى ثَلَاثٍ: رَجُلٌ رَزَى وَهُوَ مُحْصَنٌ فَرَجِمَ، أَوْ رَجُلٌ قَتَلَ نَفْسًا بغيرِ نَفْسٍ، أَوْ رَجُلٌ ارْتَدَّ بَعْدَ إِسْلَامِهِ»^(١).

٣- وقال أيضاً:

«مَنْ ارْتَدَّ عَنْ دِينِهِ فَأَقْتُلُوهُ»^(٢).

٤- وورد عنه صلى الله عليه وآله:

«مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَأَقْتُلُوهُ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ تَوْبَةَ عَبْدٍ كَفَرَ بَعْدَ إِسْلَامِهِ»^(٣).

٥- وقال أيضاً:

«أَيُّمَا رَجُلٍ ارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ فَادْعُهُ، فَإِنْ تَابَ فَأَقْبَلْ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَتُبْ فَاضْرِبْ عُنُقَهُ، وَأَيُّمَا امْرَأَةٍ ارْتَدَّتْ عَنِ الْإِسْلَامِ فَادْعُهَا، فَإِنْ تَابَتْ فَأَقْبَلْ مِنْهَا، وَإِنْ أَبَتْ فَاسْتَبَيْهَا»^(٤).

وفي بعض الروايات إشارة إلى التقسيم المذكور للمرتد إلى فطري وملي.

إذ يتضح مما جاء في رواية علي بن جعفر عن أخيه الإمام الكاظم عليه السلام المذكورة سابقاً أنّ حكم المرتد الفطري الذي كان في البداية مسلماً وكبر في عائلة مسلمة أشد من غيره.

فقد قال الشهيد الثاني في ذلك:

«فالمشهور بين الأصحاب أنّ الارتداد على قسمين: فطري وملي، فالأول: ارتداد من ولد على الإسلام، بأن انعقد حال إسلام أحد أبويه»^(٥).

(١) ابن ماجة، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، ج ٢، ص ٨٤٧، حديث ٢٥٣٣.

(٢) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، ج ١٧، ص ١٨٦، حديث ٤٩٧.

(٣) المصدر السابق، ج ١٩، ص ٤١٩، حديث ١٠١٣.

(٤) المصدر السابق، ج ٢٠، ص ٥٣، حديث ٩٣.

(٥) الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام، ج ١٥، ص ٢٣.

وبنظرة تفصيلية للمرتد الفطري وانطباق عنوانه يبرز أمامنا ثلاثة آراء ووجهات نظر:

١- إسلام أحد الوالدين عند انعقاد النطفة:

يعتقد بعض الفقهاء أنّ المرتد الفطري هو من كان أحد والديه أو كلاهما مسلماً حينما انعقدت نطفته، فمن كان هذا حاله إن ارتد عن الإسلام فهو مرتد فطري ويحكم عليه بالقتل دون شرط أو قيد. وقد اعتمد أصحاب هذا الرأي مثل الشهيد الثاني^(١) وصاحب الجواهر^(٢)، بظواهر الروايات التي ورد فيها التعبير بمثل: «ولد على الإسلام» و«ولد على الفطرة».

٢- إسلام أحد الوالدين عند الولادة:

الرأي الثاني حمل الروايات على ظاهرها، وقصدهم من المرتد الفطري من كان أحد والديه أو كلاهما مسلماً حين ولادته، فيكفي في فطريته ذلك وإن ارتد أبواه بعد الولادة، وذهب إلى هذا القول العلامة الحلّي^(٣) والمحقق الجزائري^(٤).

٣- اعتناق الإسلام عند البلوغ:

يبتني هذا الرأي على أنّ المقصود من إسلام الوالدين حين الولادة - الذي ورد ذكره في الروايات - حدوداً واستمراراً، بمعنى أنّ الوالدين بقيا على الإسلام وقاما بتربيته في محيط وبيئة إسلامية واعتنق الولد الإسلام بعد مشاهدته إسلام والديه أو أحدهما وما عليه المجتمع الإسلامي من أخلاقيات ومفاهيم جذّابة في مرحلة رشده وبلوغه، ثمّ إنّ عدل عن الإسلام بعد ذلك صدق عليه الارتداد عن

(١) المصدر السابق، ج ١٥، ص ٢٣.

(٢) النجفي، محمّد حسن بن باقر، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، ج ٤١، ص ٦٠٤.

(٣) العلامة الحلّي، الحسن بن يوسف، إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان، ج ٢، ص ١٨٩.

(٤) النجفي، محمّد حسن بن باقر، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، ج ٤١، ص ٦٠٤.

فطرة، ويعدّ الفاضل الهندي^(١) ممن ذهب إلى القول بذلك، وهذا الرأي لم يعتن به الفقهاء.

وهذا التعريف الثالث يستفاد من ظاهر بعض الروايات أيضاً.

ففي حديث معتبر لعمار الساباطي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«كُلُّ مُسْلِمٍ بَيْنَ مُسْلِمَيْنِ ارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَجَعَدَ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله نُبُوتهً وَكَذَّبهً، فَإِنَّ دَمَهُ مُبَاحٌ...»^(٢).

حيث لم تشر الرواية إلى الولادة وذكرت ارتداد إنسان مسلم في وسط مجتمع إسلامي، أي كان متأثراً بالدعوة الإسلامية وقضى جانباً من عمره يعيش تلك الأجواء ثم ارتد فيها بعد.

وقال آية الله الجوادي الأملي في تعريف الارتداد:

«الارتداد هو الجحود بعد الإقرار، والنكول بعد قبول الدين، من يعتنق الدين عن فحص وتدبر، ثم يتراجع عنه»^(٣).

وقال حول أقسام الارتداد:

«إنَّ الارتداد على قسمين: ملّي وفطري، والارتداد الفطري معناه الإنكار بعد الإقرار الفاحص للدين بعد البلوغ، فيما إذا كان والداه أو أحدهما مسلماً، والارتداد الملّي معناه الإنكار بعد الإقرار اللاحق للبحث والتأمل في الدين بعد البلوغ، فيما إذا لم يكن والداه مسلماً.

ولا بدّ في الارتداد الفطري من توفّر ثلاثة عناصر محورية:

(١) الفاضل الهندي، محمد بن الحسن، كشف اللثام عن قواعد الأحكام، ج ٩، ص ٣٥٦.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٧، ص ٢٥٧-٢٥٨، حديث ١١.

(٣) جوادي أملي، عبد الله، مصطفى پور، محمد رضا، «ارتداد وآزادي» (الارتداد والحرية)، مجلة

پاسدار اسلام، العدد ٢٦٥، ١٣٨٢ هـ.ش، ص ٦.

- ١- حين انعقاد نطفة الإنسان كان أبوه وأمه أو أحدهما مسلماً.
- ٢- نشأ الطفل وتربى في أوساط عائلة مسلمة، وكان خلال فترة طفولته قريباً من المسائل الإسلامية، وأدركها بحسب فهمه وتشخيصه، وبعد البلوغ والتكليف اعتنق الدين عن علم وعمد وبحث معلناً عن ذلك.
- ٣- بعد تشخيصه أحقية الدين عن تأمل ودراسة، جحدته وأنكره بعد البلوغ. أما العناصر المحورية في الارتداد المي فهي أربعة:
 - ١- حين انعقاد النطفة لم يكن أي من والديه مسلماً.
 - ٢- نشأ الطفل وتربى في عائلة غير مسلمة، وبعد البلوغ اختار الكفر وأصبح كافراً مثل أبويه.

٣- بعد الكفر اعتنق الإسلام عن تدبّر وتمحيص.

٤- ثم أنكر الإسلام وجحدته وعاد إلى الكفر»^(١).

وأفاد سماحته حول حكم الشاك المتفحص في موضوع الارتداد:

«إن كان إسلام الشخص ليس معرفياً ولا منطقياً وإنّما على مستوى أوراقه الثبوتية وحسب، فمثله وإن نشأ وتربى في عائلة مسلمة إلا أنّ إسلامه لما لم يكن عن بحث وتحقيق - أي لم يعتقد به نتيجة سماع من معصوم أو عن طريق برهان من حكيم أو متكلم وإنّما عن وراثة وتقليد - سيبقى يقينه بالإسلام يقيناً نفسياً لا منطقياً، وفي أجواء كهذه وإن كان في مقام الإثبات قد يمنّ الله ويتلطف في قبول مثل هذا الدين إلا أنّه في مقام العقوبة واستحقاق العذاب من الصعب إثبات حكم الارتداد بحق الشخص الشاك نتيجة سماعه لشبهات حول أصل الدين أو بعض أحكامه الضرورية مثل الصلاة والصوم... ولذا لا يجري حكم المرتد الفطري على الشخص الشاك

(١) المصدر السابق، ص ٦.

المتفحص، بل حتى إن احتمل الحاكم وقوع المتهم بالكفر في شبهة، ومعناه أنّ الاتهام لم يثبت لدى القضاء بحق المتهم وإن كان المتهم قاطعاً بالخلاف.

ليس من السهل حصول القطع المنطقي بالخلاف في ضروريات الدين؛ لأنّ القطع والجزم الرياضي نادر جداً، القطع بالخلاف يعني أنا لديّ قطع بأنّ الأمر بهذا النحو وليس هناك ما سواه، والآخرين على خطأ؛ وعلى هذا فالشخص الذي يرى نفسه قاطعاً بأمر على إثر بعض الشبهات ودون أن يلتقي بمختص فإنّ قطعه بالخلاف قطع نفسي غير قائم على أسس منطقية، ومثل هذا القطع لا يشكّل وسيلة إثبات قضائية لحكم الارتداد، فلا يصدق حكم الارتداد في هذه الصورة ايضاً. ونلاحظ أنّه في كل عصر هناك شبهات تنفذ ويتسع نطاقها بين الأوساط الفكرية في المجتمع مثل شبهات الفخر الرازي، ولو لم يكن في المجتمع أفراد كالخواجة نصير الدين الطوسي لتلوّث الجو الفكري والثقافي لذلك المجتمع على بكرة أبيه، ولنشأ فيه أشخاص يقطعون بالخلاف نتيجة تلك الشبهات، فيكون كل منهم قد وقع بالشبهة ويصدق عليه حكم الشاك المتفحص...

بالنتيجة أنّ إلقاء الشبهات في ذهن شاب قصير النظر يحوِّله إلى شاك ومرتاب، وفي مثل هذه الحالات إذا تيقّن شخص بالخلاف فسيعدّ شاكاً وجاهلاً مركباً، والشاهد عليه: إذا ما تحدّث إليه عالم ورفع الشبهات عن ذهنه فإنّه سيتراجع فوراً عن رأيه وعقيدته، وهذا ما يوجب تعليم الفرد الشاك وتربيته من البداية، وبناء عليه إن لم تحلّ مشكلته بالتعليم والتعلّم واستمر بالسخرية من الدين تحين المرحلة التالية وهي مرحلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن عارض شخص الدين عن علم وعمد دون شبهة وجب أن يحكم عليه بالارتداد الفطري في المرحلة الأخيرة من قبل المحكمة القضائية، وبعد ذلك يجري عليه هذا الحكم؛ لأنّ إجراء الحدود يتوقّف على إثبات الجريمة على أساس الأيمان والبيّنات والقسم والشاهدين أو علم القاضي في محكمة

عادلة بواسطة قاض عادل، وما دام القاضي العادل لم يُنشئ الحكم بأن يقول: حَكَمْتُ، لا يثبت الحكم بارتداده وهدر دمه.

يجدر القول: إنَّ القاضي بعد إنشائه الحكم بهدر دم المرتد يبقى صدور العفو بحقه ممكناً، فيخفف عنه أو يجري الحكم عليه؛ وعلى هذا لا توجه أيّ مهمّة للناس العاديين قبل المرتد؛ إذ لا يصدق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد إثبات الارتداد، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنّما لدفع مثل هذه الحادثة المرّة، أمّا وقد وقعت فرفعها يقع على عاتق السلطة القضائية. هناك فرق جوهرى بين الحدود والقصاص، حيث إنّ القصاص حق لولي الدم ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا﴾^(١)، فلولي الدم الحق بقتل القاتل في مقام ثبوت الحكم الفقهي بالفعل، رغم أنّه في مقام الإثبات يستلزم ثبوته في المحكمة.

وعلى كل تقدير، لا يخلو الحكم في مسألة الارتداد، من اختلاف وتفاوت بين من أنكر الدين عامداً عالماً بعد فحوصه وتيقّنه بصورة منطقية لا نفسية وبعدهما وضّحت له مسائل الإسلام، ومن أنكر الدين وكان إسلامه وراثياً وبقينه عرفياً وما زال شاكاً باحثاً أو مشتبهاً عليه الحال؛ فالشخص الأوّل تصدق عليه أحكام الارتداد، أمّا الثاني فينطبق عليه قانون «ادراً الحدود بالشبهات»، ورغم ما في هذا الحديث من إشكال سندي إلاّ أنّه يجبر بالشهرة العملية، إضافة إلى وجود شواهد أخرى تؤيد مضمونه؛ لأنّ إثبات حكم الارتداد مشكوك بشأن الشاك المتفحص والمشتبه عليه الأمر، ومن هنا نشأ الاختلاف في حكم الشاك المتفحص ومن هو بصدد التحقيق، وحكم غير المبالي وغير المهتم بالدين والمتلاعب بذلك عن علم وعمد»^(٢).

(١) سورة الإسراء، آية ٣٣.

(٢) جوادى أملي، عبد الله، مصطفى پور، محمد رضا، «ارتداد وآزادي» (الارتداد والحرية)، ص ٨-

٧. كفر الخروج على الإمام المعصوم عليه السلام

قال السيد هاشم البحراني:

«رُويَ أَنَّ الحُسَيْنَ عليه السلام لَمَّا عَزَمَ عَلَى السَّيْرِ إِلَى الكُوفَةِ بَعْدَ مَجِيئِهِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى المَدِينَةِ خَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ إِلَى قَبْرِ جَدِّهِ فَصَلَّى رَكَعَاتٍ كَثِيرَةً، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ جَعَلَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ هَذَا قَبْرُ نَبِيِّكَ وَأَنَا ابْنُ بِنْتِهِ وَقَدْ حَضَرَنِي مِنَ الأَمْرِ مَا قَدْ عَلِمْتَ فَإِنِّي أُمِرُّ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ وَأَنَا أَسْأَلُكَ بِحَقِّ صَاحِبِ هَذَا القَبْرِ إِلاَّ مَا اخْتَرْتَ لِي مِنْ أَمْرِي مَا هُوَ لَكَ فِيهِ رِضًا وَلِرَسُولِكَ رِضًا.»

قَالَ: وَجَعَلَ الحُسَيْنُ عليه السلام يَبْكِي وَيَتَوَسَّلُ وَيَسْأَلُ اللهَ عِنْدَ قَبْرِ جَدِّهِ عليه السلام إِلَى قُرْبِ الفَجْرِ، فَتَعَسَّ، فَرَأَى فِي مَنَامِهِ جَدَّهُ عليه السلام قَدْ أَقْبَلَ إِلَيْهِ فِي كَبْكَبَةٍ مِنَ المَلَائِكَةِ، وَهُمْ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، وَضَمَّ الحُسَيْنُ عليه السلام إِلَى صَدْرِهِ وَقَبَّلَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَقَالَ: يَا حَبِيبِي، يَا حُسَيْنُ، كَأَنِّي أَرَاكَ عَنْ قَرِيبٍ، وَأَنْتَ مُرْمَلٌ بِدِمَائِكَ مَذْبُوحٌ مِنْ قَفَاكَ، مُحْضَبٌ شَبِيبٌ بِدِمَائِكَ، وَأَنْتَ وَحِيدٌ غَرِيبٌ بِأَرْضِ كَرْبَلَاءَ، بَيْنَ عِصَابَةٍ مِنْ أُمَّتِي تَسْتَعِثُّ فَلَا تُغَاثُ، وَأَنْتَ مَعَ ذَلِكَ عَطْشَانٌ لَا تُسْقَى وَظَمَانٌ لَا تُرْوَى.

وَقَدْ اسْتَبَاحُوا حَرِيمَكَ وَذَبَحُوا فَطِيمَكَ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَرْجُونَ شِفَاعَتِي (لَا أَنَاهُمْ اللهُ شِفَاعَتِي) يَوْمَ القِيَامَةِ، يَا حَبِيبِي، يَا حُسَيْنُ، إِنَّ أَبَاكَ وَأُمَّكَ وَأَخَاكَ قَدْ قَدِمُوا عَلَيَّ وَهُمْ إِلَيْكَ مُشْتَاقُونَ، وَإِنَّ لَكَ فِي الجَنَانِ لَدَرَجَةً عَالِيَةً، لَنْ تَنَالَهَا إِلاَّ بِالشَّهَادَةِ فَاسْرِعْ إِلَى دَرَجَتِكَ.

فَجَعَلَ الحُسَيْنُ عليه السلام يَبْكِي عِنْدَ جَدِّهِ عليه السلام فِي مَنَامِهِ، وَيَقُولُ: يَا جَدَّاهُ، خُذْنِي إِلَيْكَ إِلَى القَبْرِ لَا حَاجَةَ لِي فِي الرَّجُوعِ إِلَى الدُّنْيَا، وَالنَّبِيِّ عليه السلام يَقُولُ: لَا بُدَّ مِنَ الرَّجُوعِ إِلَى الدُّنْيَا حَتَّى تُرَزَّقَ الشَّهَادَةَ، لِتَنَالَ مَا كُتِبَ لَكَ مِنَ السَّعَادَةِ، وَإِنِّي وَأَبَاكَ وَأَخَاكَ وَأُمَّكَ نَتَوَقَّعُ قُدُومَكَ عَنْ قَرِيبٍ، وَنَحْشُرُ جَمِيعًا فِي رُؤْمَةٍ وَاحِدَةٍ.

قَالَ: فَانْتَبَهَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ نَوْمِهِ فَرَعَا مَرْعُوبًا فَقَصَّ رُؤْيَاهُ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، فَلَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَشَدَّ غَمًّا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ وَلَا أَكْثَرَ بَاكِيًا.

قَالَ: فَالْتَقَتَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ لَهُ: مَا تَقُولُ فِي قَوْمٍ أَخْرَجُوا ابْنَ بِنْتِ نَبِيِّهِمْ عَنْ وَطَنِهِ وَدَارِهِ وَقَرَارِهِ وَحَرَمِ جَدِّهِ، وَتَرَكَوهُ حَائِفًا مَرْعُوبًا لَا يَسْتَقِرُّ فِي قَرَارٍ وَلَا يَأْوِي إِلَى جِوَارٍ، يُرِيدُونَ بِذَلِكَ قَتْلَهُ وَسَفْكَ دِمَائِهِ، وَلَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَمْ يَزْتَكِبْ مُنْكَرًا وَلَا إِثْمًا؟

فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا حُسَيْنُ، إِنْ كُنْتَ لَا بُدَّ سَائِرًا إِلَى الْكُوفَةِ، فَلَا تَسِيرُ بِأَهْلِكَ وَنِسَائِكَ.

فَقَالَ لَهُ: يَا بَنَ الْعَمِّ، إِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي مَنَامِي، وَقَدْ أَمَرَ بِأَمْرٍ لَا أَقْدِرُ عَلَى خِلَافِهِ، وَإِنَّهُ أَمَرَنِي بِأَخْذِهِمْ مَعِي، وَفِي نَفْلِ آخَرَ [أَنَّهُ] قَالَ: يَا بَنَ الْعَمِّ، إِنَّهُمْ وَدَائِعُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا أَمْنٌ عَلَيْهِنَّ أَحَدًا، وَهُنَّ أَيْضًا لَا يُفَارِقُنِي، فَسَمِعَ ابْنُ عَبَّاسٍ بُكَاءَ مَنْ وَرَائِهِ وَقَائِلَةً تَقُولُ: يَا بَنَ عَبَّاسٍ، تُشِيرُ عَلَيَّ شَيْخَنَا وَسَيِّدَنَا أَنْ يُخْلِفَنَا هَاهُنَا، وَيَمْضِي وَحَدَهُ، لَا وَاللَّهِ بَلْ نَحْيِيءُ مَعَهُ وَنَمُوتُ مَعَهُ، وَهَلْ أَبْقَى الزَّمَانُ لَنَا غَيْرَهُ؟!

فَبَكَى ابْنُ الْعَبَّاسِ بُكَاءً شَدِيدًا وَجَعَلَ يَقُولُ: يَعِزُّ عَلَيَّ وَاللَّهِ فِرَاقُكَ يَا بَنَ عَمِّاهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالرُّجُوعِ إِلَى مَكَّةَ وَاللُّدْخُولِ فِي صَلْحِ بَنِي أُمَيَّةَ.

فَقَالَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هَيْهَاتَ [هَيْهَاتَ] يَا بَنَ عَبَّاسٍ، إِنَّ الْقَوْمَ لَا يَتْرُكُونِي وَإِنَّهُمْ يَطْلُبُونِي أَيْنَ كُنْتُ حَتَّى أَبَايَهُمْ كَرَاهًا وَيَقْتُلُونِي، وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ فِي حُجْرٍ هَامَةٍ مِنْ هَوَامِّ الْأَرْضِ لَأَسْتَحْرِجُونِي مِنْهُ وَفَتَلُونِي، وَاللَّهِ إِنَّهُمْ لَيَعْتَدُونَ عَلَيَّ كَمَا اعْتَدَى الْيَهُودُ فِي يَوْمِ السَّبْتِ، وَإِنِّي فِي أَمْرِ جَدِّي رَسُولِ اللَّهِ حَيْثُ أَمَرَنِي، وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ^(١).

من تشبيه الإمام الحسين عليه السلام المتعددين على حقوقه بمن اعتدى من اليهود في يوم

(١) البحراني، هاشم بن سليمان، مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر ودلائل الحجج على البشر، ج ٣، ص ٤٨٣-٤٨٥.

السبت على حقوق الله سبحانه يفهم أن الخارجين على الإمام المعصوم عليه السلام كفر؛ لأن الخروج على الإمام اعتداء وتعدّ على حقه، مثلما نعلم أن اليهود كفار أيضاً. قال القندوزي الحنفي:

«... وَيَقُولُ الْحَسِينُ عليه السلام: اللَّهُمَّ إِنَّكَ شَاهِدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْمَلَاعِينِ، إِنَّهُمْ قَدْ عَمَدُوا أَنْ لَا يَبْقُوا مِنْ ذُرِّيَّةِ رَسُولِكَ صلى الله عليه وآله، وَهُوَ يَبْكِي بُكَاءً شَدِيداً وَيُنْشِدُ وَيَقُولُ: يَارَبِّ لَا تَتْرُكْنِي وَحِيداً قَدْ أَظْهَرُوا الْفُسُوقَ وَالْجُحُوداً»^(١).

فمن كلمة «الجحود» التي تستعمل في الكفر يستتج كفر الخروج على أولياء الله سبحانه وقتلهم.

في زيارة الجامعة الكبيرة نخطب أئمتنا عليهم السلام بالقول:
«وَمَنْ جَحَدَكُمُ كَافِرٌ، وَمَنْ حَارَبَكُمُ مُشْرِكٌ»^(٢).

٨- كفر النعمة

قال ابن حمدون:

«وَمِنْ كَلَامِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: [خَيْرٌ] الْمَعْرُوفِ مَا لَمْ يَتَقَدَّمْهُ مَطْلٌ وَلَمْ يَتَّبِعْهُ مَنْ. الْوَحْشَةُ مِنَ النَّاسِ عَلَى قَدْرِ الْفِطْنَةِ بِهِمْ. النِّعْمَةُ مِحْنَةٌ، فَإِنْ شَكَرْتَ كَانَتْ كَنْزاً، وَإِنْ كَفَرْتَ صَارَتْ نِقْمَةً»^(٣).

يستشف من المدلول التضميني لقوله عليه السلام: «وَإِنْ كَفَرْتَ صَارَتْ نِقْمَةً» أن أحد أنواع الكفر هو كفر النعمة والذي يتّصف بالقبح والحرمة. وحول ذلك نقل أبو الوفاء الخوارزمي قائلاً:

(١) القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة لذوي القربى، ج ٣، ص ٧٨-٧٩.
(٢) ابن بابويه، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٦١٣.
(٣) ابن حمدون، محمد بن الحسن، التذكرة الحمدونية، ج ١، ص ٢٧٣، حديث ٧٠٢.

«وَقَالَ الْحَسِينُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام: أَجْمَلُ الْمَعْرُوفِ مَا حَصَلَ عِنْدَ الشَّاكِرِ، وَأَضْيَعُهُ مَا صَارَ إِلَى الْكَافِرِ»^(١).

بما أن كلمة «كافر» جاءت هنا بمعنى الكفران بالنعمة يتضح وجود أنواع للكفر ومنها كفر النعمة.

نقل البخاري بسنده عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:
«أَرَيْتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ، قِيلَ: أَبْكَفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ»^(٢).

٩- الكفر الناشئ من العداوة للنبي صلى الله عليه وآله

قال القندوزي الحنفي:

«ثُمَّ حَمَلَ عَلَى الْقَوْمِ حَمْلَةً شَدِيدَةً فَكَشَفَهُمْ عَنِ الْمَشْرَعَةِ، فَأَرْسَلَ زِمَامَ فَرَسِهِ لِيَشْرَبَ، فَصَبَرَ حَتَّى يَشْرَبَ، وَمَدَّ يَدَهُ إِلَى الْمَاءِ وَعَرَفَ عُزْفَةَ لِيَشْرَبَهَا، وَيَحْمِلُ إِلَى نِسَائِهِ مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا صَائِحٌ يَقُولُ: يَا حُسَيْنُ، أَدْرِكْ خَيْمَةَ النِّسَاءِ فَإِنَّهَا هُتِكَتْ، فَفَنَضَّ الْمَاءَ مِنْ يَدِهِ وَأَقْبَلَ إِلَى الْخَيْمَةِ فَوَجَدَهَا سَالِمَةً، فَعَلِمَ أَنَّهَا مَكِيدَةٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَأَنْشَأَ عِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ:
فَإِنْ تَكُنِ الدُّنْيَا تُعَدُّ نَفِيسَةً فَإِنَّ ثَوَابَ اللَّهِ أَعْلَى وَأَجْرَلُ
وَإِنْ تَكُنِ الْأَرْزَاقُ قِسْمًا مُقَدَّرًا فَقَلَّةُ سَعْيِ الْمَرْءِ فِي الرَّزْقِ أَجْمَلُ
وَإِنْ تَكُنِ الْأَمْوَالُ لِلتَّرِكِ جَمْعُهَا فَمَا بَالُ مَتْرُوكٍ بِهِ الْمَرْءُ يَبْخَلُ
وَإِنْ تَكُنِ الْأَجْسَادُ لِلْمَوْتِ أَنْشَأَتْ فَقَتْلُ الْفَتَى بِالسَّيْفِ فِي اللَّهِ أَفْضَلُ

(١) الخوارزمي، ريجان بن عبد الواحد، المناقب والمثالب، ص ١٠٦، حديث ٣٠٩.

(٢) البخاري، محمد بن إسحاق، صحيح البخاري، ج ١، ص ١٥، حديث ٢٩.

عَلَيْكُمْ سَلَامُ اللَّهِ يَا آلَ أَحْمَدَ فَلِيَّ أَرَانِي عَنْكُمْ الْيَوْمَ أَرْحَلُ
 أَرَى كُلَّ مُلْعُونٍ ظَلَمَ مُنَافِقٍ يَرُومُ فَنَانًا جَهْرَةً ثُمَّ يَعْمَلُ
 لَقَدْ كَفَرُوا يَا وَيْلَهُمْ بِمُحَمَّدٍ وَرَبُّهُمْ مَا شَاءَ فِي الْخَلْقِ يَفْعَلُ
 لَقَدْ غَرَّهُمْ حِلْمُ الْإِلَهِ لِأَنَّهُ حَلِيمٌ كَرِيمٌ لَمْ يَكُنْ قَطُّ يَعْجَلُ

ثُمَّ حَمَلَ عَلَى الْقَوْمِ وَجَعَلَ يَضْرِبُهُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا حَتَّى قَتَلَ مِنَ الْقَوْمِ خَلْقًا كَثِيرًا^(١).
 يتضح من البيت السابع أن أعداء النبي الأكرم صلى الله عليه وآله يعدّون في مصاف الكفار.
 قال رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك:

«يَا عَلِيُّ، حَرْبُكَ حَرْبِي، وَسَلْمُكَ سَلْمِي، وَحَرْبِي حَرْبُ اللَّهِ، وَمَنْ سَأَلَكَ فَقَدْ
 سَأَلَنِي، وَمَنْ سَأَلَنِي فَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ»^(٢).

ونخاطب أئمتنا عليهم السلام في الزيارة الجامعة الكبيرة:
 «وَمَنْ رَدَّ عَلَيْكُمْ فِي أَسْفَلِ دَرْكٍ مِنَ الْجَحِيمِ»^(٣).

١٠. كُفْرُ التَّشْبِيهِ

روي ابن شعبة الحرّاني في «تحف العقول» عن الإمام الحسين عليه السلام أنّه قال:
 «أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا هَؤُلَاءِ الْمَارِقَةَ الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ اللَّهَ بِأَنْفُسِهِمْ، يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ
 كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، بَلْ هُوَ اللَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، لَا تُدْرِكُهُ
 الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ»^(٤).

عند التأمّل بمضمون كلام الإمام عليه السلام يتبيّن أنّ ما ذهب إليه المشبّهة من التشبيه

(١) القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة لذوي القربى، ج ٣، ص ٨١.

(٢) ابن بابويه، محمد بن علي، الأمالي، ص ٦٥٦، حديث ٨٩١.

(٣) ابن بابويه، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٦١٣.

(٤) ابن شعبة، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليهم)، ص ٢٤٤.

كفر.

وفي شرح هذا الحديث قال القاضي سعيد القمي:

«كذلك المشبهة خرجوا من الدين وأخرجوا رقابهم عن ربة المسلمين.

ثم إنَّ المشبهة طوائف:

إحداها: المجسّمة، منهم الحنابلة، حيث زعموا الله على صورة أمرد، وخرافاتهم في ذلك أكثر من أن تحدد.

والثانية: من ذهب إلى أنه تعالى جسم صمدي نوري.

والثالثة: مذهب أنه صورة يترجم عنها بالفارسيّة (بيكر).

والرابعة: من قال بزيادة الصفات سواء قامت بذواتها أو بالذات.

والخامسة: من حسب أن في آدم أو بني آدم جزءاً من الألوهيّة أو سنخاً منها.

السادسة: من زعم من المتصوّفة أنه تعالى هو الوجود المطلق المنبسط على هياكل الماهيات، ومن زعم منهم أنه الوجود بشرط لا واللأبشرط، أمره الفاضل على الكل وبشرط شيء معلولاته، وكذا من زعم عكس ذلك في الأوّلين.

السابعة: من اعتقد أنه الوجود الحقّ الحقيقي الغير المتناهي في الشدّة، وأنّ وجودات الممكنات مراتب حقيقة الوجود من الأشدّ فالأشدّ إلى ما لا أضعف منه.

الثامنة: من ذهب إلى عينيّة الصفات بأيّ معنى اعتقده مع اشتراكها لصفات الخلق في المعنى.

التاسعة: من تخلّص عن ذلك، لكن زعم اجتماع تلك المعاني المخالفة لصفات الخلق في ذاته تعالى سواء كان بطريق العينيّة أو الزيادة. وهذا وأكثر ما سبق عليه من نظائره من القول بالمعاني المتفق عليه امتناعه على الله تعالى والمجمع عليه على استحالته. وإن تصفّحت المذاهب والآراء وجدت تحت واحدة من هذه التسعة مع عدم حصر المذاهب في ذلك، ولذا قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ

مُشْرِكُونَ ﴿١﴾، أعاذنا الله من أنحاء الشرك وأنواعه»^(١).

وفي تنمّة شرحه قال:

«ثم إنّه عليه السلام أبطل كافة أقاويل المشبهين بدليل عام، وبعد ذلك يكرّ على كلّ واحد

من تلك الآراء الباطلة على ما هو طريق المحاجة وسبيل الهداية»^(٢).

نقل عن يونس بن عبد الرحمن أنّه قال:

«قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عليه السلام: لِأَيِّ عِلَّةٍ عَرَجَ اللَّهُ بِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله إِلَى السَّمَاءِ

وَمِنْهَا إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَمِنْهَا إِلَى حُجُبِ النُّورِ، وَخَاطَبَهُ وَنَاجَاهُ هُنَاكَ وَاللَّهُ لَا يُوصَفُ

بِمَكَانٍ؟ فَقَالَ عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يُوصَفُ بِمَكَانٍ وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ زَمَانٌ، وَلَكِنَّهُ

عَزَّ وَجَلَّ أَرَادَ أَنْ يُشَرِّفَ بِهِ مَلَائِكَتَهُ وَسُكَّانَ سَمَاوَاتِهِ، وَيُكْرِمَهُمْ بِمُشَاهَدَتِهِ، وَيُرِيَهُ مِنْ

عَجَائِبِ عَظَمَتِهِ مَا يُخْبِرُ بِهِ بَعْدَ هُبُوطِهِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ عَلَى مَا يَقُولُ الْمُشَبِّهُونَ، ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ

وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٤)»^(٥).

(١) سورة يوسف، آية ١٠٦.

(٢) القاضي سعيد القمي، محمد سعيد بن محمد مفيد، شرح الأربعين، ص ٣٩٥.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٩٦.

(٤) سورة القصص، آية ٦٨.

(٥) ابن بابويه، محمد بن علي، التوحيد، ص ١٧٥، حديث ٥.

(و) نماذج من الكفار المدعين للإسلام

حينما نستقرئ الروايات المنقولة عن سيّد الشهداء عليه السلام نجد بعضها قد أشارت إلى عدد من رؤوس الكفر رغم تظاهرهم بالإسلام، من قبيل:

١- أبوسفيان

نقل عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال في جواب كتاب معاوية إليه:

«أَمَا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ تَذَكُّرٌ أَنَّهُ بَلَغَتْكَ عَنِّي أُمُورٌ تَرَعَّبُ عَنْهَا، فَإِنْ كَانَتْ حَقًّا لَمْ تُقَارِنِي عَلَيْهَا، وَلَنْ يَهْدِيَ إِلَيَّ الْحَسَنَاتُ وَيُسَدِّدَ لَهَا إِلَّا اللَّهُ. فَأَمَّا مَا نُمِّي إِلَيْكَ فَإِنَّهَا رَقَاهُ الْمَلَأُونُ الْمَشَاوُونَ بِالتَّائِمِ، الْمَفْرُقُونَ بَيْنَ الْجَمِيعِ، وَمَا أُرِيدُ حَرْبًا لَكَ وَلَا خِلَافًا عَلَيْكَ، وَأَيْمُ اللَّهِ لَقَدْ تَرَكْتُ ذَلِكَ وَأَنَا أَخَافُ اللَّهَ فِي تَرْكِهِ، وَمَا أَظُنُّ اللَّهَ رَاضِيًا عَنِّي بِتَرْكِ مُحَاكَمَتِكَ إِلَيْهِ، وَلَا عَازِرِي دُونَ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِ فِيكَ وَفِي أَوْلِيَائِكَ الْقَاسِطِينَ الْمَلْحِدِينَ، حِزْبِ الظَّالِمِينَ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيَاطِينِ، أَلَسْتُ قَاتِلَ حُجْرِ بْنِ عَدِيٍّ وَأَصْحَابِهِ الْمَصْلِينَ الْعَابِدِينَ، الَّذِينَ يُنْكِرُونَ الظُّلْمَ وَيَسْتَعْظُمُونَ الْبِدْعَ وَلَا يَخَافُونَ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَئِيمًا ظُلْمًا وَعُدْوَانًا بَعْدَ إِعْطَائِهِمُ الْأَمَانَ بِالْمَوَاطِقِ وَالْأَيْمَانِ الْمَغْلَظَةِ؟! أَوْلَسْتُ قَاتِلَ عَمْرِو بْنِ الْحَمِقِ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، الَّذِي أَبْلَتْهُ الْعِبَادَةُ وَصَفَّرَتْ لُونَهُ وَأَنْحَلَتْ جِسْمَهُ؟! أَوْلَسْتَ الْمَدْعِيَّ زِيَادَ بْنَ سُمَيَّةَ الْمُؤَلَّدَ عَلَى فِرَاشِ عُبَيْدِ عَبْدِ ثَقِيفٍ، وَرَعَمْتَ أَنَّهُ ابْنُ أَبِيكَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ)، فَتَرَكْتَ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَخَالَفْتَ أَمْرَهُ مُتَعَمِّدًا، وَاتَّبَعْتَ هَوَاكَ مُكْذِبًا بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ، ثُمَّ سَلَطْتَهُ عَلَى الْعِرَاقَيْنِ فَقَطَعَ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ وَسَمَلَ أَعْيُنَهُمْ وَصَلَبَهُمْ عَلَى جُذُوعِ النَّخْلِ، كَأَنَّكَ لَسْتَ مِنَ الْأُمَّةِ وَكَأَنَّهَا

لَيْسَتْ مِنْكَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ أَحَقَّ بِقَوْمٍ نَسَبًا لَيْسَ لَهُمْ فَهُوَ مَلْعُونٌ)؟! أَوْلَسْتَ صَاحِبَ الْخَضِرِيِّينَ الَّذِينَ كَتَبَ إِلَيْكَ ابْنُ سُمَيَّةَ أَنَّهُمْ عَلَى دِينِ عَلِيٍّ، فَكَتَبْتَ إِلَيْهِ: أُقْتَلُ مَنْ كَانَ عَلَى دِينِ عَلِيٍّ وَرَأْيِهِ، فَفَقَلْتَهُمْ وَمَثَلُ بِهِمْ بِأَمْرِكَ؟! وَدِينُ عَلِيٍّ دِينُ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الَّذِي كَانَ يَضْرِبُ عَلَيْهِ أَبَاكَ، وَالَّذِي انْتَحَالَكَ إِيَّاهُ أَجْلَسَكَ مَجْلِسَكَ هَذَا، وَلَوْلَا هُوَ كَانَ أَفْضَلُ شَرَفِكَ تَجَشَّمَتِ الرَّحْلَتَيْنِ فِي طَلَبِ الْخُمُورِ...»^(١).

يتضح من قول الإمام عليه السلام: «الَّذِي كَانَ يَضْرِبُ عَلَيْهِ أَبَاكَ» مخاطباً معاوية أن لأبيه - أي أبي سفيان - دوراً محورياً وأساسياً كبيراً في نشر الكفر والشرك، والنبوي صلى الله عليه وآله قد وجه له ضربة قاصمة، حيث كان أغلب العرب في الجاهلية يعبدون الأصنام ليتقربوا بها إلى الله، وقال القرآن على لسانهم:

﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾^(٢).

ومع عبادتهم هذه الأصنام كانوا يعتقدون بأن الخالق هو الله تعالى، كما يصرح القرآن بذلك في قوله:

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(٣).

بينما أبو سفيان كان آنذاك - في العصر الجاهلي - دهرياً زنديقاً، لم يعتقد بشيء، ووصفه المقرئزي بقوله:

«وكان كهفاً للمنافقين، وإنه كان في الجاهلية زنديقاً»^(٤).

وأبو سفيان كان على رأس الهرم في معادة النبي صلى الله عليه وآله والإسلام، فجاء يوماً ما

(١) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ١٢٨-١٣٠.

(٢) سورة الزمر، آية ٣.

(٣) سورة العنكبوت، آية ٦١.

(٤) المقرئزي، أحمد بن علي، النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، ص ٥٤.

مع جماعة من رجال قريش إلى أبي طالب عليه السلام وقال:

«يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سب آهتنا، وعاب ديننا، وسفّه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفّه عنّا، وإما أن تحلي بيننا وبينه»^(١).

وكان من الذين اجتمعوا في دار الندوة للتخطيط لقتل النبي صلى الله عليه وآله، وقرروا حينها اختيار شاب من كل قبيلة، ويسلمونه سيفاً ليقوموا جميعهم بالهجوم على بيت النبي صلى الله عليه وآله وقتله^(٢).

وقاد أبو سفيان بنفسه الجيوش في معركة أحد لقتال النبي صلى الله عليه وآله، المعركة التي استشهد فيها سبعون مسلماً من خيرة أصحاب النبي صلى الله عليه وآله ومن بينهم كان عمّه حمزة بن عبدالمطلب^(٣).

وقد رفع عقيرته في تلك المعركة منادياً من أجل إثارة عزيمة المشركين على قتال المسلمين:

«أعل هُبل، أعل هُبل».

فأمر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أن يقولوا في جوابه:

«الله أعلا وأجل».

بعد ذلك صاح مرة أخرى:

«إنّ لنا العزّي ولا عزّي لكم».

فأمر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أن يردّوا عليه بقول:

«الله مولانا ولا مولى لكم»^(٤).

(١) ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، ص ٢٦٤-٢٦٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٨٠-٤٨٢.

(٣) المقرئزي، أحمد بن علي، النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، ص ٥٤.

(٤) ابن عساکر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق، ج ٢٣، ص ٤٤٤.

وبعد وفاة الرسول ﷺ جاء أبو سفيان ووقف على قبر حمزة، وركل القبر بقدمه وقال:

«يا أبا عمارة، إنّ الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمسى في يد غلماننا اليوم يتلعبون به»^(١).

عن أبي السفر قال:

«لَمَّا رَأَى أَبُو سُفْيَانَ النَّاسَ يَطْوُونَ عَقَبِي رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حَسَدَهُ، فَقَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ: لَوْ عَاوَدْتُ هَذَا الرَّجُلَ. فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حَتَّى ضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِهِ، ثُمَّ قَالَ: إِذَا يُحْزِبُكَ اللَّهُ، إِذَا يُحْزِبُكَ اللَّهُ»^(٢).

لم يكن إسلام أبي سفيان عن اختيار ورغبة، وإنما كان عن خوف واضطرار، ففي بداية فتح رسول الله ﷺ لمكة أورد العباس بن عبد المطلب أبا سفيان خلفه على بغلته وجاء به إلى النبي ﷺ.

وبحسب نقل ابن الأثير:

«فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ: وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ، أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟! قَالَ: بَلَى، بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ كَانَ مَعَ اللَّهِ غَيْرُهُ لَقَدْ أَعْنَى عَنِّي شَيْئًا، فَقَالَ: وَيْحَكَ، أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟! فَقَالَ: بِأَبِي وَأُمِّي، أَمَّا هَذِهِ فَفِي النَّفْسِ مِنْهَا شَيْءٌ، قَالَ الْعَبَّاسُ: فَقُلْتُ لَهُ: وَيْحَكَ، تَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ قَبْلَ أَنْ تُضْرَبَ عُنُقُكَ. قَالَ: فَتَشْهَدُ»^(٣).

وكان من أسوء الأعمال التي قام بها أبو سفيان بعد إسلامه الظاهري إنكاره للمعاد، فقد نقل الطبري عن أبي سفيان أنه قال:

(١) ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، ج ١٦، ص ١٣٦.

(٢) ابن عساکر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق، ج ٢٣، ص ٤٥٨.

(٣) ابن الأثير، علي بن محمد، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ١١٩.

«يا بني عبد مناف، تلقفوها تلقف الكرة، فما هناك جنّة ولا نار»^(١).

ونقل ابن عساكر بسنده عن أنس قال:

«إنّ أبا سفيان بن حرب دخل على عثمان بعدما عمي فقال: ها هنا أحد؟ قالوا:

لا، قال: اللهم اجعل الأمر أمر جاهلية...»^(٢).

وقال الإمام الحسن عليه السلام في احتجاجه على جماعة من قريش:

«وَأَنْتُمْ أَيُّهَا الرَّهْطُ، نَشَدْتُمْ اللَّهَ، أَلَا تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَنَ أَبَا سُفْيَانَ فِي

سَبْعَةِ مَوَاطِنَ لَا تَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا؟!

أَوَّلُهَا: يَوْمَ لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَارِجًا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الطَّائِفِ، يَدْعُو نَقِيفًا إِلَى الدِّينِ، فَوَقَعَ بِهِ وَسْبَهُ وَسَفَهَهُ وَشَتَمَهُ وَكَذَّبَهُ وَتَوَعَّدَهُ وَهَمَّ أَنْ يَبْطِشَ بِهِ، فَلَعَنَهُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَصَرَفَ عَنْهُ.

وَالثَّانِيَّةُ: يَوْمَ الْعَيْرِ، إِذْ عَرَضَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ جَائِيَةٌ مِنَ الشَّامِ، فَطَرَدَهَا أَبُو سُفْيَانَ، وَسَاخَلَ بِهَا، فَلَمْ يَظْفَرْ الْمُسْلِمُونَ بِهَا، وَلَعَنَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَدَعَا عَلَيْهِ، فَكَانَتْ وَقَعَتْ بَدْرٍ لِأَجْلِهَا.

وَالثَّالِثَةُ: يَوْمَ أَحُدٍ، حَيْثُ وَقَفَ تَحْتَ الْجَبَلِ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَعْلَاهُ، وَهُوَ يُنَادِي: أَعْلُ هُبْلٍ مِرَارًا، فَلَعَنَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ مَرَّاتٍ، وَلَعَنَهُ الْمُسْلِمُونَ.

وَالرَّابِعَةُ: يَوْمَ جَاءَ بِالْأَحْزَابِ وَعَظْفَانَ وَالْيَهُودِ، فَلَعَنَهُ رَسُولُ اللَّهِ وَابْتَهَلَ.

وَالخَامِسَةُ: يَوْمَ جَاءَ أَبُو سُفْيَانَ فِي قُرَيْشٍ فَصَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَالهُدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ، ذَلِكَ يَوْمَ الْحَدَيْبِيَّةِ، فَلَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا سُفْيَانَ، وَلَعَنَ الْقَادَةَ وَالْأَتْبَاعَ، وَقَالَ: مَلْعُونُونَ كُلُّهُمْ، وَلَيْسَ فِيهِمْ مِنْ يُؤْمِنُ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَا يُرْجَى الْإِسْلَامُ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ، فَكَيْفَ بِاللَّعْنَةِ؟ فَقَالَ: لَا تُصِيبُ اللَّعْنَةُ

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج ١٠، ص ٥٨.

(٢) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق، ج ٢٣، ص ٤٧١.

أَحَدًا مِنَ الْأَتْبَاعِ، وَأَمَّا الْقَادَةُ فَلَا يُفْلِحُ مِنْهُمْ أَحَدٌ.

وَالسَّادِسَةُ: يَوْمَ الْجَمَلِ الْأَخْمَرِ.

وَالسَّابِعَةُ: يَوْمَ وَقَفُوا لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم فِي الْعُقْبَةِ لِيَسْتَنْفِرُوا نَاقَتَهُ، وَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، مِنْهُمْ أَبُو سُفْيَانَ^(١).

قال الإمام علي عليه السلام في حديث حول معاوية وأبي سفيان:

«مُعَاوِيَةٌ ... طَلِيقُ ابْنِ طَلِيقٍ، حِزْبٌ مِنْ هَذِهِ الْأَحْزَابِ، لَمْ يَزَلِ اللَّهُ جزء وَلِرَسُولِهِ صلى الله عليه وآله وسلم عَدُوًّا هُوَ وَأَبُوهُ حَتَّى دَخَلَا فِي الْإِسْلَامِ كَارِهِينَ»^(٢).

وجاء في رسالة أرسلها عليه السلام لمعاوية في موضع آخر:

«يَا بَنَ صَخْرٍ، يَا بَنَ اللَّعِينِ...»^(٣).

وكانه عليه السلام يشير إلى لعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأبي سفيان ومعاوية وولده حينما رآه

النبي صلى الله عليه وآله وسلم مقبلاً على حمار وكان معاوية يقوده ويزيد يسوقه، فقال عندئذ:

«لَعَنَ اللَّهُ الْقَائِدَ وَالرَّاكِبَ وَالسَّائِقَ»^(٤).

وجاء في رسالة للإمام علي عليه السلام يخاطب فيها معاوية قوله:

«وَمِنَّا النَّبِيُّ وَمِنْكُمْ الْمَكْذُوبُ»^(٥).

وعلق ابن أبي الحديد بعد نقله هذه العبارة:

«يعني أبا سفيان بن حرب، كان عدو رسول الله والمكذوب له»^(٦).

ويكشف عن ذلك خطاب الإمام الحسن المجتبي عليه السلام لمعاوية بقوله:

(١) ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، ج ٦، ص ٢٩٠-٢٩١.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٨.

(٣) ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، ج ١٥، ص ٨٢.

(٤) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج ١٠، ص ٥٨.

(٥) نهج البلاغة، رسالة ٢٨.

(٦) ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، ج ١٥، ص ١٩٦.

«وَأَنَّكَ يَا مُعَاوِيَةَ وَأَبَاكَ مِنَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، تُسْرِوْنَ الْكُفْرَ وَتُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ
وتستمالون بالأموال»^(١).

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«وَكَلَّامَةٌ هُمْ شَرَّارُ الْخَلْقِ ابْتُلِيَ بِهِمْ خِيَارُ الْخَلْقِ: أَبُو سُفْيَانَ أَحَدُهُمْ قَاتَلَ رَسُولَ
اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَعَادَاهُ، وَمُعَاوِيَةُ قَاتَلَ عَلِيًّا عليه السلام وَعَادَاهُ، وَيَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ لَعَنَهُ اللَّهُ قَاتَلَ الْحُسَيْنَ
بْنَ عَلِيٍّ عليه السلام وَعَادَاهُ حَتَّى قَتَلَهُ»^(٢).

٢. معاوية

في نقل ابن أعثم:

«قَالَ: وَأَرْسَلَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ أَنْ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ،
فَالْقَنِي إِذَا شِئْتَ حَتَّى أُخْبِرَكَ.

قَالَ: فَخَرَجَ إِلَيْهِ الْحُسَيْنُ حَتَّى وَافَقَهُ وَظَنَّ أَنَّهُ يُرِيدُ حَرْبَهُ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: إِنِّي لَمْ
أَدْعُكَ إِلَى الْحَرْبِ، وَلَكِنْ اسْمَعْ مِنِّي، فَإِنَّهَا نَصِيحَةٌ لَكَ، فَقَالَ الْحُسَيْنُ: قُلْ مَا تَشَاءُ،
فَقَالَ: إَعْلَمُ أَنَّ أَبَاكَ قَدْ وَتَرَ قُرَيْشًا، وَقَدْ بَغَضَهُ النَّاسُ وَذَكَرُوا أَنَّهُ هُوَ الَّذِي قَتَلَ عُثْمَانَ،
فَهَلْ لَكَ أَنْ تَخْلَعَهُ وَتُخَالِفَ عَلَيْهِ حَتَّى نُؤَلِّكَ هَذَا الْأَمْرَ؟!

فَقَالَ الْحُسَيْنُ: كَلَّا وَاللَّهِ، لَا أَكْفُرُ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَبِوَصِيِّ رَسُولِ اللَّهِ، أَحْسَسَ وَيَلِكُ
مِنْ شَيْطَانٍ مَارِدٍ، فَلَقَدْ زَيْنَ لَكَ الشَّيْطَانُ سُوءَ عَمَلِكَ، فَخَدَعَكَ حَتَّى أَخْرَجَكَ مِنْ
دِينِكَ بِاتِّبَاعِ الْقَاسِطِينَ وَنُصْرَةِ هَذَا الْمَارِقِ مِنَ الدِّينِ، لَمْ يَزَلْ هُوَ وَأَبُوهُ حَرَبِينَ وَعَدَوِينَ
لِللَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، فَوَاللَّهِ مَا أَسَلْتُمَا، وَلَكِنَّهُمَا اسْتَسَلَمَا خَوْفًا وَطَمَعًا، فَأَنْتَ الْيَوْمَ
تُقَاتِلُ عَنْ غَيْرِ مَتَدَمِّمْ، ثُمَّ تَخْرُجُ إِلَى الْحَرْبِ مُتَخَلِّقًا لِتُرَائِي بِذَلِكَ نِسَاءَ أَهْلِ الشَّامِ، ازْنَعُ

(١) المصدر السابق، ج ٦، ص ٢٨٨-٢٨٩.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٨، ص ٢٣٤، حديث ٣١١.

قَلِيلًا، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَقْتُلَكَ اللهُ عز وجل سَرِيعًا»^(١).

يتبين من قوله عليه السلام: «لَمْ يَزَلْ...» أن بعض كفار صدر الإسلام كانوا من أعداء الله ورسوله والمؤمنين، ومعاوية وأبو سفيان كانا من هذا القبيل.

فمعاوية بن أبي سفيان من أكثر الذين احتدم حولهم معترك الجرح والتعديل بين الكثير من المسلمين، فالشيعة يطعنون به بشكل عام ويتمسكون في ذلك بأدلة تاريخية وحديثية وقرآنية، واكتفى بعض المنصفين من العامة بالمناقشة في شخصيته، وعمد الأغلب إلى الثناء عليه وتمجيده.

ففي جميع الحروب التي شنتها قريش ضد الإسلام والمسلمين كان أبو سفيان وابنه معاوية في المقدمة وعلى رأس المشركين، فمعاوية لما كان في مكة قد طرق سمعه صوت القرآن ورأى دخول الناس للإسلام زمراً، ولكنه استمر على شركه وغيبه حتى يوم فتح مكة، وأسلم أخيراً مع أبيه خوفاً ورهبة لا عن قناعة ورغبة؛ إذ كانت تلك المدة كافية لكل إنسان ذي عقل أن يعتنق الإسلام إن كان يريد الهداية حقاً، لكن معاوية رغم ذلك لم يسلم، ولولا فتح مكة ل بقي على شركه وواصل قتاله للمسلمين.

وتعال إلى حكم بني أمية للبلاد الإسلامية والذي دام ما يقرب من القرن وكيف أنهم استنفروا خلاله جانباً عظيماً من قدرتهم وهمتهم وسياستهم لهدم أركان الإسلام، وإبعاد التراث النبوي قدر المستطاع عن متناول يد المجتمع الإسلامي؛ ليبقى في دوامة الجهالة والحيرة، وكان رأسهم ورئيسهم معاوية الذي عزم على دفن جميع المظاهر الإسلامية.

وذكر ابن أبي الحديد في الشرح:

(١) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح، ج ٣، ص ٣٩-٤٠.

«وروى الزبير بن بكار في (الموفقيات) - وهو غير متهم على معاوية، ولا منسوب إلى اعتقاد الشيعة، لما هو معلوم من حاله من مجانبة علي عليه السلام، والانحراف عنه:-
قال المطرف بن المغيرة بن شعبة: دخلت مع أبي علي معاوية، وكان أبي يأتيه، فيتحدث معه، ثم ينصرف إليّ فيذكر معاوية وعقله، ويعجب بما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة، فأمسك عن العشاء، ورأيت مغتماً فانتظرت ساعة، وظننت أنه لأمر حدث فينا، فقلت: ما لي أراك مغتماً منذ الليلة؟ فقال: يا بني، جئت من عند أكفر الناس وأخبثهم، قلت: وما ذلك؟ قال: قلت له وقد خلوت به: إنك قد بلغت سنّاً يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلاً، وبسطت خيراً فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم، فوصلت أرحامهم فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، وإن ذلك مما يبقى لك ذكره وثنابه، فقال: هيهات، هيهات... وإن ابن أبي كبشة ليصاح به كل يوم خمس مرّات: (أشهد أنّ محمداً رسول الله)، فأبي عملي يبقى؟! وأي ذكر يدوم بعد هذا لا أباً لك؟! لا والله إلا دفناً دفناً»^(١).

لم يكن نقد معاوية أمراً مختصاً بالشيعة فقط فبعض الصحابة وعلماء العامة انتقدوه أيضاً، وإليك بعض عباراتهم الواردة بهذا الصدد:
قال ابن عباس مخاطباً معاوية وعمرو بن العاص:
«أما أنت يا معاوية، فزيت له ما كان يصنع، حتى إذا حصر طلب نصرك، فأبطأت عنه، وأحببت قتله، وتربّصت به.

وأما أنت يا عمرو، فأضمرت عليه المدينة، وهربت إلى فلسطين تسأل عن أنبائه، فلما أتاك قتله، أضافتك عداوة علي أن لحقت بمعاوية، فبعت دينك بمصر»^(٢).
نقل ابن عساكر بسنده عن الأسود بن يزيد أنه قال:

(١) ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، ج ٥، ص ١٢٩-١٣٠.

(٢) الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٧٣.

«ألا تعجبين لرجل من الطلقاء ينازع أصحاب محمد (صلى الله عليه وسلم) في الخلافة؟! قالت: وما تعجب من ذلك؟! هو سلطان الله يؤتیه البر والفاجر، وقد ملك فرعون أهل مصر أربع مائة سنة»^(١).

وجاء في رسالة الأصبع بن نباتة لمعاوية:

«يا معاوية، لا تعتل بقتلة عثمان، فإنك لا تطلب إلا الملك والسلطان، ولو أردت نصرته حيّاً لفعلت، ولكنك تربّصت به وتقاعدت عنه لتجعل ذلك سبباً إلى الدنيا»^(٢).

ومما قاله الحسن البصري في شأن معاوية أنّ:

«أربع خصال كنّ في معاوية، لو لم يكن فيه منهنّ إلا واحدة لكانت موبقة...»^(٣).
قال عبد الله بن أحمد بن حنبل:

«سألت أبي، قلت: ما تقول في علي ومعاوية؟ فأطرق ثمّ قال: يا بني، إيش أقول فيهما، أعلم أنّ عليّاً كان كثير الأعداء ففتش له أعداؤه عيباً فلم يجدوا، فجأؤوا إلى رجل قد حاربه وقتله فوضعوا له فضائل كيداً منهم له»^(٤).

وقال الذهبي خلال وصفه النسائي:

«لم يكن أحد في رأس الثلاث مائة أحفظ من النسائي، هو أحذق بالحديث وعلله ورجاله من مسلم، ومن أبي داود، ومن أبي عيسى، وهو جار في مضمار البخاري، وأبي زرعة إلا أنّ فيه قليل تشييع وانحراف عن خصوم الإمام علي، كمعاوية وعمرو، والله يسامحه»^(٥).

(١) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق، ج ٥٩، ص ١٤٥.
(٢) ابن الجوزي، يوسف بن القزأوغلي، تذكرة الخواص، ص ٨٣.
(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٢٧٩.
(٤) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٥، ص ١٢٩.
(٥) الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، ج ١٤، ص ١٣٣.

وكتب القرطبي في جامعه:

«فتقرر عند علماء المسلمين وثبت بدليل الدين أنّ علياً عليه السلام كان إماماً، وأنّ كل من خرج عليه باغ، وأنّ قتاله واجب حتّى يفتى إلى الحق وينقاد إلى الصلح»^(١).
والجاحظ قال في رسائله:

«كان علي لا يستعمل في حربه إلا ما عدّله ووافق فيه الكتاب والسنة، وكان معاوية يستعمل خلاف الكتاب والسنة ويستعمل جميع المكاييد وجميع الخدع حلالها وحرامها»^(٢).

ولما منع معاوية الحاكم النيسابوري من التدريس والخطابة جاءه أبو عبد الرحمن السلمي وأشار عليه بأن يثني على معاوية قائلاً:
«لو خرجت وأملت في فضائل هذا الرجل حديثاً، لاسترحت من المحنة، فقال:
لا يجيء من قلبي، لا يجيء من قلبي»^(٣).

وجاء ذكر معاوية في جلسة درس عبد الرزاق الصنعاني - وهو من الثقات عند الذهبي - فقال:

«لا تقدر مجلسنا بذكر ولد أبي سفيان»^(٤).

وكان يحيى بن عبد الحميد الحماني - وهو ممن وثقه ابن معين وآخرون - يقول:
«كان معاوية على غير ملّة الإسلام»^(٥).

(١) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٦، ص ٣١٨.
(٢) الجاحظ، عمرو بن بحر، رسائل الجاحظ: الرسائل السياسية، ص ٣٦٥.
(٣) الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، ج ١٧، ص ١٧٥.
(٤) الذهبي، محمد بن أحمد، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ج ٢، ص ٦١٠.
(٥) المصدر السابق، ج ٤، ص ٣٩٢.

وقال ابن أبي الحديد:

«وقد طعن كثير من أصحابنا في دين معاوية ولم يقتصروا على تفسيقه، وقالوا عنه: إنه كان ملحداً لا يعتقد النبوة»^(١).

ونقل عبد الرؤوف المناوي عن عبد القاهر الجرجاني قوله في كتاب «الإمامة»: «أجمع فقهاء الحجاز والعراق من فريقَي الحديث والرأي، منهم مالك والشافعي وأبو حنيفة والأوزاعي والجمهور الأعظم من المتكلمين والمسلمين أن علياً مصيب في قتاله لأهل صفين كما هو مصيب في أهل الجمل، وأن الذين قاتلوه بغاة ظالمون له»^(٢).

٣- يزيد

روى ابن شهر آشوب أن الإمام الحسين عليه السلام كان يردد هذه الأبيات يوم عاشوراء:

كَفَرَ الْقَوْمُ وَقَدْ مَارَّ غُبُوبًا	عَنْ ثَوَابِ اللَّهِ رَبِّ الثَّقَلَيْنِ
قَتَلُوا قَدْ مَارَّ عَلِيًّا وَابْنَهُ	الْحَسَنَ الْخَيْرَ الْكَرِيمَ الطَّرْفَيْنِ
حَتَّى جَمَعُوا مِنْهُمْ وَقَالُوا اجْمَعُوا	نَفْتِكَ الْآنَ جَمِيعاً بِالْحَسَنِ
يَا لِقَوْمٍ مِنْ أَنْسَابِ رِذْلِ	جَمَعُوا الْجَمْعَ لِأَهْلِ الْحَرَمَيْنِ
ثُمَّ سَارُوا وَتَوَاصَوْا كُلُّهُمْ	بِاجْتِيَاحِي لِرِضَاءِ الْمَلْحَدَيْنِ ^(٣)

حيث يصرح في البيت الخامس من هذه الأشعار أن يزيد بن معاوية وأولياء أموره كانوا ملحدين وكافرين.

(١) ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، ج ٥، ص ١٢٩.

(٢) المناوي، محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين، فيض التقدير شرح الجامع الصغير، ج ٦، ص ٣٦٥، حديث ٩٦٤٠.

(٣) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب عليه السلام، ج ٤، ص ٧٩.

وقال شهاب الدين الألوسي في تفسيره الآية ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾^(١):

«واستدل بها أيضاً على جواز لعن يزيد عليه من الله تعالى ما يستحق. نقل البرزنجي في (الإشاعة) والهيتمي في (الصواعق): أن الإمام أحمد لما سأله ولده عبد الله عن لعن يزيد، قال: كيف لا يلعن من لعنه الله تعالى في كتابه؟! فقال عبد الله: قد قرأت كتاب الله عز وجل فلم أجد فيه لعن يزيد، فقال الإمام: إن الله تعالى يقول: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ الآية، وأي فساد وقطيعة أشد مما فعله يزيد. انتهى...»

وعلى هذا القول لا توقّف في لعن يزيد؛ لكثرة أوصافه الخبيثة وارتكابه الكبائر في جميع أيام تكليفه، ويكفي ما فعله أيام استيلائه بأهل المدينة ومكة، فقد روى الطبراني بسند حسن (اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفه، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل). والظامة الكبرى ما فعله بأهل البيت ورضاه بقتل الحسين على جدّه وعليه الصلاة والسلام واستبشاره بذلك وإهانتة لأهل بيته مما تواتر معناه وإن كانت تفاصيله آحاداً، وفي الحديث (سته لعنتهم، وفي رواية: لعنهم الله وكل نبي مجاب الدعوة: المحرّف لكتاب الله - وفي رواية -: الزائد في كتاب الله، والمكذّب بقدر الله، والمتسلّط بالجبروت ليعزّ من أذلّ الله ويذلّ من أعزّ الله، والمستحل من عترتي، والتارك لسنّتي).

وقد جزم بكفره وصرّح بلعنه جماعة من العلماء، منهم الحافظ ناصر السنّة ابن الجوزي، وسبقه القاضي أبو يعلى، وقال العلامة التفتازاني: لا نتوقّف في شأنه، بل في إيمانه لعنة الله تعالى عليه وعلى أنصاره وأعوانه، ومن صرّح بلعنه الجلال السيوطي

(١) سورة محمد، آية ٢٢.

عليه الرحمة، وفي تاريخ ابن الوردي وكتاب الوافي بالوفيات: أنّ السبي لما ورد من العراق على يزيد خرج فلقي الأطفال والنساء من ذرية علي والحسين رضي الله تعالى عنهما والرؤوس على أطراف الرماح وقد أشرفوا على ثنية جيرون، فلما رأهم نعب غراب فأنشأ يقول:

لما بدت تلك الحمول وأشرفت تلك الرؤوس على شفا جيرون
نعب الغراب فقلت قل أو لا تقل فقد اقتضيت من الرسول ديوني

يعني أنّه قتل بمن قتله رسول الله (صلى الله عليه وسلّم) يوم بدر كجده عتبة وخاله ولد عتبة وغيرهما، وهذا كفر صريح، فإذا صح عنه فقد كفر به، ومثله تمثله بقول عبد الله بن الزبيري قبل إسلامه: ليت أشياخي، الأبيات.

وأفتى الغزالي عفا الله عنه بحرمة لعنه، وتعقب السفاريني من الحنابلة نقل البرزنجي والهيتمي السابق عن أحمد رحمه الله تعالى فقال: المحفوظ عن الإمام أحمد خلاف ما نقلنا، ففي الفروع ما نصّه: ومن أصحابنا من أخرج الحجّاج عن الإسلام فيتوجّه عليه يزيد ونحوه، ونص أحمد خلاف ذلك، وعليه الأصحاب، ولا يجوز التخصيص باللعنة خلافاً لأبي الحسين وابن الجوزي وغيرهما، وقال شيخ الإسلام - يعني والله تعالى أعلم: ابن تيمية -: ظاهر كلام أحمد الكراهة، قلت: والمختار ما ذهب إليه ابن الجوزي وأبو حسين القاضي ومن وافقهما. انتهى كلام السفاريني.

وأبو بكر بن العربي المالكي عليه من الله تعالى ما يستحق أعظم الفرية، فزعم أنّ الحسين قتل بسيف جدّه (صلى الله عليه وسلّم)، وله من الجهلة موافقون على ذلك ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾^(١).

قال ابن الجوزي عليه الرحمة في كتابه السرّ المصون: من الاعتقادات العامّة التي

غلبت على جماعة منتسبين إلى السنّة أن يقولوا: إنّ يزيد كان على الصواب وأنّ الحسين رضي الله تعالى عنه أخطأ في الخروج عليه، ولو نظروا في السير لعلموا كيف عقدت له البيعة وألزم الناس بها، ولقد فعل في ذلك كل قبيح، ثمّ لو قدّرنا صحة عقد البيعة فقد بدت منه بواد كلها توجب فسخ العقد، ولا يميل إلى ذلك إلا كل جاهل عامي المذهب يظن أنّه يغيظ بذلك الرافضة...

وأنا أقول: الذي يغلب على ظني أنّ الخبيث لم يكن مصدّقاً برسالة النبي (صلى الله عليه وسلّم)، وأنّ مجموع ما فعل مع أهل حرم الله تعالى وأهل حرم نبيه عليه الصلاة والسلام وعترته الطيبين الطاهرين في الحياة وبعد الممات، وما صدر منه من المخازي ليس بأضعف دلالة على عدم تصديقه من إلقاء ورقة من المصحف الشريف في قدر، ولا أظن أنّ أمره كان خافياً على أجلة المسلمين إذ ذاك، ولكن كانوا مغلوبين مقهورين لم يسعهم إلا الصبر ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، ولو سلّم أنّ الخبيث كان مسلماً فهو مسلم جمع من الكبائر ما لا يحيط به نطاق البيان، وأنا أذهب إلى جواز لعن مثله على التعيين، ولو لم يتصوّر أن يكون له مثل من الفاسقين، والظاهر أنّه لم يتب، واحتمال توبته أضعف من إيمانه، ويلحق به ابن زياد وابن سعد وجماعة فلعنة الله عليهم أجمعين وعلى أنصارهم وأعوانهم وشيعتهم ومن مال إليهم إلى يوم الدين ما دمعت عين على أبي عبد الله الحسين، ويعجبني قول شاعر العصر ذو الفضل الجلي عبد الباقي أفندي العمري الموصلّي وقد سئل عن لعن يزيد اللعين:

يزيد على لعني عريض جنابه فأغدو به طول المدى ألعن اللعنا

ومن كان يخشى القال والقليل من التصريح بلعن ذلك الضليل فليقل: لعن الله عز وجل من رضي بقتل الحسين ومن آذى عتره النبي (صلى الله عليه وسلّم) بغير حق ومن غصبهم حقهم، فإنّه يكون لاعناً له؛ لدخوله تحت العموم دخولاً أولياً في نفس الأمر، ولا يخالف أحد في جواز اللعن بهذه الألفاظ ونحوها سوى ابن العربي المار ذكره

وموافقيه، فإنهم على ظاهر ما نقل عنهم لا يجوزون لعن من رضي بقتل الحسين رضي الله تعالى عنه، وذلك لعمرى هو الضلال البعيد الذي يكاد يزيد على ضلال يزيد»^(١).

٤: عبید الله بن زیاد

روى ابن شهر آشوب أن الإمام الحسين عليه السلام ردد يوم عاشوراء هذه الأبيات:

كَفَرَ الْقَوْمُ وَقَدَّمَا رَغِبُوا	عَنْ ثَوَابِ اللَّهِ رَبِّ الثَّقَلَيْنِ
قَتَلُوا قَدَمًا عَلِيًّا وَابْنَهُ	الْحَسَنَ الْخَيْرَ الْكَرِيمَ الطَّرْفَيْنِ
حَقًّا مِنْهُمْ وَقَالُوا اجْمَعُوا	نَفَتِكَ الْآنَ جَمِيعًا بِالْحَسَنِ
يَا لَقَوْمٍ مِنْ أَنْاسٍ رَذُلٍ	جَمَعُوا الْجَمْعَ لِأَهْلِ الْحَرَمَيْنِ
ثُمَّ سَارُوا وَتَوَاصَوْا كُلَّهُمْ	بِاجْتِيَاحِي لِرِضَاءِ الْمَلْحَدَيْنِ
لَمْ يَخَافُوا اللَّهَ فِي سَفْكِ دَمِي	لِعُبَيْدِ اللَّهِ نَسْلِ الْكَافِرَيْنِ ^(٢)

ويستفاد من البيت السادس أن عبید الله بن زیاد كافر وينحدر من نسل كفار أيضاً.

وطبقاً له يأتي تعبيرنا في زيارة عاشوراء:

«... اللَّهُمَّ الْعَنُ يَزِيدَ خَامِسًا، وَالْعَنُ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ وَابْنَ مَرْجَانَةَ...»^(٣).

ونقل ابن أعثم خطبة ابن زياد في مسجد الكوفة بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام:
«قال: فصعد ابن زياد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال في بعض كلامه: الحمد لله

(١) الآلوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج ١٣، ص ٢٢٧-٢٢٩.

(٢) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب عليه السلام، ج ٤، ص ٧٩.

(٣) ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار الكبير، ص ٤٨٤.

الذي أظهر الحق وأهله ونصر أمير المؤمنين وأشياعه وقتل الكذاب ابن الكذاب.
 قال: فما زاد على هذا الكلام شيئاً ووقف، فقام إليه عبد الله بن عفيف الأزدي رحمه الله، وكان من خيار الشيعة وكان أفضلهم وكان قد ذهبت عينه اليسرى في يوم الجمل والأخرى في يوم صفين وكان لا يفارق المسجد الأعظم يصلي فيه إلى الليل ثم ينصرف إلى منزله، فلما سمع مقالة ابن زياد وثب قائماً، ثم قال: يا بن مرجانة، الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك ومن استعملك وأبوه، يا عدو الله، أقتلون أبناء النبيين وتكلمون بهذا الكلام على منابر المؤمنين؟! قال: فغضب ابن زياد، ثم قال: من المتكلم؟ فقال: أنا المتكلم يا عدو الله، أقتل الذرية الطاهرة التي قد أذهب الله عنها الرجس في كتابه وتزعم أنك على دين الإسلام؟! وا عوناه، أين أولاد المهاجرين والأنصار لا ينتقمون من طاغيتك اللعين ابن اللعين على لسان محمد نبي رب العالمين؟! قال: فازداد غضباً عدو الله حتى انتفخت أوداجه، ثم قال: عليّ به، قال: فتبادرت إليه الجلاوزة من كل ناحية ليأخذوه، فقامت الأشراف من الأزدي من بني عمّه فخلّصوه من أيدي الجلاوزة وأخرجوه من باب المسجد فانطلقوا به إلى منزله.

ونزل ابن زياد عن المنبر ودخل القصر، ودخل عليه أشراف الناس، فقال: رأيتم ما صنع هؤلاء القوم؟! فقالوا: قد رأينا أصلح الله الأمير إنما الأزدي فعلت ذلك، فشدّ يديك بساداتهم، فهم الذين استنقذوه من يدك حتى صار إلى منزله، قال: فأرسل ابن زياد إلى عبد الرحمن بن مخنف الأزدي فأخذه وأخذ معه جماعة من الأزدي فحبسهم، وقال: والله لا أخرجتم من يدي أو تأتونني بعبد الله بن عفيف.

قال: ثم دعا ابن زياد لعمر بن الحجاج الزبيدي ومحمد بن الأشعث وشيث بن الربيعي وجماعة من أصحابه وقال لهم: اذهبوا إلى هذا الأعمى، أعمى الأزدي الذي قد أعمى الله قلبه كما أعمى عينيه، ائتوني به، قال: فانطلقت رسل عبيد الله بن زياد إلى عبد الله بن عفيف، وبلغ ذلك الأزدي فاجتمعوا، واجتمع معهم أيضاً قبائل اليمن ليمنعوا

عن صاحبهم عبد الله بن عفيف، وبلغ ذلك ابن زياد فجمع قبائل مضر وضمهم إلى محمد بن الأشعث، وأمره بقتال القوم.

قال: فأقبلت قبائل مضر نحو اليمن وندت منهم اليمن، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فبلغ ذلك ابن زياد فأرسل إلى أصحابه يؤنبهم، فأرسل إليه عمرو بن الحجاج يخبره باجتماع اليمن عليهم، قال: وبعث إليه شبث بن الربيعي: أيها الأمير، إنك قد بعثتنا إلى أسود الآجام فلا تعجل، قال: واشتد قتال القوم حتى قتل جماعة منهم من العرب، قال: ودخل أصحاب ابن زياد إلى دار ابن عفيف فكسروا الباب واقتحموا عليه، فصاحت به ابنته: يا أبت، أتاك القوم من حيث لا تحتسب، فقال: لا عليك يا ابنتي، ناوليني السيف، قال: فناولته فأخذه وجعل يذب عن نفسه وهو يقول:

أنا ابن ذي الفضل العفيف الطاهر عفيف شيخي وابن أم عامر
كم دارع من جمعهم وحاسر وبطل جندلته مغادر

قال: وجعلت ابنته تقول: يا ليتني كنت رجلاً فأقاتل بين يديك اليوم هؤلاء الفجرة قاتلي العترة البررة، قال: وجعل القوم يدورون عليه من خلفه وعن يمينه وعن شماله وهو يذب عن نفسه بسيفه، وليس يقدر أحد أن يتقدم إليه، قال: وتكاثروا عليه من كل ناحية حتى أخذوه، فقال جندب بن عبد الله الأزدي: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَجُوعُونَ﴾، أخذوا والله عبد الله بن عفيف، فقبح والله العيش من بعده.

قال: ثم أتى به حتى أدخل على عبید الله بن زياد، فلما رآه قال: الحمد لله الذي أخزأك، فقال له عبد الله بن عفيف: يا عدو الله، بهذا أخزاني؟! والله لو فرج الله عن بصري لضاق عليك موردي ومصدري، قال: فقال ابن زياد: يا عدو نفسه، ما تقول في عثمان بن عفان رضي الله عنه? فقال: يا بن عبد بني علاج، يا بن مرجانة وسمية، ما أنت وعثمان بن عفان؟! عثمان أساء أم أحسن، وأصلح أم أفسد، الله تبارك وتعالى ولي خلقه

يقضي بين خلقه وبين عثمان بن عفان بالعدل والحق، ولكن سلني عن أبيك وعن يزيد وأبيه، فقال ابن زياد: والله لا سألتك عن شيء أو تذوق الموت، فقال عبد الله بن عفيف: الحمد لله رب العالمين، أما إني كنت أسأل ربي ﷺ أن يرزقني الشهادة، والآن فالحمد لله الذي رزقني إياها بعد الإياس منها، وعرفني الإجابة منه لي في قديم دعائي، فقال ابن زياد: اضربوا عنقه، فضربت رقبته وصلب - رحمة الله عليه -^(١).

٥. عمر بن سعد وجيشه

وقال الخوارزمي الحنفي:

«فَتَقَدَّمَ الْحَسِينَ عَلَيْهِ السَّلَامِ حَتَّى وَقَفَ قُبَالَةَ الْقَوْمِ، وَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى صُفُوفِهِمْ كَأَنَّهَا السَّيْلُ، وَنَظَرَ إِلَى ابْنِ سَعْدٍ وَاقِفًا فِي صِنَادِيدِ الْكُوفَةِ، فَقَالَ: ... فَنِعِمَّ الرَّبُّ رَبُّنَا، وَبِئْسَ الْعَبِيدُ أَنْتُمْ، أَفَرَزْتُمْ بِالطَّاعَةِ، وَأَمْتَمْتُمْ بِالرَّسُولِ مُحَمَّدٍ، ثُمَّ إِنَّكُمْ زَحِفْتُمْ إِلَى ذُرِّيَّتِهِ تُرِيدُونَ قَتْلَهُمْ، لَقَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْكُمْ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاكُمْ ذِكْرَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، فَتَبَّ لَكُمْ وَمَا تُرِيدُونَ، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، هُوَ لَاءَ قَوْمٌ كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ، فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ»^(٢).

فيفهم من جملة «هُوَ لَاءَ قَوْمٌ كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ» أن جيش عمر بن سعد وهو في ضمنهم ارتدوا وأصبحوا كفره بخروجهم على إمامهم وقصدتهم قتله.

قال ابن شهر آشوب:

«رَوَى أَبُو مَخْنَفٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّهُ صُلِبَ رَأْسُ الْحَسَنِ بِالصَّيَارِفِ فِي الْكُوفَةِ، فَتَنَحَّحَ الرَّأْسُ، وَقَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَهُمْ هُدًى﴾^(٣)، فَلَمْ يَزِدْهُمْ ذَلِكَ إِلَّا ضَلَالًا.

(١) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح، ج ٥، ص ١٢٣-١٢٦.

(٢) أخطب خوارزم، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام، ج ١، ص ٣٥٧.

(٣) سورة الكهف، آية ١٣.

وَفِي أُنْتَرٍ: أَنَّهُمْ لَمَّا صَلَبُوا رَأْسَهُ عَلَى الشَّجَرَةِ سَمِعَ مِنْهُ: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(١)، وَسَمِعَ أَيْضاً صَوْتَهُ بِدِمَشْقٍ يَقُولُ: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾^(٢)، وَسَمِعَ أَيْضاً يَقْرَأُ: ﴿أَنَّ أَصْحَبَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا﴾^(٣)، فَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمٍ: أَمْرٌكَ أَعْجَبُ يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ^(٤).

فاستشهد الإمام عليه السلام بهذه الآية من سورة الكهف يدل على أن جيش عمر بن سعد والخارجين على الإمام المعصوم عليه السلام كفرون بالإله عز وجل.

ونقل أبو الفرج الإصفهاني في مقاتل الطالبين:

«قَالَ: وَحَمَلَ شِمْرٌ - لَعْنَهُ اللَّهُ - عَلَى عَسْكَرِ الْحُسَيْنِ، فَجَاءَ إِلَى فُسْطَاطِهِ لِيَنْهَبَهُ، فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ: وَيْلَكُمْ، إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ دِينٌ فَكُونُوا أَحْرَارًا فِي الدُّنْيَا، فَرَحِلِي لَكُمْ عَنْ سَاعَةِ مُبَاحٍ، قَالَ: فَاسْتَحْيَا وَرَجَعَ»^(٥).

ومن ملاحظة قوله عليه السلام: «إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ دِينٌ...» مخاطباً به جيش عمر بن سعد يتبين أنهم بنهبهم مخيم الإمام المعصوم عليه السلام وسلبهم له والخروج عليه أصبحوا بلا دين.

روى الإمام الرضا عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:

«إِنَّ قَاتِلَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام فِي تَابُوتٍ مِنْ نَارٍ، عَلَيْهِ نِصْفُ عَذَابِ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَقَدْ شُدَّتْ يَدَاهُ وَرَجُلَاهُ بِسَلْسَلٍ مِنْ نَارٍ مُنْكَسِّ فِي النَّارِ حَتَّى يَقَعَ فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ، وَلَهُ رِيحٌ يَتَعَوَّذُ أَهْلَ النَّارِ إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ شِدَّةِ نَتْنِهِ، وَهُوَ فِيهَا خَالِدٌ، ذَائِقُ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ، مَعَ

(١) سورة الشعراء، آية ٢٢٧.

(٢) سورة الكهف، آية ٣٩.

(٣) سورة الكهف، آية ٩.

(٤) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب عليه السلام، ج ٤، ص ٦١.

(٥) أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبين، ص ١١٨.

جَمِيعٍ مِّنْ شَايِعٍ عَلَىٰ قَتْلِهِ، كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلَ اللَّهُ عُرُوسَهُمْ عَلَيْهِمْ الْجُلُودَ حَتَّىٰ يَذُوقُوا
الْعَذَابَ الْأَلِيمَ، لَا يُقْتَرُ عَنْهُمْ سَاعَةٌ وَيُسْقَوْنَ مِنْ حَمِيمٍ جَهَنَّمَ، فَالْوَيْلُ لَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ
تَعَالَىٰ فِي النَّارِ»^(١).

(١) ابن بابويه، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٤٧، حديث ١٧٨.

ز) إمكان الكفر بعد الإيمان

تطرح هذه المسألة عادة في علم الكلام الإسلامي بحثاً عن الإجابة على السؤال القائل: هل أن الكفر ممكن الوقوع بعد الإيمان؟ ما يستتج من روايات سيّد الشهداء عليه السلام هو الإمكان.

حيث نقل الخوارزمي الحنفي:

«فَتَقَدَّمَ الْحُسَيْنُ عليه السلام حَتَّى وَقَفَ قُبَالَهَ الْقَوْمِ، وَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى صُفُوفِهِمْ كَأَنَّهَا السَّيْلُ، وَنَظَرَ إِلَى ابْنِ سَعْدٍ وَاقِفًا فِي صِنَادِيهِ الْكُوفَةِ، فَقَالَ: ... فَيَنعَمُ الرَّبُّ رَبَّنَا، وَبَسَّ الْعَبِيدُ أَنْتُمْ، أَقْرَرْتُمْ بِالطَّاعَةِ، وَأَمَنْتُمْ بِالرَّسُولِ مُحَمَّدٍ، ثُمَّ إِنَّكُمْ رَحِمْتُمْ إِلَى ذُرِّيَّتِهِ تُرِيدُونَ قَتْلَهُمْ، لَقَدْ اسْتَحَوَذَ عَلَيْكُمْ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاكُمْ ذِكْرَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، فَتَبَّ لَكُمْ وَمَا تُرِيدُونَ، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، هَؤُلَاءِ قَوْمٌ كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ، فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ»^(١).

فمن قوله عليه السلام: «هَؤُلَاءِ قَوْمٌ كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ» يتّضح إمكان حصول الكفر بعد الإيمان.

ونقل عن محمد بن داود بن عقبة أنه قال:

«كَانَ لَنَا جَارٌ يُعْرَفُ بِعَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ: كُنْتُ أَزُورُ الْحُسَيْنَ عليه السلام فِي كُلِّ شَهْرٍ، قَالَ: ثُمَّ عَلَتْ سِنِّي وَضَعَفَ جِسْمِي وَانْقَطَعَتْ عَنْهُ مُدَّةٌ، ثُمَّ وَقَعَ إِلَيَّ أَنَّهَا آخِرُ سِنِّي عُمْرِي، فَحَمَلْتُ عَلَى نَفْسِي وَخَرَجْتُ مَا شِئْتُ، فَوَصَلْتُ فِي أَيَّامٍ، فَسَلَّمْتُ وَصَلَّيْتُ رَكَعَتِي الرِّيَّازَةَ وَنَمْتُ، فَرَأَيْتُ الْحُسَيْنَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ قَدْ خَرَجَ مِنَ الْقَبْرِ، فَقَالَ لِي: يَا عَلِيُّ، لِمَ جَفَوْتَنِي وَكُنْتَ بِي بَرًّا؟! فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي، ضَعَفَ جِسْمِي وَفُصِرَتْ خُطَايَ، وَوَقَعَ لِي

(١) أخطب خوارزم، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام، ج ١، ص ٣٥٧.

أَتَمَّا آخِرُ سِنِي عُمَرِي فَأَتَيْتَكَ فِي أَيَّامٍ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْكَ شَيْءٌ أَحَبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْكَ،
فَقَالَ: قُلْ، قَالَ: قُلْتُ: رُوِيَ عَنْكَ: مَنْ زَارَنِي فِي حَيَاتِهِ زُرْتُهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ،
قُلْتُ: فَأَرَوِيهِ عَنْكَ: (مَنْ زَارَنِي فِي حَيَاتِهِ زُرْتُهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ)؟ قَالَ: نَعَمْ، ازْوِ عَنِّي: مَنْ
زَارَنِي فِي حَيَاتِهِ زُرْتُهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ، وَإِنْ وَجَدْتُهُ فِي النَّارِ أَخْرَجْتُهُ»^(١).

عند ملاحظة مضمون جملة «وَإِنْ وَجَدْتُهُ فِي النَّارِ أَخْرَجْتُهُ» يستشف منه إمكان

دخول المسلمين إلى جهنم.

حيث يقول سبحانه:

﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧٦﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ
الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا ﴿٧٧﴾﴾.

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، الدروع الواقية، ص ٧٥-٧٦.

(٢) سورة مريم، آية ٧١-٧٢.

ح) من المعتقدات الكفرية

حينما نطالع الأحاديث المنقولة عن سيّد الشهداء عليه السلام سعيّاً وراء تصنيفها نجد بعضها قد تطرّقت للعقائد المسيحية الكفرية.

فقد نقل السيّد ابن طاووس في اللهوف:

«... فَأَقْتَلُوا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ حَمَلَةً وَحَمَلَةً حَتَّى قُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ عليه السلام جَمَاعَةٌ.»

قَالَ: فَعِنْدَهَا ضَرَبَ الْحُسَيْنُ عليه السلام بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَتِهِ وَجَعَلَ يَقُولُ: اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْيَهُودِ إِذْ جَعَلُوا لَهُ وَلَدًا، وَاشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى النَّصَارَى إِذْ جَعَلُوهُ ثَالِثَ ثَلَاثَةٍ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَى الْمُجُوسِ إِذْ عَبَدُوا الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دُونَهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَى قَوْمٍ اتَّفَقَتْ كَلِمَتُهُمْ عَلَى قَتْلِ ابْنِ بِنْتِ نَبِيِّهِمْ، أَمَا وَاللَّهِ لَا أُجِيبُهُمْ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا يُرِيدُونَ حَتَّى أَلْقَى اللَّهُ وَأَنَا مُحْضَبٌ بِدَمِي^(١).

إذ يتضح من جملة «وَاشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى النَّصَارَى...» شدة غضب الله سبحانه على النصارى لقولهم بعقيدة الابن والأب الباطلة.

فيقول سبحانه وتعالى:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَالَتْهُمْ اللَّهُ أَنْفٌ يُؤْفَكُونَ﴾^(٢).

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف، ص ٦٠-٦١.

(٢) سورة التوبة، آية ٣٠.

ويقول كذلك:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١).

إنَّ قولهم بالتثليث وعبادة الثالوث واحدة من اعتقادات النصراني حول خالق الكون ومبدعه والتي تقابل عقيدة التوحيد في الإسلام إذا ما قورنت بها بلحاظ المكانة والأهمية.

توماس ميشال ذكر في كتابه (مدخل إلى العقيدة المسيحية):

«كلمة (تثليث) لم ترد في الكتاب المقدس أبداً، وأول من عرف استخدامه لها في تاريخ المسيحية هو أسقف أنطاكيا، ويعود ذلك إلى سنة ١٨٠ ميلادية. من المؤكد أنَّ جذور مفهوم التثليث محسوسة في العهد الجديد، فعبارة إعطاء حقِّ التعميد في آخر إنجيل متى تصرَّح بذلك: (عمدوه باسم الأب والابن وروح القدس)»^(٢).

ونقرأ في إنجيل يوحنا (الفصل ١٠، الآية ٣٠):

«أنا وأبي الله واحد».

وقال توماس ميشال:

«بنظر التقليد المسيحي والكتب المقدسة أنَّ روح القدس جبرئيل ملك الله ومخلوقاً من مخلوقاته غير منفصل عنه. في العقيدة المسيحية أنَّه هو الله الذي يعيش في قلوب الناس والعالم، والمشغول بالعمل، وهو وجود الله القدير والفعال في العالم، وقد استقر عيسى في بطن أمه بواسطة روح القدس هذه...»^(٣).

(١) سورة المائدة، آية ٧٣.

(٢) ميشال، توماس، كلام مسيحي، ترجمة حسين توفيق، ص ٧٣.

(٣) المصدر السابق، ص ٧٤.

وقال كذلك:

«أول شورى للكنيسة التي تشكّلت في نيقية وأفسس، كالسِدون (خلقيونية) وقسطنطينية، أعلنوا أنّ الله واحد إلا أنّ له ثلاثة أقانيم، وكلمة أفنوم ذات جذور يونانية وتعني (طريق الوجود)، وطبقاً لهذا فإنّ الأقانيم الثلاثة ثلاث طرق أو ثلاث حالات لوجود الله وعمله»^(١).

الإشكالات على عقيدة التثليث

هناك عدّة إشكالات أوردت على عقيدة التثليث نشير هنا إلى بعضها:

الإشكال الأول

هناك ثلاثة احتمالات بخصوص التثليث:

- ١- وحدة حقيقية وكثرة اعتبارية، وهذا الاحتمال لا يرد عليه إشكال، ولكن لا قائل به بين المسيحيين.
 - ٢- كثرة حقيقية ووحدة اعتبارية، وهذا الاحتمال يستلزم الشرك بصورة قطعية.
 - ٣- كثرة حقيقية ووحدة حقيقية، وهذه الصورة تستلزم التناقض؛ لأنّ الوحدة والكثرة معنيان مختلفان ومتباينان، والجمع بين هذين المفهومين في مصداق واحد - مع ملاحظة شروط التناقض - يقتضي التناقض.
- وحول ذلك قال العلامة الطباطبائي:

«إنّ الإشكال في دين المسيحيين هو أنّهم يقولون في نفس الوقت: إنّ الله واحد وأنّ الأصل القديم ثلاثة، والجمع بين الوحدة الحقيقيّة والكثرة الحقيقيّة من المحالات إذا

كان جنس كلّ منهما واحداً، كأن يكون كلّ قسم من الوحدة شخصياً أو نوعياً أو جنسياً، ونحن هنا نقدم مثلاً على كلّ قسم.

فبالنسبة للوحدة الشخصية كأن نقول مثلاً: إنّ زيداً واحد وهو في نفس الوقت ثلاثة، أو أنّ زيداً وعمراً وبكرراً في الوقت الذي هم فيه ثلاثة من أفراد الإنسان لكن حقيقة لهم وجود وتشخص واحد.

وبالنسبة للوحدة النوعية كأن نقول: إنّ ماهية الإنسان في عين كونها نوع واحد فإنّها ثلاثة أنواع، فهي مثلاً إنسان وفرس وشاة، أو أن نقول بأنّ ماهية الإنسان والفرس والشاة في الوقت التي هي ثلاث حقيقة هي واحدة حقيقة.

وأما بالنسبة للوحدة الجنسية كأن نقول: إنّ ماهية الحيوان في الوقت الذي هي جنس واحد هي ثلاثة أجناس، فهي مثلاً حيوان وشجرة وحجر، أو أنّ ماهية الحيوان والشجرة والحجر هي واحدة في عين التعدد، وهذه الأمور كلّها من المستحيلات.

أما الجمع بين الوحدة الجنسية أو النوعية وبين الكثرة الشخصية، كالجمع بين وحدة الحيوان أو الإنسان وبين أفرادهما من زيد وعمرو وبكر فليس فيه إشكال، وكذلك الجمع بين الوحدة الجنسية والكثرة النوعية، مثل الجمع بين وحدة الحيوان وكثرة أنواعه من الطيور والخيل والأبقار فليس فيه أدنى إشكال أيضاً.

وبمعزل عن هذا، لو كان في الجمع بين الوحدة الشخصية والكثرة الشخصية إحداهما واحدة بالوحدة الحقيقية، والأخرى متكثرة بالكثرة اعتبارية، فلا إشكال فيه أيضاً، كأن نقول مثلاً: إنّ زيداً شخص واحد حقيقة ومركب من عدة أجزاء ونقسم جسمه إلى عدة أقسام باعتبارات مختلفة، ففي هذه الحال يكون هذا التقسيم وحصول الكثرة على أساس الاعتبار دون الواقعية ولن يؤدي إلى أيّ محذور، أو أن نقول مثلاً: إنّ زيداً وعمراً وبكرراً مع أنّهم في الحقيقة ثلاثة فهم واحد، باعتبار أنّهم إخوة أو شركاء أو أهل مدينة واحدة، وهذه الوحدة بدورها اعتبارية.

أما بالنسبة لمقولة المسيحيين، فهم يعتقدون بالكثرة الحقيقية، والتثليث والأقانيم الثلاثة من أصولهم الاعتقادية، وفي هذه الحالة إذا قالوا: إنَّ الله واحد ووحدته اعتبارية، فقد نفوا حقيقة الوحدة وأسقطوا أصل التوحيد بالكامل، وإذا قالوا بأنَّ وحدته حقيقية سيكون لازماً من ذلك القول الجمع بين الوحدة والكثرة الحقيقيتين، وهذا محال.

والظاهر أنَّ النصراني يسرون على هذا الاعتقاد، ويعتبرون أنَّ الأقانيم الثلاثة صفات وتجليات الله، وهي ليست غير الموصوف وذات الله، ويقولون: لدينا ثلاثة أقانيم: أقنوم الوجود، أقنوم العلم وأقنوم الحياة.

وأقنوم العلم هو كلمة المسيح، أما أقنوم الحياة فهو الروح، وهنا فرضية التثليث تستتبع إشكالية الاستحالة، وهذا بالطبع في حال كانت للأقانيم، وهي تعني تجليات وظهورات الله عينية هو ذاته.

وبيانٍ آخر: لو قلنا: (الأب والابن) لثبت لدينا العَدَد ضرورةً وليس هذا التعدد شيئاً غير الكثرة الحقيقية، فإذا افترضنا وحدةً نوعيةً بين الأب والابن، كالأب والابن من أفراد الإنسان حيث إنَّهما في حقيقة الإنسانية واحد، من جهة أفراد الإنسان هما كثير، فهنا لا يمكن أن نقول: إنَّ الله واحد؛ لأنَّ هذه الكثرة العددية مانعة من وحدة الله.

فبناءً على فرض وحدة الله فإنَّ كلَّ ما سوى الله ومنهم الابن المفترض سيكون مملوكاً ومحتاجاً إلى الله، وهكذا لن يكون الابن المفترض إلهاً أبداً.

وهذا الاستدلال هو نفس البيان القرآني: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۗ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۗ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ ۗ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۗ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ۗ﴾^(١).

(١) سورة النساء، آية ١٧١.

والخلاصة فإنّ الإشكال الذي يرد على النصارى ولا مفرّ لهم منه هو قولهم بالأصول الثلاثة مستقلة وهو ما لا ينسجم مع الوحدة^(١).

الإشكال الثاني

إنّ هذه الأقانيم الثلاثة والآلهة الثلاث التي ترد في تعابيرهم ويرون لكل منها أثراً خاصاً، إمّا ثلاثة موجودات مستقلة، وهذا شرك بالواحدية في مقام الألوهية والعبودية، أو أمّا ثلاث جهات لوجود الواجب بحيث تقوم كل جهة منها بعمل خاص، وهذا شرك أحدي في الألوهية، ويلزم منه الاعتقاد بالتركيب الخارجي والحقيقي في ذات واجب الوجود، وكلتا الصورتين من المحال والباطل.

الإشكال الثالث

لقد ذمّ القرآن الكريم بشدّة اعتقاد المسيحيين بالتثليث في مواضع متعدّدة منه،
ناسباً إليهم الكفر:
قال جلّ جلاله:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾^(٢).

فجاء نهي القرآن الكريم في هذه الآية عن التثليث بطرق مختلفة:

(١) الحسيني الطهراني، محمّد حسين، الشمس الساطعة: رسالة في ذكرى العالم الرباني العلامة السيّد محمّد حسين الطباطبائي التبريزي، ترجمة عباس نور الدين وعبد الرحيم مبارك، ص ١٨٦-١٨٩.

(٢) سورة النساء، آية ١٧١.

- ١- نهي عن الغلو ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾.
 - ٢- نسبة الحق لله ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾.
 - ٣- المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ليس الله وإنما رسوله ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ﴾.
 - ٤- المسيح عليه السلام من مخلوقات الله ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾.
 - ٥- النهي الصريح عن التثليث ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً﴾.
 - ٦- الأمر بترك التثليث ﴿أَنْتَهُوْا﴾.
 - ٧- التوحيد فيه صلاحكم ﴿خَيْرًا لَّكُمْ﴾.
 - ٨- التصريح بوحدانية الله ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾.
 - ٩- تنزيه الله ﴿سُبْحَانَهُ﴾.
 - ١٠- إنكار أن يكون المسيح ولداً لله ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾.
 - ١١- من له السماوات والأرضين لن يكون بحاجة للولد ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.
 - ١٢- إن لم تعتقدوا بهذه الأمور فالله وكيلى ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾.
- فالله جلت قدرته لم يبعث أي نبي أو رسول إلا ويوصيه أن يدعو الناس لعبادة إله واحد أحد.
- فقال سبحانه:
- ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ عَلِيمِينَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾^(١).
- والمسيح عليه السلام أيضاً كان واحداً من أولئك الأنبياء الذين دعوا الناس إلى عبادة الله وعدم الشرك به، وكان واحداً ممن يعبدون الله تعالى.

(١) سورة آل عمران، آية ٧٩.

وقال ذو الجلال والإكرام:

﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ
يَسْتَنْكِفَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾^(١).

والنتيجة هي أن عبادة المسيح لله سبحانه بنفسها دليل على عدم اشتغال المسيح
على جنبه ألوهية؛ إذ لا معنى لأن يعبد الشخص نفسه.

(١) سورة النساء، آية ١٧٢.

ط) صفة الكفر

لقد تضمّنت الروايات المروية عن سيّد الشهداء عليه السلام إشارات لصفة الكفر ودرجاته:

١. طول الكفر وقصره

حيث ورد عن الإمام الحسين عليه السلام قوله في دعاء عرفة:

«يَا مَنْ اسْتَنْقَدَ السَّحْرَةَ مِنْ بَعْدِ طُولِ الْجُحُودِ»^(١).

إذ يدل مضمون هذه العبارة على أنّ كفر بعض الأشخاص قد يمتد ويطول. يقول الله جلّ جلاله:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ نُقَبِّلَ تَوْبَتَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أُفْتَدِيَ بِهِ﴾ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾^(٢).

٢. قباحة إظهار الفسق والكفر

ذكر القندوزي الحنفي في الينابيع:

«... وَيَقُولُ الْحَسِينُ عليه السلام: اللَّهُمَّ إِنَّكَ شَاهِدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْمَلَاعِينِ، إِنَّهُمْ قَدْ

عَمَدُوا أَنْ لَا يَبْقُوا مِنْ ذُرِّيَّةِ رَسُولِكَ صلّى الله عليه وآله، وَهُوَ يَبْكِي بُكَاءً شَدِيداً وَيُنْشِدُ وَيَقُولُ:

يَا رَبِّ لَا تَتْرُكْنِي وَحِيداً قَدْ أَظْهَرُوا الْفُسُوقَ وَالْجُحُودَا

(١) الكفعمي، إبراهيم بن علي، البلد الأمين، ص ٢٥٤.

(٢) سورة آل عمران، آية ٩٠-٩١.

وَصَيَّرُونَا بَيْنَهُمْ عَيْدًا يَرْضَوْنَ فِي فَعَالِهِمْ بَزِيدًا

أَمَّا أَخِي فَقَدْ مَضَى - شَهِيدًا مُجَدَّلًا فِي فَذَقِدِ فَرِيدًا

وَأَنْتَ بِالْمَرْصَادِ يَا مَجِيدًا^(١).

إذ يتبين من مضمون المصراع الثاني في البيت الأول أن إعلان وإذاعة الفسق والكفر ينطوي على قباحة شديدة.

يقول سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

(١) القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة لذوي القربى، ج ٣، ص ٧٨-٧٩.

(٢) سورة النور، آية ١٩.

ي) أنواع الكفار

لم يترك التراث الروائي لسيد الشهداء عليه السلام هذا الأمر دون شيء من الإشارة؛ إذ تطرقت بعض الروايات إلى بيان أنواع الكافر، ومنها:

١. الكافر الكتابي وغير الكتابي

نقل ابن شعبة الحرّاني في «تحف العقول» عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال:
«أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا هَؤُلَاءِ الْمَارِقَةَ الَّذِينَ يُسَبِّهُونَ اللَّهَ بِأَنْفُسِهِمْ، يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، بَلْ هُوَ اللَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ»^(١).

فمن قوله عليه السلام: «الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» يتضح أنّ الكفار على نوعين:
أ) الكفار الذين لديهم كتاب سماوي، مثل اليهود والنصارى.

وقد وصفهم العزيز الحكيم بقوله:

﴿يَتَّأَهَّلَ الْكُتَّابُ لِمَ تَكْفُرُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾^(٢)
﴿تَلْبَسُونَ الْحَقَّ بِالْبَطْلِ وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

ب) الكفار الذين ليس لديهم كتاب سماوي، وهؤلاء على طائفتين:
الطائفة الأولى: المشركون الذين يعتقدون بالله مثل أتباع الأديان غير الإبراهيمية.

(١) ابن شعبة، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليهم)، ص ٢٤٤.

(٢) سورة آل عمران، آية ٧٠-٧١.

قال تعالى:

﴿وَقَنِينُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْنِينُوكُمْ كَافَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾^(١).

الطائفة الثانية: أولئك الذين لا يعتقدون بالله، مثل الشيوعيين.

يقول سبحانه واصفاً حالهم:

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾^(٢).

٢. الكافر الحربي وغير الحربي

ذكر ابن أعثم في فتوحه:

«قَالَ: وَأَرْسَلَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ أَنْ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ، فَالْقَنِي إِذَا شِئْتَ حَتَّى أُخْبِرَكَ.

قَالَ: فَخَرَجَ إِلَيْهِ الْحُسَيْنُ حَتَّى وَاقَفَهُ وَظَنَّ أَنَّهُ يُرِيدُ حَرْبَهُ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: إِيَّيْ لَمْ أَدْعَكَ إِلَى الْحَرْبِ، وَلَكِنْ اسْمَعْ مِنِّي، فَإِنَّهَا نَصِيحَةٌ لَكَ، فَقَالَ الْحُسَيْنُ: قُلْ مَا تَشَاءُ، فَقَالَ: اعْلَمْ أَنَّ أَبَاكَ قَدْ وَتَرَ قُرَيْشًا، وَقَدْ بَغَضَهُ النَّاسُ وَذَكَرُوا أَنَّهُ هُوَ الَّذِي قَتَلَ عُثْمَانَ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَخْلَعَهُ وَتُخَالِفَ عَلَيْهِ حَتَّى نُؤَلِّيكَ هَذَا الْأَمْرَ؟!

فَقَالَ الْحُسَيْنُ: كَلَّا وَاللَّهِ، لَا أَكْفُرُ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَبِوَصِيِّ رَسُولِ اللَّهِ، اخْسَ وَيْلَكَ مِنْ شَيْطَانٍ مَارِدٍ، فَلَقَدْ زَيْنَ لَكَ الشَّيْطَانُ سُوءَ عَمَلِكَ، فَخَدَعَكَ حَتَّى أَخْرَجَكَ مِنْ دِينِكَ بِاتِّبَاعِ الْقَاسِطِينَ وَنُصْرَةِ هَذَا الْمَارِقِ مِنَ الدِّينِ، لَمْ يَزَلْ هُوَ وَأَبُوهُ حَرِيْبَيْنِ وَعَدَوَيْنِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، فَوَاللَّهِ مَا أَسَلْتَهَا، وَلَكِنَّهَا اسْتَسَلَّتْ خَوْفًا وَطَمَعًا، فَأَنْتَ الْيَوْمَ

(١) سورة التوبة، آية ٣٦.

(٢) سورة الجاثية، آية ٢٤.

تُقَاتِلُ عَنْ غَيْرِ مُتَدَمِّمٍ، ثُمَّ تَخْرُجُ إِلَى الْحَرْبِ مُتَحَلِّقًا لِثِرَائِي بِذَلِكَ نِسَاءَ أَهْلِ الشَّامِ، ارْتَعَ قَلِيلًا، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَقْتُلَكَ اللَّهُ جَزَاءً سَرِيعًا»^(١).

فمن قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَمْ يَزَلْ هُوَ وَأَبُوهُ حَرَبَيْنِ» على الخصوص يتضح أن الكافر على نوعين: حربي وذمي.

يقول جلت الآؤه:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَتَلُوهُمُ الَّذِينَ يُؤُوكُمُ مِنَ الْكُفَّارِ وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٢).

وقال الشيخ يوسف البحراني بهذا الصدد:

«والمفهوم من كلام المتأخرين كالمحقق وغيره تقسيم الكافر إلى حربي وذمي...»^(٣).

٢. الكافر بالكفر الأصغر والأكبر

ذكر أبو الوفاء الخوارزمي في المناقب:

«وَقَالَ الْحَسِينُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَجْمَلُ الْمَعْرُوفِ مَا حَصَلَ عِنْدَ الشَّاكِرِ، وَأَضْيَعُهُ مَا صَارَ إِلَى الْكَافِرِ»^(٤).

بما أن مصطلح «الكافر» قد ورد في الحديث هنا في مقابل «الشاكِر» يستنتج منه أن «الكافر» يأتي أحياناً بمعنى الكافر بالنعمة، وغير خفي ما يفعله بعض الناس من كفره بإحسان الناس إليه وعدم أداء شكره لهم، وهذا المعنى من الكفر يطلق عليه الكفر الأصغر.

وما يستدعي التنبيه هنا أن العلماء قاموا بتقسيم الكفر إلى أكبر وأصغر بهذا

(١) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح، ج ٣، ص ٣٩-٤٠.

(٢) سورة التوبة، آية ١٢٣.

(٣) البحراني، يوسف بن أحمد، الخدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، ج ٢٢، ص ١٩٢.

(٤) الخوارزمي، ريجان بن عبد الواحد، المناقب والمثالب، ص ١٠٦، حديث ٣٠٩.

الليحاظ، كما أن هذا المعنى مستفاد أيضاً من الروايات وكلمات اللغويين وأقوال الصحابة والعلماء.

فمن جملة الروايات الدالة عليه حديث رواه البخاري بسنده عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:

«أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ، قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئاً قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْراً قَطُّ»^(١).

وروى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:

«لَا تَرَعِبُوا عَنْ آبَائِكُمْ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ فَهُوَ كُفْرٌ»^(٢).

وقال الأزهري في بيان نوعي الكفر:

«وكفران: أحدهما يكفر بنعمة الله، والآخر التكذيب بالله»^(٣).

وقال ابن الأثير:

«والكفر صنفان: أحدهما الكفر بأصل الإيمان وهو ضده، والآخر الكفر بفرع من

فروع الإسلام، فلا يخرج به عن أصل الإيمان»^(٤).

نقل الطبري بسنده عن ابن عباس حول آية ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ

فَأُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ﴾^(٥) أنه قال:

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج ١، ص ١٥، حديث ٢٩.

(٢) المصدر السابق، ج ٨، ص ١٥٦، حديث ٦٧٦٨؛ القشيري النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ج ١، ص ٨٠، حديث ٦٢.

(٣) الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، ج ١٠، ص ١١١.

(٤) ابن الأثير، المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٤، ص ١٨٦.

(٥) سورة المائدة، آية ٤٤.

«هي به كفر، وليس كفراً بالله وملائكته وكتبه ورسله»^(١).
 ونقل الطبري ذلك أيضاً عن طاووس وعطاء حول الآية أعلاه:
 «عن طاووس: ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ قال: كفر لا ينقل عن الملة، قال: وقال
 عطاء: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق»^(٢).
 وفي ذيل آية: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾^(٣)
 قال الطبري معلقاً:

«ومن كفر نعمة الله عليه، إلى نفسه أساء؛ لأنَّ الله معاقبه على كفرانه إيَّاه»^(٤).
 وقال الشوكاني حول الآية المتقدمة:
 «أي: من جعل كفر النعم مكان شكرها، فإنَّ الله غني عن شكره»^(٥).
 ولابن عبد البرّ كلام حول حديث «يَكْفُرُنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرُنَ الْإِحْسَانَ» الذي
 تقدّم ذكره، حيث قال:
 «فأطلق عليهن اسم الكفر لكفرهن العشير والإحسان، وقد يسمّى كافر النعمة
 كافرًا»^(٦).
 وفي شرحه لهذا الحديث قال ابن حجر العسقلاني أيضاً حول قوله: «يَكْفُرُنَ
 الْعَشِيرَ»:

«وفيه إطلاق الكفر على الذنوب التي لا تخرج عن الملة تغليظاً على فاعلها»^(٧).

-
- (١) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، ج ٦، ص ١٦٦.
 (٢) المصدر السابق، ج ٦، ص ١٦٦.
 (٣) سورة لقمان، آية ١٢.
 (٤) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، ج ٢١، ص ٤٤.
 (٥) الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، ج ٤، ص ٢٧٣.
 (٦) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ج ٢٣، ص ٢٩٥.
 (٧) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ٤٠٦.

وكذلك نقل كلاماً لبعض العلماء في شرحهم لحديث «لَا تَرَعَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ فَهُوَ كُفْرٌ» المتقدم الذكر حيث قال:

«وليس المراد بالكفر حقيقة الكفر التي يخلد صاحبها في النار»^(١).

قال ابن رجب الحنبلي:

«وإن كان قد ورد إطلاق الكفر على فعل بعض المحرّمات، وإطلاق النفاق

أيضاً»^(٢).

وقال ابن تيمية:

«وإذا كان من قول السلف: إنّ الإنسان يكون فيه إيمان ونفاق فكذلك في قولهم:

إنّه يكون فيه إيمان وكفر ليس هو الكفر الذي ينقل عن الملة، كما قال ابن عباس

وأصحابه في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ قالوا:

كفروا كفراً لا ينقل عن الملة، وقد اتبعهم على ذلك أحمد بن حنبل وغيره من أئمة

السنة»^(٣).

وقال كذلك في ذيل هذه الآية:

«كفر دون كفر، وفسق دون فسق، وظلم دون ظلم، وقد ذكر ذلك أحمد

والبخاري وغيرهما»^(٤).

ويصرّح ابن قيم الجوزية بما ذكرناه أولاً حيث قال:

«فأمّا الكفر فنوعان: كفر أكبر وكفر أصغر، فالكفر الأكبر هو الموجب للخلود في

(١) المصدر السابق، ج ١٢، ص ٥٥.

(٢) ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع

الكلم، ج ١، ص ١١١.

(٣) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، ج ٧، ص ٣١٢.

(٤) المصدر السابق، ج ٧، ص ٥٢٢.

النار، والأصغر موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود»^(١).

وتبع محمد بن عبد الوهاب ابن تيمية بالقول:

«والكفر كفران: كفر يخرج من الملة... وكفر أصغر لا يخرج من الملة، وهو كفر

النعمة»^(٢).

قال محمد ناصر الدين الألباني:

«لا بدّ من معرفة أنّ الكفر - كالفسق والظلم - ينقسم إلى قسمين:

كفر وفسق وظلم يخرج من الملة، وكل ذلك يعود إلى الاستحلال القلبي.

وآخر لا يخرج من الملة، يعود إلى الاستحلال العملي.

فكل المعاصي - وبخاصة ما فشا في هذا الزمان من استحلال عملي للربا والزنى

وشرب الخمر وغيرها - هي من الكفر العملي، فلا يجوز أن نكفر العصاة المتلبّسين بشيء

من المعاصي لمجرد ارتكابهم لها، واستحلالهم إيّاها عملياً، إلا إذا ظهر - يقيناً - لنا منهم -

يقيناً - ما يكشف لنا عما في قرارة نفوسهم أنّهم لا يحرمون ما حرّم الله ورسوله اعتقاداً،

فإذا عرفنا أنّهم وقعوا في هذه المخالفة القلبية حكمنا حينئذ بأنهم كفروا كفر ردة.

أما إذا لم نعلم ذلك فلا سبيل لنا إلى الحكم بكفرهم؛ لأننا نخشى أن نقع تحت

وعيد قوله عليه الصلاة والسلام: (إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما).

والأحاديث الواردة في هذا المعنى كثيرة جداً، أذكر منها حديثاً ذا دلالة كبيرة،

وهو في قصة ذلك الصحابي الذي قاتل أحد المشركين، فلما رأى هذا المشرك أنّه صار

تحت ضربة سيف المسلم الصحابي قال: أشهد أن لا إله إلا الله، فما بالها الصحابي

(١) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج ١، ص ٤٧.

(٢) العاصمي النجدي، عبد الرحمن بن محمد، الدرر السنية في الأجوبة النجدية، ١٤١٧، ج ٢، ص ٧٠-٧١.

فقتله، فلما بلغ خبره النبي (صلى الله عليه وسلم) أنكر عليه ذلك أشد الإنكار، فاعتذر الصحابي بأنَّ المشرك ما قالها إلا خوفاً من القتل، وكان جوابه (صلى الله عليه وسلم): (هلا شققت عن قلبه؟!).

إذاً الكفر الاعتقادي ليس له علاقة أساسية بمجرد العمل إنَّما علاقته الكبرى بالقلب.

ونحن لا نستطيع أن نعلم ما في قلب الفاسق والفاجر والسارق والزاني والمرابي... ومن شابههم، إلا إذا عبَّر عما في قلبه بلسانه، أمَّا عمله فينبئ أنه خالف الشرع مخالفة عملية.

فتحن نقول: إنَّك خالفت، وإنَّك فسقت، وإنَّك فجرت، لكن لا نقول: إنَّك كفرت وارتددت عن دينك، حتَّى يظهر منه شيء يكون لنا عذر عند الله عزَّ وجلَّ في الحكم بردَّته، ثمَّ يأتي الحكم المعروف في الإسلام عليه؛ ألا وهو قوله عليه الصلاة والسلام: (من بدَّل دينه فاقتلوه)^(١).

أمَّا بالنسبة لميزان الكفر الأكبر ومقداره فمن الممكن أن يقال: هو ما يُخرج الإنسان المؤمن من الإسلام والإيمان بشكل كامل، وليس سوى الكفر الاعتقادي الذي يتنافى مع التصديق القلبي.

وقال الدكتور محمَّد عبد الحكيم حامد مبيِّناً المعيار في الكفر الأكبر:

«أمَّا الكفر الأكبر فهو الجحود بالقلب أو اللسان لشيء مما افترض الله تعالى الإيمان به في كتابه أو على لسان رسوله بعد قيام الحجَّة وبلوغ الحق، وهو صادر عن تكذيب أو إعراض أو استكبار أو حسد يمنع الانقياد»^(٢).

(١) الألباني، محمَّد ناصر الدين، فتنة التكفير، ص ٣١-٣٤.

(٢) حامد، محمَّد عبد الحكيم، أئمة التكفير: ظاهرة التكفير في العصر الحاضر أصولها الفكرية وطرق علاجها، ص ٤٣.

وبعدما انتهى من بيانه للمعيار في الكفر الأكبر أشار إلى ميزان الكفر الأصغر وأنه يتنافى مع كمال الإيمان لا مع مطلق الإيمان، وهو ذلك الكفر العملي الذي لا يتنافى مع التصديق القلبي، حيث قال:

«الكفر الأصغر وهو الكفر العملي المحض الذي لم يستلزم الاعتقاد ولم يناقض تصديق القلب وإذعانه، وهو صادر عن غلبة هوى وشهوة وغير ذلك دون اعتقاد القلب»^(١).

(١) المصدر السابق، ص ٤٣.

ك) أحكام الكافر

مما تمت الإشارة إليه أيضاً في الروايات المنقولة عن سيّد الشهداء عليه السلام أحكام الكافر، من قبيل:

١- رمي المؤمن والكافر للجمرات

جاء في بعض نسخ الفقه المنسوب للإمام الرضا عليه السلام:

«أَبِي عَنْ أَبِيهِ قَالَ: وَسَأَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْحَسِينَ عليه السلام فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْحَصَى الَّذِي يُرْمَى بِهِ الْجَمَارُ فَإِنَّا لَمْ نَزَلْ نَرْمِيهَا مُنْذُ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ لَهُ الْحَسِينُ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ جَمْرَةٍ إِلَّا وَتَحْتَهَا مَلَكٌ وَشَيْطَانٌ، فَإِذَا رَمَى الْمُؤْمِنُ التَّقْمَةَ الْمَلَكُ فَرَفَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَإِذَا رَمَى الْكَافِرُ قَالَ لَهُ الشَّيْطَانُ: بِإِسْتِكَ مَا رَمَيْتَ»^(١).

من خلال بيانه عليه السلام لأنواع رمي الجمرات يتحصّل أنّ هناك فرقاً بين رمي الكافر والمؤمن للجمرات.

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«مَنْ رَمَى الْجَمَارَ يُحِطُّ عَنْهُ بِكُلِّ حَصَاةٍ كَبِيرَةٍ مُؤَبَّقَةٍ، وَإِذَا رَمَاهَا الْمُؤْمِنُ التَّقَفَهَا الْمَلَكُ، وَإِذَا رَمَاهَا الْكَافِرُ قَالَ الشَّيْطَانُ: بِإِسْتِكَ مَا رَمَيْتَ»^(٢).

ومن المحتمل أن يكون المقصود من «المؤمن» في هذه الرواية الشيعة المحييين

(١) المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج ٩٦، ص ٣٥٤، حديث ١٠.

(٢) ابن بابويه، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٢١٤، حديث ٢١٩٧.

لأهل البيت عليهم السلام، والمقصود من «الكافر» أعداؤهم من مدعي الإسلام.

٢- عدم جواز تجهيز الخوارج مطلقاً

ذكر اليعقوبي في تاريخه:

«وَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِلْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، عَلِمْتَ أَنَّا قَتَلْنَا شَيْعَةَ أَبِيكَ، فَحَنَطْنَاهُمْ وَكَفَّنَّاهُمْ وَصَلَّيْنَا عَلَيْهِمْ وَدَفَنَّاهُمْ؟ فَقَالَ الْحُسَيْنُ: حَجْرُكَ [حَجَبْتُكَ] وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، لَكِنَّا وَاللَّهِ إِن قَتَلْنَا شَيْعَتَكَ مَا كَفَّنَّاهُمْ وَلَا حَنَطْنَاهُمْ وَلَا صَلَّيْنَا عَلَيْهِمْ وَلَا دَفَنَّاهُمْ»^(١).

من تعامل الإمام عليه السلام بهذا النحو مع معاوية وكلامه حول شيعة الذين يعدّون خوارج على المعصوم عليه السلام بالمعنى العام، يستكشف عدم جواز تجهيز الذي يقتل ممن يخرج على إمام المسلمين بالحق؛ لأنّ هذا الحكم خاص بالمسلمين، وهؤلاء بخروجهم على إمام المسلمين خرجوا عن الإسلام، وبخروجهم عن الإسلام لم يجوز تجهيزهم؛ إذ لا يجوز تجهيز الميت الكافر.

قال سبحانه وتعالى:

﴿وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ﴾^(٢).

وقال الشهرستاني في تعريفه لـ«الخوارج»:

«كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً»^(٣).

(١) اليعقوبي، أحمد بن إسحاق، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٣١.

(٢) سورة التوبة، آية ٨٤.

(٣) الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، ج ١، ص ١٣٢.

ل) خصائص الكفار

من الجوانب التي تطرّق إليها الموروث الروائي لسيد الشهداء عليه السلام في موضوع الكفار خصائصهم وأخلاقياتهم، وكان ممّا ذكر فيه:

١- يجادون الله عز وجل

جاء في دعاء عرفة المروي عن الإمام الحسين عليه السلام قوله:

«يَا مَنْ اسْتَنْقَذَ السَّحْرَةَ مِنْ بَعْدِ طُولِ الْجُحُودِ، وَقَدْ غَدَوْنَا فِي نِعْمَتِهِ يَا كُلُّونَ رِزْقَهُ
وَيَعْبُدُونَ غَيْرَهُ، وَقَدْ حَادَّوهُ»^(١).

وكلمة «حادّوه» مشتقة من مادّة «حيد» بمعنى العدول والميل للباطل والتعدّي على الحدود والمحرمات الإلهية، ويتأتّى من هذه الجملة أنّ الكفار عدلوا عن الحق ومالوا للباطل، وتجاوزوا على حدود الله سبحانه وحرّماته.

يقول جلّ وعلا:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَيْتُوا كَمَا كَيْتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ
عَذَابٌ مُهِينٌ﴾^(٢).

ويقول كذلك:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾^(٣).

(١) الكفعمي، إبراهيم بن علي، البلد الأمين، ص ٢٥٤.

(٢) سورة المجادلة، آية ٥.

(٣) سورة المجادلة، آية ٢٠.

٢. يجعلون الشبيه لله جل جلاله

ورد عن الإمام الحسين عليه السلام أنه تضرّع قائلاً في دعاء عرفه:
«يَا مَنْ اسْتَنْقَذَ السَّحْرَةَ مِنْ بَعْدِ طُولِ الْجُحُودِ، وَقَدْ غَدَوْنَا فِي نِعْمَتِهِ يَأْكُلُونَ رِزْقَهُ
وَيَعْبُدُونَ غَيْرَهُ، وَقَدْ حَادُوهُ وَنَادُوهُ»^(١).

بنظرة دقيقة في كلمة «نَادُوهُ» المشتقة من مادة «نَدَّ» والتي تعني الشبيه والمثل
والنظير، وفي المضمون الدلالي للجمله بأجمعها والسياق الذي انتظمت فيه ندرك
بصورة قاطعة أن الكفار يجعلون لله سبحانه شبيهاً ونظيراً.

ويعضده ما جاء في دعاء الإمام الصادق عليه السلام حيث قال:
«وَاطَّابِ اللَّهُمَّ شَهَادَتِي عِنْدَكَ مَعَ شَهَادَةِ أَوْلِي الْعِلْمِ بِكَ، يَا رَبِّ، وَمَنْ أَبِي أَنْ
يَشْهَدَ لَكَ بِهَذِهِ الشَّهَادَةِ، وَزَعَمَ أَنَّ لَكَ نِدَاءً أَوْ لَكَ وَلدًا أَوْ لَكَ صَاحِبَةً أَوْ لَكَ شَرِيكًا أَوْ
مَعَكَ خَالِقًا أَوْ رَازِقًا، فَأَنَا بَرِيءٌ مِنْهُمْ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، تَعَالَيْتَ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا
كَبِيرًا»^(٢).

٣. ما يكرهه الكفار

روى سليم بن قيس الهلالي أن الإمام الحسين عليه السلام خاطب بني هاشم والنخبة
في المجتمع آنذاك على أرض منى في إحدى خطبه قائلاً:
«وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكُمْ عَنْ شَيْءٍ، فَإِنْ صَدَقْتُ فَصَدِّقُونِي وَإِنْ كَذَبْتُ فَكذِّبُونِي.
أَسْأَلُكُمْ بِحَقِّ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَحَقِّ رَسُولِ اللَّهِ وَحَقِّ قَرَابَتِي مِنْ نَبِيِّكُمْ، لَمَّا سِيرْتُمْ [سَرْتُمْ]
مَقَامِي هَذَا وَوَصَفْتُمْ مَقَالَتِي وَدَعَوْتُمْ أَجْمَعِينَ فِي أَنْصَارِكُمْ مِنْ قِبَائِلِكُمْ مِنْ أُمَّتِكُمْ مِنْ
النَّاسِ وَوَثَّقْتُمْ بِهِ، فَأَدْعُوهُمْ إِلَى مَا تَعْلَمُونَ مِنْ حَقِّقًا فَإِنِّي أَخَوْفُ أَنْ يَدْرُسَ هَذَا الْأَمْرُ

(١) الكفعمي، إبراهيم بن علي، البلد الأمين، ص ٢٥٤.

(٢) الطبرسي، الحسن بن الفضل، مكارم الأخلاق، ص ٣٠٢.

وَيَذْهَبَ الْحَقُّ وَيُغْلَبَ ﴿١﴾ وَاللَّهُ مِتْمُ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٢﴾ .

وَمَا تَرَكَ شَيْئاً مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا تَلَاهُ وَفَسَّرَهُ، وَلَا شَيْئاً مِمَّا قَالَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَبِيهِ وَأَخِيهِ وَأُمِّهِ وَفِي نَفْسِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ إِلَّا رَوَاهُ، وَكُلَّ ذَلِكَ يَقُولُ الصَّحَابَةُ: اللَّهُمَّ نَعَمْ قَدْ سَمِعْنَا وَشَهِدْنَا، وَيَقُولُ التَّابِعِيُّ: اللَّهُمَّ قَدْ حَدَّثَنِي بِهِ مَنْ أُصَدِّقُهُ وَأَعْتَمِنُهُ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَقَالَ: أَنْشُدْكُمْ اللَّهَ إِلَّا حَدَّثْتُمْ بِهِ مَنْ تَثْقُونَ بِهِ وَبِدِينِهِ»^(١).

من خلال استشهاد الإمام عليه السلام بهذه الآية يتضح أنّ الكفار يكرهون أن يتمّ النور الإلهي، بيد أنّ الله جلّ وعلا سيتمّ نوره ولو كره أولئك الكافرون. وتمام الآية هكذا:

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(٢).

٤: إصابة كفار بني إسرائيل باللعنة

روي عن الإمام الحسين عليه السلام أنّه قال:

«اعْتَبِرُوا أَيُّهَا النَّاسُ بِمَا وَعَظَ اللَّهُ بِهِ أَوْلِيَاءَهُ مِنْ سُوءِ ثَنَائِهِ عَلَى الْأَحْبَارِ إِذْ يَقُولُ: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ﴾^(٣)، وَقَالَ: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٤) إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(٥)، وَإِنَّمَا عَبَّ اللَّهُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَرُونَ مِنَ الظُّلْمَةِ الَّذِينَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمُ الْمُنْكَرَ وَالْفَسَادَ فَلَا يَنْهَوْنَهُمْ عَنْ ذَلِكَ رَغْبَةً فِيمَا كَانُوا يَنَالُونَ مِنْهُمْ وَرَهْبَةً مِمَّا يُخْذِرُونَ وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿فَلَا تَخْشَوْا

(١) الهلالي، سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس الهلالي، ج ٢، ص ٧٨٩-٧٩٠.

(٢) سورة الصف، آية ٨.

(٣) سورة المائدة، آية ٦٣.

(٤) سورة المائدة، آية ٧٨.

(٥) سورة المائدة، آية ٧٩.

التَّكَاثُرَ وَالْأَخْشُونَ ﴿١﴾، وَقَالَ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ ﴿٢﴾ ﴿٣﴾.

يتضح من استشهاد الإمام عليه السلام بالآية الثانية أنّ كفار بني إسرائيل قد لعنوا من الله نتيجة عصيانهم وتعديهم.

وجاءت الآية تقول:

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ ﴿٤﴾.

(١) سورة المائدة، آية ٤٤.

(٢) سورة التوبة، آية ٧١.

(٣) ابن شعبة، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليهم)، ص ٢٣٧.

(٤) سورة المائدة، آية ٧٨.

A decorative frame with intricate Islamic calligraphy patterns in the corners and along the sides, surrounding a central rectangular area. The patterns are symmetrical and feature floral and geometric motifs.

الرابع: التكفير

مقدمة

مفهوم التكفير

إنّ كلمة «التكفير» هي مصدر «كفر يكفر» من باب التفعيل، وتعني نسبة الكفر إلى شخص أو رأي أو تيار.

وحول كلمة «التكفير» قال محمود عبد الرحمن عبد المنعم مبيّناً أنّه:
«مصدر كَفَّرَ يَكْفِرُ، ومن معانيه:

١- التغطية والستر، وهو أصل الباب، تقول العرب للزارع: كافر، ومنه قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾^(١).

وأيضاً يقال: (التكفير في المحارب) إذا تكفّر في سلاحه.

٢- هو أن ينحني الإنسان ويطأطئ رأسه قريباً من الركوع كما يفعل من يريد تعظيم صاحبه، ومنه حديث أبي معشر: (أنّه كان يكره التكفير في الصلاة)، أي الانحناء الكثير في حال القيام.

٣- النسبة إلى الكفر، والكفر لغة: التغطية والستر، يقال: (فلان كفر النعمة) إذا سترها ولم يشكرها^(٢).

أصالة عدم التكفير

يقول جلّ وعلا:

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَقَ إِلَيْكُمْ

(١) سورة الحديد، آية ٢٠.

(٢) عبد المنعم، محمود عبد الرحمن، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، ج ١، ص ٤٨٦-٤٨٧.

السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَعَانِمُ كَثِيرَةٌ
كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا
تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١﴾.

قال الشيخ الطوسي في تفسيره لهذه الآية:

«خاطب الله تعالى بهذه الآية المؤمنين الذين إذا ضربوا في الأرض، بمعنى ساروا فيها للجهاد، وأن يتأنوا في قتال من لا يعلمون كفره ولا إيمانه، وعن قتل من يظهر الإيمان وإن ظن به الكفر باطناً، ولا يعجلوا حتى يبين لهم أمرهم، فإنهم إن بادروا ربما أقدموا على قتل مؤمن، ولا يقتلوا من استسلم لهم وكف عن قتالهم وأظهر أنه أسلم، وألا يقولوا لمن هذه صورته: لست مؤمناً...»^(٢).

ذكر ابن عبد البر في تمهيده:

«فالواجب في النظر أن لا يكفر إلا من اتفق الجميع على تكفيره أو قام على تكفيره دليل لا مدفع له من كتاب أو سنة»^(٣).

قال ابن تيمية:

«ومن ثبت إيمانه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك»^(٤).

كما قال أيضاً:

«ومهما حصل تردد فالتوقف عن التكفير أولى، والمبادرة إلى التكفير إنما تغلب على طباع من يغلب عليهم الجهل»^(٥).

(١) سورة النساء، آية ٩٤.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٢٩٧.

(٣) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ج ١٧، ص ٢٢.

(٤) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، ج ١٢، ص ٥٠١.

(٥) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، ص

وقال أيضاً في خصوص التفرقة والقتل والتكفير واللعن وعداوة بعض لبعض:
«هذا الباب أصله المحرّم فيه من البغي؛ فإنّ الإنسان ظلوم جهول...»^(١).
وقال كذلك:

«... وأما تكفير شخص علم إيمانه بمجرد الغلط في ذلك فعظيم، فقد ثبت في الصحيح عن ثابت بن الضحاك عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (لعن المؤمن كقتله، ومن رمى مؤمناً بالكفر فهو كقتله).

وثبت في الصحيح أنّ من قال لأخيه: يا كافر، فقد باء به أحدهما، وإذا كان تكفير المعين على سبيل الشتم كقتله فكيف يكون تكفيره على سبيل الاعتقاد؟! فإنّ ذلك أعظم من قتله؛ إذ كل كافر يباح قتله وليس كل من أبيع قتله يكون كافراً...»^(٢).
وذكر الشوكاني في (السييل الجرار):

«اعلم أنّ الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم عليه إلاّ برهان أوضح من شمس النهار»^(٣).

وابن أبي العز في شرح «الطحاوية» قال:

«واعلم - رحمك الله وإيانا - أنّ باب التكفير وعدم التكفير، باب عظمت الفتنة والمحنة فيه، وكثر فيه الافتراق، وتشتت فيه الأهواء والآراء، وتعارضت فيه دلائلهم، فالناس فيه في جنس تكفير أهل المقالات والعقائد الفاسدة، المخالفة للحق الذي بعث الله به رسوله في نفس الأمر، أو المخالفة لذلك في اعتقادهم، على طرفين ووسط، من جنس الاختلاف في تكفير أهل الكبائر العملية»^(٤).

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، الاستقامة، ج ١، ص ٢٥.

(٢) المصدر السابق، ج ١، ص ١٦٥-١٦٦.

(٣) الشوكاني، محمد بن علي، السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، ص ٩٧٨.

(٤) ابن أبي العز، علي بن علي، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٣١٦.

لزوم الاحتياط في التكفير

لقد شدد الشارع المقدّس على المسلمين أن يحتاطوا في تكفير غيرهم من المسلمين، وعلى هذا وجب الحذر بشكل عام من اقتحام الفتيا والجرأة عليها والحذر منها في جميع الأبواب.

يؤكد هذا قول رسول الله صلى الله عليه وآله:

«أَجْرُكُمْ عَلَى الْفُتْيَا، أَجْرُكُمْ عَلَى النَّارِ»^(١).

وعنه صلى الله عليه وآله قال بشأن من اقتحم باب الفتيا دون أهلية منه على ذلك بحيث تسببت فتاواه بقتل شخص ما:

«قَتَلُوهُ، قَتَلَهُمُ اللَّهُ، أَوْ لَمْ يَكُنْ شِفَاءَ الْعِيِّ السُّؤَالُ؟!»^(٢).

وروى أبو ذر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

«لَا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالْفُسُوقِ، وَلَا يَرْمِيهِ بِالْكَفْرِ، إِلَّا أَرْتَدَّتْ عَلَيْهِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ

صَاحِبَهُ كَذَلِكَ»^(٣).

وأيضاً عن ابن عمر أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرٌ، فَقَدَ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا»^(٤).

وروي أيضاً عن ثابت بن الضحاك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«وَمَنْ قَدَفَ مُؤْمِنًا بِكَفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ»^(٥).

-
- (١) الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، سنن الدارمي، ج ١، ص ٢٥٨، حديث ١٥٩.
 - (٢) ابن ماجة، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، ج ١، ص ١٨٩، حديث ٥٧٢.
 - (٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج ٨، ص ١٥، حديث ٦٠٤٥.
 - (٤) المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٦، حديث ٦١٠٤.
 - (٥) المصدر السابق، ج ٨، ص ١٥، حديث ٦٠٤٧.

صور التكفير المتفق عليها

نشير أدناه للصور والحالات التي اتفقت فيها كلمة المذاهب الإسلامية على القول بالتكفير:

١. منكر الألوهية والتوحيد والرسالة

حيث قال آية الله السيّد محمّد كاظم اليزدي:

«والمراد بالكافر من كان منكراً للألوهية أو التوحيد أو الرسالة...»^(١).

وقال تقي الدين السبكي:

«التكفير حكم شرعي سببه جحد الربوبية أو الوحدانية أو الرسالة»^(٢).

ونقل عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ عن ابن تيمية أنّه قال:

«وقد علم بالاضطرار من دين الرسول صلي الله عليه وسلم، واتفقت عليه الأئمة

أنّ أصل الإسلام وأوّل ما يؤمر به الخلق: شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً رسول

الله، فبذلك يصير الكافر مسلماً، والعدو وليّاً، والمباح دمه وماله معصوم الدم والمال، ثمّ

إن كان ذلك من قلبه فقد دخل في الإيذان، وإن قاله بلسانه دون قلبه فهو في ظاهر

الإسلام دون باطن الإيذان»^(٣).

٢. المنكر لضروري الدين

يتبيّن من عبارات فقهاء ومتكلمي الشيعة الإمامية وغيرهم القول بتكفير

المنكر لضروري من ضروريات الدين، والحكم عليه بالارتداد، وحكمه القتل عند

توفّر بعض القيود.

(١) اليزدي، محمّد كاظم بن عبد العظيم، العروة الوثقى، ج ١، ص ٦٧.

(٢) السبكي، علي بن عبد الكافي، فتاوى السبكي، ج ٢، ص ٥٨٦.

(٣) آل الشيخ، عبد الرحمن بن حسن، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص ٨٤.

وفي العروة الوثقى قال آية الله السيّد محمد كاظم اليزدي:
«والمراد بالكافر من كان منكراً... ضرورياً من ضروريات الدين مع الالتفات إلى
كونه ضرورياً بحيث يرجع إنكاره إلى إنكار الرسالة، والأحوط الاجتناب عن منكر
الضروري مطلقاً وإن لم يكن ملتفتاً إلى كونه ضرورياً»^(١).

ويرى النووي:

«أنّ من جحد ما يعلم من دين الإسلام ضرورة حكم بردّته وكفره إلا أن يكون
قريب عهد بالإسلام أو نشأ ببادية بعيدة ونحوه ممن يخفى عليه، فيعرف ذلك فإن
استمر حكم بكفره، وكذا حكم من استحل الزنى أو الخمر أو القتل أو غير ذلك من
المحرّمات التي يعلم تحريمها ضرورة»^(٢).

وقال ابن تيمية:

«والكفر إنّما يكون بإنكار ما علم من الدين ضرورة...»^(٣).

٣. المغالي

وجاء تعبير آية الله العظمى الخوئي في (التنقيح) مفصّلاً:
«الغلاة على طوائف: فمنهم من يعتقد الربوبية لأمر المؤمنين أو أحد الأئمة
الطاهرين عليهم السلام، فيعتقد بأنّه الربّ الجليل وأنّه الإله المجرّم الذي نزل إلى الأرض،
وهذه النسبة لو صحّت وثبت اعتقادهم بذلك فلا إشكال في نجاستهم وكفرهم؛ لأنّه
إنكار لألوهيته سبحانه، لبداهة أنّه لا فرق في إنكارها بين دعوى ثبوتها لزيد أو
للأصنام وبين دعوى ثبوتها لأمر المؤمنين عليهم السلام؛ لاشتراكهما في إنكار ألوهيته تعالى وهو

(١) اليزدي، محمد كاظم بن عبد العظيم، العروة الوثقى، ج ١، ص ٦٧.

(٢) النووي، يحيى بن شرف، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج ١، ص ١٥٠.

(٣) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، مجموع الفتاوى، ج ١، ص ١٠٦.

من أحد الأسباب الموجبة للكفر. ومنهم من ينسب إليه الاعتراف بألوهيته سبحانه إلا أنه يعتقد أنّ الأمور الراجعة إلى التشريع والتكوين كلّها بيد أمير المؤمنين أو أحدهم عليه السلام، فيرى أنه المحيي والمميت وأنه الخالق والرازق وأنه الذي أيد الأنبياء السالفين سرّاً وأيد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله جهراً، واعتقادهم هذا وإن كان باطلاً واقعاً وعلى خلاف الواقع حقاً؛ حيث إنّ الكتاب العزيز يدل على أنّ الأمور الراجعة إلى التكوين والتشريع كلّها بيد الله سبحانه إلا أنه ليس مما له موضوعية في الحكم بكفر الملتزم به...»^(١).

وقال القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكُتِبِ لَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾^(٢):

«نهي عن الغلو، والغلو التجاوز في الحد... ويعني بذلك فيما ذكره المفسرون غلو اليهود في عيسى حتى قذفوا مريم، وغلو النصارى فيه حتى جعلوه ربّاً، فالإفراط والتقصير كلّهما سيئة وكفر»^(٣).

٤: سبّ النبي صلى الله عليه وآله

قال الشيخ الصدوق:

«ومن سبّ رسول الله صلى الله عليه وآله أو أمير المؤمنين عليه السلام أو أحد الأئمة (صلوات الله عليهم)، فقد حلّ دمه من ساعته»^(٤).

ومثله الشيخ الطوسي حيث يعتقد أنّ:

(١) الخوئي، أبو القاسم، التنقيح في شرح العروة الوثقى، ج ٢، ص ٧٣-٧٤.

(٢) سورة النساء، آية ١٧١.

(٣) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج ٦، ص ٢١.

(٤) ابن بابويه، محمد بن علي، الهداية في الأصول والفروع، ص ٢٩٥.

«من سبَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أو واحداً من الأئمة عليهم السلام، صار دمه هدرًا، وحلَّ لمن سمع ذلك منه قتله، ما لم يخف في قتله على نفسه أو على غيره»^(١).

ولم يخالفه المحقق الحلي إذ قال:

«من سبَّ النبي صلى الله عليه وآله جاز لسامعه قتله، ما لم يخف الضرر على نفسه أو ماله أو غيره من أهل الإيمان، وكذا من سبَّ أحد الأئمة عليهم السلام»^(٢).

وهكذا قال العلامة الحلي:

«وسبَّ النبي صلى الله عليه وآله أو أحد الأئمة عليهم السلام يقتل، ويحلُّ لكل من سمعه قتله، مع الأمن عليه وعلى ماله وغيره من المؤمنين»^(٣).

وإلى نفس ما تقدّم عن السابقين ذهب السيّد الخميني حين قال:

«من سبَّ النبي صلى الله عليه وآله والعياذ بالله وجب على سامعه قتله، ما لم يخف على نفسه أو عرضه أو نفس مؤمن أو عرضه، ومعه لا يجوز، ولو خاف على ماله المعتد به أو مال أخيه كذلك جاز ترك قتله، ولا يتوقف ذلك على إذن من الإمام عليه السلام أو نائبه، وكذا الحال لو سبَّ بعض الأئمة عليهم السلام، وفي إلحاق الصديقة الطاهرة عليها السلام بهم وجه، بل لو رجع إلى سبَّ النبي صلى الله عليه وآله يقتل بلا إشكال»^(٤).

أمّا ابن قدامة فكان رأيه كالتالي:

«وقذف النبي (صلى الله عليه وسلم) وقذف أمه، ردّة عن الإسلام، وخروج عن الملة، وكذلك سبّه بغير القذف...»^(٥).

(١) الطوسي، محمّد بن الحسن، النهاية في مجرد الفقه والفتاوى، ص ٧٣٠.

(٢) المحقق الحلي، جعفر بن الحسن، شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، ج ٤، ص ١٥٤.

(٣) العلامة الحلي، الحسن بن يوسف، قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام، ج ٣، ص ٥٤٨.

(٤) الخميني، روح الله، تحرير الوسيلة، ج ٢، ص ٤٧٦-٤٧٧.

(٥) ابن قدامة، عبد الله بن أحمد، المغني، ج ٩، ص ٩٨.

التكفير بحسب رؤية الإمام الحسين عليه السلام

وردت هناك مجموعة من الأمور حول التكفير والمكفرين في روايات سيّد الشهداء عليه السلام، من قبيل:

الخوارج مكفرون

روي عن يزيد بن رويان قال:

«دَخَلَ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَالْحَسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ فِي الْحَجْرِ، فَجَلَسَ إِلَيْهِمَا، ثُمَّ قَالَ: يَا بْنَ عَبَّاسٍ، صِفْ لِي إلهَكَ الَّذِي تَعْبُدُهُ، فَأَطْرَقَ ابْنُ عَبَّاسٍ طَوِيلًا مُسْتَبْطِئًا بِقَوْلِهِ، فَقَالَ لَهُ الْحَسَيْنُ: إِلَيَّ يَا بْنَ الْأَزْرَقِ الْمَتَوَرِّطُ فِي الضَّلَالَةِ الْمُرْتَكِسِ فِي الْجَهَالَةِ، أُجِيبُكَ عَمَّا سَأَلْتَ عَنْهُ، فَقَالَ: مَا إِيَّاكَ سَأَلْتُ فَتُجِيبَنِي، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَهْ سَلِ ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبُوَّةِ وَمَعَهُ مِنَ الْحِكْمَةِ، فَقَالَ لَهُ: صِفْ لِي، فَقَالَ: أَصِفُهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَأَعْرِفُهُ بِمَا عَرَفَ بِهِ نَفْسَهُ: لَا يَدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ، وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ، قَرِيبٌ غَيْرٌ مُلْزَقٍ، وَبَعِيدٌ غَيْرٌ مُتَقَصِّصٌ، يُوحَدُ وَلَا يُبْعَضُ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ.

قَالَ: فَبَكَى ابْنُ الْأَزْرَقِ بُكَاءً شَدِيدًا، فَقَالَ لَهُ الْحَسَيْنُ عليه السلام: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: بَكَيتُ مِنْ حُسْنِ وَصْفِكَ، قَالَ: يَا بْنَ الْأَزْرَقِ، إِنِّي أَخْبَرْتُ أَنَّكَ تَكْفُرُ أَبِي وَأَخِي وَتُكْفِرُنِي، قَالَ لَهُ نَافِعٌ: لَيْتَ قُلْتُ ذَلِكَ، لَقَدْ كُنْتُمْ الْحَكَّامَ وَمَعَالِمَ الْإِسْلَامِ، فَلَمَّا بَدَلْتُمْ اسْتَبَدَلْنَا بِكُمْ. فَقَالَ لَهُ الْحَسَيْنُ: يَا بْنَ الْأَزْرَقِ، أَسَأَلُكَ عَنْ مَسْأَلَةٍ، فَأَجِبْنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾^(١) إِلَى قَوْلِهِ:

﴿كَزَّهُمَا﴾ مَنْ حُفِظَ فِيهِمَا؟ قَالَ: أَبُوهُمَا، قَالَ: فَأَيُّهُمَا أَفْضَلُ أَبُوهُمَا أَمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَاطِمَةُ؟ قَالَ: لَا بَلْ رَسُولُ اللَّهِ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَمَا حُفِظْنَا حَتَّى حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْكُفْرِ.

فَهَضَّ [ابْنُ الْأَرْزَقِ] ثُمَّ نَفَضَ ثَوْبَهُ، ثُمَّ قَالَ: قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ عَنْكُمْ مَعَشَرَ قُرَيْشٍ أَنْتُمْ قَوْمٌ خَصِيمُونَ^(١).

يتحصّل من قوله عليه السلام: «تُكْفَرُ أَبِي وَأَخِي وَتُكْفَرُنِي» أنّ أعداء أهل البيت عليهم السلام والخوارج في مقدّماتهم كانوا تكفيريين، فلقد كان لهم قدم السبق في ذلك، فهم أوّل من نسب لأهل البيت عليهم السلام الكفر ووسمهم به، حيث ورد في نهج البلاغة:

«وَرُوِيَ أَنَّهُ عليه السلام كَانَ جَالِسًا فِي أَصْحَابِهِ، [إِذْ مَرَّتْ] فَمَرَّتْ بِهِمْ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ، فَرَمَقَهَا الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقَالَ عليه السلام: إِنَّ أَبْصَارَ هَذِهِ الْفُحُولِ طَوَامِحُ، وَإِنَّ ذَلِكَ سَبَبُ هِبَابِهَا، فَإِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى امْرَأَةٍ تُعْجِبُهُ فَلْيَلَامِسْ أَهْلَهُ، فَإِنَّمَا هِيَ امْرَأَةٌ كَامِرَاتِهِ.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ: قَاتَلَهُ اللَّهُ كَافِرًا مَا أَفْقَهُهُ. [قَالَ] فَوَنَّبَ الْقَوْمَ لِيَقْتُلُوهُ، فَقَالَ عليه السلام: رُوَيْدًا إِنَّمَا هُوَ سَبٌّ بِسَبِّ، أَوْ عَفْوٌ عَنْ ذَنْبٍ^(٢).

يرى محمد ناصر الدين الألباني أنّ:

«مسألة التكفير عموماً - لا للحكام فقط، بل وللمحكومين أيضاً - هي فتنة عظيمة قديمة، تبنّتها فرقة من الفرق الإسلامية القديمة، وهي المعروفة بـ(الخوارج)»^(٣).

(١) المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج ٣٣، ص ٤٢٣-٤٢٤، حديث ٦٣١.

(٢) نهج البلاغة، الكلمات القصار ٤٢٠.

(٣) الألباني، محمد ناصر الدين، فتنة التكفير، ص ١٤.

لزوم إرشاد المكفر

يَتَّضِحُ أيضاً من الحديث المتقدم للإمام الحسين عليه السلام وخطابه لنافع بن الأزرق وجوب مؤاخذه التكفيريين وإرشادهم، مثلما أثبت عليه السلام لنافع من خلال عرضه للأوصاف الحقيقية لله سبحانه أتمهم عليه السلام مؤمنون حقيقيون؛ ولذا يجب إرشاد التكفيريين وهدايتهم للصرط المستقيم والسبيل القويم، وأن نثبت لهم أننا موحدون مؤمنون.

قال عزت أسماؤه:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمِ بِاللَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١).

وبما أن علماء الإسلام كانوا ملتفتين للمخاطر التي ينطوي عليها تكفير المسلمين وعلى علم تام بأثارها الوخيمة انبروا مشددين على التزام الحيطة والحذر في مثل هذه المسألة البالغة الأهمية.

وهذا ما دفع أبو حامد الغزالي للقول:

«والذي ينبغي أن يميل المحصل إليه الاحتراز من التكفير ما وجد إليه سبيلاً، فإن استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة المصرّحين بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله خطأ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم»^(٢).

وابن حجر الهيتمي:

«ينبغي للمفتي أن يحتاط في التكفير ما أمكنه؛ لعظيم خطره وغلبة عدم قصده سيما من العوام، وما زال أئمتنا على ذلك قديماً وحديثاً»^(٣).

(١) سورة النحل، آية ١٢٥.

(٢) الغزالي، محمد بن محمد، الاقتصاد في الاعتقاد، ص ١٥٧.

(٣) ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد، تحفة المحتاج في شرح المنهاج، ج ٩، ص ٨٨.

وقال ابن أبي العز:

«من عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضاً، ومن ممدوح أهل العلم أنهم يخطئون ولا يكفرون»^(١).

واختار أبو العباس القرطبي السلامة في هذا الباب حين قال:

«إنَّ باب التكفير باب خطير، أقدم عليه كثير من الناس فسقطوا، وتوقف فيه الفحول فسلموا، ولا نعدل بالسلامة شيئاً»^(٢).

عن عظم خطر هذه المسألة قال ابن دقيق العيد:

«... وهذا وعيد عظيم لمن أكفر أحداً من المسلمين، وليس كذلك، وهي ورطة عظيمة وقع فيها خلق كثير من المتكلمين ومن المنسويين إلى السنّة وأهل الحديث، لما اختلفوا في العقائد فغلظوا على مخالفيهم، وحكموا بكفرهم»^(٣).

وقال الشوكاني:

«ففي هذه الأحاديث وما ورد موردها أعظم زاجر وأكبر واعظ عن التسرع في التكفير»^(٤).

نقل أحمد بن حنبل بسنده عن عبد الله بن عمر أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِصَاحِبِهِ: يَا كَافِرُ، فَإِنَّهَا تَجِبُ عَلَيَّ أَحَدِهِمَا، فَإِنْ كَانَ الَّذِي قِيلَ لَهُ كَافِرٌ فَهُوَ كَافِرٌ، وَإِلَّا رَجَعَ إِلَيْهِ مَا قَالَ»^(٥).

والحديث واضح بكفر من اتهم المسلم الآخر بالكفر دون دليل ناهض، وهذا

(١) ابن أبي العز، علي بن علي، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٣٢٠.

(٢) القرطبي، أحمد بن عمر، المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم، ج ٣، ص ١١١.

(٣) ابن دقيق العيد، محمد بن علي، إحصاء الأحكام شرح عمدة الأحكام، ج ٢، ص ٢١٠.

(٤) الشوكاني، محمد بن علي، السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، ص ٩٧٨.

(٥) ابن حنبل، أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ١٠، ص ٨٤، حديث ٥٨٢٤.

ما يدعو لتوخي الحذر في كيل مثل هذه الاتهامات للآخرين.

نقل عن أبي ذر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

«لَا يَزِمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالْفُسُوقِ، وَلَا يَزِمِيهِ بِالْكَفْرِ، إِلَّا اِزْتَدَّتْ عَلَيْهِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ»^(١).

ولحسن بن فرحان المالكي كلام يبيِّن فيه رأيه بصراحة:

«لا يجوز تكفير المسلم الذي يشهد ألا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله، ولم ينكر شرائع الإسلام الظاهرة المعلومة من الدين بالضرورة كالصلاة والصوم والزكاة والحج، ولم ينكر تحريم المحرّمات المعلومة من الدين بالضرورة كالكذب والخيانة والظلم والزنا والسرقة، كما لا يجوز تبديعه ولا شتمه ولا لعنه.

وقد يرتكب المسلم مكفراً لكن لا يكفر المرتكب حتّى يسأل عن سبب ارتكابه ذلك، ويتمّ التّحاور معه والمناظرة وتقديم البراهين والأدلة لتقوم عليه الحجّة ويفهم الحجّة وتؤخذ منه حجته إن كان عنده حجة أو دليل، ويصبر عليه ويلتمس له العذر ما أمكننا إلى ذلك سبيلاً، وتتمّ دعوته للحق برحمة ولين، وقد جاء النهي عن التكفير (تكفير المسلمين) في نصوص كثيرة...

وكانت سيرة الرسول ﷺ خير مثال لتطبيق ذلك، فقد أجرى أحكام الإسلام على المنافقين (وهم أصحاب الدرك الأسفل من النار) ما دام أنّهم يتّسمون باسم الإسلام رغم كفرهم بنبوّة النبي ﷺ ورغم معرفته ﷺ بكثير من أعيانهم معرفة يقينية»^(٢).

تكفير بعض لبعض قبل الظهور

نقل النعماني بسنده عن عميرة بنت نفيل قالت:

«سَمِعْتُ الْحَسِينَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: لَا يَكُونُ الْأَمْرُ الَّذِي تَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَبْرَأَ

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج ٨، ص ١٥، حديث ٦٠٤٥.

(٢) المالكي، حسن بن فرحان، قراءة في كتب العقائد: المذهب الحنبلي نموذجاً، ص ٩٧-٩٨.

بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَيَتَنَفَّلُ بَعْضُكُمْ فِي وُجُوهِ بَعْضٍ، وَيَشْهَدُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالْكَفْرِ، وَيَلْعَنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا.

فَقُلْتُ لَهُ: مَا فِي ذَلِكَ الزَّمانِ مِنْ خَيْرٍ؟!

فَقَالَ الْحُسَيْنُ عليه السلام: الْخَيْرُ كُلُّهُ فِي ذَلِكَ الزَّمانِ، يَقُومُ قَائِمُنَا وَيَدْفَعُ ذَلِكَ كُلَّهُ»^(١).

يدلنا هذا الحديث بوضوح على أن واحدة من إفرازات عصر الغيبة الكبرى ظهور حالة تكفير المسلمين بعضهم لبعض.

روى الإمام علي عليه السلام عن رسول الله صلوات الله عليه وآله أنه قال:

«يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمانِ قَوْمٌ حُدَنَاءُ الْأَسنانِ، سُفْهَاءُ الْأَحلامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ البرِّيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإسلامِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرِّمِيَّةِ، لا يُجاوِزُ إِيانَهُمْ حَناجِرَهُمْ، فَأَيُّنَا لَقَيْتُمُوهُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ»^(٢).

يبدو أن الحديث بصدد الإشارة إلى كيفية التعامل مع أولئك الأشخاص الذين خرجوا من الدين نتيجة تكفيرهم المسلمين وقيامهم بأعمال تعسفية ضدهم، حيث يصرح مفاد الحديث بوجوب مواجهتهم وقتالهم.

وحول ذلك علق ابن عابدين الحنفي قائلاً:

«مطلب في أتباع عبد الوهاب الخوارج في زماننا: (قوله: ويكفرون أصحاب نبينا (صلى الله عليه وسلم)) علمت أن هذا غير شرط في مسمى الخوارج، بل هو بيان لمن خرجوا على سيدنا علي - رضي الله تعالى عنه -، وإلا فيكفي فيهم اعتقادهم كفر من خرجوا عليه، كما وقع في زماننا في أتباع عبد الوهاب الذين خرجوا من نجد وتغلبوا على الحرمين وكانوا ينتحلون مذهب الحنابلة، لكنهم اعتقدوا أنهم هم المسلمون وأن من خالف اعتقادهم مشركون، واستباحوا بذلك قتل أهل السنة وقتل علمائهم حتى

(١) النعماني، محمد بن إبراهيم، الغيبة، ص ٢٠٥-٢٠٦، حديث ٩.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج ٤، ص ٢٠٠-٢٠١، حديث ٣٦١١.

كسر الله تعالى شوكتهم وخرّب بلادهم وظفر بهم عساكر المسلمين عام ثلاث وثلاثين ومائتين وألف»^(١).

محاورة صاحب الأمر عليه السلام لتكفير بعض لبعض

وأيضاً من إرجاع كلمة «ذلك» إلى ما تقدّم ذكره من الظواهر الغريبة، ومنها تكفير بعض لبعض يستنتج أنّ الإمام المهدي عليه السلام مخالف لهذه الظاهرة، وسيحاربها وسيمنعها حين ظهوره.

فالإمام المهدي عليه السلام وهو المصلح الحقيقي، حيث يتقوّم أسلوبه ومنهجه بقانون الحق والعدل الخالد المنسجم والمتلائم مع الفطرة تمام الانسجام، سيسعى لتحقيق وحدة واقعية تبتني على فكرة التوحيد والأيدلوجية الإسلامية، فيجمع الناس كلهم تحت شعار واحد ودين واحد.

يشهد له قول الإمام الصادق عليه السلام:

«... فَوَ اللَّهِ يَا مُفَضَّلُ، لَيُرْفَعَنَّ عَنِ الْمَلَلِ وَالْأَدْبَانِ الْإِخْتِلَافُ وَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ وَاحِدًا»^(٢).

قبح تكفير المسلمين

يتحصّل كذلك من حديث الإمام الحسين عليه السلام السابق ضرورة تحمّل المسلمين بعضهم لبعض، وعليهم اجتناب تكفير بعضهم بعضاً، ونظراً لأهمية هذه المسألة في عالمنا المعاصر نطيل في ذكر الشواهد عليها.

(١) ابن عابدين، محمّد أمين بن عمر، ردّ المحتار على الدر المختار، ج ٤، ص ٢٦٢.

(٢) المجلسي، محمّد باقر بن محمّد تقي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج ٥٣،

فما أكثر الآيات القرآنية الناهية عن الإفراط بالتكفير، وإليك جانباً منها:
١- يقول عز اسمه:

﴿وَلَا نَقُولُ لِلْمَنَ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ أَلَسَلَّمْ لَسَّتْ مُؤْمِنًا﴾^(١).

والنهي صريح في الآية عن سلب الإيمان من الآخرين واتهامهم بالكفر لمبررات ودواعي مختلفة.

٢- يقول جلّ وعلا:

﴿وَلَكِن مِّن شَرَحٍ بِالْكَفْرِ صَدْرًا﴾^(٢).

وكان للشوكاني تعليق حول هذه الآية جاء فيه:

«فلا بدّ من شرح الصدر بالكفر وطمأنينة القلب به وسكون النفس إليه، فلا اعتبار بما يقع من طوارق عقائد الشر لا سيما مع الجهل بمخالفتها لطريقة الإسلام، ولا اعتبار بصدور فعل كفري لم يرد به فاعله الخروج عن الإسلام إلى ملّة الكفر، ولا اعتبار بلفظ تلفّظ به المسلم يدل على الكفر وهو لا يعتقد معناه»^(٣).

٣- قال سبحانه وتعالى:

﴿هُمُ الْكُفْرِيُّوْمِذِ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾^(٤).

وقال الشيخ محمّد عبده في ذيل هذه الآية:

«وقال: إنهم أقرب إلى الكفر، ولم يقل: إنهم كفار مع علمه بحالهم، تأديباً لهم

ومنعاً للتهجم على التكفير بالعلامات والقرائن»^(٥).

(١) سورة النساء، آية ٩٤.

(٢) سورة النحل، آية ١٠٦.

(٣) الشوكاني، محمّد بن علي، السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، ص ٩٧٨.

(٤) سورة آل عمران، آية ١٦٧.

(٥) رشيد رضا، محمّد رشيد بن علي رضا، تفسير المنار، ج ٤، ص ١٨٧.

وعلق الشيخ محمد رشيد رضا حول ما أفادته الآية قائلاً:
 «فليعتبر بهذا متفقهة زماننا، الذين يسارعون في تكفير من يخالف شيئاً من
 تقاليدهم وعاداتهم، وإن كان من أهل البصيرة في دينه وإيمانه والتقوى في عمله، ولم
 يكونوا على شيء من ذلك»^(١).

٤- قال العزيز الحكيم في كتابه الكريم:

﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾^(٢).

وذكر جماعة من المفسرين كعكرمة وحسن وقتادة مصداقاً لهذه الآية بقوله:
 «هو قول الرجل لأخيه: يا كافر، يا فاسق»^(٣).

وأما ما يستنتج من الروايات بشكل عام فهو أنّ اعتناق الإسلام يستلزم صيانة
 النفس والمال والعرض، ويكفي فيه الإقرار بالشهادتين، وليس من واجبنا أن
 نبحت ونفتش عن نوايا الناس ونتهمهم بالتكفير ونجيز إراقة دمائهم لا لشيء إلا
 لدواع وأسباب واهية، لا سيما إن كان ممن ينادي بالإسلام والإيمان والتوحيد، ولا
 يرى ما يقوم به من أعمال مخالفاً للتوحيد والإيمان، ومن تلك الروايات في كتب
 العامة:

١- ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال:

«أَيُّ أَمْرٍ قَالِ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرٌ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ
 عَلَيْهِ»^(٤).

٢- ابن مسعود عن رسول الله ﷺ قال:

(١) المصدر السابق، ج ٤، ص ١٨٨.
 (٢) سورة الحجرات، آية ١١.
 (٣) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، الاستذكار، ج ٨، ص ٥٤٩.
 (٤) القشيري النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ج ١، ص ٧٩، حديث ٦٠.

«مَا مِنْ مُسْلِمِينَ إِلَّا وَبَيْنَهُمَا سِتْرٌ مِنْ اللَّهِ، فَإِذَا قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ هُجْرًا هَتَكَ سِتْرَهُ، وَإِذَا قَالَ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ كَفَرَ أَحَدُهُمَا»^(١).

٣- عمران بن حصين عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَهُوَ كَقَتْلِهِ»^(٢).

٤- أنس عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:

«مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلَا تُخْفَرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ»^(٣).

٥- وروى أنس بن مالك كذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله:

«أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا، وَصَلُّوا صَلَاتَنَا، وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا، وَذَبَحُوا ذَبِيحَتَنَا، فَقَدْ حَرَمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»^(٤).

٦- نقل عن حميد أنه قال:

«سَأَلَ مَيْمُونُ بْنُ سِيَاهٍ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، قَالَ: يَا أَبَا حَمْزَةَ، مَا يُحْرِمُ دَمَ الْعَبْدِ وَمَالَهُ؟ فَقَالَ: مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَصَلَّى صَلَاتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، فَهُوَ الْمُسْلِمُ، لَهُ مَا لِلْمُسْلِمِ، وَعَلَيْهِ مَا عَلَى الْمُسْلِمِ»^(٥).

وقال ابن حجر معلقاً على هذا الحديث:

«... وفيه أن أمور الناس محمولة على الظاهر، فمن أظهر شعار الدين أجريت

(١) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، ج ١٠، ص ٢٢٤، حديث ١٠٥٤٤.

(٢) المصدر السابق، ج ١٨، ص ١٩٣، حديث ٤٦٣.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج ١، ص ٨٧، حديث ٣٩١.

(٤) المصدر السابق، ج ١، ص ٨٧، حديث ٣٩٢.

(٥) المصدر السابق، ج ١، ص ٨٧-٨٨، حديث ٣٩٣.

عليه أحكام أهله ما لم يظهر منه خلاف ذلك»^(١).

٧- عن عمر بن الخطاب أن جبرئيل عليه السلام سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام، فأجاب: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله ويصدقُه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك...»^(٢).

٨- روى البخاري بسنده عن ابن عباس أنه قال:

«إن وفد عبد القيس لما أتوا النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: من القوم؟ - أو من الوفد؟ - قالوا: ربيعة، قال: مرحباً بالقوم، أو بالوفد، غير خزايا ولا ندامي، فقالوا: يا رسول الله، إننا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، فمُرنا بأمر فصل، نُخبر به من وراءنا، ونُدخل به الجنة، وسألوه عن الأثرية: فأمَرهم بأربع، ونهاهم عن أربع، أمرهم: بالإيمان بالله وحده، قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تُعطوا من المغنم الخمس...»^(٣).

٩- روي عن ابن عباس أنه قال:

«قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لمُعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: إنك

(١) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ٤٩٦.

(٢) القشيري النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ج ١، ص ٣٦، حديث ٨.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج ١، ص ٢٠، حديث ٥٣.

سَتَاتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَعْيُنَائِهِمْ فَتَرُدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ...»^(١).

١٠- قال عبيد الله بن عدي بن الخيار:

«إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ حَدَّثَنِي: أَتَى رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَهُوَ فِي مَجْلِسٍ فَسَارَهُ يَسْتَأْذِنُهُ فِي قَتْلِ رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، فَجَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ: أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ قَالَ الْأَنْصَارِيُّ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا شَهَادَةَ لَهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا شَهَادَةَ لَهُ، قَالَ: أَلَيْسَ يُصَلِّي؟ قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا صَلَاةَ لَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): أُولَئِكَ الَّذِينَ نَهَانِي اللَّهُ عَنْهُمْ»^(٢).

١١- روى البخاري بسنده عن أنس أنه قال:

«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِذَا غَزَا قَوْمًا لَمْ يُغْرَحْ حَتَّىٰ يُصْبِحَ، فَإِنْ سَمِعَ أذَانًا أَمْسَكَ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ أذَانًا أَغَارَ بَعْدَ مَا يُصْبِحُ، فَزَلْنَا خَيْرَ لَيْلًا»^(٣).

هذه الرواية واضحة الدلالة على وجوب الانتظار حين الغزو حتى يطلع الفجر للتأكد من عدم وجود علائم الإسلام والمسلمين كالأذان؛ إذ لا يصح قتال المسلمين، لهذا يمتنع نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم عن حرب القوم بمجرد سماع الأذان يرتفع في سمائهم.

(١) المصدر السابق، ج ٢، ص ١٢٨-١٢٩، حديث ١٤٩٦.

(٢) ابن حنبل، أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٣٩، ص ٧٣، حديث ٢٣٦٧٠.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج ٤، ص ٤٧، حديث ٢٩٤٣.

١٢- ونقل مسلم أيضاً عن أنس أنه قال:

«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يُعْبَرُ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ، وَكَانَ يَسْمَعُ الْأَذَانَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا أَمْسَكَ وَإِلَّا أَغَارَ، فَسَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): عَلَى الْفِطْرَةِ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): خَرَجْتَ مِنَ النَّارِ. فَنظَرُوا فَإِذَا هُوَ رَاعِي مِعْزَى»^(١).

١٣- عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ:

«ثَلَاثٌ مِنَ أَصْلِ الْإِيمَانِ: الْكُفُّ عَمَّنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا نُكْفِرُهُ بِذَنْبٍ، وَلَا نُخْرِجُهُ مِنَ الْإِسْلَامِ بِعَمَلٍ...»^(٢).

١٤- نقل ثابت بن الضحاك عن النبي ﷺ أنه قال:

«مَنْ حَلَفَ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُدَّ بِهٍ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَلَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ، وَمَنْ رَمَى مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ»^(٣).

(١) القشيري النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ج ١، ص ٢٨٨، حديث ٣٨٢.

(٢) أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، ج ٣، ص ١٨، حديث ٢٥٣٢.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج ٨، ص ٢٦، حديث ٦١٠٥.



الخامس : النفاق

مقدمة

لما كان بعض المسلمين يظهرن خلاف ما يبطنون في قلوبهم، مع ملاحظة شدة ارتباط هذا المعنى المسمى بالنفاق مع الكفر الذي ما لبثنا أن انتهينا منه، وجدنا من المناسب أن نسوق أطراف البحث إلى النفاق والمنافق في خواتيم هذه الأبحاث. قال العلامة المصطفوي في تعريف «النفاق»:

«النفاق من المنافقة، بمعنى الامتداد في جريان محدود، كما في المفاعلة، ويستعمل في العرف في امتداد اعتقاد وعمل متخالفين، أي يظهر في القول والعمل خلاف ما في ضميره، وهذا الإظهار له جريان محدود إلى أن ينفد بوجود مقتضى، وليس له دوام. فالمنافق في الإيمان والدين والأصول هو كافر في الواقع، ونفاقه جرم آخر يوجب الإغواء والخدعة والإضرار.

ولذا ترى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾^(١). ويقدم المنافقون لشدة الاهتمام بهم.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾^(٢).

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾^(٣).

﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمَاتِ بِاللَّهِ ظَلَمَنَ السُّوءِ

عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(٤) (٥).

(١) سورة النساء، آية ١٤٠.

(٢) سورة النساء، آية ١٤٢.

(٣) سورة النساء، آية ١٤٥.

(٤) سورة الفتح، آية ٦.

(٥) المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج ١٢، ص ٢٣١.

أ) النفاق والمنافق

حول هذا العنوان بصورته العامة كانت هناك مجموعة من الإشارات في روايات الإمام الحسين عليه السلام، مثل:

ذوو النفاق القديم المتأصل

نقل منصور بن الحسين الآبي في (نشر الدر):

«وَمَا قَتَلَ مُعَاوِيَةَ حُجْرَ بْنَ عَدِيٍّ وَأَصْحَابَهُ، لَقِيَ فِي ذَلِكَ الْعَامِ الْحُسَيْنَ عليه السلام، فَقَالَ: أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، هَلْ بَلَغَكَ مَا صَنَعْتُ بِحُجْرٍ وَأَصْحَابِهِ مِنْ شِيعَةِ أَبِيكَ؟ فَقَالَ: لَا، قَالَ: إِنَّا قَتَلْنَاهُمْ وَكَفَّنَّاهُمْ وَصَلَّيْنَا عَلَيْهِمْ.

فَضَحِكَ الْحُسَيْنُ عليه السلام، ثُمَّ قَالَ: خَصَمَكَ الْقَوْمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا مُعَاوِيَةُ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ وَلِينَا مِثْلَهَا مِنْ شِيعَتِكَ مَا كَفَّنَّاهُمْ وَلَا صَلَّيْنَا عَلَيْهِمْ، وَقَدْ بَلَغَنِي وَقُوعُكَ بِأَبِي حَسَنِ، وَقِيَامُكَ وَاعْتِرَاضُكَ بِنِي هَاشِمٍ بِالْعُيُوبِ، وَأَيْمُ اللَّهِ لَقَدْ أَوْتَرْتَ غَيْرَ قَوْسِكَ، وَرَمَيْتَ غَيْرَ عَرَضِكَ، وَتَنَاوَلْتَهَا بِالْعَدَاوَةِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ، وَلَقَدْ أَطَعْتَ امْرَأًا مَا قَدَّمَ إِيمَانَهُ، وَلَا حَدَّثَ نِفَاقُهُ، وَمَا نَظَرَ لَكَ، فَانظُرْ لِنَفْسِكَ أَوْ دَعْ. يُرِيدُ: عَمَرُو بَنَ الْعَاصِ»^(١).

حيث يتضح من آخر هذا الكلام أنّ هناك أفراداً قد تأصل النفاق في قلوبهم ونمت عليه وشائجهم من القديم، ولهذا لا تجوز طاعتهم.

(١) الآبي، منصور بن الحسين، نشر الدر في المحاضرات، ج ١، ص ٢٢٩.

قال سبحانه وتعالى:

﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِقَافًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾^(١).

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«وَلَقَدْ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: إِنِّي لَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِنًا وَلَا مُشْرِكًا؛ أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ اللَّهُ بِإِيمَانِهِ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ اللَّهُ بِشُرْكِهِ، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنَافِقِ الْجَنَانِ عَالِمِ اللِّسَانِ، يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ وَيَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ»^(٢).

الدين لعق على الألسن

نقل منصور بن الحسين الأبى ما قاله الفرزدق حول لقائه بالإمام الحسين عليه السلام:

«وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ: لَقَيْتَنِي الْحُسَيْنُ عليه السلام فِي مُنْصَرَفِي مِنَ الْكُوفَةِ فَقَالَ: مَا وَرَاءَكَ يَا أَبَا فِرَاسٍ؟ قُلْتُ: أَصَدَقُكَ؟ قَالَ: الصَّدْقُ أُرِيدُ، قُلْتُ: أَمَّا الْقُلُوبُ فَمَعَكَ، وَأَمَّا السُّيُوفُ فَمَعَ بَنِي أُمَيَّةَ عَلَيْكَ، وَالنَّصْرُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، قَالَ: مَا أَرَاكَ إِلَّا صَدَقْتَ، إِنَّ النَّاسَ عَبِيدُ الْمَالِ، وَالذِّينَ لَعَوُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، يَحُوطُونَهُ مَا دَرَّتْ بِهِ مَعَايِشُهُمْ، فَإِذَا حُصِّصُوا لِلْإِبْتِلَاءِ قَلَّ الدِّيَانُونَ»^(٣).

كلمة «اللغو» تعني ما لا يعتد به من كلام وغيره ولا يُحصل منه على فائدة ولا على نفع ومنه الكلام دون تدبّر وتفكّر، ويتبيّن من كلام الإمام عليه السلام أنّ الناس كثيراً ما يتحدثون عن الدين ويلهجون به ولكن دون تأمل فيه ووعي له، بل ودون التزام بمفاده وعمل بمضمونه.

(١) سورة التوبة، آية ٧٧.

(٢) نهج البلاغة، رسالة ٢٧.

(٣) الأبى، منصور بن الحسين، نشر الدر في المحاضرات، ج ١، ص ٢٣٠.

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام وصفه لرجل من رواة الحديث بأنه:

«رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلْإِيمَانِ، مُتَصَنِّعٌ بِالْإِسْلَامِ، لَا يَتَأَنَّمُ وَلَا يَتَحَرَّجُ، يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَعَمِّدًا، فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ، وَلَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ، وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا: صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَاهُ، وَسَمِعَ مِنْهُ، وَلَقِفَ عَنْهُ، فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ، وَقَدْ أَخْبَرَكَ اللَّهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ، وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ، ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ، فَتَقَرَّبُوا إِلَى أُمَّةِ الضَّلَالَةِ، وَالِدُّعَاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ، فَوَلَّوهُمْ الْأَعْمَالَ، وَجَعَلُوهُمْ حُكَّامًا عَلَى رِقَابِ النَّاسِ، فَأَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ وَالِدُّنْيَا، إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ»^(١).

ذوو الإسلام غير الحقيقي

ذكر ابن أعثم في فتوحه:

«قَالَ: وَأَرْسَلَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ أَنْ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ، فَالْقَنِي إِذَا شِئْتَ حَتَّى أَخْبِرَكَ.

قَالَ: فَخَرَجَ إِلَيْهِ الْحُسَيْنُ حَتَّى وَاقَفَهُ وَظَنَّ أَنَّهُ يُرِيدُ حَرْبَهُ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: إِنِّي لَمْ أَدْعُكَ إِلَى الْحَرْبِ، وَلَكِنْ اسْمَعْ مِنِّي، فَإِنَّهَا نَصِيحَةٌ لَكَ، فَقَالَ الْحُسَيْنُ: قُلْ مَا تَشَاءُ، فَقَالَ: اعْلَمْ أَنَّ أَبَاكَ قَدْ وَتَرَ قُرَيْشًا، وَقَدْ بَغَضَهُ النَّاسُ وَذَكَرُوا أَنَّهُ هُوَ الَّذِي قَتَلَ عُثْمَانَ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَخْلَعَهُ وَتُخَالِفَ عَلَيْهِ حَتَّى نُؤَلِّيكَ هَذَا الْأَمْرَ؟!

فَقَالَ الْحُسَيْنُ: كَلَّا وَاللَّهِ، لَا أَكْفُرُ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَبِوَصِيِّ رَسُولِ اللَّهِ، اخْسَ وَيْلَكَ مِنْ شَيْطَانٍ مَارِدٍ، فَلَقَدْ زَيْنَ لَكَ الشَّيْطَانُ سُوءَ عَمَلِكَ، فَخَدَعَكَ حَتَّى أَخْرَجَكَ مِنْ دِينِكَ بِاتِّبَاعِ الْقَاسِطِينَ وَنُصْرَةِ هَذَا الْمَارِقِ مِنَ الدِّينِ، لَمْ يَزَلْ هُوَ وَآبُوهُ حَرَبِينَ وَعَدَوَيْنِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، فَوَاللَّهِ مَا أَسَلْتَهَا، وَلَكِنَّهَا اسْتَسَلَّتْ خَوْفًا وَطَمَعًا، فَأَنْتَ الْيَوْمَ

(١) نهج البلاغة، خطبة ٢١٠.

تُقَاتِلُ عَنْ غَيْرِ مُتَدَمِّمٍ، ثُمَّ تَخْرُجُ إِلَى الْحَرْبِ مُتَحَلِّقًا لِثِرَائِي بِذَلِكَ نِسَاءَ أَهْلِ الشَّامِ، ارْتَعَ قَلِيلًا، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَقْتُلَكَ اللَّهُ عز وجل سَرِيعًا»^(١).

من قوله عليه السلام: «فَوَاللَّهِ مَا أَسْلَمًا» نستنتج أن بعض الناس لم يكن إسلامهم حقيقياً ناشئاً عن قناعة وإيمان، ولو بحثنا عن الأسباب الواقعية وراء دخولهم الإسلام لعثرنا على الخوف من العقوبة والمؤاخذه والطمع بالجاه والمناصب، وأبو سفيان وابنه معاوية كانا من هذا القبيل.

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهَجْرَةِ أَعْرَابًا، وَبَعْدَ الْمَوَالَاةِ أَحْرَابًا، مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا بِاسْمِهِ، وَلَا تَعْرِفُونَ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا رَسْمَهُ، تَقُولُونَ النَّارَ وَلَا الْعَارَ، كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِنُوا الْإِسْلَامَ عَلَى وَجْهِهِ انْتِهَاكَ لِحَرِيمِهِ، وَتَقْضَى لِمِيثَاقِهِ، الَّذِي وَضَعَهُ اللَّهُ لَكُمْ حَرَمًا فِي أَرْضِهِ، وَأَمْنًا بَيْنَ خَلْقِهِ»^(٢).

وقال عليه السلام أيضاً:

«أَلَا وَقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ الْإِسْلَامِ، وَعَطَلْتُمْ حُدُودَهُ، وَأَمْتُم أَحْكَامَهُ»^(٣).

(١) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح، ج ٣، ص ٣٩-٤٠.

(٢) نهج البلاغة، خطبة ١٩٢.

(٣) المصدر السابق، خطبة ١٩٢.

(ب) من علامات النفاق

تطرقت بعض الروايات الواردة عن سيّد الشهداء عليه السلام إلى وجود علائم للنفاق.

إذ روي عن الإمام الحسين عليه السلام أنّه قال في وصف الأحوال في إمارة أبيه عليه السلام:
«فَسَلَّمَ الْإِمَارَةَ لِإِقَامَةِ حُدُودِ عَطَلَتْ، وَالِدَلَالَةِ عَلَى مَعَارِفِ أَنْكَرَتْ وَجَهَلَتْ،
وَأَنْفَتَتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ النَّفَاقِ وَرَايَاتُ الشَّقَاقِ، وَ... الدُّنْيَا، وَنَزَيْتَ بِأَحْسَنِ زِينَتِهَا، فَلَمْ
يَزَلْ يَفْتُقُ مَا رَنُقُوا، وَيَرْتُقُ مَا فَتَقُوا حَتَّى قَبَضَهُ اللهُ عَلَى خَيْرِ حَالَاتِهِ وَأَفْضَلِ سَاعَاتِهِ»^(١).
حيث يتحصّل من قوله عليه السلام: «وَأَنْفَتَتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ النَّفَاقِ» أنّ للنفاق علائم يعرف من خلالها.

وفصّل أمير المؤمنين عليه السلام تلك العلائم بقوله:

«أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَأَحَدْرُكُمْ أَهْلَ النَّفَاقِ، فَإِنَّهُمْ الضَّالُّونَ الْمَضِلُّونَ،
وَالرَّالُونَ الْمَزِلُّونَ، يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَانًا، وَيَقْتَنُونَ افْتِنَانًا، وَيَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ،
وَيَرْضُدُونَكُمْ بِكُلِّ مِرْصَادٍ، قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ، وَصَفَاحُهُمْ نَقِيَّةٌ، يَمْشُونَ الْخَفَاءَ، وَيَدْبُونَ
الضَّرَاءَ، وَصَفُهُمْ دَوَاءٌ، وَقَوْلُهُمْ شِفَاءٌ، وَفَعْلُهُمُ الدَّاءُ الْعِيَاءُ، حَسَدَةُ الرَّخَاءِ، وَمُؤَكِّدُو
الْبَلَاءِ، وَمُقْنِطُو الرَّجَاءِ، لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيحٌ، وَإِلَى كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ، وَلِكُلِّ شَجْوٍ
دُمُوعٌ، يَتَفَارِضُونَ الشَّنَاءَ، وَيَتَرَاقِبُونَ الْجَزَاءَ، إِنْ سَأَلُوا الْحَفُوءَ، وَإِنْ عَدَلُوا كَشَفُوا، وَإِنْ
حَكَمُوا أَسْرَفُوا، قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلًا، وَلِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلًا، وَلِكُلِّ حَيٍّ قَاتِلًا، وَلِكُلِّ
بَابٍ مِفْتَاحًا، وَلِكُلِّ لَيْلٍ مُصْبِحًا، يَتَوَصَّلُونَ إِلَى الطَّمَعِ بِالْيَأْسِ لِيُقِيمُوا بِهِ أَسْوَاقَهُمْ،

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، التشریف بالمنن في التعريف بالفتن، ص ٣٦٣.

وَيُنْفِقُوا بِهِ أَعْلَاقَهُمْ، يَقُولُونَ فَيَسْبَهُونَ، وَيَصِفُونَ فَيَمَوَّهُونَ، قَدْ هَوَّنُوا الطَّرِيقَ، وَأَضْلَعُوا المَضِيقَ، فَهُمُ لَمَّةُ الشَّيْطَانِ، وَحُمَّةُ النَّيرَانِ ﴿أَوْلَيْكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الخٰسِرُونَ﴾^(١)»^(٢).

١. العداء لأهل البيت عليهم السلام

روى الشيخ الصدوق بسنده عن الإمام الحسين بن علي عليهما السلام قوله:
 «مَا كُنَّا نَعْرِفُ المَنَافِقِينَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله إِلَّا بِبُغْضِهِمْ عَلِيًّا وَوُلْدَهُ عليهم السلام»^(٣).
 ويتّضح جلياً من هذا الحديث بما لا يساوره شك أنّ من العلام التي يميز بها المنافق هو عداوته للصالحين وعلى رأسهم أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام.
 وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال:

«لَوْ صَرَبْتُ حَيْشُومَ الْمُؤْمِنِ بِسَيْفِي هَذَا عَلَى أَنْ يُبْغِضَنِي مَا أَبْغَضَنِي، وَلَوْ صَبَبْتُ الدُّنْيَا بِجَمَائِمِهَا عَلَى المَنَافِقِ عَلَى أَنْ يُحِبَّنِي مَا أَحَبَّنِي، وَذَلِكَ أَنَّهُ قُضِيَ فَانْقَضَى عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ: يَا عَلِيُّ، لَا يُبْغِضُكَ مُؤْمِنٌ وَلَا يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ»^(٤).

٢. قتل الإمام المعصوم

ذكر القندوزي الحنفي في الينايع:

«ثُمَّ حَمَلَ عَلَى القَوْمِ حَمْلَةً شَدِيدَةً فَكَشَفَهُمْ عَنِ المَشْرَعَةِ، فَأَرْسَلَ زِمَامَ فَرَسِهِ لِيَشْرَبَ، فَصَبَرَ حَتَّى يَشْرَبَ، وَمَدَّ يَدَهُ إِلَى المَاءِ وَعَرَفَ عُزْفَةَ لِيَشْرَبَهَا، وَيَحْمِلُ إِلَى نِسَائِهِ مِنَ المَاءِ، وَإِذَا صَاحِحٌ يَقُولُ: يَا حُسَيْنُ، أَدْرِكُ خَيْمَةَ النِّسَاءِ فَإِنَّهَا هَتِكْتُ، فَتَنْفِضُ المَاءَ مِنْ

(١) سورة المجادلة، آية ١٩.

(٢) نهج البلاغة، خطبة ١٩٤.

(٣) ابن بابويه، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٦٧، حديث ٣٠٥.

(٤) نهج البلاغة، الكلمات القصار ٤٥.

يَدِهِ وَأَقْبَلَ إِلَى الْخِيْمَةِ فَوَجَدَهَا سَالِمَةً، فَعَلِمَ أَنَّهَا مَكِيدَةٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَأَنْشَأَ عِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ:
 فَإِنْ تَكُنِ الدُّنْيَا تُعَدُّ نَفِيسَةً فَإِنْ ثَوَابَ اللَّهِ أَعْلَى وَأَجْرُ لُ
 وَإِنْ تَكُنِ الْأَرْزَاقُ قِسْمًا مُقَدَّرًا فَقَلَّةُ سَعْيِ الْمَرْءِ فِي الرِّزْقِ أَجْمَلُ
 وَإِنْ تَكُنِ الْأَمْوَالُ لِلتَّرْكِ جَمْعُهَا فَمَا بَالُ مَتْرُوكِهِ بِهِ الْمَرْءُ يَبْخَلُ
 وَإِنْ تَكُنِ الْأَجْسَادُ لِلْمَوْتِ أَنْشَتْ فَكَيْفَ الْفَتَى بِالسَّيْفِ فِي اللَّهِ أَفْضَلُ
 عَلَيْكُمْ سَلَامُ اللَّهِ يَا آلَ أَحْمَدَ فَإِنِّي أَرَانِي عَنكُمْ الْيَوْمَ أَرْحَلُ
 أَرَى كُلَّ مُلْعُونٍ ظَلَمَ مُنَافِقٍ يَرُومُ فَنَانًا جَهْرَةً ثُمَّ يَعْمَلُ^(١).

حيث يلفت ما تضمنه البيت السادس إلى علامة من علائم المنافق، وهي قيامه بقتل الإمام وولي الله والقضاء عليه.

ومن كلام للإمام علي عليه السلام لابن عباس لما أرسله إلى الزبير يستفيئه إلى طاعته قبل حرب الجمل جاء فيه:

«لَا تَلْقَيْنَ طَلْحَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ تَلَقْتَهُ تَجِدُهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصًا قَرْنَهُ يَرْكَبُ الصَّعْبَ، وَيَقُولُ: هُوَ الذَّلُولُ، وَلَكِنَّ الْقِيَامَ الزُّبَيْرِ، فَإِنَّهُ أَلَيْنُ عَرَبِيَّةً، فَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ: عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ، وَأَنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ، فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَأَ»^(٢).

فالإمام علي عليه السلام في كلامه هذا أشار إلى نفاق الزبير العملي الذي قاده رغم معرفته به عليه السلام وبيعتته له إلى التنكر لكل ذلك، ويقدم على المشاركة في حرب الجمل قاصداً قتل الإمام علي عليه السلام.

(١) القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة لذوي القربى، ج ٣، ص ٨١.

(٢) نهج البلاغة، خطبة ٣١.

٣. ارتكاب ما يستوجب الذم والاعتذار منه

روي عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قد قال:

«إِيَّاكَ وَمَا تَعْتَدِرُ مِنْهُ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُسِيءُ وَلَا يَعْتَدِرُ، وَالْمَنَافِقُ كُلُّ يَوْمٍ يُسِيءُ وَيَعْتَدِرُ»^(١).

حيث تشير الجملة الثانية في هذا الحديث إلى إحدى علائم المنافق، وهي أنه يكثر من ارتكاب القبائح والاعتذار من فعله لها يومياً بصورة مستمرة.

يقول عزّ من قائل:

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهَ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢).

(١) ابن شعبة، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليهم)، ص ٢٤٨.

(٢) سورة التوبة، آية ٩٤.

ج) من مهامنا تجاه المنافقين

سلّطت بعض روايات سيّد الشهداء عليه السلام الأضواء على بعض مهام المسلمين وواجباتهم تجاه المنافقين، وكان منها:

نقل عن الإمام الحسين عليه السلام أنّه قال لمعاوية:

«... وَأَيْمُ اللَّهِ لَقَدْ أُوتِرْتَ غَيْرَ قَوْسِكَ، وَرَمَيْتَ غَيْرَ غَرَضِكَ، وَتَنَاوَلْتَهَا بِالْعَدَاوَةِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ، وَلَقَدْ أَطَعْتَ امْرَأًا مَا قَدَّمَ إِيَّانَهُ، وَلَا حَدَّثَ نِفَاقُهُ، وَمَا نَظَرَ لَكَ، فَانظُرْ لِنَفْسِكَ أَوْ دَعُ. يُرِيدُ: عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ»^(١).

إذ يتبيّن من ذيل كلام الإمام عليه السلام ضرورة ترك الحكّام للتشاور مع المحتالين من أمثال عمرو بن العاص وغيره، ورفض مشورتهم وعدم الاستماع لها؛ لما سيجلبه ذلك عليهم من ويلات، فلا شك بأن آراءهم مضرّة لا نفع فيها.
قال سبحانه وتعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ۖ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ۗ﴾^(٢).

(١) الآبي، منصور بن الحسين، نثر الدر في المحاضرات، ج ١، ص ٢٢٩.

(٢) سورة النساء، آية ٦١-٦٣.

(د) من أنواع النفاق

روى مقاتل عن الإمام السجاد عليه السلام عن أبيه الإمام الحسين عليه السلام قال:
«... يَا وَلَدِي، يَا عَلِيُّ، وَاللَّهِ لَا يَسْكُنُ دَمِي حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ الْمُهْدِيَّ، فَيَقْتُلَ عَلِيَّ دَمِي
مِنَ الْمُنَافِقِينَ الْكُفْرَةَ الْفُسْقَةَ سَبْعِينَ أَلْفًا»^(١).

حيث يبدو من الجملة التي ختم بها الإمام عليه السلام كلامه أن النفاق نوع من الكفر؛
وذلك باعتبار أن الكفر له درجات ومراتب والنفاق واحدة منها.

نقل عن يزيد الصائغ أنه قال:

«قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: رَجُلٌ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ إِنْ حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِنْ وَعَدَ أَخْلَفَ،
وَإِنْ ائْتَمَّنَ حَانَ، مَا مَنَزَلَتْهُ؟ قَالَ: هِيَ أَدْنَى الْمَنَازِلِ مِنَ الْكُفْرِ وَلَيْسَ بِكَافِرٍ»^(٢).

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب عليه السلام، ج ٤، ص ٨٥.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٢، ص ٢٩٠، حديث ٥.

A decorative border with intricate Islamic calligraphy and geometric patterns, featuring a central rectangular frame and ornate flourishes at the top, bottom, and sides.

السادس : العنف والإرهاب

مقدمة

حينما نريد تعريف هذه المفردة بشكل عام يمكننا القول أن العنف عبارة عن: «أي إجراء موجه للجسم أو النفس أو الشرف أو المال بنحو يكون مدعاة للخوف» والإجراء يشمل ما كان مادياً فيزيائياً كالضرب والجرح والقتل، وما كان معنوياً كالتهديد والاستخفاف، إضافة إلى أنه حتى الإجراءات القانونية وغير القانونية قد تتصف بهذه الخصوصية؛ لأن كلا النحويين يتسبب عادة في خلق الخوف لدى من توجه إليه تلك الإجراءات، وبناء على ذلك عدت العقوبة من المصاديق اللغوية للعنف أيضاً، وبما أن المعنى اللغوي لها لم يكن واحداً بل متعدداً، أدرج تحتها الفظاظاة والحدّة مقابل اللين واللطافة، والتبرّم والغضب و... التي تمثل أخف مراتب العنف بمعناه الشائع في عصرنا الراهن^(١).

دعوة الإسلام للرفق بالمخالفين

روى مسلم بسنده عن عائشة أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»^(٢).
وأيضاً روي عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال لها: «يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»^(٣).

(١) ميرخيلي، محمود، «خشونت ومجازات» (العنف والجزاء)، كتاب نقد، العدد ١٤ و ١٥، ١٣٧٩ هـ.ش، ص ١٢٧-١٢٨.

(٢) القشيري النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢٠٠٤، حديث ٢٥٩٤.

(٣) المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٠٠٣، حديث ٢٥٩٣.

وروي أيضاً عن جرير بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:
«مَنْ يُحْرِمِ الرَّفْقَ يُحْرِمِ الْخَيْرَ»^(١).

وروي أيضاً عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جدّه أن النبي صلى الله عليه وآله قال لهما لما
بعثهما إلى اليمن:

«يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنْفِرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا»^(٢).

وبسنده عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إِنَّ اللَّهَ أَمْ يَبْعَثُنِي مُعْتَبًا وَلَا مُتَعْتَبًا، وَلَكِنْ بَعَنِي مُعَلِّمًا مُسِيرًا»^(٣).

قال أبو سعيد الخدري:

«بَعَثَ عَلِيٌّ عليه السلام إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِدُهَيْبِيَّةٍ فَكَسَمَهَا بَيْنَ الْأَرْبَعَةِ:
الْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسِ الْحَنْظَلِيِّ، ثُمَّ الْمُجَاشِعِيِّ، وَعُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرِ الْفَزَارِيِّ، وَرَيْدِ الطَّائِي، ثُمَّ
أَحَدِ بَنِي نَهَانَ، وَعَلْقَمَةَ بْنِ عَلَاثَةَ الْعَامِرِيِّ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِي كِلَابٍ، فَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ
وَالْأَنْصَارُ، قَالُوا: يُعْطِي صَنَادِيدَ أَهْلِ نَجْدٍ وَيَدْعُنَا، قَالَ: إِنَّمَا أَتَأَلَّفُهُمْ. فَأَقْبَلَ رَجُلٌ غَائِرٌ
الْعَيْنِينَ، مُشْرِفٌ الْوَجْتَيْنِ، نَاتِيءُ الْجَبِينِ، كَثُّ اللَّحِيَةِ مَحْلُوقٌ، فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ يَا مُحَمَّدُ،
فَقَالَ: مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ إِذَا عَصَيْتُ؟! أَيَأْمِنُنِي اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَلَا تَأْمُنُونِي؟! فَسَأَلَهُ
رَجُلٌ قَتْلَهُ، - أَحْسِبُهُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ - فَمَنَعَهُ، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ: إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِي هَذَا، أَوْ: فِي
عَقِبِ هَذَا قَوْمًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ
مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، لَيْنَ أَنَا أَدْرِكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ
عَادٍ»^(٤).

(١) المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٠٠٣، حديث ٢٥٩٢.

(٢) المصدر السابق، ج ٣، ص ١٣٥٩، حديث ١٧٣٣.

(٣) المصدر السابق، ج ٢، ص ١١٠٤-١١٠٥، حديث ١٤٧٨.

(٤) البخاري، محمد بن إساعيل، صحيح البخاري، ج ٤، ص ١٣٧، حديث ٣٣٤٤.

قال جابر بن عبد الله:

«أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِالْجِعْرَانَةِ مُنْصَرَفَهُ مِنْ حُنَيْنٍ، وَفِي ثَوْبٍ بِلَالٍ فَضَّةٌ، وَرَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقْبِضُ مِنْهَا يُعْطِي النَّاسَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، اْعْدِلْ، قَالَ: وَيَلِّكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ؟! لَقَدْ خَبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ. فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَقْتُلْ هَذَا الْمَنَافِقَ، فَقَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ، أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي، إِنْ هَذَا وَأَصْحَابُهُ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْهُ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ»^(١).

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى:

«حَدَّثَنَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فِي مَسِيرٍ، فَتَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَأَنْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى نَبَلٍ مَعَهُ فَأَخَذَهَا، فَلَمَّا اسْتَيْقِظَ الرَّجُلُ فَرِغَ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ، فَقَالَ: مَا يُضْحِكُكُمْ؟ فَقَالُوا: لَا، إِلَّا أَنَّا أَخَذْنَا نَبْلَ هَذَا فَفَرِغَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَرَوْعَ مُسْلِمًا»^(٢).

وقال المناوي في كتاب «فيض القدير» بعدما نقل الحديث أعلاه شارحاً له:

«(لا يحل لمسلم أن يروّع) بالتشديد، أي يفزع (مسلماً) وإن كان هازلاً، كإشارته بسيف أو حديدة أو أفعى أو أخذ متاعه فيفزع لفقده، لما فيه من إدخال الأذى والضرر عليه، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»^(٣).

(١) القشيري النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ج ٢، ص ٧٤٠، حديث ١٠٦٣.

(٢) ابن حنبل، أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٣٨، ص ١٦٣، حديث ٢٣٠٦٤.

(٣) المناوي، محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج ٦، ص

صور جواز استعمال القوّة في الإسلام

من الممكن أن ينقسم التعامل بشدّة إلى ما كان حسناً وما كان قبيحاً؛ إذ يصح وصف أعمال الشدّة والقسوة التي تقتضيها الضرورة بالرحمة، ولنا أن نختصرها بالحالات والصور أدناه:

- ١- القوّة بمعنى الحزم والصرامة في تطبيق القانون والتشدد في تحقيق العدالة والصلابة في الدفاع عن الحق، والإمام علي عليه السلام هو مثالها ومصداقها البارز.
- ٢- الشدّة القانونية والحزم طبقاً للقانون؛ لأنّه إن لم يتحقق ذلك انفرط نظام المجتمع وتشتت أفرادها، ويترتب عليه ضياع الحقوق الفردية والمجتمعية على مستوى الإنسانية جمعاء؛ ولهذا قال القرآن الكريم:

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(١).

- ٣- استخدام القوّة من قبل الشخص المسؤول؛ إذ إنّ التدخل بغير محلّه وغير المسوّغ من قبل عناصر غير مسؤولة سيقود إلى إرباكات ومخاطر على النظام والأمن العام.

- ٤- القوّة الرحمانية؛ لأنّ الشدّة من قبل الخالق والربّ المرّبّي غايتها التربوية وهدفها التكامل، وبالطبع فإنّ ذلك عطف منه ورحمة.

- ٥- القوّة في مواجهة الأعداء والظلمة وكل من يتعدّى على حقوق الناس، كما يقول القرآن العزيز:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^(٢).

(١) سورة البقرة، آية ٢٢٩.

(٢) سورة الفتح، آية ٢٩.

٦- القوّة في مواجهة المتغترسين والجبابة مثلما أوصى به الإمام علي عليه السلام ولديه

الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام:

«كُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً وَلِلْمَظْلُومِ عَوْناً»^(١).

٧- استخدام القوّة الرادعة، قال القرآن في هذا الصدد:

﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتُلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٢).

٨- التوسّل بالقوّة في ضرب الخونة وأهل الفتن والخوارج الذين وقفوا وجهاً

لوجه ضدّ أمير المؤمنين عليه السلام وأخذوا يهتفون ضدّه بيد أن الآلاف من المؤمنين

يقتدون به، ورغم ذلك لم يسمح الإمام أوّل الأمر أن يتعرّض لهم أحد، ولكنهم لما

تجاوزوا الحدود وشهروا سيوفهم وبدرت منهم بعض الاعتداءات العملية ضدّ

الإمام علي عليه السلام حتّى انجر الأمر إلى وقوع معركة النهروان وحينها تعامل الإمام

معهم بقسوة، وصرّح بعد انتصاره مفتخراً في تلك الواقعة فقط قائلاً:

«أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِيَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي...»^(٣).

٩- استخدام القوّة مع أئمة الكفر والضلال؛ لاقتلاع جذور الظلم والضلالة

كما يقول الله عزّ وجل:

﴿فَقْتُلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾^(٤).

١٠- استخدام القوّة من أجل الأهداف الإنسانية الرفيعة وإحقاقاً للحق

واستقراراً للعدالة؛ ولذا يقول تبارك وتعالى:

(١) نهج البلاغة، رسالة ٤٧.

(٢) سورة الحجرات، آية ٩.

(٣) نهج البلاغة، خطبة ٩٣.

(٤) سورة التوبة، آية ١٢.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾^(١).

١١- استخدام القوة والصرامة والغلظة وعدم التهاون في الدفاع عن الدين، كما ورد في قوله سبحانه:

﴿يَتَأَيَّمُوا النَّبِيَّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَعْلَظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوِيَهُمْ جَهَنَّمُ وَبئس المصير﴾^(٢).

١٢- القوة في الدفاع عن المصالح الوطنية وحماية مصالح البشرية وصيانتها، وهذا ما يستوحى من قوله سبحانه:

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ آنَسُوا فَلَاعُدُوا لِلَّهِ وَاللَّهُ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٣).

١٣- القوة في مقابل القوة؛ إذ يقول القرآن الكريم:

﴿فَمَنْ أَعَدَّى عَلَيْكُمْ فَأَعِدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعَدَّى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٤).

لأن الاعتداء أحياناً لا يمنع تكراره إلا مواجهته بالقوة، فقد روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال:

«رُدُّوا الْحَجَرَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ، فَإِنَّ الشَّرَّ لَا يَدْفَعُهُ إِلَّا الشَّرُّ»^(٥).

(١) سورة النساء، آية ٧٥.

(٢) سورة التوبة، آية ٧٣.

(٣) سورة البقرة، آية ١٩٣.

(٤) سورة البقرة، آية ١٩٤.

(٥) نهج البلاغة، الكلمات القصار ٣١٤.

١٤- استخدام القوّة حينما تتقطع السبل ولا يبقى علاج إلا الكي في إزاء المحن
والبلايا كما كان سلوك النبي ﷺ وأئمة أهل البيت عليهم السلام، فصبروا وتسامحوا وما
غضبوا ولا أغلظوا إلا اضطراراً.

بعد الانتهاء من هذه المقدّمة ننتقل الآن إلى ذكر أحاديث الإمام الحسين عليه السلام
التي تطرقت للقوّة والعنف:

العنف والإرهاب من منظر الإمام الحسين عليه السلام

هناك إشارات تضمّنتها روايات سيّد الشهداء عليه السلام حول العنف والفضاضة والإرهاب، من بينها:

كان يزيد إرهابياً

نقل السيّد ابن طاووس بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«سَارَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ إِلَى الْحُسَيْنِ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي أَرَادَ الْخُرُوجَ فِي صَبِيحَتِهَا عَنْ مَكَّةَ، فَقَالَ: يَا أَخِي، إِنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ مَنْ قَدْ عَرَفَتْ عَدْرَهُمْ بِأَبِيكَ وَأَخِيكَ وَقَدْ خِفْتُ أَنْ يَكُونَ حَالُكَ كَحَالِ مَنْ مَضَى فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُقِيمَ فَإِنَّكَ أَعَزُّ مَنْ فِي الْحَرَمِ وَأَمْنَعُهُ، فَقَالَ: يَا أَخِي، قَدْ خِفْتُ أَنْ يَغْتَالِنِي يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ فِي الْحَرَمِ فَأَكُونَ الَّذِي يُسْتَبَاحُ بِهِ حُرْمَةُ هَذَا الْبَيْتِ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ: فَإِنْ خِفْتَ ذَلِكَ فَصِرْ إِلَى الْيَمَنِ أَوْ بَعْضِ نَوَاجِي الْبَرِّ فَإِنَّكَ أَمْنَعُ النَّاسِ بِهِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْكَ أَحَدٌ، فَقَالَ: أَنْظِرْ فِيمَا قُلْتَ. فَلَمَّا كَانَ السَّحَرِ ارْتَحَلَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السلامُ فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ الْحَنَفِيَّةِ فَأَتَاهُ فَأَخَذَ زِمَامَ نَاقَتِهِ الَّتِي رَكِبَهَا، فَقَالَ لَهُ: يَا أَخِي، أَلَمْ تَعِدْنِي النَّظَرَ فِيمَا سَأَلْتُكَ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَمَا حَدَاكَ عَلَى الْخُرُوجِ عَاجِلاً؟ فَقَالَ: أَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ مَا فَارَقْتُكَ، فَقَالَ: يَا حُسَيْنُ، اخْرُجْ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ شَاءَ أَنْ يَرَاكَ قَتِيلاً، فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، فَمَا مَعْنَى حَمْلِكَ هؤُلاءِ النِّسَاءِ مَعَكَ وَأَنْتَ تَخْرُجُ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ؟! قَالَ: فَقَالَ لَهُ: قَدْ قَالَ لِي: إِنَّ اللَّهَ قَدْ شَاءَ أَنْ يَرَاهُنَّ سَبَايَا، وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَمَضَى»^(١).

يتحصّل من جملة «قَدْ خِفْتُ أَنْ يَغْتَالِنِي يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ فِي الْحَرَمِ» أنّ يزيد كان

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف، ص ٣٩-٤٠.

من أهل الاغتيالات والإرهاب وسفك الدماء ولا يرعوي عن شيء من ذلك إن كان فيه تثبيتاً لحكومته، ومن النماذج الدالة على ذلك أمره الصادر بقتل الإمام الحسين عليه السلام في مكة ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة، وبعد فشل محاولته تلك أصدر أمره بقتله عليه السلام وهذه المرة في كربلاء، كما تمثل واقعة الحرّة نموذجاً آخر لا تصاف يزيد بصفة الإرهاب والقتل غيلة.

فمما ذكره السيوطي في (تاريخ الخلفاء):

«في سنة ثلاث وستين بلغه أنّ أهل المدينة خرجوا عليه وخلعوه، فأرسل إليهم جيشاً كثيفاً وأمرهم بقتالهم، ثمّ المسير إلى مكة لقتال ابن الزبير، فجاؤوا وكانت وقعة الحرّة على باب طيبة، وما أدراك ما وقعة الحرّة! ذكرها الحسن مرّة فقال: والله ما كاد ينجو منهم أحد، قتل فيها خلق من الصحابة رضي الله عنهم ومن غيرهم، ونهبت المدينة، وافتض فيها ألف عذراء، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، قال (صلى الله عليه وسلم): (من أخاف أهل المدينة أخافه الله، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)، رواه مسلم»^(١).

وقال ابن قتيبة:

«وذكروا أنّه قتل يوم الحرّة من أصحاب النبيّ (صلى الله عليه وسلم) ثمانون رجلاً، ولم يبق بدريّ بعد ذلك، ومن قريش والأنصار سبعمائة، ومن سائر الناس من الموالي والعرب والتابعين عشرة آلاف»^(٢).

وقال أيضاً:

«وذكروا أنّ مسلماً لما فرغ من قتال أهل المدينة ونهبها، كتب إلى يزيد بن معاوية ... فما صلّيت الظهر - أصلح الله أمير المؤمنين - إلّا في مسجدهم، بعد القتل الذريع،

(١) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، ص ١٥٨.

(٢) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٢٣٩.

والانتهاك العظيم، وأوقعنا بهم السيوف، وقتلنا من أشرف لنا منهم، وأتبعنا مدبرهم، وأجهزنا على جريحهم، وانتهبناهم ثلاثاً كما قال أمير المؤمنين...»^(١).

ونقل سبط ابن الجوزي عن:

«المدائني في كتاب (الحرّة) عن الزهري قال: كان القتلى يوم الحرّة سبعمائة من وجوه الناس من قريش والأنصار والمهاجرين ووجوه الموالي، وأما من لم يعرف من عبد أو حر أو امرأة فعشرة آلاف، وخاض الناس في الدماء حتّى وصلت الدماء إلى قبر رسول الله (ﷺ) وامتألت الروضة والمسجد.

قال مجاهد: التجأ الناس إلى حجرة رسول الله ومنبره والسيف يعمل فيهم... وذكر أيضاً المدائني عن أبي قرّة قال: قال هشام بن حسان: ولدت ألف امرأة بعد الحرّة من غير زوج، وغير المدائني يقول: عشرة آلاف امرأة»^(٢).

تدنيس الإرهابيين للحرمات الإلهية

يستفاد كذلك من حديث الإمام الحسين (عليه السلام) أعلاه وقوله: «قَدْ خِفْتُ أَنْ يَغْتَالِنِي يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ فِي الْحَرَمِ» أنّ الإرهابيين كانوا على استعداد تامّ لارتكاب أيّ جريمة من أجل تحقيق مبتغاهم وهدفهم ولو كان في ذلك هتك لحرمه الحرم الإلهي الآمن، بيد أنّ الله يصف تلك الربوع بقوله:

﴿ فِي بُيُوتٍ أَدْنَى اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا لُئْلِيهِمْ تَحِزَّةٌ وَلَا يُبْعَثُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾. »

(١) المصدر السابق، ج ١، ص ٢٣٩-٢٤٠.

(٢) ابن الجوزي، يوسف بن القزأولي، تذكرة الخواص، ص ٢٥٩-٢٦٠.

(٣) سورة النور، آية ٣٦-٣٧.

بعد قاتلي الأطفال عن رحمة الله

نقل ابن شهر آشوب في مناقبه:

«وَرُوِيَ أَنَّهُ خَرَجَ أَخُوهُ الْقَاسِمُ فَقَالَ:

يَا عَصَبَةَ جَارَتْ عَلَى نَبِيِّهَا وَكَدَّرْتَ مِنْ عَيْشِهَا مَا قَدْ نَقِي

فِي كُلِّ يَوْمٍ تَقْتُلُونَ سَيِّدًا مِنْ أَهْلِهِ ظُلْمًا وَذَبْحًا مِنْ قَفَا

فَضْرَبَ عَلَى رَأْسِهِ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ الْأَزْدِيُّ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ الْحَسَيْنُ وَضْرَبَهُ، ثُمَّ أَتَى
الْغُلَامَ وَهُوَ يَفْحَصُ بَرِّجْلِهِ فَقَالَ: بَعْدًا لِقَوْمٍ قَتَلُوكَ، وَخَصَمَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيكَ
جَدُّكَ»^(١).

من دعاء الإمام على هؤلاء القتلة للأطفال يتضح مدى بعدهم عن الرحمة
الإلهية؛ لهذا روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله إِذَا أَرَادَ أَنْ يَبْعَثَ سَرِيَّةً دَعَاهُمْ فَأَجْلَسَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ:
سِيرُوا بِسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، لَا تَغْلُوا وَلَا تُمْتَلُوا وَلَا تَغْدِرُوا
وَلَا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا وَلَا صَبِيًّا وَلَا امْرَأَةً وَلَا تَقْطَعُوا شَجَرًا إِلَّا أَنْ تُضْطَرُّوا
إِلَيْهَا...»^(٢).

قد تبلغ قسوة مدعي الإسلام ذروتها أحيانا

روى محب الدين الطبري:

«عَنْ عَبْدِ رَبِّهِ: أَنَّ الْحَسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ عليه السلام لَمَّا أَرَهَقَهُ الْقِتَالُ وَأَخَذَ السَّلَاحَ قَالَ: أَلَا
تَقْبَلُونَ مِنِّي مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقْبَلُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ؟ قَالَ: كَانَ إِذَا
جَنَحَ أَحَدُهُمْ لِلسَّلَامِ قَبْلَ مِنْهُ، قَالُوا: لَا، قَالَ: فَدَعَوْنِي أَرْجِعْ، قَالُوا: لَا، قَالَ: فَدَعَوْنِي

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، ج ٤، ص ١٠٧-١٠٨.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٥، ص ٢٧، حديث ١.

آتِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَخَذَ لَهُ رَجُلٌ السَّلَاحَ وَقَالَ: أَبَشِّرْ بِالنَّارِ، قَالَ: بَلْ أَبَشِّرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى بِرَحْمَةِ رَبِّي وَشَفَاعَةِ نَبِيِّي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)»^(١).

من خلال ردِّ دعوة الصلح هذه تتبين قساوة وفضاضة الأعداء المدعين للإسلام وبلوغها أعلى مراتبها ودرجاتها.

روي عن ابن عباس:

«أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بَعَثَ سَرِيَّةً، قَالَ: فَعَمِمُوا، وَفِيهِمْ رَجُلٌ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنِّي لَسْتُ مِنْهُمْ، عَشِيتُ امْرَأَةً فَلَحِقْتُهَا، فَدَعُونِي أَنْظُرُ إِلَيْهَا نَظْرَةً، ثُمَّ اصْنَعُوا بِي مَا بَدَأَ لَكُمْ، قَالَ: فَإِذَا امْرَأَةٌ طَوِيلَةٌ أَدْمَاءٌ، فَقَالَ لَهَا:

أَسْلِمِي حُبِيصٌ قَبْلَ نَفَادِ الْعَيْشِ، أَرَأَيْتِ لَوْ تَبِعْتِكُمْ فَلَحِقْتِكُمْ بِحِلْيَةٍ أَوْ أَدْرَكْتِكُمْ بِالْخَوَانِقِ أَلَمْ يَكُ حَقًّا أَنْ يُتَوَلَّ عَاشِقٌ تَكَلَّفَ إِذْ لَاحَ السَّرَى وَالْوَدَائِقُ؟

قَالَتْ: نَعَمْ، فَدَبَّتْكَ، قَالَ: فَقَدَّمُوهُ فَضَرَبُوا عُنُقَهُ، فَجَاءَتِ الْمَرْأَةُ فَوَقَفَتْ عَلَيْهِ فَشَهَقَتْ شَهَقَةً أَوْ شَهَقَتَيْنِ، ثُمَّ مَاتَتْ، فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): أَمَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَحِيمٌ»^(٢).

بشاعة التعرض للنساء والأطفال

ذكر البلاذري في أنساب الأشراف:

«قَالُوا: ثُمَّ إِنَّ شِمْرَ بْنَ ذِي الْجَوْشَنِ أَقْبَلَ فِي عَشْرَةِ أَوْ نَحْوِهِمْ مِنْ رِجَالِ أَهْلِ الْكُوفَةِ قَبْلَ مَنَزَلِ الْحَسَنِ الَّذِي فِيهِ ثِقْلُهُ وَعِيَالُهُ، فَمَشَى نَحْوَهُمْ، فَحَالُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَحْلِهِ، فَقَالَ لَهُمْ: وَيْحَكُمْ، إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ دِينٌ فَكُونُوا فِي أَمْرِ دُنْيَاكُمْ أَحْرَارًا، امْنَعُوا أَهْلِي مِنْ طَعْمِكُمْ وَسَفَهَائِكُمْ»^(٣).

(١) محب الدين الطبري، أحمد بن عبد الله، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، ص ١٤٩.

(٢) النسائي، أحمد بن شعيب، السنن الكبرى، ج ٨، ص ٤٦، حديث ٨٦١٠.

(٣) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٤٠٧.

حيث ينبه قوله عليه السلام: «فَكُونُوا فِي أَمْرٍ دُنْيَاكُمْ أَحْرَارًا...» إلى دناءة وحقارة التعرّض للأبرياء من النساء والأطفال.

وقد شددت مجموعة من الآيات القرآنية على حق الإنسان بالحياة، وأنه لا يحق لأي أحد سلبه منه حتى الإنسان نفسه ليس له ذلك؛ لأنه حق إلهي قد وهبه الله إياه ليستعمله في الطريق الصحيح والجادة الصواب.

وبالنسبة للدعاء الأول قال تعالى:

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَ تَهُمَّ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾^(١).

وخلال عرضه لأحداث قصّة ولدي آدم عليه السلام ذكر القرآن موقف هايل:

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِيمِيٰٓ وَأِيمَتِكَ فَتَكُونُ مِنۢ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاؤُ الْظَالِمِينَ﴾ ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخٰسِرِينَ﴾^(٢).

وأما الادعاء الثاني فمن الممكن الاستشهاد عليه بقوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(٣).

والنتيجة المتوخاة مما تقدّم هي: أنّ الأصل الأوّلي بخصوص الإنسان هو حفظ نفسه ما عدا الحالات التي حكم فيها الشرع بزوال هذا الحق عنه، والتي يكون هو المتسبب بزواله أيضاً مثل القصاص والارتداد والإفساد في الأرض.

(١) سورة المائدة، آية ٣٢.

(٢) سورة المائدة، آية ٢٩-٣٠.

(٣) سورة الإسراء، آية ٧٠.

عندما بعث رسول الله ﷺ سرية لقتال الكفار أخذ يوصيهم بالكفار، يا ترى!
كيف ستكون وصاياه ﷺ بالتعامل مع المسلمين!؟

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«مَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُلْقَى السَّمُّ فِي بِلَادِ الْمُشْرِكِينَ»^(١).

وروي أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام ما فيه تفصيل ذلك حيث قال:

«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَبْعَثَ سَرِيَّةً دَعَاهُمْ فَأَجْلَسَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ:
سِيرُوا بِسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، لَا تَغْلُوا وَلَا تُمْتَلُوا وَلَا تَغْدِرُوا
وَلَا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَرِيًّا وَلَا صَبِيًّا وَلَا امْرَأَةً وَلَا تَقْطَعُوا شَجَرًا إِلَّا أَنْ تُضْطَرُّوا إِلَيْهَا»^(٢).

كما قد يستفاد من الروايات أيضاً قاعدة مفادها: كل من يعتقد بالله ورسوله
ويصلي إلى القبلة فإنّ دمه حرام.

نقل البخاري بسنده عن أنس بن مالك أنّ رسول الله ﷺ قال:

«مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ
وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلَا تُخْفَرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ»^(٣).

ونقل البخاري بسنده عن عبد الله بن عمر قال:

«قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: أَلَا أَيُّ شَهْرٍ تَعْلَمُونَهُ
أَعْظَمَ حُرْمَةً؟ قَالُوا: أَلَا شَهْرُنَا هَذَا، قَالَ: أَلَا أَيُّ بَلَدٍ تَعْلَمُونَهُ أَعْظَمَ حُرْمَةً؟ قَالُوا: أَلَا
بَلَدُنَا هَذَا، قَالَ: أَلَا أَيُّ يَوْمٍ تَعْلَمُونَهُ أَعْظَمَ حُرْمَةً؟ قَالُوا: أَلَا يَوْمُنَا هَذَا، قَالَ: (فَإِنَّ اللَّهَ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، كَحُرْمَةِ
يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟) ثَلَاثًا، كُلُّ ذَلِكَ يُجِيبُونَهُ: أَلَا

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٥، ص ٢٨، حديث ٢.

(٢) المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٧، حديث ١.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج ١، ص ٨٧، حديث ٣٩١.

نَعَمْ، قَالَ: وَيُحْكُمُ، أَوْ وَيَلْكُمُ، لَا تَرْجِعَنَّ بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»^(١).

وفي الكافي أيضاً نقل هذه الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام بهذا النحو:

«إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَفَ بِيَمِينِي حِينَ قَضَى مَنَاسِكَهَا فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعُوا مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَعْقِلُوهُ عَنِّي فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ فِي هَذَا الْمَوْفِقِ بَعْدَ عَامِنَا هَذَا، ثُمَّ قَالَ: أَيُّ يَوْمٍ أَعْظَمُ حُرْمَةً؟ قَالُوا: هَذَا الْيَوْمُ، قَالَ: فَأَيُّ شَهْرٍ أَعْظَمُ حُرْمَةً؟ قَالُوا: هَذَا الشَّهْرُ، قَالَ: فَأَيُّ بَلَدٍ أَعْظَمُ حُرْمَةً؟ قَالُوا: هَذَا الْبَلَدُ، قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَهُ، فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلَا هَلْ بَلَغْتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ أَلَا مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فليؤدِّها إِلَى مَنْ اتَّمَنَتْهُ عَلَيْهَا، فَإِنَّهُ لَا يَجِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ وَلَا مَالُهُ إِلَّا بِطَبِيبَةٍ نَفْسِهِ، وَلَا تَظْلِمُوا أَنْفُسَكُمْ، وَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا»^(٢).

الاعتقالات في صدر الإسلام

قال القندوزي في الينابيع:

«وَالْيَوْمُ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ وَهُوَ يَوْمُ الثَّلَاثَاءِ لِثَمَانَ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ كَانَ فِيهِ خُرُوجُ الْحُسَيْنِ عليه السلام مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْعِرَاقِ، بَعْدَ أَنْ طَافَ وَسَعَى وَأَحَلَّ مِنْ إِحْرَامِهِ، وَجَعَلَ حَجَّهُ عُمْرَةً مُفْرَدَةً؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَتِمَّكَنْ مِنْ إِيْتَامِ الْحَجِّ مَخَافَةَ أَنْ يُبْطِشَ بِهِ وَيَقَعُ الْفَسَادُ فِي الْمَوْسِمِ وَفِي مَكَّةَ؛ لِأَنَّ يَزِيدَ أَرْسَلَ مَعَ الْحِجَّاجِ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ شَيْطَانِ بَنِي أُمَيَّةَ وَأَمَرَهُمْ بِقَتْلِ الْحُسَيْنِ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

ثُمَّ إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَنَفِيَّةِ سَمِعَ أَنَّ أَخَاهُ الْحُسَيْنَ عليه السلام يُرِيدُ الْعِرَاقَ، فَبَكَى [بُكَاءً]

(١) المصدر السابق، ج ٨، ص ١٥٩-١٦٠، حديث ٦٧٨٥.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٧، ص ٢٧٣، حديث ١٢.

شَدِيداً، ثُمَّ قَالَ لَهُ: إِنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ قَدْ عَرَفَتْ غَدْرَهُمْ بِأَبِيكَ وَأَخِيكَ، فَإِنْ قَبِلْتَ قَوْلِي
أَقِمَّ بِمَكَّةَ.

فَقَالَ: يَا أَخِي، إِنِّي أَخَشَى أَنْ تَعْتَلِنِي جُنُودُ بَنِي أُمَيَّةَ فِي مَكَّةَ فَأَكُونُ أَنَا الَّذِي
يُسْتَبَاحُ حَرَمَ اللَّهِ»^(١).

يستشف من قول الإمام عليه السلام: «إِنِّي أَخَشَى أَنْ تَعْتَلِنِي جُنُودُ بَنِي أُمَيَّةَ فِي مَكَّةَ»
أنَّ صدر الإسلام لم يخلو من الفكر الإرهابي أيضاً، حيث هناك إرهابيون يتوسلون
بكل السبل من غدر وختل في سبيل الحفاظ على حكوماتهم الظالمة، فلا يروا حرمة
لإنسان ولو كان أعظم إنسان على وجه البسيطة كحجة الله في الأرض، ولا لمكان
ولو كان بيت الله الحرام.

ومن باب الاستطراد نقول: إنَّه وقع اختلاف في تحديد أول مغدور تمَّ اغتياله
في الإسلام؛ إذ ادَّعى بعض أنه عمر بن الخطاب، ولكن الحق أنه سعد بن عبادة
المرشح من قبل الأنصار لمنصب الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يتحقق له ذلك
لمخالفة جماعة كان على رأسهم عمر بن الخطاب.

نقل البلاذري تلك الوقائع في أنساب الأشراف:

«سعد بن عبادة لم يبايع أبا بكر، وخرج إلى الشام، فبعث عمر رجلاً وقال: ادعه
إلى البيعة واختل له، وإن أبي فاستعن بالله عليه. فقدم الرجل الشام، فوجد سعداً في
حائط بحوارين، فدعاه إلى البيعة، فقال: لا أبايع قرشياً أبداً، قال: فَإِنِّي أَقَاتُكَ، قال:
وإن قاتلتني، قال: أفخارج أنت مما دخلت فيه الأمة؟ قال: أمّا من البيعة فَإِنِّي خارج.
فرماه بسهم فقتله. وروي أنَّ سعداً رمي في حمام»^(٢).

نعم، كانت هذه أول عملية اغتيال تحصل في الإسلام.

(١) القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة لذوي القربى، ج ٣، ص ٥٩.

(٢) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٢٧٢.

وذكر الطبري في تاريخه:

«إنّ ابن ملجم والبرك بن عبد الله وعمرو بن بكر التميمي اجتمعوا فتذاكروا أمر الناس، وعابوا على ولائهم، ثمّ ذكروا أهل النهر، فترحموا عليهم، وقالوا: ما نصنع بالبقاء بعدهم شيئاً، إخواننا الذين كانوا دعاة الناس لعبادة ربّهم، والذين كانوا لا يخافون في الله لومة لائم، فلو شرينا أنفسنا فأتينا أئمة الضلالة فالتمسنا قتلهم، فأرحنا منهم البلاد، وثأرنا بهم إخواننا، فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم علي بن أبي طالب - وكان من أهل مصر - وقال البرك بن عبد الله: أنا أكفيكم معاوية بن أبي سفيان، وقال عمرو بن بكر: أنا أكفيكم عمرو بن العاص، فتعاهدوا وتوآثقوا بالله لا ينكص رجل منّا عن صاحبه الذي توجه إليه حتّى يقتله أو يموت دونه، فأخذوا أسيافهم فسمّوها، واتعدوا لسبع عشرة تخلو من رمضان أن يثب كلّ واحد منهم على صاحبه الذي توجه إليه، وأقبل كلّ رجل منهم إلى المصر الذي فيه صاحبه الذي يطلب.

فأمّا ابن ملجم المرادي فكان عداده في كندة، فخرج فلقي أصحابه بالكوفة، وكاتمهم أمره كراهة أن يظهروا شيئاً من أمره، فإنّه رأى ذات يوم أصحاباً من تيم الرباب - وكان علي قتل منهم يوم النهر عشرة - فذكروا قتلاهم، ولقي من يومه ذلك امرأة من تيم الرباب يقال لها: قطام ابنة الشجنة - وقد قتل أباه وأخاها يوم النهر، وكانت فائقة الجمال - فلما رآها التبست بعقله، ونسي حاجته التي جاء لها، ثمّ خطبها، فقالت: لا أتزوجك حتّى تشفي لي، قال: وما يشفيك؟ قالت: ثلاثة آلاف وعبد وقينة وقتل علي بن أبي طالب، قال: هو مهر لك، فأمّا قتل علي فلا أراك ذكرته لي وأنت تريدني، قالت: بلى، التمس غرّته، فإن أصبت شفيت نفسك ونفسي، ويهنتك العيش معي، وإن قتلت فما عند الله خير من الدنيا وزينتها وزينه أهلها، قال: فو الله ما جاء بي إلى هذا المصر إلّا قتل علي، فلك ما سألت، قالت: إنّي أطلب لك من يسند ظهرك، ويساعدك على أمرك، فبعثت إلى رجل من قومها من تيم الرباب يقال له: وردان،

فكلمته فأجابها، وأتى ابن ملجم رجلاً من أشجع يقال له: شبيب بن بجرة، فقال له: هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟ قال: وما ذاك؟ قال: قتل علي بن أبي طالب، قال: ثكلتك أمك، لقد جئت شيئاً إداً، كيف تقدر على علي؟ قال: أؤمن له في المسجد، فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه، فإن نجونا شفيناً أنفسنا وأدر كنا ثارنا، وإن قتلنا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها، قال: ويحك، لو كان غير علي لكان أهون علي، قد عرفت بلاءه في الإسلام، وسابقته مع النبي ﷺ، وما أجدني أنشرح لقتله، قال: أما تعلم أنه قتل أهل النهر العباد الصالحين؟! قال: بلى، قال: فنقتله بمن قتل من إخواننا، فأجابه، فجاؤوا قطام وهي في المسجد الأعظم معتكفة، فقالوا لها: قد أجمع رأينا على قتل علي، قالت: فإذا أردتم ذلك فأتوني، ثم عاد إليها ابن ملجم في ليلة الجمعة التي قتل في صبيحتها علي سنة أربعين فقال: هذه الليلة التي واعدت فيها صاحبي أن يقتل كل منّا صاحبه، فدعت لهم بالحرير فعصبتهم به، وأخذوا أسيافهم وجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها علي، فلما خرج ضربه شبيب بالسيف، فوقع سيفه بعضادة الباب أو الطاق، وضربه ابن ملجم في قرنه بالسيف...»^(١).

الإرهاب الدولي

يستنتج من الرجوع إلى قول الإمام الحسين عليه السلام: «إِنِّي أَخْشَى أَنْ تَعْتَلِنِي جُنُودُ بَنِي أُمَيَّةٍ فِي مَكَّةَ» أن بعض الإرهابيين لديهم تشكيلات دولية. فقد روي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام قوله لبعض أصحابه: «يَا فَلَانُ، مَا لَقِينَا مِنْ ظُلْمِ قُرَيْشٍ إِيَّانَا وَتَظَاهُرِهِمْ عَلَيْنَا، وَمَا لَقِيَّ شَيْعَتُنَا وَمُحِبُّونَا مِنَ النَّاسِ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قُبِضَ وَقَدْ أَخْبَرَ أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ، فَتَمَّ لَأْتِ عَلَيْنَا قُرَيْشٌ حَتَّى أَخْرَجَتِ الْأَمْرَ عَنْ مَعْدِنِهِ، وَاحْتَجَّتْ عَلَى الْأَنْصَارِ بِحَقِّنَا وَحَجَّتْنَا، ثُمَّ

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ١٤٣-١٤٥.

تَدَاوَلَتْهَا قُرَيْشٌ وَاحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ حَتَّى رَجَعَتْ إِلَيْنَا، فَكَثَّتْ بَيْعَتَنَا وَنَصَبَتِ الْحَرْبَ لَنَا، وَلَمْ يَزَلْ صَاحِبُ الْأَمْرِ فِي صَعُودِ كَوْوِدٍ حَتَّى قُتِلَ، فَبُوعِ الْحَسَنِ ابْنَهُ وَعُوْهَدَ ثُمَّ عُذِرَ بِهِ وَأُسْلِمَ، وَوَتَبَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعِرَاقِ حَتَّى طُعِنَ بِحَنْجَرٍ فِي جَنْبِهِ، وَنُهَبَتْ عَسْكَرُهُ وَعُوجِلَتْ خَلَاجِيلُ أُمَّهَاتِ أَوْلَادِهِ، فَوَادَعَ مُعَاوِيَةَ وَحَقَنَ دَمَهُ وَدِمَاءَ أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُمْ قَلِيلٌ حَقَّ قَلِيلٌ، ثُمَّ بَايَعَ الْحَسِينَ عليه السلام مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عِشْرُونَ أَلْفًا، ثُمَّ غَدَرُوا بِهِ وَخَرَجُوا عَلَيْهِ وَيَبِعْتَهُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَقَتَلُوهُ، ثُمَّ لَمْ نَزَلْ أَهْلُ النَّبِيِّتِ نُسْتَدَلُّ وَنُسْتَضَامُ وَنُقْصَى وَنُمْتَهَنُ وَنُحْرَمُ وَنُقْتَلُ وَنَخَافُ وَلَا نَأْمَنُ عَلَى دِمَائِنَا وَدِمَاءِ أَوْلِيَائِنَا، وَوَجَدَ الْكَاذِبُونَ الْجَاهِدُونَ لِكَذِبِهِمْ وَجُحُودِهِمْ مَوْضِعًا يَنْتَقِرُونَ بِهِ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ، وَقُضَاةِ السَّوَةِ وَعَمَالِ السَّوَةِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ فَحَدَّثُوهُمْ بِالْأَحَادِيثِ الْمَوْضُوعَةِ الْمَكْذُوبَةِ، وَرَوَوْا عَنَّا مَا لَمْ نَقُلْهُ وَلَمْ نَفْعَلْهُ لِيُبَغِّضُونَا إِلَى النَّاسِ، وَكَانَ عِظَمُ ذَلِكَ وَكِبَرُهُ زَمَنَ مُعَاوِيَةَ بَعْدَ مَوْتِ الْحَسَنِ عليه السلام، فَقَتَلَتْ شَيْعَتُنَا بِكُلِّ بَلَدَةٍ وَقُطِّعَتِ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ عَلَى الظَّنِّ، وَكَانَ مِنْ ذِكْرِ بِحَبْنَا وَالْإِنْقِطَاعِ إِلَيْنَا سُجْنٌ أَوْ نُهَبَ مَالُهُ أَوْ هُدِمَتْ دَارُهُ، ثُمَّ لَمْ يَزَلِ الْبَلَاءُ يَشْتَدُّ وَيَزِدُّ إِلَى زَمَانِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ قَاتِلِ الْحَسَنِ عليه السلام، ثُمَّ جَاءَ الْحِجَابُ فَفَقَتَلَهُمْ كُلَّ قَتْلَةٍ وَأَخَذَهُمْ بِكُلِّ ظَنَّةٍ وَتُهْمَةٍ، حَتَّى أَنَّ الرَّجُلَ لَيَقَالُ لَهُ: زَنْدِيقٌ أَوْ كَافِرٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يُقَالَ: شَيْعَةٌ عَلِيٌّ، وَحَتَّى صَارَ الرَّجُلُ الَّذِي يُدْكَرُ بِالْخَيْرِ وَلَعَلَّهُ يَكُونُ وَرِعًا صَدُوقًا يُحَدِّثُ بِأَحَادِيثِ عَظِيمَةٍ عَجِيبَةٍ مِنْ تَفْضِيلِ بَعْضِ مَنْ قَدْ سَلَفَ مِنَ الْوَلَاةِ وَلَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ تَعَالَى شَيْئًا مِنْهَا وَلَا كَانَتْ وَلَا وَقَعَتْ وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهَا حَقٌّ؛ لِكَثْرَةِ مَنْ قَدْ رَوَاهَا يَمِّنُ لَمْ يُعْرِفْ بِكَذِبِ وَلَا بِقِلَّةِ وَرَعٍ»^(١).

روى ابن أبي الحديد عن أبي الحسن المدائني أنه:

«كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمة ممن روى

(١) ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، ج ١١، ص ٤٣-٤٤.

شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كلّ كورة وعلى كلّ منبر يلعنون علياً ويبرؤون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشدّ الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة؛ لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام، فاستعمل عليهم زياد بن سمية، وضّم إليه البصرة، فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف؛ لأنّه كان منهم أيام علي عليه السلام، فقتلهم تحت كلّ حجر ومدر وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وطرفهم وشرّدهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم...»^(١).

(١) المصدر السابق، ج ١١، ص ٤٤.

فهرس المصادر

* القرآن الكريم.

١. ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٥ هـ.ق.
٢. ابن أبي العز، علي بن علي، شرح العقيدة الطحاوية، بغداد - العراق، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٥ م، وبيروت - لبنان، المكتبة العصرية، ٢٠٠٩ م.
٣. ابن أبي جمهور، محمد بن زين الدين، عوالي اللآلي العزيزية في الأحاديث الدينية، قم - إيران، مؤسسة سيّد الشهداء عليه السلام، ١٤٠٥ هـ.ق.
٤. ابن أبي يعلى، محمد بن محمد، طبقات الحنابلة، بيروت - لبنان، دار المعرفة.
٥. ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح، بيروت - لبنان، دار الأضواء، ١٤١١ هـ.ق.
٦. ابن الأثير، المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، قم - إيران، مؤسسة إسماعيليان، ١٣٦٧ هـ.ش.
٧. ابن الأثير، علي بن محمد، الكامل في التاريخ، بيروت - لبنان، دار الكتاب العربي، ١٤١٧ هـ.ق.
٨. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٢ هـ.ق.
٩. ابن الجوزي، يوسف بن قزأوغلي، تذكرة الخواص، قم - إيران، الشريف الرضي، ١٤١٨ هـ.ق.

١٠. ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار الكبير، قم - إيران، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٩ هـ.ق.
١١. ابن الوزير، محمد بن إبراهيم، إيثار الحق على الخلق، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧ م.
١٢. ابن بابويه، محمد بن علي، التوحيد، قم - إيران، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٣٩٨ هـ.ق.
١٣. ابن بابويه، محمد بن علي، الأمالي، طهران - إيران، مؤسسة البعثة، ١٤٣٥ هـ.ق.
١٤. ابن بابويه، محمد بن علي، الخصال، قم - إيران، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٣٦٢ هـ.ش.
١٥. ابن بابويه، محمد بن علي، الهداية في الأصول والفروع، قم - إيران، مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام، ١٤١٨ هـ.ق.
١٦. ابن بابويه، محمد بن علي، علل الشرائع، قم - إيران، مكتبة الداوري، ١٣٨٥ هـ.ق.
١٧. ابن بابويه، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام، طهران - إيران، جهان، ١٣٧٨ هـ.ق.
١٨. ابن بابويه، محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة، طهران - إيران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٩٥ هـ.ق.
١٩. ابن بابويه، محمد بن علي، معاني الأخبار، قم - إيران، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٣ هـ.ق.
٢٠. ابن بابويه، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، قم - إيران، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٣ هـ.ق.

٢١. ابن بطة، عبيد الله بن محمد، الإبانة الكبرى، الرياض - المملكة
السعودية، دار الراجية، ١٤١٥ هـ.ق.
٢٢. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، بغية المرتاد في الردّ على المتفلسفة
والقراطة والباطنية، المدينة - المملكة السعودية، مكتبة العلوم والحكم،
١٤١٥ هـ.ق.
٢٣. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الاستقامة، المدينة - المملكة السعودية،
جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠٣ هـ.ق.
٢٤. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، المدينة - المملكة
السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦ هـ.ق.
٢٥. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، صحيح ابن حبان، بيروت - لبنان،
مؤسسة الرسالة، ١٤١٤ هـ.ق.
٢٦. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح
البخاري، بيروت - لبنان، دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ.ق.
٢٧. ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد، تحفة المحتاج في شرح المنهاج، مصر،
المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٧ هـ.ق.
٢٨. ابن حزم، علي بن أحمد، المحلى بالآثار، بيروت - لبنان، دار الفكر.
٢٩. ابن حمدون، محمد بن الحسن، التذكرة الحمدونية، بيروت - لبنان، دار
صادر، ١٩٩٦ م.
٣٠. ابن حنبل، أحمد بن محمد، فضائل الصحابة، بيروت - لبنان، مؤسسة
الرسالة، ١٤٠٣ هـ.ق.
٣١. ابن حنبل، أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، بيروت - لبنان،
مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ.ق.

٣٢. ابن حيون، النعمان بن محمد، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام، قم، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٩ هـ.ق.
٣٣. ابن دقيق العيد، محمد بن علي، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، مطبعة السنة المحمدية.
٣٤. ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢ هـ.ق.
٣٥. ابن سعد، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، الطبقة الخامسة من الصحابة، الطائف - السعودية، مكتبة الصديق.
٣٦. ابن شعبة، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليهم)، قم - إيران، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٤ هـ.ق.
٣٧. ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، قم - إيران، العلامة، ١٣٧٩ هـ.ق.
٣٨. ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال، طهران - إيران، دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٩ هـ.ق.
٣٩. ابن طاووس، علي بن موسى، التشریف بالمنن في التعريف بالفتن، قم - إيران، مؤسسة صاحب الأمر عليه السلام الثقافية، ١٤١٦ هـ.ق.
٤٠. ابن طاووس، علي بن موسى، الدروع الواقية، بيروت - لبنان، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤١٥ هـ.ق.
٤١. ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف، بيروت - لبنان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤١٤ هـ.ق.

٤٢. ابن طاووس، علي بن موسى، جمال الأسبوع بكمال العمل المشروع، قم - إيران، الشريف الرضي، ١٣٣٠ هـ.ق.
٤٣. ابن طاووس، علي بن موسى، مهج الدعوات ومنهج العبادات، قم - إيران، دار الذخائر، ١٤١١ هـ.ق.
٤٤. ابن عابدين، محمد أمين بن عمر، ردّ المحتار على الدر المختار، بيروت - لبنان، دار الفكر، ١٤١٢ هـ.ق.
٤٥. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، الاستذكار، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٢١ هـ.ق.
٤٦. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، المغرب، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧ هـ.ق.
٤٧. ابن عديم، عمر بن أحمد، بغية الطلب في تاريخ حلب، بيروت - لبنان، دار الفكر.
٤٨. ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق، بيروت - لبنان، دار الفكر، ١٤١٥ هـ.ق.
٤٩. ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، قم - إيران، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤ هـ.ق.
٥٠. ابن فهد الحلبي، أحمد بن محمد، عدّة الداعي ونجاح الساعي، بيروت - لبنان، دار الكتاب الإسلامي، ١٤٠٧ هـ.ق.
٥١. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة، بيروت - لبنان، دار الأضواء، ١٤١٠ هـ.ق.

٥٢. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، عيون الأخبار، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٨ هـ.ق.

٥٣. ابن قدامة، عبد الله بن أحمد، المغني، القاهرة - مصر، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨ هـ.ق.

٥٤. ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات، النجف الأشرف - العراق، المطبعة المرتضوية، ١٣٥٦ هـ.ق.

٥٥. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، بيروت - لبنان، دار الكتاب العربي، ١٤١٦ هـ.ق.

٥٦. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، بيروت - لبنان، دار الفكر، ١٤٠٧ هـ.ق.

٥٧. ابن ماجة، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، القاهرة - مصر، دار إحياء الكتب العربية.

٥٨. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت - لبنان، دار صادر، ١٤١٤ هـ.ق.

٥٩. ابن ميثم، ميثم بن علي، قواعد المرام في علم الكلام، قم - إيران، المكتبة العامة لآية الله العظمى المرعشي النجفي، ١٤٠٦ هـ.ق.

٦٠. ابن نجيم المصري، زين الدين بن إبراهيم، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، دار الكتاب الإسلامي.

٦١. ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، القاهرة - مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٥ هـ.ق.

٦٢. أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبين، بيروت - لبنان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤١٩ هـ.ق.

٦٣. أبو حيان التوحيدى، علي بن محمد، البصائر والذخائر، بيروت - لبنان، دار صادر، ١٤١٩ هـ.ق.
٦٤. أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، صيدا - بيروت، المكتبة العصرية.
٦٥. الآبي، منصور بن الحسين، نثر الدر في المحاضرات، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ.ق.
٦٦. الآجري، محمد بن الحسين، الشريعة، رياض - المملكة السعودية، دار الوطن، ١٤٢٠ هـ.ق.
٦٧. أخطب خوارزم، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام، قم - إيران، أنوار الهدى، ١٤٢٣ هـ.ق.
٦٨. الأزهرى، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، بيروت - لبنان، دار إحياء التراث العربى، ١٤٢١ هـ.ق.
٦٩. الأسترآبادى، علي، تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، قم - إيران، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، مؤسسة النشر الإسلامى، ١٤٠٩ هـ.ق.
٧٠. آل الشيخ، عبد الرحمن بن حسن، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، القاهرة - مصر، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٧ هـ.ق.
٧١. الألبانى، محمد ناصر الدين، فتنة التكفير، الرياض - المملكة السعودية، دار ابن خزيمة، ١٤١٨ هـ.ق.
٧٢. الألوسى، محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ.ق.

٧٣. الأمدى، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم ودرر الكلم، قم - إيران، دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٠ هـ.ق.
٧٤. الباقلائي، محمد بن طيب، تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، بيروت - لبنان، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٧ هـ.ق.
٧٥. البحراني، هاشم بن سليمان، مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر ودلائل الحجج على البشر، قم - إيران، مؤسسة المعارف الإسلامية، ١٤١٣ هـ.ق.
٧٦. البحراني، يوسف بن أحمد، الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، قم - إيران، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٥ هـ.ق.
٧٧. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، بيروت - لبنان، دار طوق النجاة، ١٤٢٢ هـ.ق.
٧٨. البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن، قم - إيران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٧١ هـ.ق.
٧٩. البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، أصول الإيمان، بيروت - لبنان، دار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٣ م.
٨٠. البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف، بيروت - لبنان، دار الفكر، ١٤١٧ هـ.ق.
٨١. البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ.ق.
٨٢. التفتازاني، مسعود بن عمر، شرح العقائد النسفية، القاهرة - مصر، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٧ هـ.ق.

٨٣. التفتازاني، مسعود بن عمر، شرح المقاصد، قم - إيران، الشريف الرضي، ١٤٠٩ هـ.ق.
٨٤. التلمساني، محمد بن أبي بكر، الجوهرة في نسب الإمام علي وآله عليه السلام، قم - إيران، أنصاريان.
٨٥. الجاحظ، عمرو بن بحر، رسائل الجاحظ: الرسائل السياسية، بيروت - لبنان، دار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٢ م.
٨٦. الجرجاني، علي بن محمد، شرح المواقف، قم - إيران، الشريف الرضي، ١٣٢٥ هـ.ق.
٨٧. جرداق، جورج، الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، بيروت - لبنان، دار الأندلس، ٢٠١٠ م.
٨٨. الجمل، إبراهيم محمد حسن، أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، القاهرة - مصر، دار الفضيلة.
٨٩. الجوادى الآملى، عبد الله، ومصطفى پور، محمد رضا، «ارتداد وآزادى» (الارتداد والحرية)، مجلة پاسدار اسلام، العدد ٢٦٥، الصفحة ٦-١٠، ١٣٨٢ هـ.ش.
٩٠. الجوهرى، إسماعيل بن حماد، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، بيروت - لبنان، دار العلم للملايين، ١٣٧٦ هـ.ق.
٩١. الحاكم النيسابورى، محمد بن عبد الله، المستدرک على الصحيحين، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١١ هـ.ق.
٩٢. حامد، محمد عبد الحكيم، أئمة التكفير: ظاهرة التكفير في العصر الحاضر أصولها الفكرية وطرق علاجها، القاهرة - مصر، دار الفاروق، ٢٠٠٦ م.

٩٣. الحر العاملي، محمد بن الحسن، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، قم - إيران، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، ١٤٠٩ هـ.ق.

٩٤. الحسن بن علي عليه السلام، التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام، قم - إيران، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، ١٤٠٩ هـ.ق.

٩٥. الحسيني الطهراني، محمد حسين، الشمس الساطعة: رسالة في ذكرى العالم الرباني العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي التبريزي، ترجمة: عباس نور الدين وعبد الرحيم مبارك، بيروت - لبنان، دار المحجة البيضاء، ١٤١٧ هـ.ق.

٩٦. الحصري القيرواني، إبراهيم بن علي، زهر الآداب وثمر الألباب، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ.ق.

٩٧. الحصكفي، محمد بن علي، الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٢٣ هـ.ق.

٩٨. الحلواني، الحسين بن محمد، نزهة الناظر وتنبية الخاطر، قم - إيران، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، ١٤٠٨ هـ.ق.

٩٩. الخزاز الرازي، علي بن محمد، كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، قم - إيران، بيدار، ١٤٠١ هـ.ق.

١٠٠. الخميني، روح الله، تحرير الوسيلة، قم - إيران، دار العلم، ١٤٠٩ هـ.ق.

١٠١. الخوارزمي، ريجان بن عبد الواحد، المناقب والمثالب، دمشق - سورية، دار البشائر، ١٤٢٠ هـ.ق.

١٠٢. الخوئي، أبو القاسم، التنقيح في شرح العروة الوثقى، قم - إيران، لطفی، ١٤١٨ هـ.ق.
١٠٣. الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، سنن الدارمي، الرياض - المملكة السعودية، دار المغني للنشر والتوزيع، ١٤٢١ هـ.ق.
١٠٤. الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ.ق.
١٠٥. الذهبي، محمد بن أحمد، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، بيروت - لبنان، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٣٨٢ هـ.ق.
١٠٦. الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، دمشق - بيروت، دار القلم - الدار الشامية، ١٤١٢ هـ.ق.
١٠٧. رشيد رضا، محمد رشيد بن علي رضا، تفسير المنار، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.
١٠٨. السبحاني التبريزي، جعفر، بحوث في الملل والنحل، قم - إيران، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، مؤسسة النشر الإسلامي.
١٠٩. السبزواري، محمد بن محمد، جامع الأخبار، بيروت - لبنان، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، ١٤١٣ هـ.ق.
١١٠. السبكي، علي بن عبد الكافي، فتاوى السبكي، دار المعارف.
١١١. السعدي، عبد الرحمن، الإرشاد إلى معرفة الأحكام، مطبعة العلم.
١١٢. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، مكة - المملكة السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤٢٥ هـ.ق.
١١٣. الشريف الرضي، محمد بن الحسين، خصائص الأئمة عليهم السلام: خصائص أمير المؤمنين عليه السلام، مشهد المقدسة - إيران، العتبة الرضوية المقدسة، مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٠٦ هـ.ق.

١١٤. شلبي، محمود، حياة فاطمة عليها السلام، بيروت - لبنان، دار الجليل، ١٤٠٩ هـ.ق.

١١٥. الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، بيروت - لبنان، دار المعرفة، ١٤١٥ هـ.ق.

١١٦. الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، حقائق الإيمان مع رسالتي الاقتصاد والعدالة، قم - إيران، المكتبة العامة لآية الله العظمى المرعشي النجفي، ١٤٠٩ هـ.ق.

١١٧. الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام، قم - إيران، مؤسسة المعارف الإسلامية، ١٤١٣ هـ.ق.

١١٨. الشوكاني، محمد بن علي، السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، بيروت - لبنان، دار ابن حزم، ١٤٢٥ هـ.ق.

١١٩. الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، دمشق - سورية، دار ابن كثير، ١٤١٤ هـ.ق.

١٢٠. صدر الدين الشيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، قم - إيران، بيدار، ١٣٦١ هـ.ش.

١٢١. الصفار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات في فضائل آل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين)، قم - إيران، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، ١٤٠٤ هـ.ق.

١٢٢. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، بيروت - لبنان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٣٩٠ هـ.ق.

١٢٣. الطبراني، سليمان بن أحمد، الدعاء، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٣ هـ.ق.

١٢٤. الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، القاهرة - مصر، دار الحرمين.

١٢٥. الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، القاهرة - مصر، مكتبة ابن تيمية.

١٢٦. الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج، مشهد المقدسة - إيران، نشر المرتضى، ١٤٠٣ هـ.ق.

١٢٧. الطبرسي، الحسن بن الفضل، مكارم الأخلاق، قم - إيران، الشريف الرضي، ١٤١٢ هـ.ق.

١٢٨. الطبرسي، الفضل بن الحسن، إعلام الوري بأعلام الهدى، قم - إيران، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، ١٤١٧ هـ.ق.

١٢٩. الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، طهران - إيران، ناصر خسرو، ١٣٧٢ هـ.ش.

١٣٠. الطبرسي، الفضل بن الحسن، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، النجف الأشرف - العراق، المطبعة الحيدرية، ١٣٨٥ هـ.ق.

١٣١. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، بيروت - لبنان، دار التراث، ١٣٨٧ هـ.ق.

١٣٢. الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، بيروت - لبنان، دار المعرفة، ١٤١٢ هـ.ق.

١٣٣. الطريحي، فخر الدين بن محمد، مجمع البحرين، طهران - إيران، مكتبة مرتضوي، ١٣٧٥ هـ.ق.

١٣٤. الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال المعروف برجال

- الكشي، مشهد المقدّسة - إيران، جامعة مشهد، كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية، مركز البحوث والدراسات، ١٤٠٩ هـ.ق.
١٣٥. الطوسي، محمّد بن الحسن، الأمالي، قم - إيران، دار الثقافة، ١٤١٤ هـ.ق.
١٣٦. الطوسي، محمّد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، بيروت - لبنان، دار إحياء التراث العربي، بلا تا.
١٣٧. الطوسي، محمّد بن الحسن، النهاية في مجرد الفقه والفتاوى، بيروت - لبنان، دار الكتاب العربي، ١٤٠٠ هـ.ق.
١٣٨. الطوسي، محمّد بن الحسن، تهذيب الأحكام، طهران - إيران، دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٧ هـ.ق.
١٣٩. الطوسي، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجد، بيروت - لبنان، مؤسسة فقه الشيعة، ١٤١١ هـ.ق.
١٤٠. العاصمي النجدي، عبد الرحمن بن محمّد، الدرر السنية في الأجوبة النجدية، ١٤١٧ هـ.ق.
١٤١. عبد المنعم، محمود عبد الرحمن، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، القاهرة - مصر، دار الفضيلة، ١٤١٩ هـ.ق.
١٤٢. العلامة الحلي، الحسن بن يوسف، إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان، قم - إيران، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٠ هـ.ق.
١٤٣. العلامة الحلي، الحسن بن يوسف، قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام، قم - إيران، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٣ هـ.ق.

- ١٤٤ . العلامة الحلي، الحسن بن يوسف، معارج الفهم في شرح النظم، قم - إيران، دليل ما، ١٣٨٦ هـ.ش.
- ١٤٥ . العلامة الحلي، الحسن بن يوسف، معالم أصول الدين، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
- ١٤٦ . علي بن أبي طالب عليه السلام، نهج البلاغة، قم - إيران، مؤسسة دار الهجرة، ١٤١٤ هـ.ق.
- ١٤٧ . علي بن الحسين عليهما السلام، الصحيفة السجادية، قم - إيران، نشر الهادي، ١٣٧٦ هـ.ش.
- ١٤٨ . علي بن موسى عليه السلام، الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام، قم - إيران، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤٠٦ هـ.ق.
- ١٤٩ . العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي، طهران - إيران، المكتبة العلمية الإسلامية، ١٣٨٠ هـ.ق.
- ١٥٠ . الغزالي، محمد بن محمد، الاقتصاد في الاعتقاد، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٩ هـ.ق.
- ١٥١ . الغزنوي الحنفي، أحمد بن محمد بن سعيد، كتاب أصول الدين، بيروت - لبنان، دار البشائر الإسلامية، ١٤١٩ هـ.ق.
- ١٥٢ . الفاضل الهندي، محمد بن الحسن، كشف اللثام عن قواعد الأحكام، قم - إيران، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٦ هـ.ق.
- ١٥٣ . الفخر الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير، بيروت - لبنان، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ هـ.ق.

١٥٤ . الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ.ق.

١٥٥ . الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، قم - إيران، مؤسسة دار الهجرة، ١٤١٤ هـ.ق.

١٥٦ . القاضي سعيد القمي، محمد سعيد بن محمد مفيد، شرح الأربعين، طهران - إيران، مركز تحقيق ميراث مكتوب، ١٣٧٩ هـ.ش.

١٥٧ . القرطبي، أحمد بن عمر، المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم، دمشق - بيروت، دار ابن كثير - دار الكلم الطيب، ١٤١٧ هـ.ق.

١٥٨ . القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، القاهرة - مصر، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤ هـ.ق.

١٥٩ . القشيري النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، القاهرة - مصر، دار إحياء الكتب العربية.

١٦٠ . القطب الراوندي، سعيد بن هبة الله، الخرائج والجرائح، قم، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، ١٤٠٩ هـ.ق.

١٦١ . القطب الراوندي، سعيد بن هبة الله، الدعوات، قم - إيران، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، ١٤٠٧ هـ.ق.

١٦٢ . القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي، قم - إيران، دار الكتاب، ١٤٠٤ هـ.ق.

١٦٣ . القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة لذوي القربى، قم - إيران، منظمة الأوقاف والشؤون الخيرية، دار الأسوة للطباعة والنشر، ١٤٢٢ هـ.ق.

١٦٤. الكاساني الحنفي، أبو بكر بن مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦ هـ.ق.
١٦٥. الكراجكي، محمد بن علي، كنز الفوائد، قم - إيران، دار الذخائر، ١٤١٠ هـ.ق.
١٦٦. الكفعمي، إبراهيم بن علي، البلد الأمين، طهران - إيران، مكتبة الصدوق.
١٦٧. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، طهران - إيران، دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٧ هـ.ق.
١٦٨. الكوفي، فرات بن إبراهيم، تفسير فرات الكوفي، طهران - إيران، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، مؤسسة الطبع والنشر، ١٤١٠ هـ.ق.
١٦٩. اللالكائي، هبة الله بن الحسن، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، المملكة السعودية، دار طيبة، ١٤٢٣ هـ.ق.
١٧٠. اللاهيجي، عبد الرزاق بن علي، گوهر مراد (جوهر المراد)، طهران، نشر سايه، ١٣٨٣ هـ.ش.
١٧١. الليثي الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ، قم - إيران، مؤسسة دار الحديث العلمية الثقافية، مؤسسة الطباعة والنشر، ١٣٧٦ هـ.ش.
١٧٢. المالكي، حسن بن فرحان، قراءة في كتب العقائد: المذهب الحنبلي نموذجاً، عمان - الأردن، مركز الدراسات التاريخية، ١٤٣٠ هـ.ق.
١٧٣. المتقي الهندي، علي بن حسام الدين، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١ هـ.ق.

١٧٤. المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، بيروت - لبنان، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣ هـ.ق.
١٧٥. محب الدين الطبري، أحمد بن عبد الله، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، القاهرة - مصر، مكتبة القدسي، ١٣٥٦ هـ.ق.
١٧٦. المحقق الخلي، جعفر بن الحسن، شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، قم - إيران، إسماعيليان، ١٤٠٨ هـ.ق.
١٧٧. محمد رضائي، محمد، وآخرون، جستارهاي در كلام جديد (بحوث في الكلام الجديد)، طهران - قم، مؤسسة مطالعه وتدوين كتب العلوم الإنسانية للجامعات (سمت)، جامعة قم، ١٣٨١ هـ.ش.
١٧٨. المرشد بالله، يحيى بن الحسين، الأمالي: وهي المعروفة بالأمالي الخميسية، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ هـ.ق.
١٧٩. المزي، إسماعيل بن يحيى، شرح السنّة، المملكة السعودية، مكتبة الغرباء الأثرية، ١٤١٥ هـ.ق.
١٨٠. المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، طهران - إيران، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، ١٣٨٥ هـ.ش.
١٨١. مطهري، مرتضي، مجموعه آثار استاد شهيد مطهري (مجموعة آثار الأستاذ الشهيد مطهري)، طهران - إيران، صدرا، ١٣٧٧ هـ.ش.
١٨٢. المظفر، محمد حسن، دلائل الصدق لنهج الحق، قم - إيران، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، ١٤٢٢ هـ.ق.
١٨٣. المظفر، محمد رضا، عقائد الإمامية، قم - إيران، أنصاريان، ١٤٢٩ هـ.ق.

١٨٤. المفيد، محمد بن محمد، الاختصاص، قم، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ١٤١٣ هـ.ق.

١٨٥. المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، قم - إيران، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ١٤١٣ هـ.ق.

١٨٦. المفيد، محمد بن محمد، الأمالي، قم - إيران، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ١٤١٣ هـ.ق.

١٨٧. المقرئزي، أحمد بن علي، النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، القاهرة - مصر، دار المعارف.

١٨٨. المناوي، محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين، فيض القدير شرح الجامع الصغير، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٦ هـ.ق.

١٨٩. المنصور بالله، عبد الله بن حمزة، الشافي، صعدة - اليمن، مكتبة أهل البيت عليه السلام، ١٤٢٩ هـ.ق.

١٩٠. ميرخليلي، محمود، «خشونت ومجازات» (العنف والجزاء)، كتاب نقد، العدد ١٤ و ١٥، صفحة ١٢٤-١٥٣، ١٣٧٩ هـ.ش.

١٩١. الميرزا القمي، أبو القاسم بن محمد حسن، غنائم الأيام في مسائل الحلال والحرام، قم - إيران، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، ١٤١٧ هـ.ق.

١٩٢. ميشال، توماس، كلام مسيحي، ترجمة: حسين توفيق، قم - إيران، مركز مطالعات وتحقيقات أديان ومذاهب، ١٣٧٧ هـ.ش.

١٩٣. النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي، قم - إيران، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٨ هـ.ق.

١٩٤. النجفي، محمد حسن بن باقر، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، بيروت - لبنان، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٤ هـ.ق.
١٩٥. النراقي، مهدي بن أبي ذر، جامع السعادات، بيروت - لبنان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
١٩٦. النسائي، أحمد بن شعيب، السنن الكبرى، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ.ق.
١٩٧. النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي، حلب - سورية، مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦ هـ.ق.
١٩٨. النعماني، محمد بن إبراهيم، الغيبة، طهران - إيران، مكتبة الصدوق، ١٣٩٧ هـ.ق.
١٩٩. النفزي القيرواني، عبد الله بن عبد الرحمن، متن الرسالة، بيروت - لبنان، دار الفكر.
٢٠٠. النووي، يحيى بن شرف، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، بيروت - لبنان، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢ هـ.ق.
٢٠١. الهاللي، سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس الهاللي، قم، نشر الهادي، ١٤٠٥ هـ.ق.
٢٠٢. الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، القاهرة - مصر، مكتبة القدسي، ١٤١٤ هـ.ق.
٢٠٣. ورام، مسعود بن عيسى، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر المعروف بمجموعة ورام، قم - إيران، مكتبة الفقيه، ١٤١٠ هـ.ق.
٢٠٤. اليزدي، محمد كاظم بن عبد العظيم، العروة الوثقى، بيروت - لبنان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٩ هـ.ق.
٢٠٥. اليعقوبي، أحمد بن إسحاق، تاريخ اليعقوبي، بيروت - لبنان، دار صادر.

الفهرست

مقدمة ٩

الأول: الإسلام

مقدمة ١٧

المعنى اللغوي للإسلام ١٧

المعنى الاصطلاحي للإسلام ١٨

أ) صور وجوب الشهادة ٢١

١- الشهادة لله سبحانه بالتوحيد ٢١

٢- الشهادة للنبي ﷺ بالعبودية ٢٢

٣- الشهادة للنبي ﷺ بالرسالة ٢٣

٤- الشهادة لأمر المؤمنين ﷺ بالولاية ٢٤

القول الأول: الإمامة من فروع الدين ٢٥

القول الثاني: الإمامة من أصول المذهب ٢٨

القول الثالث: الإمامة من أصول الدين ٢٩

٥- الشهادة بأن المعاد حق ٣٣

٦- الشهادة بكونه على ملة رسول الله ﷺ ٣٤

٧- الشهادة بحقيقة الايمان بالعجز عن شكر النعم الالهية ٣٥

ب) تقسيمات الشهادة ٣٧

١- اللفظية والمكتوبة ٣٧

٢- اللفظية والباطنية ٣٧

ج) شريعة الإسلام ٤١

أن للإسلام طريقاً ومسلماً ٤١

أن شريعة الاسلام تتصف بالنورانية ٤٤

د) أنواع الإسلام ٤٧

هـ) آثار الإسلام ٤٩

١- الشمول بأنواع النعم الإلهية ٤٩

٢- اختصاص نعمة الهداية المعنوية بالمسلمين ٥٠

٣- فضل الله على المسلمين ٥٠

٤- رحمة الله بالمسلمين ٥١

٥- أطفاف الله بالمسلمين لإبعادهم عن الشيطان ٥٢

و) أول من أسلم ٥٣

ز) مهام المسلمين ٥٧

١- انقاذ الكفار من الكفر ٥٧

٢- شكر الله على الهداية للإسلام ٥٨

٣- محبة الدين الإسلامي ٥٨

٤- الاستقامة على ملّة الإسلام ٥٩

الفهرست ٤٦٣

٥- الحذر من التشبه بالكفار في المعتقد ٦١

٦- الدعوة للدين الإسلامي ٦٢

٧- اظهار الإسلام ٦٣

٨- امتلاك الإيمان ٦٤

٩- كسب الإيمان في الدنيا ٦٥

ح (ح) الأمة الإسلامية ٦٧

١- الأمة الإسلامية قدوة للأمم ٦٧

٢- قصر الشيعة على ملة الرسول ﷺ ٦٨

٣- الظلمة خارجون عن أمة الإسلام ٦٩

ط (ط) أسباب ضياع الإسلام ٧٣

١- انحراف الناس وانشغالهم بالدنيا ٧٣

٢- ظلم رعاة الأمة وولاتها وفسقهم ٧٤

ي (ي) من حقوق المسلمين ٧٧

١- عدم المراء مع المسلم ٧٧

٢- عدم التبري من المسلم ٧٧

ك (ك) أمير المؤمنين عليه السلام من الشخصيات المؤثرة في ظهور الإسلام ٧٩

ل (ل) حكم المسلم ٨١

أولاً: الآيات القرآنية ٨٢

ثانياً: روايات العامة ٨٣

ثالثاً: روايات الخاصة ٨٨

- ٩١ (م) الفرق بين المؤمن والمسلم
- ٩٥ (ن) خصائص الإسلام
- ٩٥ ١- المنّة على معتنقيه
- ٩٦ ٢- الإسلام دين التبري
- ٩٧ ٣- أحقيّة الإسلام
- ٩٨ ٤- مخالفة الإسلام للردية
- ٩٩ ٥- معارضة الإسلام للوم الفرد بعد إسلامه
- ٩٩ ٦- إتمام الإسلام للنقائص
- ١٠٠ ٧- رفع النقيصة عن أهل البيت عليهم السلام بالإسلام
- ١٠٣ (س) المسلمون المضاهون للكفار

الثاني: الإيمان

- ١٠٧ مقدمة
- ١٠٧ المفهوم اللغوي للإيمان
- ١١٠ المفهوم الشرعي للإيمان
- ١١٠ الوجه الأول
- ١١١ الوجه الثاني
- ١١٢ الوجه الثالث
- ١١٦ تأثير التصديق في حقيقة الإيمان
- ١١٦ مفهوم التصديق
- ١١٩ (أ) اصل الإيمان
- ١١٩ حقيقة الإيمان

الفهرست ٤٦٥

بيت الإيمان ١٢٠

هداية الله للإيمان قبل معرفة شكر الامتنان ١٢١

حاجة الإنسان للهداية الغيبية من أجل الإيمان ١٢٢

ضرورة الاستعانة بالله لبلوغ كمال الإيمان ١٢٣

عظمة الإيمان ١٢٥

حقيقة إيمان الأولياء ١٢٥

ارتباط الإيمان بروح الإنسان وبدنه ١٢٦

مكانة الفكر في الإيمان بالله تعالى ١٢٧

عدم التعارض بين الفكر والإيمان ١٢٧

الفاصلة بين الإيمان واليقين ١٢٨

ارتباط الإيمان بنفس الإنسان ١٢٩

(ب) مراتب الإيمان ١٣١

حسن بلوغ اليقين بالمعارف الإلهية ١٣٧

عزومات اليقين ١٣٩

تعلق اليقين بقلب الإنسان ونفسه ١٤٠

حاجة الانسان للممدد الغيبي في الوصول لليقين القلبي ١٤١

من يؤمنون في عالم الآخرة ١٤١

أحياناً لا يقبل إيمان بعض الناس ١٤٢

قلّة الديانين عند الابتلاء ١٤٢

(ج) ما يتعلق به الإيمان ١٤٥

١- ربوبية الله تعالى ١٤٥

٢- رسل الله تعالى ١٤٦

٣- ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ١٤٩

٤- القدر (خير شره) ١٥٠

٥- المبدأ والمعاد ١٥١

(د) ضرورة الانسجام بين الإيمان والإسلام ١٥٥

ما يُشهد به عن إيمان ١٥٥

ما يُشهد به عن يقين ١٥٥

(هـ) آثار الإيمان ١٥٧

١- الإيمان نعمة معنوية ١٥٧

٢- أهمية ما يرضي الله ورسوله والمؤمنين ١٦٣

٣- راحة المؤمن في البرزخ ١٦٤

٤- كسب الخيرات ١٦٤

٥- الاستفادة الأخروية ١٦٦

٦- العصمة الناشئة من الإيمان ١٦٦

٧- وصف الله للمؤمنين في القرآن ١٦٨

٨- القداسة الناشئة من الإيمان ١٦٩

٩- سيطرة المؤمن على النفس الأمارة ١٧٠

١٠- اكتساب المؤمنين للطوائف العديدة ١٧١

١١- اكتساب المعارف النفسية ١٧٢

١٢- بلوغ المؤمن الى درجة الصديقين والشهداء ١٧٢

١٣- خوف من الله في الدنيا ١٧٣

١٤- حفظ حرمة ذرية النبي صلى الله عليه وآله ١٧٤

١٥- سعادة المؤمنين بعد الموت ١٧٦

١٦- درجات الثواب الإلهي للمؤمنين ١٧٧

١٧- تأثير ذكر الخير في أخوة الإيمان ١٧٨

١٨- حفظ المؤمن حرمة الإمام المعصوم ١٧٨

١٩- ذخيرة المؤمن الدينية ١٨٠

٢٠- بكاء المؤمن حزناً على الإمام الحسين عليه السلام ١٨٠

٢١- تأثير الإيمان في أصل البكاء ١٨١

٢٢- تأثير الإيمان في البكاء على مصائبهم عليهم السلام ١٨١

٢٣- ابتلاء المؤمنين عن طريق المنحرفين ١٨٢

١٨٣ (و) آثار الإيمان اليقيني ١٨٣

١- كمال الإنسان في وصوله لليقين القلبي ١٨٣

٢- علاقة غنى النفس باليقين القلبي ١٨٣

٣- تأثير اليقين القلبي في الإخلاص العملي ١٨٤

٤- نور البصيرة نتيجة اليقين والإخلاص ١٨٥

١٨٧ (ز) وظائف المؤمنين ١٨٧

١- لزوم شكر نعمة الإيمان ١٨٧

٢- لزوم الإقرار بالعقائد الحقّة يوم القيامة ١٨٧

٣- ضرورة الاستفادة من أخوة الدين ١٨٨

٤- تدابير المؤمن وصولاً للتكامل المعنوي ١٨٩

٥- وجوب انقاذ المؤمنين من شبهات الأعداء ١٩٠

٦- لزوم أحياء الناس من الكفر إلى الإيمان بالإرشاد ١٩١

٧- لزوم إلفات نظر الأعداء للمبدأ والمعاد ١٩١

٨- لزوم صيانة الدين ١٩٢

٩- صيانة الدين بقضاء حوائج الناس ١٩٣

ح) علاقة العمل بالإيمان ١٩٥

عدم جزئية العمل الصالح لمفهوم الإيمان بالله ١٩٥

١- نظرية ركنية العمل للإيمان ١٩٦

٢- عدم ركنية العمل في الإيمان ١٩٧

الإيمان والعمل صالح عاملان مؤثران في استجابة الدعاء ٢٠١

اقتران الإيمان والعمل الصالح ٢٠٢

عدم جواز الاكتفاء بالإيمان ٢٠٣

لا نفع في العمل الصالح دون إيمان ٢٠٦

الفيوضات الإلهية العميمة للمؤمنين وأصحاب العمل الصالح ٢٠٦

بطلان عقيدة المرجئة ٢٠٧

ط) الأسبقية في الإيمان ٢٠٩

ي) أسباب الإيمان ٢١١

١- بعض أنواع الأرزاق ٢١١

٢- المطر ٢١١

٣- سماع الحقائق ٢١٢

ك) من خصوصيات المؤمن ٢١٥

١- البكاء حزناً على الأولياء ٢١٥

٢- بكاء عامة المؤمنين عند رثاء الامام الحسين عليه السلام ٢١٥

٣- ذكاء المؤمن ٢١٦

٤- اليقين الناشئ عن فطنة الإيمان ٢١٨

٤٦٩	الفهرست
٢١٨	٥- امتلاك المؤمن الواقعي لليقين
٢١٨	٦- تسليم المؤمن لأوامر الله
٢١٩	٧- الدنيا سجن المؤمن
٢٢٠	٨- المؤمنون أخوة
٢٢١	٩- نصح المؤمن للآخرين
٢٢٢	١٠- عدم توفير المؤمن الأرضية للاعتذار
٢٢٢	١١- لا يسهى المؤمن التصرف
٢٢٣	١٢- المؤمن يكون كريماً
٢٢٥	(ل) منزلة الإيمان ومكانته
٢٢٥	تساوي مكانة المؤمنين عند الله
٢٢٦	ضرورة الإيمان قبل الاضطرار
٢٢٩	(م) من علائم الإيمان
٢٣١	(ن) المؤمنون الحقيقيون
٢٣١	الذين رحلوا عن الدنيا وهم مؤمنون
٢٣١	إيمان جميع الناس في عصر الظهور
٢٣٢	شيعة أهل البيت <small>عليهم السلام</small> مؤمنون واقعيون
٢٣٣	لزوم صدق المؤمن
٢٣٣	أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small> على رأس المؤمنين
٢٣٤	شيعة علي <small>عليه السلام</small> مؤمنون صالحون
٢٣٥	شهداء كربلاء مؤمنون حقيقيون
٢٣٦	الامام الحسين <small>عليه السلام</small> مؤمن حقيقي

- ٢٣٧ من شربوا شهد الإيمان
- ٢٣٨ المحصون بالامتحان مؤمنون حقيقيون
- ٢٣٩ المؤمنون أخوة في الدين
- ٢٤١ (س) ما يتنافس فيه المؤمنون
- ٢٤٣ (ع) من واجباتنا تجاه المؤمنين
- ٢٤٣ ١- حفظ حرمة الأخ المؤمن في غيابه
- ٢٤٤ ٢- تفريج الكرب عن المؤمن
- ٢٤٥ (ف) من واجباتنا تجاه إيمان الأطفال
- ٢٤٥ ١- ضرورة ترسيخ أسس الإيمان فيهم من الطفولة
- ٢٤٦ ٢- تعزيز طابعهم بالإيمان منذ الطفولة
- ٢٤٦ ٣- ضرورة اشباعهم من الإيمان
- ٢٤٧ (ص) الفرق بين الإيمان واليقين
- ٢٤٩ (ق) ما يصح اطلاق عنوان المؤمن عليه
- ٢٥١ (ر) من شروط الانتفاع بالإيمان

الثالث: الكفر

- ٢٥٥ مقدمة
- ٢٥٥ مفهوم الكفر
- ٢٥٧ المعنى الاصطلاحي للكفر
- ٢٥٨ ١- عدم الإيمان
- ٢٥٨ ٢- التكذيب

الفهرست ٤٧١

٣- انكار صدق النبي ٢٥٩

٤- عدم التصديق ٢٦٠

٥- الجهل بالله تعالى ٢٦٠

أ) آثار الكفر ٢٦١

١- نقض العهود الإلهية ٢٦١

٢- تكذيب الرسل ٢٦١

٣- المخالفة لله جل جلاله ٢٦٢

٤- معارضة الرسل للكفر ٢٦٣

٥- اتفاق كلمة الرسل على مقارعة الكفر ٢٦٣

٦- عدم انطفاء نور الحق بظلم الكفر ٢٦٤

٧- قتل القادة الإلهية ٢٦٤

٨- العذاب بانتظار غير المؤمنين ٢٦٥

٩- الخروج من الدين ٢٦٦

١٠- اشتداد الغضب الإلهي نتيجة المعتقدات الكفرية ٢٦٧

١١- غضب الله على اليهود ٢٦٨

١٢- غضب الله على النصارى ٢٦٩

١٣- غضب الله على المجوس ٢٦٩

١٤- كره المشركين لغلبة دين الحق ٢٧٠

١٥- عدم الخوف من الله ٢٧٠

١٦- العقوبة على الكافرين ٢٧١

١٧- عدم الإيمان بالحساب يؤدي لعدم استماع قول الحق ٢٧٢

١٨- عدم الإيمان والكفر من أسباب الذنوب الكبيرة ٢٧٤

٢٧٥ ١٩- قمة الصفاقة.

٢٧٦ ٢٠- الوقوع في الهلكة.

٢٧٧ ٢١- الذلّة.

٢٧٨ ٢٢- سلب البركة الإلهية.

٢٧٩ ٢٣- الاقدام على استباحة الدماء.

٢٨١ (ب) أسباب الكفر.

٢٨١ ١- العدا لأهل البيت عليهم السلام.

٢٨٤ ٢- الاعتقاد بالتشبيه.

٢٨٥ ٣- عدم الإيمان بقضاء الله وقدره.

٢٨٥ ٤- محاربة الدين.

٢٨٨ ٥- ظلم الناس.

٢٨٩ ٦- الخروج على الإمام.

٢٩١ ٧- قتل الإمام.

٢٩٣ ٨- محاربة الإمام بالحق.

٢٩٤ ٩- الكفر بالإمام.

٢٩٤ ١٠- الركون للظلمة.

٢٩٤ ١١- تزيين الشيطان.

٢٩٥ ١٢- وسوسة الشيطان.

٢٩٦ ١٣- السحر.

٢٩٧ ١٤- بيع الدين من أجل الآخرين.

٢٩٨ ١٥- الاستكبار.

٢٩٩ ١٦- الترفع.

الفهرست	٤٧٣
١٧- عدم اطاعة الأوامر الإلهية	٣٠٠
ج) امكان النجاة من الكفر	٣٠١
د) الفارق بين الإيمان والكفر	٣٠٣
هـ) أنواع الكفر	٣٠٥
١- كفر الفسق	٣٠٥
٢- كفر النفاق	٣٠٦
٣- كفر العصيان والتعدي	٣٠٧
٤- كفر العقيدة	٣٠٧
٥- كفر الاستكبار	٣٠٨
٦- كفر الارتداد	٣٠٩
٧- كفر الخروج على الإمام المعصوم <small>عليه السلام</small>	٣٢٠
٨- كفر النعمة	٣٢٢
٩- الكفر الناشئ من العداوة للنبي <small>صلى الله عليه وآله</small>	٣٢٣
١٠- كفر التشبيه	٣٢٤
و) نماذج من الكفار المدعين للإسلام	٣٢٧
١- ابو سفيان	٣٢٧
٢- معاوية	٣٣٣
٣- يزيد	٣٣٨
٤- عبید الله بن زياد	٣٤٢
٥- عمر بن سعد وجيشه	٣٤٥
ز) إمكان الكفر بعد الإيمان	٣٤٩

ح) من المعتقدات الكفرية ٣٥١

الاشكالات على عقيدة التثليث ٣٥٣

ط) صفة الكفر ٣٥٩

١- طول الكفر وقصره ٣٥٩

٢- قباحة اظهار الفسق والكفر ٣٥٩

ي) أنواع الكفار ٣٦١

١- الكافر الكتابي وغير الكتابي ٣٦١

٢- الكافر الحربي وغير الحربي ٣٦٢

٣- الكافر بالكفر الأصغر والأكبر ٣٦٣

ك) أحكام الكافر ٣٧١

١- رمي المؤمن والكافر للجمرات ٣٧١

٢- عدم جواز تجهيز الخوارج مطلقاً ٣٧٢

ل) خصائص الكفار ٣٧٣

١- يحادون الله عز وجل ٣٧٣

٢- يجعلون الشبيه لله جل جلاله ٣٧٤

٣- ما يكرهه الكفار ٣٧٤

٤- إصابة كفار بني اسرائيل باللعة ٣٧٥

الرابع: التكفير

مقدمة ٣٧٩

مفهوم التكفير ٣٧٩

الفهرست ٤٧٥

اصالة عدم التكفير ٣٧٩

لزوم الاحتياط في التكفير ٣٨٢

صور التكفير المتفق عليها ٣٨٣

١- منكر الألوهية والتوحيد والرسالة ٣٨٣

٢- المنكر لضروري ديني ٣٨٣

٣- المغالي ٣٨٤

٤- سابّ النبي ﷺ ٣٨٥

التكفير بحسب رؤية الإمام الحسين عليه السلام ٣٨٧

كان الخوارج مكفّرة ٣٨٧

لزوم إرشاد المكفّر ٣٨٩

تكفير بعض لبعض قبل الظهور ٣٩١

محرابة صاحب الأمر عليه السلام لتكفير بعض لبعض ٣٩٣

قبح تكفير المسلمين ٣٩٣

الخامس : النفاق

مقدمة ٤٠٣

(أ) النفاق والمنافق ٤٠٥

ذوي النفاق القديم المتأصل ٤٠٥

الدين لعق على الألسن ٤٠٦

ذوي الإسلام غير الحقيقي ٤٠٧

(ب) من علامات النفاق ٤٠٩

١- العداء لأهل البيت عليه السلام ٤١٠

٤٧٦ الموسوعة العلمية من كلمات الإمام الحسين عليه السلام / الجزء الثالث (الإيمان والكفر)

٤١٠ ٢- قتل الإمام المعصوم

٤١٢ ٣- ارتكاب ما يستوجب الدم والاعتذار منه

٤١٣ (ج) من مهامنا تجاه المنافقين

٤١٥ (د) من أنواع النفاق

السادس: العنف والإرهاب

٤١٩ مقدمة

٤١٩ دعوة الاسلام للرفق بالمخالفين

٤٢٢ صور جواز استعمال القوة في الإسلام

٤٢٧ العنف والإرهاب من منظر الإمام الحسين عليه السلام

٤٢٧ كان يزيد إرهابياً

٤٢٩ تدنيس الإرهابيين للحرمة الإلهية

٤٣٠ بُعد قاتلي الأطفال عن رحمة الله

٤٣٠ قد تبلغ قسوة مدعي الإسلام ذروتها أحياناً

٤٣١ بشاعة التعرض للنساء والأطفال

٤٣٤ الاغتيالات في صدر الإسلام

٤٣٧ الإرهاب الدولي

٤٤١ فهرس المصادر

٤٦١ الفهرست